قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المشهور ب

عقود الجمان في شعراء هذا الزمان

لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي

المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

تحقيق

كامل سلمان الجبوري

المجلد السابع

الجزء التاسع

الجزء الثامن مفقود

المحتوى:

نصر بن يوسف بن نصر - يحيى بن عبد العظيم بن يحيى

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية بيروت لبنان

العامة


قلائد الجمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية

Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف:١٢ / ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ | ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

فاكس:٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ | رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المؤلف: ابن الشعّار الموصلي

المحقق: كامل سلمان الجبوري

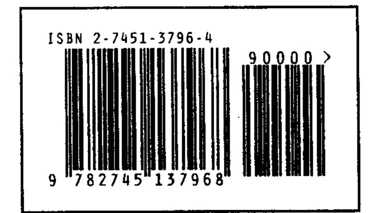
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 3440

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى



ISBN 2-7451-3796-4

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديم

الحمـد لله رب العـالميـن، والصـلاة والسـلام على سيـد المـرسليـن محمـد، وآلـه الطيبين، وصحبه المنتجبين.

وبعد:

هذا هو الجزء التاسع من كتاب:

قلائد الجُمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

حسب تجزئة المؤلف.

ويقع في ٢٤٨ ورقة. تحمل ورقة الغـلاف عنوان الكتـاب وعليها أختام التملك التي أشرنا إليها آنفـاً، كما تحمل تمليكاً أمحى بعضه والمقروء منه هذا الاسم «بدر الدين القرافي المالكي»[١] وهذه العبارة «ثاني جمادى الأولى سنة ٩٩[٩]»، والجدير بالذكر أن ورقة الغـلاف هذه هي ـ كما في بقية الأجزاء ـ ليست أصلية إذ هي ملصقة على ورقة الغلاف الأصلية فغطتها، وبالإمكان رؤية بعض الورقة الأصلية في هذا الجزء فقط، وعليها تملك يحيى الشافعي سنة ٨٠٠، وتملك آخر باسم عبد البر ابن الشحنة[٢] مؤرخ في سنة ٨٧١. وعلى هذه الورقة الأصلية عنوان الكتاب واسم المؤلف بخط ابن الشعّار نفسه، وهو الخط الذي كتب به هذا الجزء بكامله وبعض الجزء السابع (اعتباراً من الورقة ١٨٦) كما أسلفنا، واتبع فيه الأسلوب الذي سبق أن تم شرحه على خط الجزء السابع. ونقطة أخرى جديرة بالملاحظة هي أن الورقة الأخيرة من الجزء التاسع لم يكتب فيها ما هو معتاد كتابته في نهاية كل جزء، رغم وجود فراغ في أسفل الورقة يتسع لثلاثة أسطر. وربما كان غرض الكاتب أن يتوسع في الترجمة الأخيرة قبل أن يختتم هذا الجزء، إلا أنه لم يفعل، ثم نسي تسجيل عبارة الختام.

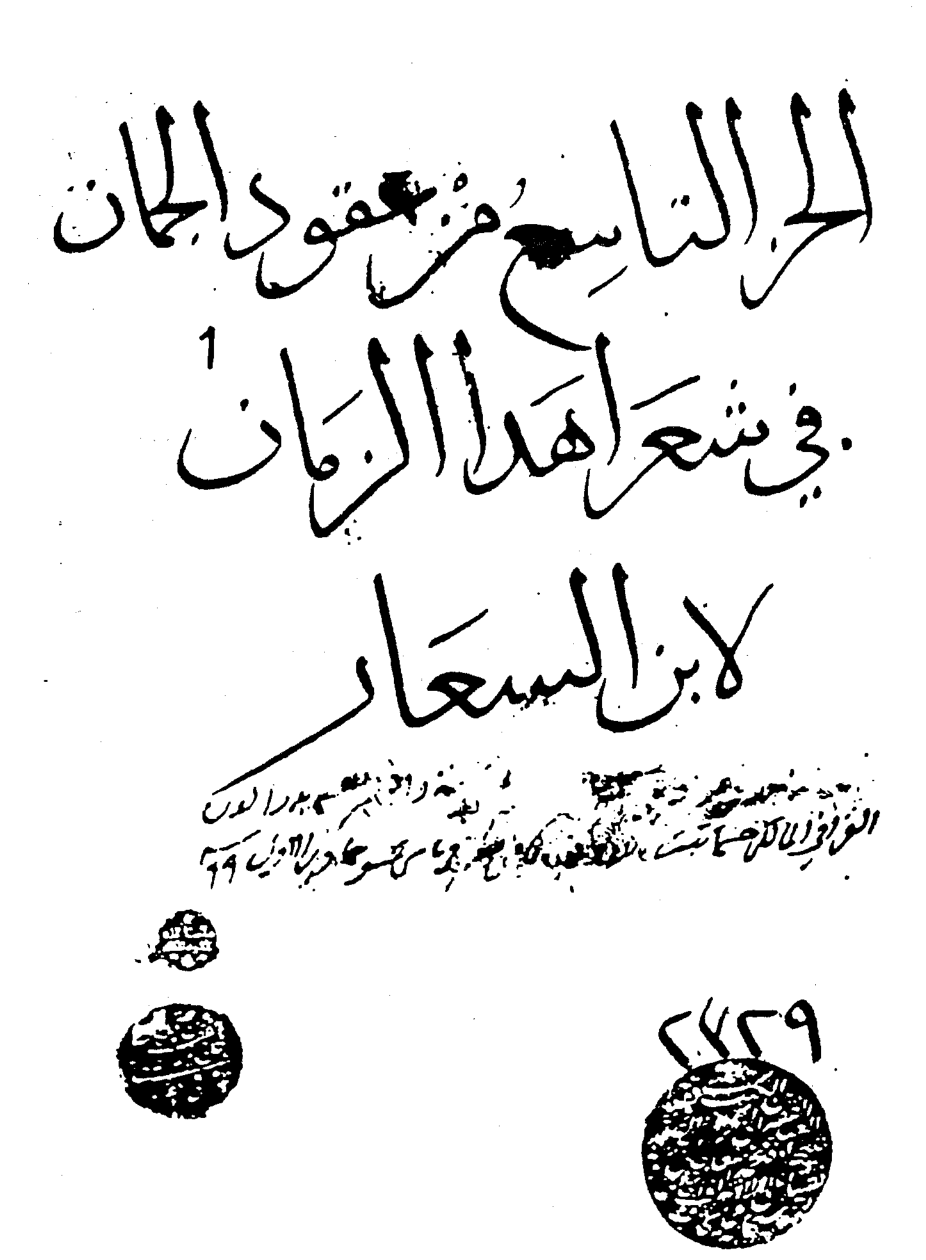
والحمد لله أولاً وآخراً.

المحقق

---

(١) هو محمد بن يحيى بن عمر القرافي، فقيه مالكي (٩٣٩ـ١٠٠٨هـ).
انظر ترجمته في: خلاصة الأثر ٤/ ٢٥٨. الأعلام ٧/ ١٤١ وغيرها.

(٢) انظر ترجمته في: أعلام النبلاء ٥/ ٣٨١. المكتبة الأزهرية ١/ ١٥٣. الأعلام ٣/ ٢٧٣.



صفحة عنوان الجزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم رب سهل ووفق
نصر بن يوسف بن نصر بن عبد الرزاق
ابن عبد الوهاب بن الخضر بن عبد الوهاب بن الخضر بن محمد بن
ابن عبد الله بن ربيعة بن المغلس بن لبيد بن النابغة وهو
قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب
ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن
هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ابو سعد البالسي المعروف
بابن قاضي بالس ويعرف بالجعبري لانه سكن قلعة جعبر
وهي قلعة حصينة على طرف الفرات من البلاد الجزرية
من ابناء القضاة وبيتهم ببالس مشهور وكان يلبس
العمامة اقتداء بسلفه ثم تجند وتزيا بزي الاجناد في
الملبوس وخوطب بالامير بعد ان كان يدعى بالقاضي ولبس
القباء وصار والياً بدمشق من قبل الملك العادل سيف الدين

الصفحة الأولى من الجزء التاسع

لا يمكن المرء أن يمشي على سنن وإن علا الرشد لا تخفى معالمه

قد يكتم السر من لم يخفه أبداً عن الرجال وقد يفشيه كاتمه

يسالم الدهر من أضحى يحاربه كما يحارب من أضحى يسالمه

وقد يكون قبيح العذر جاهله كما يكون وضيع العذر عالمه

أشكو إلى الله دهراً ليس ينصفني وكيف ينصف من ذا الدهر حاكمه

كم ذا أذل قريضاً ابنا اجله جهلاً إلى باب من عزت دراهمه

لولا ضرورات دهر كان بادره قد استوى اليوم في عيني وحاتمه

بار القريض بمصر اليوم فهو إذا عرضته عز شاريه وسائمه

لو قدر الله أن ابن الشام به ما أسلمتني إلى دهري عواصمه

وكنت أدرك ما أرجوه بابن أبي جرادة حسب أناني مكارمه

عليك بالشر والدين اعتماد فتى يشكو إلى الدهر إذ عمت مظالمه

الصفحة الأخيرة من الجزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ سهِّل ووفق

[تتمة حرف النون]

[ذكر من اسمه نصر]

[٨٥٥]

نصرُ بنُ يوسفَ بن نصر بن عبد الرَّزاق بن عبد الوهَّاب بن الخضر بن عبد الوَهاب بَن الخضَر بن عَجلَانَ بَن عبد الله بنَ ربيعةَ بَن المقدَّم بن لبيَد بَن النابغةَ وَهو قيسُ بنٌ عبدَ الله بنَ عُدُس بَن ربيعةَ بنَ جَعَدةَ بن كعَب بن ربيعةَ بن عامرَ بنَ صعصَعةً بن معاويةَ بن بكر بنَ هوازنَ بن مَنصور بنَ عكرمةَ بنَ خصفةَ بن قَيس بن عيَلانَ بَن مضرَ بن نزار بن معَد بن عدنانَ، أبو سعد البالسيُّ، المعروفُ بابنِ قاضيَ بالسَ:

ويعرف بالجَعْبريِّ؛ لأنَّه سكن قلعةَ جَعْبَر ـ وهي قلعة حصينة علىٰ طرف الفرات من البلاد الجزيرية[١] ـ.

من أبناء القُضاة، وبيت كبير ببالس[٢] مشهور. وكان يلبس العمامة اقتداءً بسلفه، ثم تجنّد وتزيًّا بزي الأجناد في الملبوس، وخوطب بالإمرة بعد أنْ كان يُدعىٰ بالقاضي، ولبس القباء وصار واليًا بدمشق من قبل الملك العادل سيفَ الدين / ٢أ/ أبي بكر محمد بن أيوب، وبعده لولده الملك المعظم أبي الفتح عيسىٰ ـ رحمهم الله

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (جعبر).

(٢) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة، على الفرات من الجانب الغربي، بينها وبين شاطىء الفرات يسير، وهي تحت صفين. انظر: معجم البلدان/ مادة (بالس).

تعالىٰ ـ ولم يزل علىٰ ولايته إلى أنْ توفي بدمشق بقلعتها في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة. وكان قد توفي له ولدان قبله فحملوا جميعهم إلى بالس فدفنوا بها.

وكان شاعراً مطيلاً جيد الشعر فيه ذكاء وفهم، ولديه أدب وفضل.

أنشدني الشيخ الأجل نجم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن سراج البزاز الحلبي بها، قال: أنشدني أبو سعد بقلعة دمشق في سنة أربع عشرة وستمائة لنفسه:

[من الخفيف]

طَالَ مَا بَيْنَنَا النَّوَىٰ وَالتَّجَافِي ... وَالَّذِي بِي مِنَ الجَوَىٰ غَيْرُ خَافِي
فَنَهَارِي أُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالوَصْـ ... ـلِ وَلَيْلِي بِالقُرْبِ وَالإئْتِلَافِ
طَمَعاً كَاذِباً وَتَسْوِيفَ نَفْس ... وَلَـو . . . . قَبْلَ التَّلَافِي
مَا كَذَا كَانَتِ العُهُودُ ٱسْتَقَرَّتْ ... بِبَقَاءِ قَلِيلَةَ الإنْصَافِ
طُولَ دَهْرِي أُصْفِي الوِدَادَ وَأرْعَىٰ ... عَهْدَ مَنْ عَاهَدَتْ بِأَنْ لاَ تُصَافِي
/ ٢ب/ تُخْلِفُ الوَعْدَ لاَ الوَعِيدَ لِوَافٍ ... لاَ تَرَاهُ مَعْ غَدْرِهَا غَيْرَ وَافِي
أَضْرَمَتْ فِي حَشَايَ نَارَ ٱشْتِيَاقٍ ... كُنْ لَهَا مِنْهُ يَا إِلَهِي كَافِي
أَتُرَاهُ الزَّمَانَ فِيهَا بِصَافٍ ... أَمْ تُرَىٰ لِيَ مِنَ الصَّبَابَةِ شَافِي
أَنْتِ أَمْرَضْتِ بِالصُّدُودِ مُحِبًّا ... فَصِلِيهِ تَسْرِي إِلَيْهِ العَوَافِي
إِنْ أَكُنْ إِقْتَرَفْتُ ذَنْباً فَقَدْ جِئْـ ... ـتُ مُقِرًّا إِلَيْكِ بِالاقْتِرَافِ
فَاغْفِرِي الذَّنْبَ بِاعْتِرَافِي فَلاَ تَثْـ ... ـرِيبَ بَعْدَ الإِقْرَارِ وَالإعْتِرَافِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

أُمْسِي وَأُصْبِحُ مُرْتَاحاً بِلاَ أَمَلِ ... مِنْ وَصْلِ خَوْدٍ كَعُوبٍ أَيَّ مُرْتَاحِ
لاَ أَسْمَعُ اللَّوْمَ مِنْ لاَحٍ يُعَنِّفُنِي ... عَلَىٰ هَوَاهَا وَمَاذَا يَزْعَمُ اللاَّحِي
أَسْلُو فَتَاةً إِذَا جُنْحُ الظَّلاَمِ دَجَا ... وَأَسْفَرَتْ خِلْتُ فِيهِ ضَوْءَ مِصْبَاحِ
لِلْوَرْدِ وَجْنَتُهَا لِلدُّرِّ مَبْسَمُهَا ... لِلْمِسْكِ رِيقَتُهَا لِلشَّهْدِ لِلرَّاحِ
تُرِيدُ بِالعَذْلِ إِرْشَادِي لِتُصْلِحَهُ ... دَعْ عَنْكَ يَا صَاحِ إِرْشَادِي وَإِصْلاَحِي
فَمُنْتَهَىٰ الرُّشْدِ غَيِّي فِيَّ مُجْتَهِداً ... فَلاَ أَرَىٰ كُلَّ لاَحٍ غَيْرَ نَبَّاحِ
سَقَىٰ مَنَازِلَهَا مُنْعَنْجِرٌ غَدِقٌ ... بِصَيِّبٍ مِنْ غَوَادِي السُّحْبِ سَحَّاحِ

/ ٣١أ/ مَـا كـانَ أَطْيَـبَ أَيَّـامـًا لَنـا سَلَفَـتْ بِقُـرْبِهَـا حَـالَ إِمْسَـائِـيْ وَإِصْبَـاحِـيْ
وَالـدَّارُ مُشْـرِقَـةٌ مِـنْ نُـورِ غُـرَّتِهَـا وَمِـنْ جَبِيـنٍ كَضَـوءِ الصُّبْـحِ وَضَّـاحِ
أَشْكُـو إِلَيْهَـا صَبَـابَـاتِـيْ فَتُطْمِعُنِـيْ بِـالـوَصْـلِ مِنْهَـا بِلَفْظٍ يُسْكِـرُ الصَّاحِيْ
مِـنْ لَحْظِهَـا نَـرْجِسِـيْ مِـنْ خَمْـرِ رِيقَتِهَـا رَاحِـيْ وَمِـنْ [حُمْـرَةِ] الخَـدَّيْـنِ تُفَّـاحِـيْ
إِنْ عُـدْتَ يَـا دَهْـرُ أَدْنَيْـتَ الـدِّيَـارَ بِهَـا فَقَـدْ تَكَفَّلْـتَ أَسْعَـادِي وَإِنْجَـاحِـيْ
فَسَـوْفَ أَمْـدَحُ نُعْمَـاكَ الَّتِـي شَمِلَـتْ مَـدْحـًا يُقَصِّـرُ عَنْـهُ كُـلُّ مَـدَّاحِ

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

أَحْبَـابَنَـا بِجِلَّـقِ آنَ لَنَـا أَنْ نَلْتَقِـيْ
مَـا أَنْتُـمُ بِلَعْلَـعِ وَلَسْتُـمُ بِـالأَبْـرَقِ
مَـا هَجْـرُكُـمْ وَدَارُكُـمْ دَانِيَـةٌ بِلَيِّـقِ
قَـدْ رَاعَنِـيْ شَيْـبٌ بَـدَا لِهَجْـرِكُـمْ فِـيْ مَفْـرِقِـيْ
يَصْـدُقُنِـيْ وَعِيـدُكُـمْ وَوَعْـدُكُـمْ لَـمْ يَصْـدُقِ
حَتَّـى الخَيَـالُ هَـاجِـرِيْ تَـأَجَّجِـيْ يَـا حُـرَقِـيْ
تَقَطَّعِـيْ يَـا كَبِـدِيْ يَـا أَعْيُنِـيْ تَـرَفَّقِـيْ
/ ٣١ب/ وَلِلْـرُّقَـادِ فَـاهْجُـرِيْ وَبِـالـدُّمُـوْعِ فَـاغْـرَقِـيْ
عَلَـى فَتَـاةٍ حَيِّهِـمْ لَمْيَـاءَ ذَاتِ القُـرْطُـقِ
حُسْنـًا يَحْكِـيْ قَـدُّهَـا قَـدَّ القَضِيـبِ المُـوْرِقِ
يَـرِقُّ لِـيْ مِـنْ أَرَقِـيْ وَلَـولاإِلَـهُ يَتَّقِـيْ
فَمَـا بَقِـيْ فِـيَّ كَمَـا تَـرَوْنَ غَيْـرُ الـرَّمَـقِ
فَلَيْتَهَـا لاَ خُلِقَـتْ وَلَيْتَنِـيْ لَـمْ أُخْلَـقِ

وقال أيضًا: [من مخلّع البسيط]

تَنَـاسَـتِ الـوُدَّ وَالعُهُـودَا وَأَبْـدَتِ الهَجْـرَ وَالصُّـدُوْدَا
فَـدَمْـعُ عَيْنَـيْ مِـنَ التَّجَـافِـيْ يَـا خَـوْدُ قَـدْ خَـدَّدَ الخُـدُوْدَا
مُثْعَنْجِـرٌ وَدْقُـهُ هَتُـونٌ مِـنْ مُقْلَـةٍ عَـاقَـتِ الـرُّقُـوْدَا
لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ مِـنْ دَمٍ أَتَتْـهُ خَـوَامِـشٌ تَبْتَغِـيْ الـوُرُوْدَا
أَمْـرَضَنِـيْ البَيْـنُ وَالتَّنَـائِـيْ عَسَـاكَ يَـا قُـرْبُ أَنْ تَعُـوْدَا

فَفِـــي فُـــؤَادِيْ لَهِيـــبُ نَـــار لِلْبَيْـــنِ لاَ تَعْـــرِفُ الخُمُـــوْدَا
كَـــمْ ذَا التَّجَنِّـــي عَلَـــى مُحِـــبٍّ أَنْضَـــرِ كُـــلِّ الأَنَـــامِ عُـــوْدَا
/ ٤٤أ/ أَعْـــرب كُـــلِّ الـــوَرَى لِسَـــانًـا أَكْـــرَمِ كُـــلِّ الـــوَرَى جُـــدُوْدَا
جَعْـــدَةُ أَكْـــرِمْ بِـــهِ أَبُـــوْهُ أَدْرَكَ بِـــالسُّـــؤْدُدِ السُّعُـــوْدَا
وَالجَـــدُّ قَيْـــسٌ فَتَـــى المَعَـــالِـــيْ رَامَ إِلَـــى رَبِّـــهِ الصُّعُـــوْدَا
قَـــوْمٌ إِذَا قَـــاتَلُـــوا رِجَـــالاً خَطُّـــوا الأَعْـــدَائِهِـــمْ لُحُـــوْدَا
أَوْ رَكِبُـــوا خَيْلَهُـــمْ تَـــرَاهُـــمْ فَـــوَارِسًـــا تَفْـــرِسُ الأُسُـــوْدَا
أَعْنَـــاقُ مَـــنْ سَـــامَهُـــمْ قِتَـــالاً تُضْحِـــي لأَسْيَـــافِهِـــمْ غُمُـــوْدَا
وَأَنْـــتَ مِـــنْ مَعْشَـــرٍ لَـــدَيْنَـــا تَظَـــلُّ أَعْنَـــاقُهُـــمْ سُجُـــوْدَا
تَحْـــوِي لأَحْسَـــابِنَـــا عُقُـــوْدًا للهِ كَـــمْ قَـــدْ حَـــوَتْ عُقُـــوْدَا
لاَ كَـــانَ يَـــوْمٌ بِـــهِ بُلِيْنَـــا بِحُـــبِّ مَـــنْ تَنْكُـــثُ العُهُـــوْدَا
تُنْجِـــزُ إِنْ أَوْعَـــدَتْ مُحِبًّـــا لَكِنَّهَـــا تُخْلِـــفُ الـــوُعُـــوْدَا
فَـــلاَ دُنُـــوٌّ وَلاَ سُلُـــوٌّ إِلاَّ هَـــوًى أَضْمَـــرَ الخُلُـــوْدَا

وقال أيضًا: [من الخفيف]

أَتُـــرَاهَـــا تَـــرِقُّ لِلْعُشَّـــاقِ رَحْمَـــةً مِـــنْ لَـــوَاعِـــجِ الأَشْـــوَاقِ
وَتُـــرَى وُدَّهَـــا عَلَـــى مَـــا عَهِـــدْنَـــا قَبْـــلَ أَنْ يَحْـــدُثَ التَّفَـــرُّقُ بَـــاقِـــي
/ ٤٤ب/ كُـــلَّ يَـــوْمٍ أَرَى بِقَلْبِـــيَ أَشْـــوَا قًـــا إِلَـــى قُـــرْبِهَـــا وَوَشْـــكِ التَّـــلاَقِـــيْ
لَـــمْ أَجِـــدْهَـــا بِـــالأَمْـــسِ فِيْـــهِ فَحَسْبِـــي ضَـــرَّةَ البَـــدْرِ فِـــي الهَـــوَى مَـــا أُلاَقِـــيْ
قَـــدْ حُـــرِمْنَـــا مِنْـــكِ الـــوِصَـــالَ فَجُـــوْدِيْ بِخَيَـــالٍ مِـــنْ طَيْفِـــكِ الطَّـــرَّاقِ
إِنْ وَهَبْـــتِ الكَـــرَى وَأَقْلَعَـــتِ العَيْـــنُ بِعَـــوْنَـــيْ عَـــنْ دَمْعِهَـــا المُهْـــرَاقِ
فَلَعَـــلَّ الخَيَـــالَ يَنْظُـــرُ سُقْمِـــي فَيَكُـــوْنَ الشَّفِيْـــعَ لِـــي بِـــالتَّـــلاَقِـــيْ

وقال أيضًا: [من البسيط]

مَـــا بَـــالُ كُتْبِـــكَ لاَ تَـــأْتِـــي لِعَـــادَتِهَـــا تَسُـــرُّ قَلْبًـــا إِلَيْـــكَ الـــدَّهْـــرَ مُشْتَـــاقَـــا
أَعَـــاقَهَـــا غَضَـــبٌ أَمْ صَـــدَّهَـــا مَلَـــكٌ أَمْ قَـــدْ فَقَـــدْتَ فَـــدَتْـــكَ النَّفْـــسُ أَوْرَاقَـــا
مَـــا رَاقَ بَعْـــدَكَ لِـــي عَيْـــشٌ وَلاَ نِعَمَـــتْ حَيَـــاةُ عَبْـــدِكَ لاَ لاَقَيْـــتَ مَـــا لاَقَـــى

وقال أيضًا: [من الطويل]

أَتَذْكُرُنِي لَيْلَى كَمَا أَنَا ذَاكِرٌ ... لَهَا كُلَّ وَقْتٍ أَمْ تَنَاسَتْ وِدَادِيَا
لَئِنْ نَسِيَتْ عَهْدِي فَإِنِّي لَذَاكِرٌ ... عُهُوداً لَهَا تُرْعَى وَأَرْعَى لَيَالِيَا
فَمَا أَنَا يَا لَيْلَى قَطُوعاً لِقَاطِعٍ ... مَلُولٍ وَلاَ مُسْتَقْصِرَ الْوُدِّ جَافِيَا
فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوًى وَاعْتَبِرْ بِهِ ... عَلَى غَفْلَةٍ يَا حُبَّ لَيْلَى فُؤَادِيَا
/ ٥أ/ فَإِنْ تَرَ فِيهِ سَلْوَةً أَوْ تَنَاسِيَاً ... فَقُلْ يَا مَلُولاً لاَ بَلَغْتَ الأَمَانِيَا
أَأَسْلُو هَوَى لَيْلَى وَلَيْلَى حَبِيبَةٌ ... إِلَيَّ لَقَدْ خَابَتْ ظُنُونُ الأَعَادِيَا

وقال أيضًا: [من المنسرح]

دَانِيَةُ الدَّارِ وَالمَزَارِ بِهَا ... نَأْيٌ فَمَا الإِنْتِفَاعُ بِالقُرْبِ
وَالْوَصْلُ لاَ يُرْتَجَى أُصَوِّرُهُ ... لِبُعْدِهِ فِي خَوَاطِرِ القَلْبِ
فَالْوَجْدُ يَنْمِي وَمَا أُكَابِدُهُ ... مِنْ لاَعِجِ الشَّوْقِ وَالأَسَى حَسْبِي
غَدَّارَةٌ تُخْلِفُ الْوُعُوْدَ وَلاَ ... عَطْفاً يُرَجَّى لَهَا عَلَى الصَّبِّ
نَأَتْ فَزِدْنَا أَسًى لِفُرْقَتِهَا ... إِذْ كَانَ وَشْكُ النَّوَى عَلَى عَتْبِ
وَلَمْ يَكُنْ لِي عَلَى تَعَسُّفِهَا ... ذَنْبٌ وَلَوْ كَانَ تُبْتُ مِنْ ذَنْبِي
بِي فَرْطُ شَوْقٍ إِلَى مُقَبَّلِهَا ... وَرَشْفِ سَلْسَالِ رِيقِهَا العَذْبِ
وَضَمِّ ذَاكَ القَوَامِ مُعْتَنِقاً ... كَأَنَّهُ غُصْنُ بَانَةٍ رَطْبِ
صَبَا إِلَيْهَا الفُؤَادُ فِي طَرَبٍ ... مِنَ الصِّبَا وَهْوَ دَائِماً يُصْبِي
وَمَا قَضَيْنَا مِنْ حُبِّهَا أَرَباً ... فَلَيْتَنِي قَاضِياً بِهَا نَحْبِي
فَمَا حَيَاةُ المُحِبِّ مَعْ غَضَبٍ ... مَحْمُودَةً عِنْدَهُ مِنَ الحِبِّ

/ ٥ب/ وقال أيضًا: [من الخفيف]

أَتُرَجَّى دُنُوَّ دَارِكِ سُعْدَى ... وَالتَّنَائِي يَزِيْدُ دَارَكِ بُعْدَا
وَصُرُوْفُ الأَيَّامِ تُحْدِثُ بَيْناً ... كُلَّ يَوْمٍ لِشِقْوَتِي مُسْتَجَدَّا
مَا ثَنَانِي عَنِ الوُدَادِ صُدُوْدٌ ... وَلاَ وَلاَ خُنْتُ بِالتَّنَائِي عَهْدَا
فَارْحَمِي لَوْعَتِي وَفَرْطَ غَرَامِي ... وَارْثِي لِي مِنْ جَوَانِحَ لَيْسَ تَهْدَا
لَكِ مِنِّي بُدٌّ وَمَا إِنْ أَرَى مِنْـ ... ـكِ [أَ] يَا ضَرَّةَ الغَزَالَةِ بُدَّا

شَبَّهُوهَا بِالبَدْرِ وَالغُصْنِ جَهْلاً ... هِيَ أَسْنَى وَجْهاً وَأَحْسَنُ قَدًّا
عَلَّ دَهْرِي يُعِيدُ مَا اسْتَقْرَضَ البَيْـ ... ـنُ فَشَرْطُ القُرُوضِ أَنْ تُسْتَرَدَّا
وَيَعُودُ الزَّمَانُ يَجْمَعُ شَمْلِي ... وَأَرَى فِي جَوَانِبِ الحَيِّ سُعْدَى
وَتُرِيْنِي مِنْ قَدِّهَا خُوطَ بَانٍ ... وَمِنَ الخَدِّ جُلَّنَاراً وَوَرْدَا
وَأَرَى مِنْ لِحَاظِهَا أَعْيُنَ الرِّيْـ ... ـمِ وَلَكِنَّهَا تَصِيدُ الأُسْدَا
وَلَعَمْرِي لَقَدْ رَشَفْتُ زَمَاناً ... مِنْ جَنَى رِيقِهَا سُلافاً وَشُهْدَا

وقال أيضًا : [من الطويل]

لَئِنْ أَصْبَحَتْ عَنِّي سُلَيْمَى غَنِيَّةً ... فَإِنِّي إِلَيْهَا مَا حَيِيتُ فَقِيرُ
/ ٦١أ/ وَإِنْ قَطَعَتْ حَبْلِي وَصَلْتُ حِبَالَهَا ... وَكُنْتُ صَبُوراً وَالمُحِبُّ صَبُورُ
عَسَى يُعْقِبُ اللهُ اصْطِبَارِي رَاحَةً ... فَقَدْ قِيلَ عُقْبَى الصَّابِرِينَ حُبُورُ

وقال أيضًا، وقد رحل إلى حمص رسولاً إلى الملك المجاهد أسد الدين أبي الحارث شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي صاحبها في العشر الأول من جمادى سنة ثلاث وعشرين وستمائة، يتشوق إلى إخوته وأهل بالس : [من البسيط]

تُنْمَى إِلَيْكُمْ صَبَابَاتِي إِذَا قَرُبَتْ ... خِيَامُكُمْ وَدَنَتْ مِنْ دَارِكُمْ دَارِي
فَلاَ بَعُدْتُمْ وَلاَ شَطَّ المَزَارُ بِكُمْ ... وَلاَ خَلَتْ مِنْكُمُ أَبْكَارُ أَفْكَارِي
أَنْتُمْ نُجُومُ سَمَا قَلْبِي وَشَمْسُ ضُحًى ... فِيهِ وَفِي ظُلْمَةِ الأَحْشَاءِ أَقْمَارِي

ثم عاد مرّة ثانية في العشر / ٦١ب/ الأخيرة من الشهر المذكور، فكتب إليهم أيضًا بهذه الأبيات : [من الوافر]

تُرَى يُقْضَى لَنَا مِنْ بَعْدِ بُعْدٍ ... بِأَحْبَابِي لِقَاءٌ وَاجْتِمَاعُ
وَتَجْمَعُنَا الدِّيَارُ كَمَا عَهِدْنَا ... وَأَسْرَارٌ لَدَيْنَا لاَ تُذَاعُ
وَنُصْبِحُ لا يُرَوِّعُنَا لِبَيْنٍ ... عَنِ الأَحْبَابِ مَا عِشْنَا وَدَاعُ

وقال أيضًا وقد وصله كتابُ ولد أخيه وخَتَنه القاضي شهاب الدين من بالس يطلب منه أنْ يعمل له على وزن هذا البيت الذي من الثلاثة الأبيات التي أنفذها إليهم من حمص :

أَنْتُمْ نُجُومُ سَمَا قَلْبِي وَشَمْسُ ضُحًى ... فِيهِ وَفِي ظُلَمِ الأَحْشَاءِ أَقْمَارِي

فعمل هذه الأبيات : [من البسيط]

/ ١٧أ/ سَقَى بِلَادَكُمُ مُثْعَنْجِرٌ غَدَقٌ ... يَنْهَلُّ مِنْ دِيْمَةٍ وَطْفَاءَ مِعْطَارِ
طَالَ اشْتِيَاقِي لِكَوْنِي لَمْ أَزُرْ لَكُمُ ... دَاراً وَلَا أَنْتُمُ فِي الدَّهْرِ زُوَّارِي
شَوْقٌ تَجَاوَزَ حَدَّ الوَصْفِ أَيْسَرُهُ ... وَزَادَ مِقْدَارُهُ عَنْ كُلِّ مِقْدَارِ
مَضَى زَمَانِي وَمَا أَدْرَكْتُ مَأْلُكَتِي ... مِنَ اللِّقَاءِ وَلَا قَضَّيْتُ أَوْطَارِي(١)
أُحِبُّكُمْ يَا بَنِي عَجْلَانَ لَا بَرِحَتْ ... دِيَارُكُمْ آهِلَاتٍ حُبَّ مُخْتَارِ
مَا شَوْقُكُمْ مِثْلُ أَشْوَاقِي وَلَا بِكُمُ ... وَجْدٌ كَوَجْدِي وَتَذْكَارٌ كَتَذْكَارِي
فَلَا خَلَوْتُمْ مَدَى الأَيَّامِ مَا طَلَعَتْ ... عَلَيْكُمُ الشَّمْسُ مِنْ يُسْرٍ وإِيْسَارِ
وَحَيِّي يَا رَبِّ عَبْدَ اللهِ إِنَّ لَهُ ... جُوداً يَعُمُّ مُقِيْمَ الحَيِّ وَالسَّارِي
وَحَيِّي وَالِدَهُ القَاضِي وَزَيْدَ فَتًى ... يَقْرِي الضُّيُوفَ وَيَرْعَى حُرْمَةَ الجَارِ
وَفِي الوَغَى تَحْذَرُ الأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ ... يَسْعَى إِلَيْهِ بِقَلْبِ الضَّيْغَمِ الضَّارِي
قَوَّامُ صَوَّامُ مِصْدَاقٌ حَلِيْفُ تُقًى ... مُذْ كَانَ مِنْ عُمْرِهِ لَمْ يُسْخِطِ البَارِي
فَالشَّيْخُ مِنْكُمْ وَمِنْ شُبَّانِكُمْ أَبَداً ... يَسُودُ فِي مَهْدِهِ عَارٍ مِنَ العَارِ

وقال أيضًا من أبيات: [من الرجز]

/ ٧ب/ كُلُّ الوَرَى قَدْ فُتِنُوا بِحُبِّهِ ... فَلَا يُرَى إِلَّا فَتًى مَفْتُونُهُ
فُضِّلَ بِالحُسْنِ فَقُلْ . . . ... إِنَّكَ مَعْ فَرْطِ الجَمَالِ دُونُهُ(٢)
فِيْهِ فُنُونٌ لِلأَنَامِ جَمَّةٌ ... تَسْبِي العُقُولَ مِنْهُمُ فُنُونُهُ
أَبِيتُ طُولَ اللَّيْلِ لَا أَنَامُهُ ... وَبِالكَرَى قَدْ مُلِئَتْ جُفُونُهُ
أَسْهَرُ فِيْهِ وَيَنَامُ وَادِعاً ... غَالَتْ فُؤَادِي مَا جَنَتْ عُيُونُهُ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

كَمْ مِنْ حَنِيْنٍ إِلَيْكَ مَجْلُوبِ ... وَأَنْتَ دُونَ الأَنَامِ مَحْبُوبِي
إِنْ كَانَ وَجْهِي وَلَيْسَ ذَا عَجَباً ... عَنْ وَجْهِكَ اليُوسُفِيِّ مَحْجُوبِ
فَأَنْتَ ذُخْرِي إِنْ تَزِلْ بِي قَدَمٌ ... وَخَانَ دَهْرٌ فَأَنْتَ مَطْلُوبِي
فَابْسُطْ لِيَ العُذْرَ عِشْتَ فِي رَغَدٍ ... مِنْ غَيْرِ عَتْبٍ وَغَيْرِ تَثْرِيْبِ

---

(١) المألكة: الرسالة.
(٢) موضع النقاط بياض في الأصل.

لَسْتَ إِلَىٰ غَيْرِ سُؤْدَدٍ أَبَداً ... وَغَيْرِ مَا تَبْتَغِي بِمَنْسُوْبْ
عِمَادَ دِيْنِ الإِلَهِ عِشْ رَغَداً ... مَا سُقِيَ الرَّوْضُ بِالشَّآبِيْبْ
وَٱسْلَمْ وَدُمْ لِلْزَّمَانِ مَا قُرِئَتْ ... طَاهَا وَيَاسِيْنَ فِيْ المَحَارِيْبْ

وقال أيضًا : [من مجزوء الرمل]

/٨أ/ زَارَنِي مِنْ غَيْرِ وَعْدِ ... زَائِرٌ جَدَّدَ وَجْدِيْ
يُخْجِلُ الغُصْنَ إِذَا مَا ... سَ بِأَعْطَافٍ وَقَدِّ
بِأَبِي أَفْدِيْهِ وَافٍ ... لَمْ يَخُنْ مُذْ كَانَ عَهْدِيْ
رِيْقُهُ الخَمْرَةُ طَعْماً ... فِيْ فَمِي مِنْ غَيْرِ دُرْدِيْ
وَإِذَا مَا رُمْتُ نُقْلاً ... قَالَ لِيْ : دُوْنَكَ خَدِّيْ
وَإِنْ ٱخْتَرْتَ عِنَاقاً ... لِلْدُّرَيْنِي فَقَدِّيْ
وَسِوَىٰ هَذَا فَكَلَّا ... لَيْسَ لِلْعُشَّاقِ عِنْدِيْ
يَا عَذُوْلِيْ خَلِّ عَذْلِيْ ... فَهْوَ فِيْهِ غَيْرُ مُجْدِيْ
إِنَّ غَيِّيْ فِيْ هَوَاهُ ... مُنْتَهَىٰ غَايَةِ رُشْدِيْ
عَدِّ إِنْ حَاوَلْتُ سُلْوَا ... نًا فَذَا عَيْنُ التَّعَدِّيْ

وقال أيضًا : [من مجزوء الكامل]

خَلَعَ العِذَارَ أَخُو الوَسَاوِسْ ... فِيْمَنْ لِثَوْبِ الحُسْنِ لَابِسْ
ظَبْيٌ يَصِيْدُ بِطَرْفِهِ ... غُلْبَ الضَّرَاغِمِ وَالقَنَاعِسْ
رَشَأٌ كَغُصْنِ أَرَاكَةٍ ... رَيَّانُ لَا يَنْفَكُّ مَائِسْ
/٨ب/ فِيْ اللَّيْلِ يَخْرُجُ فِيْ العَرُوْ ... سِ وَحِيْنَ يُصْبِحُ فِيْ الفَوَارِسْ
مَا لَاحَ فِيْ غَسَقِ الدُّجَىٰ ... إِلَّا وَأَشْرَقَتِ الحَنَادِسْ
طَلْقُ المُحَيَّا بَاسِمٌ ... لَكِنْ عَلَىٰ العُشَّاقِ عَابِسْ
فِيْ القَلْبِ مِنْ سَطَوَاتِهِ ... وَصُدُوْدِهِ جَذَوَاتُ قَابِسْ
كَمْ زَارَنِي مُتَخَفِّياً ... فِيْ خَلْوَةٍ وَاللَّيْلُ دَامِسْ
عَانَقْتُ غُصْنَ قَوَامِهِ ... وَرَقَدْتُ بِالإِلْمَامِ آنِسْ
وَغَطَسْتُ فِيْ بَحْرِ العَنَا ... قِ فَلَيْتَنِي لَا كُنْتُ غَاطِسْ
وَرَشَفْتُ مِنْ خَمْرِ الرُّضَا ... بِ سُلَافَةً وَالجَفْنُ نَاعِسْ

إنْ كَانَ قَدْ شَطَّ المَزَا ... رُ فَلَسْتُ مِنْ عَوْدٍ بِآيِسْ
وَتَعُوْدُ تَجْمَعُ بَيْنَنَا ... تِلْكَ المَنَازِلُ وَالمَجَالِسْ
مَرْغُوْمَةً بِالوَصْلِ مِنْ ... حُسَّادِنَا فِيْهَا المَعَاطِسْ
إرْغَامَ نُوْرِ الدِّيْنِ مَنْ ... يَشْنَا سَجَايَاهُ النَّفَائِسْ
رَسْلانْ شَاه غَضَنْفَرٌ ... غُلْبُ الأُسُوْدِ لَهُ فَرَائِسْ
حَازَ المَكَارِمَ فَاغْتَدَيْـ ... ـنَ عَلَى مَعَالِيهِ حَبَائِسْ
/ ١٧/ لَيْثٌ إذَا حَمِيَ الوَطِيْـ ... ـسُ وَبَدْرُ تِمٍّ فِي المَجَالِسْ
مُتَهَلِّلاً لِلْمُعْتَفِيْـ ... ـنَ فَلاَ تَرَاهُ الدَّهْرَ عَابِسْ
فَلِجُوْدِهِ وَلِبَأْسِهِ ... تَتَقَاعَسُ الصِّيْدُ الأَشَاوِسْ
عِشْ آمِنًا فَلَكَ الإلَـ ... ـهُ وَنَمْ قَرِيْرَ العَيْنِ حَارِسْ
أَمْسَيْتُ لِلأَشْوَاقِ وَالأَ ... تْوَاقِ مِنْ كَلَفٍ أُمَارِسْ
فَأُحِبُّ قَلْعَةَ جَعْبَرٍ ... لِمَلِيْكِهَا وَأُحِبُّ بَالِسْ
لأُخَيَّوَةٍ سَكَنُوا بِهَا ... فَهُمُ بِوَحْشَتِهَا أَوَانِسْ
لاَزَالَ يَمْرَعُ مَرْجُهَا ... مُغْدَوْدِقُ السُّحُبِ الرَّوَاجِسْ

وقال أيضًا: [من السريع]

زَادَ جَمَالاً حِيْنَ دَارَ العِذَارْ ... فَلْيَخْلَعِ العُشَّاقُ فِيْهِ العِذَارْ
وَزِدْتُ وَجْدًا وَغَرَامًا بِهِ ... وَأَقْلَعَ السُّلْوَانُ وَالإصْطِبَارْ
مُهَفْهَفُ القَامَةِ مَيَّاسُهَا ... عَلَيْهِ مَعْ فَرْطِ انْخِلاَعٍ وَقَارْ
يَنْتَسِبُ الوَرْدُ إلَى خَدِّهِ ... لَوْنًا كَمَا يَنْتَسِبُ الجُلَّنَارْ
فَقَدْتُ صَبْرِي مُذْ نَأَتْ دَارُهُ ... فَهَلْ تُرَى مِنْ جَلَدٍ يُسْتَعَارْ
/ ٩ب/ قُولُوا لَهُ: يَرْحَمُ ذَا لَوْعَةٍ ... كَمْ حِيْدَ عَنْهُ وَكَمِ ازورار
رِيْقَتُهُ القَرْقَفُ لَكِنَّهَا ... لاَ يَشْتَكِي شَارِبُهَا مِنْ خُمَارْ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

حَجَبُوْهَا وَمَا الحِجَابُ بِمُجْدِيْ ... بِرِقَاقٍ بِيْضٍ مَوَاضِي الحَدِّ
وَبِسُمْرِ القَنَا وَكُلِّ كَمِيٍّ ... عِنْدَهُ سَطْوَةُ الهِزَبْرِ الوَرْدِ
لاَ يُفِيْدُ الحِجَابُ إذْ أَنْتِ فِي قَلْـ ... ـبِي وَلاَ وَالفُؤَادُ مَلِيْكُ نَجْدِ

أَتُرَىٰ عِنْدَكَ إِلَيَّ غَرَامٌ ... سَالِبٌ لِلْكَرَىٰ كَمَالَكَ عِنْدِيْ

وَحَنِينٌ مُبَرِّحٌ وَاشْتِيَاقٌ ... لَا وَلَا وَجْدُكَ يُقَارِبُ وَجْدِيْ

بَلْ لَعَمْرِيْ لَقَدْ ثَنَاكَ التَّنَائِيْ ... عَنْ وُدَادِيْ وَقَدْ تَنَاسَيْتَ عَهْدِيْ

كَمْ تَمَالَوْا عَلَىٰ المَلَامَةِ لُوَّا ... مٌ تَصَدَّوْا لِلَّوْمِ بِئْسَ التَّصَدِّيْ

يَنْسُبُوْنِيْ جَهْلًا إِلَىٰ الغَيِّ فِيْ الحُـ ... ـبِّ وَغَيِّيْ فِيْ حُبِّ مِثْلِكَ رُشْدِيْ

وقال أيضًا ابتداء قصيدة: [من الخفيف]

مَا بِكُمْ مِنْ صَبَابَتِيْ وَاكْتِئَابِيْ ... فَاقْصِرُوا مِنْ مَلَامَتِيْ مِثْلَ مَا بِيْ

/ ١٠أ/ وَاتْرُكُوا اللَّوْمَ عُذَّلِيْ فَهْوَ لَا يَجْلِـ ... ـبُ نَفْعًا لَكُمْ وَخَلُّوا عِتَابِيْ

أَنَا مُغْرًى بِحُبِّ مَيَّاسَةِ الأَعْـ ... ـطَافِ تَخْتَالُ فِيْ ثِيَابِ التَّصَابِيْ

تُخْجِلُ البَدْرَ إِنْ تَرَاءَتْ بِلَيْلٍ ... بِابْتِسَامٍ عَنِ الثَّنَايَا العِذَابِ

إِنْ تَكُنْ عَامَلَتْ ذُنُوبِيْ وَوُدِّيْ ... وَوِصَالِيْ بِالصَّدِّ وَالاِجْتِنَابِ

وَأَنَا السَّامِعُ المُطِيعُ وَهَلْ يَعْـ ... ـصِيْ مُحِبٌّ أَوَامِرَ الأَحْبَابِ

لَيْسَ فِيهَا عَتْبٌ سِوَىٰ أَنَّهَا الدَّهْـ ... ـرَ عَنِ العَيْنِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

إِنْ يَصُدُّوكَ بِيْ عَنِ الاِجْتِمَاعِ ... فَوُدَادِيْ لَدَيْكَ غَيْرُ مُضَاعِ

وَغَرَامِيْ ذَاكَ الغَرَامُ وَشَوْقِيْ ... وَنِزَاعِيْ كَمَا عَهِدْتَ نِزَاعِيْ

لَسْتُ أَنْسَاكَ بِالبِعَادِ وَهَيْهَا ... تَ سُلُوِّيْ وَمَا لَهُ مِنْ دَوَاعِيْ

لَيْسَ عِنْدِيْ إِلَّا الأَسَىٰ وَدُمُوعٌ ... سَحُّهَا مُقْلِعٌ عَنِ الإِقْلَاعِ

وَسَقَامٌ عَسَىٰ يَرِقُّ لَهُ الدَّهْـ ... ـرُ وَوَجْدٌ تَجُنُّهُ أَضْلَاعِيْ

وَعَسَاهُ يَجُوْدُ لِيْ مِنْكَ بِالوَصْـ ... ـلِ وَأَحْظَىٰ بِهِ وَبِالاِرْتِجَاعِ

وَتَعُوْدُ الدِّيَارُ تَجْمَعُ شَمْلِيْ ... بِكَ يَا مُنْيَتِيْ وَبِالأَطْمَاعِ

/ ١٠ب/ وَأَرَانِيْ مُعَانِقًا لِلتَّلَاقِيْ ... مِنْكَ قَدَّ القَضِيْبِ لَا لِلْوَدَاعِ

رَاشِفًا مِنْ رُضَابِ فِيْكَ سُلَافًا ... سَلْسَبِيلًا يَشْفِيْ مِنَ الأَوْجَاعِ

هَذِهِ الحَلُّ لَيْسَ مَا تَطْبُخُ النَّا ... رُ وَقِدْمًا أَحَلَّهَا الأَوْزَاعِيْ

أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَىٰ وَوَجْهُكَ فِيْنَا ... هُوَ شَمْسُ النَّهَارِ ذَاتُ الشُّعَاعِ

عِشْتَ لَا تَرْتَقِيْ إِلَيْكَ المَنَايَا ... وَبِخَطْبٍ مِنَ الرَّدَىٰ لَا تُرَاعِيْ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

مَنْ مُجِيرِي مِنَ الغَرَامِ الَّذِي بِي ... وَالَّتِي بِي قَدْ صَيَّرَتْهُ نَصِيبِي
ظَبْيَةُ الأُنْسِ لَا الكَوَانِسِ تَرْعَى ... فِي ذِمَامِ الغَرَامِ حَبَّ القُلُوبِ
ثَغْرُهَا لَا الأُقَاحِ بَلْ لِلآلِي ... يَتَلَالا وَرِيقُهَا لِلضَّرِيبِ
فَهْيَ بَدْرُ الظَّلَامِ عِنْدَ التَّجَلِّي ... وَهْيَ شَمْسُ النَّهَارِ عِنْدَ الغُرُوبِ
إِنْ تَثَنَّتْ يُهَزُّ مِنْ لِينِ قَدٍّ ... غُصْنُ بَانٍ مُرَكَّبًا فِي كَثِيبِ
لَسْتُ أَخْلُو إِذَا تَرَاءَتْ لِعَيْنِي ... يَا لَقَوْمِي مِنْ كَاشِحٍ أَوْ رَقِيبِ
يَعْتَرِينِي الحَنِينُ نَحْوَكِ إِنْ هَبَّـ ... ـتْ رِيَاحٌ مِنْ شَمْأَلٍ لَا جَنُوبِ
يَا لَيَالِي الوِصَالِ أُوبِي فَقَدْ آ ... نَ لَيَالِي وِصَالِنَا أَنْ تَؤُوبِي
/١١أ/ وَتَعُودَ الدِّيَارُ تَجْمَعُ شَمْلِي ... عَنْ قَرِيبٍ بِالحَاجِبِ المَحْجُوبِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

لَعَلَّكَ جَفْنَ العَيْنِ لِلنَّوْمِ تَسْرِقُ ... عَسَى طَيْفُهَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرُقُ
وَأَشْكُو إِلَيْهِ مَا أُجِنُّ مِنَ الجَوَى ... وَفَرْطِ صَبَابَاتٍ خَبَاهَا التَّفَرُّقُ
مُهَفْهَفَةُ الأَعْطَافِ أَفْنَى تَجَلُّدِي ... وَقَلَّ شَبَا صَبْرِي إِلَيْكَ التَّشَوُّقُ
وَأَصْعَبُ مَا أَلْقَاهُ فِي الحُبِّ أَنَّنِي ... أَخَافُ انْتِهَاكَ السِّرِّ فِيهِ وَأَفْرَقُ
إِذَا رُمْتُ كِتْمَانَ الغَرَامِ سَعَتْ بِهِ ... عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي عَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ
وَنَمَّ بِهِ سُقْمِي وَفَرْطُ صَبَابَتِي ... فَلَا يَنْفَعُ الكِتْمَانُ وَالحَالُ تَنْطِقُ
فَإِنْ قُلْتُ لَا وَاللهِ لَسْتُ بِعَاشِقٍ ... وَقَدْ جُزْتُ سَبْعِينًا مِنَ العُمْرِ أَعْشَقُ
يَقُلْ مِنْ لِسَانِ الحَالِ يَكْذِبُ قَائِلٌ ... وَرَبِّ الصَّفَا وَالمَرْوَتَيْنِ وَأَصْدُقُ

وقوله: [من السريع]

مُنِيتُ بِالوَصْلِ وَعِفْتُ الفِرَاقْ ... فَكَمِّلِي إِحْسَانَكِ بِالعِنَاقْ
وَسَامِحِي الصَّبَّ وَلَا تَبْخَلِي ... فَعِنْدَهُ فَرْطُ جَوًى وَاشْتِيَاقْ
بِقُبْلَةٍ تَحْيَا بِهَا رُوحُهُ ... وَإِنَّهَا مِنْ حُرَقٍ فِي السِّيَاقْ
/١١ب/ أَوْ رَشْفِ رِيقٍ رَاقَ تَرْوِيقُهُ ... يَضُوعُ كَالمَنْدَلِ عَذْبِ المَذَاقْ
مَاذَا عَلَى قَوْمِكِ لَوْ رَقَّ لِي ... قَلْبُكِ يَا لَمْيَاءُ مِمَّا أُلَاقْ

هَــلْ سِمْــتِ إلاَّ قُبْلَـــةً سَنَّهَــا مَشَــايِــخُ العُشَّــاقِ عِنْــدَ التَّــلاَقْ
إنْ يَغْضَبُــوا مِنْهَــا وَإنْ يَعْتَبُــوا فَــالْقَـوْمُ حَقًّـا مَـا لَهُـمْ مِـنْ خَـلاَقْ

وقال: [من الطويل]

أَتَتْنَـا خُيُـوْلٌ بِـالبِشَـارَةِ تَسْبِـقُ وَأَنْـتَ إلَـىٰ شَـأْوِ المَعَـالِـيَّ أَسْبَـقُ
وَكَـانَ بِنَـا نَحْـوَ البَشِيْـرِ تَشَـوُّقٌ رَقِيْـقُ الحَـوَاشِـي حِيْـنَ طَـالَ التَّفَـرُّقُ

وقوله من أول أبيات: [من الخفيف]

عَـاوَدَ القَلْـبَ وَجْـدُهُ وَالخُفُـوقُ حِيْـنَ لاَحَـتْ مِـنَ الغُـوَيْـرِ البُـرُوْقُ
وَتَـرَاءَتْ لِلْعَيْـنِ أَعْـلاَمُ سَلْـعٍ وَبَـدَا حَـاجِـرٌ وَلاَحَ العَقِيْـقُ
وَبِـرَأْسِ الجَـرْعَـاءِ بَـانٌ فَـرِيْـقٌ وَتَـوَارَىٰ بِـالأَبْـرَقَيْـنِ فَـرِيْـقُ
أَذْكَـرَتْـهُ الأَحْبَـابَ فَـارْتَـاحَ شَـوْقًـا وَحَنِيْنًـا مِنْـهُ الفُـؤَادُ المَشُـوْ
قُ وَمَـنْ لاَ يَشُـوْقُـهُ المَعْشُـوْقُ وَكَـذَا كُـلُّ مُغْـرَمِ القَلْـبِ يَشْتَـا
/ ١٢أ/ غَـادَةٌ لِلْقَضِيْـبِ مِنْهَـا التَّثَنِّـي وَلِظَبْـيِ الفَـلاَةِ جِيْـدٌ وَمُـوْقُ
رِيْقُهَـا لِلْمُحِـبِّ فِـي آخِـرِ اللَّيْـ ـلِ مُـدَامٌ وَثَغْـرُهَـا الـرَّاووقُ
أَنَـا سَكْـرَانُ حُبِّهَـا لَيْـتَ أَنِّـي دَائِـمُ السُّكْـرِ فِـي الهَـوَىٰ لاَ أُفِيْـقُ
لاَ يُـرَجِّـي العَـذُوْلُ مِنِّـي سُلُـوًّا مَـا إلَـىٰ القَلْـبِ لِلسُّلُـوِّ طَـرِيْـقُ

وقال: [من الوافر]

سَـلاَهَـا لِـمْ تَجَنَّبَـتِ الـوِصَـالاَ وَآثَـرَتِ القَطِيْعَـةَ وَالمَـلاَلاَ
وَأَظْهَـرَتِ التَّجَنُّـبَ لاَ لِجُـرْمٍ أَهِجْـرَانًـا أَرَادَتْ أَمْ دَلاَلاَ
فَيَـا شِبْـهَ القَضِيْـبِ إذَا تَثَنَّـتْ تُحَـاكِيْـهِ قَـوَامًـا وَاعْتِـدَالا
حَكَيْـتَ لَنَـا الغَـزَالَـةَ حِيْـنَ تَبْـدُوْ وَأَشْبَهْـتَ الغَـزَالَـةَ والغَـزَالاَ
هَـوَاكَ هُـدًى وَكُـلُّ هُـدًى سِـوَاهُ فَـلاَ أَعْتَـدُّهُ إلاَّ ضَـلاَلاَ
لَقَـدْ حَلَّلْـتَ إبْعَـادِي وَهَجْـرِي وَحَـرَّمْـتَ التَّـدَانِـيَ وَالـوِصَـالاَ
فَكُنْـتَ كَمَـنْ أَحَـلَّ دَمًـا حَـرَامًـا وَحَـرَّمَ مِـنْ جَهَـالَتِـهِ الحَـلاَلاَ

وقال أيضًا وقد وصله كتاب من / ١٢ب/ أخيه جمال الدين أبي الحسين في المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وفيه أبيات شعر فكتب إليه أبو سعد هذه الأبيات

في الوزن والروي وهي : [من الوافر]

لَثَمْتُ كِتَابَكَ المَحْبُوبَ عَشْراً ... وَبَاتَ مُعَانِقاً سَحْرِي وَنَحْرِي
فَبَلَّ غَلِيلَ وَجْدٍ وَاشْتِيَاقٍ ... قَلِيلُهُمَا يَقِلُّ لَدَيْهِ صَبْرِي
إِذَا مَا مَرَّ يَوْمٌ لاَ أَرَاكُمْ ... فَلَيْسَ أُعُدُّهُ مِنْ بَعْضِ عُمْرِي
فَكَيْفَ إِذَا انْقَضَى شَهْرٌ وَشَهْرٌ ... بِفُرْقَتِكُمْ وَشَهْرٌ بَعْدَ شَهْرِ
وَقَدْ مَلأَ الأَسَى وَالشَّوْقُ قَلْبِي ... كَمَا أَنَّ الصَّبَابَةَ حَشْوُ صَدْرِي
فَمَا عُذْرِي إِلَى إِخْلاَصِ وُدِّي ... وَفَرْطِ مَحَبَّتِي يَا لَيْتَ شِعْرِي
هِيَ الأَقْدَارُ لاَ تَجْرِي بِحُكْمِي ... يَجُودُ وَيَجْمَعُ شَمْلِي عَلَّ دَهْرِي
فَتُورِقُ بِالدُّنُوِّ غُصُونُ وَصْلِي ... وَيُسْفِرُ بِالتَّلاَقِي وَجْهُ بِشْرِي
/ ١٣أ/ وَعُدْ مَنْ بِالشَّبَابِ يَعُودُ حَتْماً ... إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْنَا الدَّارُ مُثْرِي
فَعَنْ كَثَبٍ تُبَلِّغُنِي اللَّيَالِي ... مُرَادِي تَسْتَدِيمُ دَوَامَ شُكْرِي
وَاسْتَغْنِي أُخَيَّ إِذَا التَقَيْنَا ... جُعِلْتُ فِدَاكَ عَنْ زَيْدٍ وَعَمْرِو
كَمَا تُغْنُونَ عَنْ قَاصٍ وَدَانٍ ... عَشِيَّةَ جَمْعِ شَمْلِكُمُ بِنَصْرِ
أُخَيَّ وُدٍّ مُحِبٌّ غَيْرُ جَافٍ ... وَفِيٍّ غَيْرِ مُلْتَحِفٍ بِغَدْرِ
وَلاَ وَاللهِ مَا جَنَحَتْ بِصَدٍّ ... لَهُ نَفْسٌ وَلاَ سَمَحَتْ بِهَجْرِ
عَلَيْكُمْ أُخْوَتِي مِنِّي سَلاَمٌ ... سَلاَماً لاَ يَزُولُ بِمُسْتَمِرِّ

وله أشعارٌ كثيرة في الأزجال والدوبيت وقوله في الدوبيت : [من الدوبيت]

كَمْ يَأْمُرُ بِالكِتْمَانِ فِي زِيِّ نَصُوحْ ... وَالحُبُّ دَلِيلُهُ عَلَى الوَجْهِ يَلُوحْ
بِسِّي بِسِّي أُرِيدُ يَا صَاحِ أَبُوحْ ... قَدْ ضَرَّ بِيَ الكِتْمَانُ فِي ضِرِّهِ يُوحْ

وقال أيضًا في المعنى : [من الدوبيت]

/ ١٣ب/ كَانَتْ بِكُمْ تَلَذُّ لِي أَوْقَاتِي ... فِي الجَلْوَةِ تَارَةً وَفِي الخَلَوَاتِ
يَا مُشْبِهَةَ الهِلاَلِ يَا مَوْلاَتِي ... لَوْلاَ حَذَرِي لَكُنْتِ مِنْ حَاجَاتِي

[٨٥٦]

نصرُ بنُ أبي النجاة، أبو الفتحِ الأخميميُّ .

من أهل الديار المصرية .

كان فقيهًا علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ عالمًا فاضلاً شاعراً جيداً مطبوعًا في الشعر، يمدح ويسترفدُ الكبراء والأعيان بقوله؛ نحويًا أديبًا يحفظ كثيراً من الكتب الأدبيّة من جملتها كتاب «المفصل» لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، وكتاب «المقامات» لأبي محمد القاسم بن عليّ الحريري؛ وغير ذلك من الكتب والأشعار مع أخذه بأوفر نصيب من الأدب وعلم العربية.

أقام بدمشق زمانًا طويلاً ثم خرج منها ونزل الموصل فسكنها ثم عاد إلىٰ دمشق فاستوطن الإقامة بها في المدرسة الأمينيّة وسكنها برهة من الزمان. ثم انتقل إلىٰ بيت المقدس ـ حمىٰ الله حوزته ـ ولم يزل بها مقيمًا إلىٰ / ١٤/ أن توفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

أنشدني من شعره الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مقبل بن الفقاعي الموصلي بها في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بمنزله ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أبو الفتح نصر بن أبي النجاة الأخميميّ لنفسه في ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستمائة بالموصل يمدح معين الدين أبا علي الحسن ابن شيخ الشيوخ بمصر: [من الرمل]

هَاجِعَ المُقْلَةِ هَبْ جَفْنِيَ الوَسَنْ ... فَغَرَامِي سِرُّهُ فِيكَ عَلَنْ
وَسِوَىٰ حُبِّكَ فِي قَلْبِيَ مَا ... حَلَّ وَالله وَلَا فِيهِ سَكَنْ
أَنْتَ يَا صَارِفَ وَقْتِي شُغُلاً ... عِوَضٌ لِي عَنْ خَلِيلٍ وَسَكَنْ
لَانَ قَوْلِي لَكَ عَتْبًا مِثْلَمَا ... لَنْتَ أَعْطَافًا وَلَمْسًا وَبَدَنْ
وَجَزَانِي بَعْدَ لَيْتَ وَعَسَىٰ ... مِنْكَ يَا مُسْقِمَ جِسْمِي لَمْ وَلَنْ
أَحَلَالٌ لَكَ تَجْفُو مُغْرَمًا ... بِهَوَاهُ وَجَوَاهُ مُرْتَهَنْ
وَيُدَارِيكَ وَلَا تَسْأَمُ مِنْ ... جَوْرِ صَدٍّ وَإِثَارَاتِ الفِتَنْ
سَيْفُ أَجْفَانِكَ مَا أَقْتَلَهُ ... أَتُرَىٰ اسْتَلَّ شَبَاهُ ذُو يَزَنْ
/ ١٤ب/ عَقْدُ أَيْمَانِكَ كَمْ تَنْقُضُهُ ... وَتَلَاشِيهِ بِضَعْفٍ وَوَهَنْ
وَعَذُولٍ فِيكَ أَزْرَيْتُ بِهِ ... فَانْثَنَىٰ مُغْضَبَ قَلْبٍ مُمْتَهَنْ
قَالُوا: تَجْفُوهُ وَتَغْتَرُّ بِهِ ... وَهْوَ يُغْرِي بِكَ فِي الحُبِّ المِحَنْ
قُلْتُ أَهْوَاهُ وَأَهْوَاهُ وَلَا ... يَلِجُ الجَنَّةَ إِلَّا مُمْتَحَنْ

العَـــذَابُ العَـــذْبُ أَلْتَـــذُّ بِـــهِ ‏ وَلَـــو أَنِّـــي مُـــوْدَعٌ طَـــيَّ كَفَـــنْ
وَامْتِـــدَاحِـــي وَوَلائِـــي مُخْلَصـــاً ‏ لِمُعِيْـــنِ الـــدِّيْـــنِ ذِي المَجْـــدِ حَسَـــنْ
الجَـــوَادِ البَـــاسِـــطِ الكَـــفَّ الَّـــذِيْ ‏ بَـــالأيَـــادِيْ فَـــرَضَ البَـــذْلَ وَسَـــنْ
وَاسْتَـــوَىٰ فَـــوْقَ عُـــلاَهُ جَـــالِســـاً ‏ فَـــرَوَىٰ الـــرِّفْعَـــةَ فِيْـــهِ عَـــنْ وَعَـــنْ
فَهْـــوَ مَـــنْ أَصْبَـــحَ يَعْلُـــوْ شَـــرَفـــاً ‏ وَأَبُـــوْهُ وَأَخُـــوْهُ مَـــنْ وَمَـــنْ
وَأَلَّـــذِي أَوْضَـــحَ لِلْسَـــالِـــكِ فِـــي ‏ سُبُـــلِ الخَيْـــرِ طَـــرِيْقـــاً وَسَنَـــنْ
لاَ يُسَـــاوِيْـــهِ مُسَـــاوٍ مِثْلَمَـــا ‏ لاَ تُسَـــاوَىٰ دَارُ عَـــدْنٍ بِعَـــدَنْ
الحَيَـــاءُ المَحْـــضُ وَالعِفَّـــةُ وَالـ ‏ ـعِلْـــمُ وَالحِلْـــمُ وَتَقْلِيْـــدُ المِنَـــنْ
وَالسَّخَـــاءُ الهَـــامِـــرُ الهَـــامِـــيْ النَّـــدَىٰ ‏ الَّـــذِي يُنْبَـــتُ غَبْـــرَاءَ الـــدِّمَـــنْ
طَـــابَ أَصْـــلاً وَزَكَـــا فَـــرْعـــاً وَهَـــلْ ‏ حَسَـــنٌ يُـــوصَـــفُ إِلاَّ بِحَسَـــنْ
/ ١٥أ/ كَـــأَبِيْـــهِ طَـــاهِـــرُ الجَيْـــبِ فَمَـــا ‏ يَنْطَـــوِيْ فِيْـــهِ عَلَـــىٰ خُبْـــثٍ دَرَنْ
وَجْهُـــهُ أَنْـــوَرُ مَـــنْ شَمْـــسِ الضُّحَـــىٰ ‏ لاَ يُـــرَىٰ فِيْـــهِ عُبُـــوسٌ بِغَضَـــنْ
لَـــو رَآهُ يُـــوْحُ يَبْـــدُو سَـــاطِعـــاً ‏ نُـــوْرُهُ خَـــرَّ سُجُـــوْداً لِلْـــذَقَـــنْ(١)
أَوْ أَتَـــىٰ فِـــي زَمَـــنٍ صُحْبَتُـــهُ ‏ تُـــوْجِـــبُ الـــذَّمَّ كَمَـــا ذُمَّ الـــزَّمَـــنْ
يَـــا مُعِيْـــنَ الـــدِّيْـــنِ يَـــا أَشْـــرَفَ مَـــنْ ‏ قَـــرَّ فِـــي مَهْـــدِ عُـــلاهُ وَاسْتَكَـــنْ
مَـــا الـــرُّبَـــىٰ ضَـــاحِكَـــةً أَزْهَـــارُهَـــا ‏ حَـــاكِيـــاً مَلْبَسُهَـــا عَصْـــبَ اليَمَـــنْ
مُطْـــرِبَـــاتٍ بِـــالغِنَـــا أَطْيَـــارُهَـــا ‏ بَـــاعِثَـــاتٍ كُـــلَّ صَـــوْتٍ مِـــنْ فَنَـــنْ
كُلَّمَـــا مَـــرَّ بِسَمْعَـــي سَـــامِـــعٍ ‏ هَـــاجَ لِلْقَلْـــبِ حَنِيْنـــاً وَشَجَـــنْ
مِثْـــلَ أَوْصَـــافِـــكَ نُبْـــلاً وَنُهَـــىً ‏ وَبَهَـــاءً وَذَكَـــاءً وَفِطَـــنْ
فَـــالْتَـــزِمْ سَعْـــدَكَ يُـــرْجَـــىٰ ثَـــابِتـــاً ‏ وَالْـــقَ أَعْـــدَاءَكَ مِنْـــهُ بِجُنَـــنْ
وَأْبْـــقَ مَـــا حَـــنَّ غَـــرِيْـــبٌ وَثَنَـــىٰ ‏ طَـــرْفَـــهُ الشَّـــوْقُ إِلَـــىٰ نَحْـــوِ وَطَـــنْ

وقال أيضًا في الفلك أبي القاسم عبد الرحمن بن هبة الله بن المسيري / ١٥ب/ المصري حين خلع عليه ببغداد الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن محمد بن أحمد ـ رضي الله عنه ـ وجاء إلىٰ دمشق ولازم التخرُّق بدروبها

(١) يوح: من أسماء الشمس.

والخلعة عليه والإعلام خلفه : [من المنسرح]

جَاءَ رَسُوْلٌ مِنْ عِنْدِ مُحْتَسِبِ الـ ـبَلْدَةِ فِي خُفْيَةٍ إِلَى الفَلَكْ
وَقَالَ : هَذَا الَّذِي أَتَيْتَ بِهِ يَلْزَمُنِي مِنْهُ غَايَةُ الدَّرَكْ
تَمْشِي بِأَعْلامِكَ المَشُوْمَةِ فِي السُّـ ـوْقِ وَلَا غَازِيَانِ فِي السِّكَكْ
مَا عَازَكَ اليَوْمَ غَيْرُ دَبْدَبَةٍ وَتَغْتَدِي ضِحْكَةً مِنَ الضَّحِكْ
يَضْرِبُ مِنْ حَوْلِكَ الصِّغَارُ بِهَا وَضِحْكُهُمْ نِصْفُهُ عَلَى المَلِكْ
وَأَنْتَ تَدْرِي بِأَنَّنِي رَجُلٌ آخُذُ أَمْرِي بِالدِّيْنِ وَالنُّسُكْ
ولا أُغُشُّ السُّلْطَانَ فِي عَمَلٍ وَذَاكَ مِنْ شَرِّ مَا رُوِيَ وَحُكِيْ
فَالْجَحْشُ وَالقنبريسُ قَدْ حَضَرَا وَدُرَّتِي فِي يَدِي وَأَنْتَ ذَكِيْ

[٨٥٧]

أبو نصر بن اللُّعَبيَّة الهُماميُّ .

والهُمّاميةُ قريةٌ من قرى واسط(١) .

أنشدني الأميرُ شرف الدين أبو حفص عمر بن أسعد بن عمّار الموصلي بها، قال : أنشدني إبراهيم بن يوسف الحرّاني، قال : أنشدني أبو نصر بن اللُّعَبيَّة الهُمّامي لنفسه : [من الطويل]

كَتَبْتُ وَمَالِي مِنْ خَلِيْلٍ أَوَدُّهُ سِوَى صَاحِبٍ يَخْتَارُ مِصْرَ مَقَامَهُ
تُرَنِّحُنِي رَيَّاهُ إِنْ هَبَّتِ الصَّبَا وَيُذْكِرُنِي لَمْعُ البُرُوْقِ ابْتِسَامَهُ

وأنشدني، قال : أنشدني إبراهيم، قال : أنشدني أبو نصر الهُمّامي لنفسه :

[من البسيط]

يَا مَنْ يُكَلِّفُنِي مَا لَيْسَ فِي سَعَتِي وَمُخْلِفِي لِشَقَائِي فِيْهِ مَا وَعَدَا
تَخَافُ مِنْكَ الرَّدَى نَفْسِي فَوَاعَجَبًا أَنْتَ المَخُوفُ فَفِيْمَا تَحْمِلُ العُدَدَا
لِحَاظُ عَيْنَيْكَ تُصْمِيْنِي بِأَسْهُمِهَا فَمَا لِخَدَّيْكَ دُوْنِي تَلْبَسُ الزَّرَدَا

/ ١٦ب/(٢) .

(١) انظر : معجم البلدان/ مادة (الهمامية) .
(٢) هذه الصفحة بكاملها بياض في الأصل .

ذكر من اسمه نصر الله

[٨٥٨]

نصرُ الله بنُ أسعدَ بن نصر الله بنِ عامرِ بنِ أبي البركاتِ بنِ المجلِّيَ، أبو الفتحِ البلَديُّ[٦].

تفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ بالموصل، وتأدّب ثم صار إلىٰ الصاحب كمال الدين أبي الكرم محمد بن علي بن مهاجر الموصلي يكتب له الإنشاء، وصحبه إلىٰ أن مات.

شاهدتُهُ بحلب مرةً واحدة؛ وهو شاب أسمر، قد نزل بعارضيه الشيب. وسألته عن ولادته، فقال: ولدت ببلد في سنة خمس وتسعين وخمسمائة.

وأنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها الملك الناصر داود بن عيسىٰ بن أبي بكر بن أيوب: [من الطويل]

إلَيْـكَ قَطَعْنَـا البيْـدَ يَـا ابـنَ المُعَظَّـمِ ... عَلَـىٰ كُـلِّ حَـرْفٍ كَـالحَنِيَّـةِ مُـرْزَمِ

وَخُضْنَـا بِـلاَداً طَـالَ بِـالمَـاءِ عَهْـدُهَـا ... وَلَمَّـا تَطَـاهَـا غَيْـرُ عَـادٍ وَجُـرْهُـمِ

عَلَيْهَـا فُتَـيٌّ كَـالقِسِـيِّ مِـنَ السُّـرَىٰ ... نَشَـاوَىٰ مِـنَ الإدْلاَجِ مِيْـلُ المُعَمَّـمِ

إلَـىٰ المَلْـكِ دَاوُدَ بـنِ عِيْسَـىٰ الَّـذِي غَـدَتْ ... مَحَبَّتُـهُ فَـرْضـاً عَلَـىٰ كُـلِّ مُسْلِـمِ

/١٧ب/ وهي قصيدة طويلة، ولم ينشدني منها غير ما أوردته؛ لأنه لم يكن في الوقت سَعة لأعلق عنه شيئًا سواها.

وقال يرثي المعين أبا القاسم علي بن الصاحب كمال الدين محمد بن علي بن مهاجر وقد استشهد علىٰ أيدي التتار الملاعين ـ خذلهم الله تعالىٰ ـ بسنجار:

[من الطويل]

لَعَـلَّ عَصِـيَّ الـدَّمْـعِ يَـومـاً يُسَـاعِـدُ ... لِيَـرْتَـاحَ مَحْـزُونٌ وَيُسْعَـدَ واجِـدُ

---

(١) في هامش الأصل: «وفاته سنة ست وخمسين وستمائة».

وهَبْ أنَّ عَاصيْه أجَابَ مُسَاعداً ... أمَا النَّومُ عن أجفان عيني شاردُ
وَهَبْ أنَّ عَيْنِيْ عَاوَدَ الغُمْضُ جَفْنَهَا ... أمَا الدَّمْعُ منْهَا فِيْ النُّحُور قَلائدُ
تَرجَّ وَلكنَّ الفَتَى لَيْسَ مُدْركًا ... بحُكْم يُرَجِّيْه الَّذيْ هُوَ فَاقدُ
أبَا قَاسم إنِّي عَلَيْكَ مُولَّهٌ ... طَوالَ اللَّيَاليْ سَاهرُ الجَفْن سَاهدُ
أبيْتُ عَلَى جَمْرٍ تَضَمَّنَهُ الحَشَا ... ولَيْسَ لَهُ إلاَّ زَفيْريَ وَاقدُ
/١٨أ/ ولَمْ لا وَقَدْ كُنْتُ المُعينَ عَلَى الرَّدَى ... وَكُلٌّ بهَذَا القَوْلِ مثْليَ شَاهدُ
سَمَوْتَ إلَى العَلْيَاء حَتَّى بَلَغْتَهَا ... بعَزْم لَهُ الآرَاءُ زَنْدٌ وَسَاعدُ
وَلَمْ تَرضَ فيْ الدُّنْيَا مَقَامًا فَحُزْتَهَا ... إلَى جَنَّة فيْهَا مَقَامُكَ خَالدُ
ولَمْ تَرْضَ أبْنَاءَ الزَّمَان خَوادمًا ... وَخُدَّامُكَ الحُورُ الحسَانُ النَّوَاهدُ
وَيَوْمَ قتَال التُّرْك حَامَيْتَ دُوْنَنَا ... وَجَاهَدْتَ لمَّا لَمْ يكُنْ مَنْ يُجَاهدُ
وَذُدْتَ عَن الإسْلاَم بالبيْض وَالظُّبَا ... فَللَّه حَام منْ ظُبَاكَ وذَائدُ
وَأمْسَيْتَ مَحْمُودَ السَّجَايَا مُمَدَّحًا ... تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيْمٌ وَوَالدُ
فَمَا أنَا بالنَاسيْكَ فيْ القُرْب وَالنَّوَى ... وَإنْ كَانَ يُسْليْ منْ سوَايَ التَّبَاعُدُ
فكُفَّ مَلاَميْ لائميْ عَنْ مُفَجَّع ... تَرقُّ لَهُ ممَّا يُلاَقيْ الحَوَاسدُ
وَلاَ تَطْلُب السُّلْوَانَ منْهُ وَخلِّه ... يُكَابدُ منْ أشْجَانه مَا يُكَابدُ

ومنها:

سَقَى جَدثًا أضْحَى بسنْجَار كَعْبَةً ... سَحَائبُ تَحْدُوْهَا إلَيْه الرَّوَاعدُ
وَروَّاكَ منْ كفِّ الوَزَيْر غَمَائمٌ ... إذَا ضَنَّت الأنْوَاءُ هُنَّ مَوَاردُ

وهي أكثر من هذا.

[٨٥٩]

/١٨ب/ نصرُ الله بن عليِّ بن نصر الله بن عليِّ بنِ عبد القاهر بن المجلى، أبو الفتحِ بنُ أبي الحسَنِ الموصليُّ، المَعروفُ بابنِ السَّمين(١).

كان فقيهًا حنفيًا حافظًا للقرآن الكريم. درس فقه الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله

(١) ترجمته في: الجواهر المضية ٣/ ٥٥٢ نقلها عن القلائد.

عنه ـ بالمدرسة البرسقيّة بالموصل، جوار باب المشرعة علىٰ دجلة.

سألته عن ولادته، فقال: ولدت في ثامن رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة، وذكر أنه ممن يجتمع نسبه بنسب الأمير شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش العقيلي. وكان رجلاً شديد صفرة اللون مائلاً إلىٰ السمرة.

اجتمعت به غير مرّة وسألته إنشاد شيء من شعره فأنشدني كثيراً منه، إلاّ أنَّه لم يكن في ذلك الوقت فسحة مجالٌ لأعلقه عنه؛ ثم توجهت إلى البلاد الشاميّة، وخبرت أنَّه توفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

ومما أنشدني لنفسه وظفرت به في بعض التعليقات قوله: [من الطويل]

/ ١٩أ/ سَلاَمٌ وَإنْ لَمْ يَشْفِ حَرَّ أُوَامِيْ ... تَحيَّةُ مُشْتَاقٍ وَرَجْعُ سَلاَمِ
سَلاَمٌ كَمَا مَرَّ النَّسِيْمُ بِنَشْرِكُمْ ... يَضُوْعُ بِوَجْدِيْ نَاهِضٍ وغَرَامِيْ
عَلَىٰ عِيْشَةٍ وَلَّتْ بِكُمْ فَكَأَنَّهَا ... بعَيْنِيْ وَإنْ طَالَتْ حَدِيْثُ مَنَامِ
أَلاَ قَاتَلَ اللهُ الفِرَاقَ فَكَمْ رَمَىٰ ... صَحِيْحَ فُؤَادٍ بَعْدَكُمْ بِسَقَامِ
وَأَغْطَشَ لَيْلَ الوَصْلِ بَعْدَ ٱبْيِضَاضِهِ ... وَأَيَّامُنَا مَحْفُوْفَةٌ بِظَلاَمِ

[٨٦٠]

نصرُ الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن أبي الفرجِ بنَ الحسنِ بنِ عَليٍّ، أبو البركَاتِ الأنصَاريُّ، المعَروفُ بابنِ الحنَبليِّ.

من أهل دمشقَ وأشهر بيت بها. الشيخُ الفقيهُ الأديبُ.

فقيه محسوب مع الفقهاء، وشاعر معدود من جملة الشعراء، جيد المقاصد، حَسَنُ المصادر والموارد. سافر إلىٰ بلاد اليمن واتصل بخدمة الملك العزيز أبي الفوارس طغتكين بن أيوب بن شاذي ـ سلطان اليمن ـ واختصّ به، واكتسب منه مالاً طائلاً ورزقًا واسعًا؛ ثم عاد إلى دمشق، وتوفي بها قبل سنة عشر وستمائة.

ومن شعره فيه يمدحه سنة / ١٩ب/ ثمان وثمانين وخمسمائة: [من الوافر]

سَقَىٰ بَرَدَىٰ وَوَادِيْهَا سَحَابُ ... مُلِثُّ القَطْرِ هَطَّالٌ رَبَابُ

وَرَوَّىٰ النَّيِّرَبَيْنِ فبيت لهيا   بغَيْثٍ لاَ يَغِبُّ لَهُ ٱنْسِكَابُ
إِلَىٰ الشَّرَفِ المُنِيْفِ فَمَا حَوَتْهُ   جَوَاسِقُ كُلُّ مَا فِيْهَا عُجَابُ
مَعَاهِدُ لَذَّتِي وَمَقَرُّ أُنْسِي   وَإِخْوَانٍ بِهِمْ طَابَتْ وَطَابُوا

ومنها:

يَكَادُ القَلْبُ مِنْ فَرْطِ ٱشْتِيَاقٍ   يَطِيْرُ لَهَا كَمَا طَارَتْ عُقَابُ
فَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ نَادَمْتُ فِيْهَا   رَشَاً فِي مِثْلِهِ عَذُبَ العَذَابُ
لَهُ مِنْ خَصْرِهِ فِيْنَا ٱنْعِطَافٌ   وَمِنْ أَرْدَافِهِ عَنَّا ٱنْجِذَابُ
أَرَىٰ مَا أَعْوَزَتْنَا الرَّاحُ يَوْمَاً   فَرِيْقَتُهُ لَنَا عَنْهَا مَنَابُ
خَلَوْتُ بِهِ وَلاَ أَرَبٌ سِوَىٰ مَا   يُطَارِحُهُ مِنَ الوَجْدِ العِتَابُ

ومنها:

وَكَعْبَةِ لَذَّةٍ تَجْلُو عَجُوزَ الـ   ـكُرُوْمِ لَنَا بِهَا خُوْدٌ كَعَابُ
بِلَيْلٍ عَادَ كَالبَازِيِّ لَوْنَاً   بِهَا وَبِرَاحِهَا وَهْوَ الغُرَابُ
/ ٢٠أ/ تُغَازِلُنِي عُيُوْنُ العِيْنِ فِيْهِ   وَيُرْفَعُ بِالحَوَاجِبِ لِيْ الحِجَابُ
قَصَرْتُ عَلَىٰ الغِنَا مَا طَالَ مِنْهُ   إِلَىٰ أَنْ شَابَ وَٱنْتَقَلَ الخِضَابُ
غَنِيْنَا بِالغِنَاءِ عَنِ الغَوَانِي   وَلَمْ نُلْمِمْ بِمَا تَحْوِيْ الثِّيَابُ
وَأَسْفَرَ صُبْحُنَا يَحْكِي مُحَيَّا الـ   ـعَزِيْزِ المَلْكِ أَطْلَعَهُ الإِيَابُ
هُوَ المَلْكُ الجَوَادُ بِمَا حَوَاهُ   إِذَا مَا ضَنَّ بِالغَيْثِ السَّحَابُ
جَمِيْلُ الذِّكْرِ ذُوْ رَأْيٍ سَدِيْدٍ   يَهُوْنُ بِهِ إِذَا فَعَلَ الصَّوَابُ
يَدُلُّ عَلَيْهِ فِي الجُلَّىٰ سَنَاهُ   وَهَلْ لِلْبَدْرِ فِي الظُّلَمِ احْتِجَابُ
وَأَرْوَعَ لاَ يَخَافُ هُجُوْمَ خَطْبٍ   عَلَيْهِ لاَ يَعِيْبُ وَلاَ يُعَابُ
إِذَا مَا عَدَّدُوا الأَمْلاَكَ طُرَّاً   غَدَا تُرْبَ السُّهَا وَهُمُ التُّرَابُ
تَخِرُّ الصِّيْدُ مِنْ رَهَبٍ لَدَيْهِ   وَتَعْنُو حِيْنَ يَرْتَفِعُ الحِجَابُ
مَآثِرُ لَوْ أَرَدْتَ لَهَا حِسَابَاً   تَقَاصَرَ عَنْ إِحَاطَتِهَا الحِسَابُ
فِدَاؤُكَ كُلُّ ذِيْ عِرْضٍ مَهِيْبٍ   لِرَاجِيْهِ وَعِرْضٍ لاَ يُهَابُ

وهي قصيدة طويلة وهذا القدر منها كاف.

[٨٦١]

نصرُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ بابا، أبو الفتحِ بنُ أبي بكرٍ الأسعرديُّ.

من أهل ديار بكر.

كان شاعراً متوسعًا في القوافي، قوي النفس، طويل الباع في نظم القريض صاحب قدرة علىٰ إنشائه، سمّىٰ نفسه «مادح الرحمن» لأنه استفرغ جميع شعره في الله ـ عزّ وجل ـ والثناء عليه والتوحيد له سبحانه وتعالىٰ. ولم يتعرض لمدح أحد من العالم البتة، وديوان أشعاره كبير الحجم.

أقام بالبلاد الشامية زمانًا طويلاً، وكتب الناسُ كثيراً من شعره، ورووه عنه، وسمع الحيص بيص الشاعر[1]، ونزل دمشق وكتب عنه من شعره العماد أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهاني، وأثبت ذكره في كتابه «ذيل الخريدة وسيل الجريدة» وأورد له أبياتًا في التوحيد والزهد والاعتبار، وغير ذلك.

أنشدني الشيخ الخطيب أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل القرطبي ثم الدمشقي بها ـ رحمه الله تعالى ـ من / ١٢٢أ/ لفظه ـ وذكر لي أنَّ جميع ديوان شعره، سمعته عليه، قال: أنشدني أبو الفتح ـ مادح الرحمن ـ لنفسه، من قصيدة أولها في التوحيد لله ـ عزّ وجل ـ: [من الكامل]

عـزَّ تـوحَّـدَ قَبْـلَ كُـلِّ مُـوَحِّـدِ ... وَعَـلاَ بمَجْـدٍ بَعْـدَ كُـلِّ مُمَجَّـدِ
وَدَوَامُ مَـولَـىٰ لاَ يَـدُوْمُ بَقَـاؤُهُ ... لمَّـا يَلِـدْ أحَـداً وَلمَّـا يُـوْلَـدَ
مَلِـكٌ مَحَـامِـدُهُ بَعِيـدٌ نَيْلُهَـا ... وَعَطَـاؤُهُ سَهْـلٌ قَـرِيْـبُ المَـوْرِدِ
تَفْنَـىٰ الصِّفَـاتُ وَلاَ تُحِيْـطُ بِـوَصْفِـهِ ... أيُحِيْـطُ مَـا يَفْنَـىٰ بِمَـا لَـمْ يَنْفَـدِ
وَيكِـلُّ فَهْـمُ العَقْـلِ عَـنْ إدْرَاكِـهِ ... وَيَعُـوْدُ عَنْـهُ بحَيْـرَةٍ وَتَلَـدُّدِ
رَبٌّ كَـرِيْـمٌ مَـا يُخَيِّـبُ سَـائِـلاً ... فَـاضْـرَعْ إلَيْـهِ بِـذِلَّـةٍ وَتَعَبُّـدِ
وَاطْلُـبْ عَظِيْمًـا مِـنْ عَظِيْـمِ جَـلاَلِـهِ ... وَارْغَـبْ إلَيْـهِ وَزِدْهُ حَمْـداً تَـزْدَدِ

---

(١) وهو سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي، شاعر مشهور، من أهل بغداد كان يلقب بأبي الفوارس، توفي سنة ٥٧٤هـ.

وَانْظُـرْ إِلَـىٰ أَكْـوَانـه مـنْ فَـوْقنَـا وَقيَـامهـنَّ وَمَـا دُعمْـنَ بـأَعْمُـد
وَنـرانهَـا بكَـوَاكَـب كَمَـوَاكـب يَهْـدي بهَـا الـرَّحْمَـانُ لُـبَّ المُهْتَـدي
إِنَّ الصَّنَـائـعَ بَـدْؤُهَـا مـنْ صَـانـعٍ إِذْ كُـلُّ تَشْيِيْـد فعَـالُ مُشَيِّـد
وَبـوسْعهَـا يُـوْمـي إِلَـىٰ فَهْـم الـوَرَىٰ أَنَّ التَّـوَسُّـعَ مـنْ وَفـيِّ المَـوْعـد
/ ٢٢ب/ وَبقَهْـر صَـانعهَـا تَـذلُّ وَلُطْفـه ببَـديْـعِ إتْقَـان بهَـا وَتَـأَيُّـد
وَطُلُـوعهَـا سَتّـاً مُقَـابـلَ ستَّـة وَسَعَـافُهَـا عَـنْ لُـؤْلُـؤ وَزَبـرْجَـد
وَبشَمْسهَـا وَهـلاَلهَـا فـيْ عَـرْضهَـا مَـا بَيْـنَ مُنْحَـدر بهَـا أَوْ مُصْعـد
وَبـرِيْسَيْهَـا المُشْتَـرِيْ وَعُطَـارد وَكَبيْـرهَـا زُحَـلُ عَقيْـد الأَسْعَـد
وَبحُمْـرَة المـرِّيْـخ فـيْ أَكْنَـافهَـا وَبَيَـاض زُهْـرَتهَـا البَهـيِّ المُـوْقَـد
وَبشعْـرَيَيْهَـا جَنْبَتَـي جَـوْزَائهَـا وَبجَـدْيهَـا وَسُهَيْلهَـا وَالفَـرْقَـد
وَبمَـا تَجَمَّـعَ فـيْ الثُّـرَيَّـا عَبْـرَةٌ مـنْ شبْـه عُنْقُـوْد وَحُقَّـة عَسْجَـد(١)
وَبـأَنْجُـم فـيْ فَيْحهَـا كَمَـارق تُـرْديْ بشُهْـب النَّـار كُـلَّ مُمَـرَّد
وَبفَجْـرهَـا المُـوْفـي عَلَـىٰ أَكْنَـافهَـا كَـالـوَجْـه يَطْلُـعُ مـنْ بجَـاد أَسْـوَد
حكَـمٌ تَـدُلُّ عَلَـىٰ حَكيْـم قَـادر وَقنَـادلٌ تُطْفَـى بيَـوْم المَـوْعـد
تُـزْريْ ببطليْمـوسَ فـيْ أَحْكَـامـه وَمَقَـالـه بـالظَّـنِّ لاَ عَـنْ مُسْنَـد
إِنْ قَـالَ عَقْـلٌ أَوَّلٌ وُجـدَتْ بـه نَفْـسٌ وَأَفْـلاَكٌ بغَيْـر تَقَصُّـد
كُـلٌّ بَـدَا مـنْ غَيْـره بضَـرُوْرَة فَـالعَقْـلُ يَـدْفَـعُ ذَلـكَ الظَّـنَّ الـرَّدي
إِذْ كُـلُّ عَقْـل فَـاعـلٌ عَـنْ قُـوَّة عَقْـلاً وَنَفْسـاً بـالـدَّوَام السَّـرْمَـد
/ ٢١أ/ لَـوْ صَـحَّ ذَلـكَ لَـمْ تكُـنْ أَفْلاَكُهَـا مَعْلُـوْمَـةً كَـلاَّ وَلَـمْ تَتَعَـدَّد
أَوْ قَـالَ مـنْ غَـرْب تَسيْـرُ نُجُـوْمُهَـا فَـالحُسْـنُ يَقْطَـعُ حَـدْسَ ذَاكَ المُلْحـد
أَوَمَـا تَـرَاهَـا طُلَّعـاً مـنْ شَـرْقهَـا وَتَغيْـبُ فـيْ حَمَـأ وَثَـأط حَـرْمَـد(٢)
أَوْ قَـالَ مُجْتَمَـعُ الكَـوَاكَـب مُحْـدثٌ ريحـاً تُعَفِّـيْ أَثْـرَ كُـلِّ مُـوَطَّـد
فَقَـد اجْتَمَعْـنَ وَمَـا أَثَـرْنَ تَغَيُّـراً كَـلاَّ وَلاَ حَـرَّكْـنَ طَـاقَـةَ غَـرْقَـد

---

(١) الحقة: الوعاء.
(٢) الثأط: الوحل الفاسد. الحَرْمَد: المتغيّر اللون والرائحة.

هَيْهَاتَ بَلْ بِإِرَادَةٍ مِنْ قَادِرٍ ... مَا فِي الوُجُودِ وَفِعْلِ مَلْكٍ مُوجِدِ
فِيمَا أَتَانَا عَنْ نَبِيٍّ صَادِقٍ ... وَكِتَابِ وَحْيٍ بِالبَيَانِ مُؤَيَّدِ

وهي قصيدة طويلة، وفيما ذكرنا منها فيه كفاية وغنًى.

وقال في مناجاته ودعائه لله ـ جل جلاله وتقدست أسماؤه: [من مجزوء الكامل]

مَوْلَايَ رَبِّي خَالِقِي ... مَلِكِي مُجِيرِي يَا مُعِينِي
يَا مَنْ لَطَائِفُ بِرِّهِ ... تَشْفِي الفُؤَادَ مِنَ الشُّجُونْ
/٢١ب/ لَوْلَاكَ تَعْطِفُ بِي قُلُوْ ... بُ الخَلْقِ بِي لَمْ يَقْبَلُونِي
فَارْحَمْ وَجُدْ لِي بِالرِّضَا ... وَالنَّصْرِ فِي دُنْيَا وَدِيْنِ
فَلأَنْتَ أَهْلٌ لِلْعَطَاءِ ... وَلَسْتَ بِالمَلِكِ الضَّنِيْنِ
إِنِّي أَرَى حُسْنَاكَ لِي ... يَا رَبِّ فِي كُلِّ الفُنُونَ
وَأَرَى يَقِيْنِي فِي عُلَاكَ ... جَمِيْعَ مَا أَخْشَى يَقِيْنِي

وقال أيضًا، وقد أشار عليه إنسان بمدح بعض الملوك والوزراء، ورغبه فيما لديهم فأنشد: [من الكامل]

يَا مَالِكِي أَعْجَزْتَ شُكْرِي بِالَّذِي ... أَوْلَيْتَنِي فِي عَوْدِ أَمْرِي وَالْبَدِي
وَتُفِيْدُنِي إِنْ شِئْتَ رِزْقًا وَاسِعًا ... تُغْنِي يَدِي عَنْ أَنْ تُمَدَّ إِلَى يَدِ
أَنْتَ الَّذِي وَفَّقْتَنِي وَمَنَحْتَنِي ... وَجَعَلْتَنِي بِثَنَاءِ مَجْدِكَ أَرْتَدِي
وَفَتَحْتَ لِي مِنْ وَصْفِ عَزْمِكَ مَشْرَبًا ... فِي وِرْدِهِ فِكْرِي يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
إِنْ حَارَ فَهْمِي فَهُوَ مَعْذُورٌ وَمَنْ ... يَحْوِي القَدِيْمَ بِهَالِكٍ مُتَجَدِّدِ
/٢٣أ/ صَمَدٌ إِذَا طَرَتِ الهُمُومُ بِخَاطِرِي ... دَاوَيْتُهَا بِمَدِيْحِهِ المُتَمَجِّدِ
وَلَعَلَّ رَحْمَتَهُ وَمَا آيَسْتُهَا ... تُرْدِي الرَّوَائِعَ عَنْ فُؤَادِي المُكْمَدِ
وَيَصُونُ مَاءَ الوَجْهِ عَنْ إِهْرَاقِهِ ... وَيُعِيْدُ لِي فَيْنَانَ عَيْشٍ أَرْغَدِ
فَيَدَاهُ أَوْسَعُ مِنْحَةً مِنْ غَيْرِهَا ... وَجَدَاهُ أَنْفَعُ نَجْعَةً لِلْمُجْتَدِي
قَالَ: امْتَدِحْ غَيْرَ الإِلَهِ مُنَاصِحٌ ... فَرَشَدْتُ حِيْنَ عَصَيْتُ قَوْلَ المُرْشِدِ
أَأَرُومُ غَيْرَكَ يَا إِلَهِي مَادِحًا ... لِلْخَلْقِ فُضَّ فَمِي إِذًا بِالجَلْمَدِ
فَلَكَمْ لَطُفْتَ بِضَعْفِ عَبْدِكَ مِنَّةً ... أَجْهَدْتُهَا شُكْرِي وَلَمَّا تُجْهَدِ

ثُـمَّ الصَّـلاَةُ عَلَـىٰ الـرَّسُـولِ إِلَـىٰ الـوَرَىٰ   طُــرّاً وَخَيْــرِ العَــالَمِيْــنَ مُحَمَّــدِ

«صلى الله عليه وسلم».

وقال وقد خذله بعض أصدقائه، ففرَّ إلى الله تعالىٰ: [من الخفيف]

يَـا إِلَهِـي عُبَيْـدُكَ البَـائِـسُ الأَضْعَـ   ـفُ يَبْغِـي إِلَيْـكَ مِنْـكَ فِـرَارَا
غَيْـرَ أَنِّـي تَخِـذْتُ وَجْهَـكَ يَـا مَـوْ   لاَيَ لِـي مِـنْ حَـوَادِثِ الـدَّهْـرِ جَـارَا
[وَمُقِــرٌ بِــذَنْبِــهِ لَيْــسَ بِــالجَـا   حِـدِ مَـا قَـدَّمَـتْ يَـدَاهُ ٱخْتِيَـارَا](١)
/ ٢٣ب/ لَـمْ أَجِـدْ لِـيْ مِـنَ الأَنَـامِ مُجِيْـراً   فَـاَسْتَخَـرْتُ المُهَيْمِـنَ القَهَّـارَا
فَـأَنَـا اليَـوْمَ جَـارُ مَـنْ لَيْـسَ فِـي الأَرْضِ   بِجَـارٍ أَعَـزَّ مِنْـهُ جِـوَارَا
يَـا إِلَهِـي وَأَنْـتَ أَكْـرَمُ مَـنْ سَـا   قَـتْ إِلَيْنَـا القَـرَائِـحُ الأَشْعَـارَا
إِنْ أَكُـنْ مُـذْنِبـاً هَجُـومـاً فَمَـا زِلْـ   ـتَ لِمَـنْ تَـابَ رَاحِمـاً غَفَّـارَا
أَوْ أَكُـنْ قَـدْ ظَلَمْـتُ نَفْسِـي قَدِيْمـاً   كُنْـتَ مَـوْلاَيَ مَـاحِيـاً سَتَّـارَا
فَـاعْـفُ عَنِّـيْ فَـأَنْـتَ أَرْحَـمُ لِـيْ مِنِّـ   ـي يَـا رَبِّ مِنَّـةً وَانْتِصَـارَا
كَيْـفَ مَـا تُصْـرَفُ الحَـوَادِثُ عَنِّـيْ   وَإِلَهِـي يُصَـرِّفُ الأَقْـدَارَا
مَـالِـكُ المَـالِكِيْـنَ مَـوْلَـى إِذَا مَـا   فَكَّـرَ القَلْـبُ فِـيْ تَعَـالِيْـهِ حَـارَا
وَصَـلاَةُ الإِلَـهِ تَتْـرَىٰ عَلَـىٰ أَحْـ   ـمَـدَ مَـا طَـارَدَ الظَّـلاَمُ النَّهَـارَا

وقال أيضًا على وزن قصيدة عدي بن زيد التي أولها(٢):

أَيُّهَـا الشَّـامِـتُ المُعَيِّـرُ بِـالـدَّهْـ   ـرِ . . . .

فعارضها بقوله: [من الخفيف]

/ ٢٤أ/ دَعْ خُـدَاعـاً يُغْـرِيْـكَ فِيـهِ الغُـرُوْرُ   وَتَفَكَّـرْ فِيْمَـا إِلَيْـهِ تَصِيْـرُ
فَمَتَـاعُ الـدُّنْيَـا قَلِيْـلٌ وَخَيْـرُ الـ   ـفَـوْزِ خَيْـرٌ هُـوَ المَحَـلُّ النَّضِيْـرُ
أَيُّ عَيْـشٍ يَلَـذُّ لِلْمَـرْءِ وَالآ   خِـرُ قَبْـرٌ وَمُنْكَـرٌ وَنَكِيْـرُ
وَقِيَـامٌ مِـنْ بَعْـدِهِ وَحِسَـابٌ   وَصِـرَاطٌ وَجَنَّـةٌ وَسَعِيْـرُ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) البيت في ديوانه ١٩٩ وفيه:
«أيهـا الشـامـت المعيّـر بـالشيـ   ـب أقلـن بـالشبـاب افتخـارا»

إنَّ قَوْماً قَدْ هُدِّدُوْا بجَحِيْمٍ ... وبيَوْمٍ أهْوالُهُ تَسْتَطِيْرُ
لَجَدِيْرٌ أنْ يَهْجُرُوا الغُمْضَ وَاللَّذَّ ... ةَ وَالأمْنَ فَالحَيَاةُ غُرُوْرُ
أجَمِيْلٌ لعَاقِلٍ أنْ يُلاَقِيْ اللَّـ ... ـهَ يَوْمَ الجَزَاءِ وَهْوَ فَقِيْرُ
أفَيَنْسَى مَا قَدْ جَنَاهُ وَقَدْ أحْـ ... ـصَى عَلَيْهِ النَّقِيْرُ والقِطْمِيْرُ
أفَيَرْضَى بأنْ يَعِيْشَ بعَيْشِ الأَ ... تَانِ مَغْزَاهُ مَنْكَحٌ وَشَعِيْرُ
أوَمَا شَاهَدَ الَّذِيْ أمْسَكَ المَا ... ءَ وَأوْقَاتُهُ مَضَتْ تَبْذِيْرُ
بيْنَمَا هُمْ يُقَبِّلُوْنَ ثُغُوْرَ الـ ... ـبيْضِ أفْضَتْ إلَى التُّرَابِ الثُّغُوْرُ
مَالَ عَنْ مَالِكٍ جَذِيْمَةُ كُرْهاً ... لاَ اخْتِيَاراً وَهْوَ الشَّجِيْرُ السَّمِيْرُ
وكَذَا الفَرْقَدَانِ سَوْفَ يُرَوَّعَنَ ... ببَيْنٍ إذِ السَّمَاءُ تَمُوْرُ
هَكَذَا الدَّهْرُ لاَ يُدِيْمُ نَعِيماً ... إنَّمَا العَاقِلُ العَمُوْلُ الصَّبُوْرُ
/ ٢٤ب/ أيْنَ كِسْرَى وَتُبَّعٌ وَبَنُو الأصْفَرِ ... أيْنَ النُّعْمَانُ أيْنَ السَّدِيْرُ
أيْنَ عِمْلاَقٌ وَالأُلَى مِنْ بَنِي عَا ... دٍ وَأيْنَ الزَّبَّاءُ أيْنَ قَصِيْرُ
أيْنَ فِرْعَوْنُ أيْنَ هَامَانُ ذُو الصَّرْ ... حِ وأيْنَ الأنْهَارُ أيْنَ التُّنُّوْرُ
كَمْ رَحَى للْمَنُوْنِ دَارَتْ عَلَى دَا ... را وَكَمْ قَيْصَرٍ رَمَتْهُ القُصُوْرُ
ثُمَّ ثَنَّتْ بآلِ جَفْنَةَ فَالجَفْـ ... ـنَةُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلاَءٌ بُوْرُ
وكَذَا مَأرِبٌ خَلاَءٌ مِنَ الأزْ ... دِ خَرَابٌ يَسْفِيْ عَلَيْهِ المُوْرُ
ثُمَّ عَادٌ مِنْ بَعْدِهِمْ وَثَمُوْدٌ ... لاَ اقْشَعَرَّتْ بَعْدَ الهَلاَكِ الدُّوْرُ
وَمُلُوْكٌ مِنْ بَعْدِهِمْ عَمَرُوا الأرْضَ ... فَأيْنَ العُمَّارُ وَالمَعْمُوْرُ
طَحْطَحَ المَوْتُ عِزَّهُمْ فَثَوَوْا فِيْ ... قَعْرِ غَبْرَاءَ وَالجُدُوْدُ عُثُوْرُ
لَمْ تُدَافِعْ جُنُوْدُهُمْ نَكْبَةَ الـ ... ـدَّهْرِ وَلاَ جَزؤهَا العَشِيْرُ العَشِيْرُ
سَرَحَ الدُّوْدُ فِيْ العَرَانِيْنِ مِنْهُمْ ... مُذْ حَوَتْهُمْ صَفَائِحٌ وَقُبُوْرُ
هَذِهِ [شِيْمَةُ] الزَّمَانِ فَمَا يَبْـ ... ـقَى عَلَيْهِ مُؤَمَّرٌ وَوَزِيْرُ
لَيْسَ يَبْقَى سِوَى إلهٍ عَظِيْمٍ ... مَا تَخَطَّى إلَى حِمَاهُ الدُّهُوْرُ
مَلِكٍ ثَابِتَ الأوَاخِيْ إذَا مَا ... زَلَّ بالمَالِكِ العَظِيْمِ السَّرِيْرُ
/ ٢٥أ/ كَانَ قَبْلَ الأكْوَانِ مَوْلًى رَحِيْماً ... وَهْوَ بَعْدَ الآبَادِ حَيٌّ قَدِيْرُ
لاَ شَرِيْكٌ لَهُ تَعَالَى وَلاَ ضِدٌّ ... نَدِيْدٌ وَلاَ شَبِيْهٌ نَظِيْرُ

مُحْسِنٌ بِالمُسِيءِ إنْ تَابَ قَهَّا … رٌ لِذِي الكِبْرِيَاءِ فَهْوَ الكَبِيرُ
أَحَدٌ يَسْتَلِذُّ ذِكْرَاهُ ذُو اللُّـ … ـبِّ وَتَبْيَضُّ مِنْ ثَنَاهُ السُّطُورْ
مَلِكٌ كُلَّمَا تَعَمَّدْتُ مَدْحِيْـ … ـهِ احْتِسَابًا يَحَارُ فِيهِ الضَّمِيرُ
لاَ تُدَانِي الأوْهَامُ تَكْيِيفَ عَلْيَا … هُ فَكَيْفَ التَّمْثِيلُ وَالتَّصْوِيرُ
آخِذٌ بِاليَدَيْنِ مِنْ عَثْرَةِ الدَّهْـ … ـرِ يَدَاهُ المَبْسُوطَتَانِ تَمِيرُ
صَمَدٌ أرْتَجِيهِ يُفَرِّجُ كَرْبِي … فَفُؤَادِي مِمَّا يُلاَقِي كَسِيرُ
مَاجِدٌ تُدْهَشُ الخَوَاطِرُ فِيهِ … وَتَظَلُّ الأفْكَارُ حَيْرَى تَدُورْ
يَعْلَمُ الوَهْمَ إنْ تَحَرَّكَ فِي الفَهْـ … ـمِ وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الصُّدُورْ
يَتَّقِيهِ الوُجُودُ جَمْعًا وَمَنْ فِيـ … ـهِ وَيَعْيَى عَنْ وَصْفِهِ التَّفْكِيرُ
لاَ كَمَنْ تَسْلُبُ الحَوَادِثُ عَلْيَاهُ … فَيَبْقَى وَهْوَ المُهَانُ الحَقِيرُ
وَاحِدٌ مَاجِدٌ جَوَادٌ كَرِيمٌ … مُحْسِنٌ مُنْعِمٌ سَمِيعٌ بَصِيرُ
أَوَّلٌ آخِرٌ مُعِيدٌ مُبِيدٌ … قَادِرٌ قَاهِرٌ مُجِيبٌ مُجِيرُ
/ ٢٥ب/ قَابِضٌ بَاسِطٌ رَؤُوفٌ عَطُوفٌ … عَالِمٌ حَاكِمٌ عَفُوٌّ غَفُورْ
يَعْجِزُ العَقْلُ عَنْ دِرَاكِ تَعَالِيْـ … ـهِ كَمَا ضَاعَ فِي عُلاَهُ الخَبِيرُ
عِلْمُهُ مُدْرِكٌ لِمَا ذَرَّ فِي البَـ … ـرِّ وَمَا غَمَّضَتْ عَلَيْهِ البُحُورْ
عَزَّ ذُو الطَّوْلِ عَنْ حِيَازِ مَقَالٍ … فَلِجَوْلِ الأفْكَارِ فِيهِ قُصُورْ
وَانْثَنَتْ حَيْرَةً وَتَاهَتْ فَمَا تُحْـ … ـصِي ثَنَاءً وَبَانَ فِيهَا الفُتُورْ
مَنْ هُوَ الذِّهْنُ عِنْدَ نَعْتِ عَظِيمٍ … خَوْفَ بَأْسَائِهِ الجِبَالُ تَسِيرُ
فَالزَمَنْ مَدْحَهُ وَإنْ مَسَّكَ الذُّ … لُّ فَمَا دَامَ شِدَّةٌ وَحُبُورْ
قُلْ وَلاَ بَأْسَ إنْ تَأَخَّرَ وَعْدٌ … فَمَتَاعُ الدُّنْيَا حَقِيرٌ يَسِيرُ
فَلَهُ نَفْحَةٌ يُفَكُّ لَهَا العَا … نِي حُنُوًّا وَيُطْلَقُ المَأْسُورْ
فَكَأَنِّي بِجَائِزَاتِكَ قَدْ جِئْـ … ـنَ مِنَ اللهِ وَالسُّرُورُ بَشِيرُ
وَاتَّئِدْ وَيْكَ وَالْثُمِ الأرْضَ ذُلاًّ … أَفَتَدْرِي بِمَنْ بِمَدْحٍ تُشِيرُ
ذَلِكَ اللهُ ذُو المَعَارِجِ وَالطَّوْ … لِ الَّذِي لَمْ تُضَعْ لَدَيْهِ الأُجُورْ
وَصَلاَةُ الإلَهِ تَتْرَى عَلَى أَحْـ … ـمَدَ مَا بَشَّرَ الصَّبَاحُ المُنِيرُ

«صلى الله عليه وسلم».

وقال أيضًا: [من الطويل]

/ ٢٦أ/ إِذَا أَنَا لَمْ أُخْلِصْ لِرَبِّيْ قَصَائِدي ... فَمَـنْ يخلـص قَلْبِـيْ لَـهُ أَبـداً قَصْـدَا
أَرَىٰ الغَــيَّ تَعْظِيمِــيْ سِــوَاهُ وَلاَ أَرَىٰ ... لِغَيْـرِ ثَنَـائِـيْ فيْـهِ نُجْحـًا وَلاَ رُشْـدَا
فَصَيَّـرْتُ تَعْظِيمِـيْ وَذُلِّـيْ بِـوَجْهِـهِ ... وَحَمْدِيْ وَمَدْحِيْ عِنْدَ مَوْلاَيَ لِيْ عَهْدَا
أُرَجِّيْـهِ فِـيْ الـدُّنْيَـا مُعِيْنِـيْ وَنَـاصِـرِيْ ... وَفِـيْ الحَشْـرِ أَرْجُـوْ أَنْ يُبَـوِّئَنِـيَ الخُلْـدَا
جَعَلْتُ غَرَامِيْ فِيْ مَدِيْحِ جَلالِهِ . . . ... فَلَـمْ أَنْعَـتْ لُبَيْنَـىٰ وَلاَ سُعْـدَىٰ(١)
وَظَـلَّ فَمِـيْ لَمَّـا تَلَـوْتُ ثَنَـاءَهُ ... يَضُـوْعُ وَلاَ دَانَيْـتُ مِسْكـًا وَلاَ نَـدَّا
وَحَـارَ بِـهِ فَهْمِـيْ فَـأُرْعِـدَ خَـاطِـرِيْ ... فَكَـلَّ وَلاَ يُحْصِـيْ لأَوْصَـافِـهِ عَـدَّا
وَأَذْعَـنَ عَجْـزاً عَـنْ دَرَاكِ نُعُـوْتِـهِ ... وَلَيْـسَ عَلَيْـهِ غَيْـرُ أَنْ يَبْلُـغَ الجُهْـدَا
وَكَيْـفَ يَجُـوْزُ الـوَصْـفُ مَجْـدَ مُعَظَّـمٍ ... وَلاَ حَـدَّ مَـنْ آلاؤُهُ جَـازَتِ الحَـدَّا
وَكَـانَ وَلاَ كَـوْنٌ تَبَـارَكَ مَجْـدُهُ ... قَـدِيمـًا كَـرِيمـًا مَـاجِـداً صَمَـداً فَـرْدَا
وَلَمَّا انْتَهَىٰ مِنْ وَصْفِ مَدْحِيْهِ خَاطِرِيْ ... وَطَـرَّبَ فِـيْ أَوْصَـافِـهِ وَضَـعَ الخَـدَّا
رَأَىٰ أَنَّـهُ لَمَّـا ارْتَضَـاهُ لِمَـدْحِـهِ ... حَوَىٰ الطَّائِرَ المَيْمُوْنَ وَالطَّائِرَ السَّعْدَا
تَعَفَّـرَ شُكْـراً إِذْ حَمَـاهُ إِلَهُـهُ ... فَلَـمْ يُلْبِسِ المَخْلُـوْقَ مَـدْحـًا وَلاَ مَجْـدَا
عَـلاَمَ أَمَـا يَكْفِـيَ مَـوَارِدُ جُـوْدِهِ ... لِمَـنْ يَبْتَغِـيْ الإِرْفَـادَ يَجْعَلُهَـا وِرْدَا
[بَلَـىٰ وَصَـلاَةُ اللهِ مَـا ذَرَّ شَـارِقٌ ... عَلَـىٰ أَحْمَـدَ المُخْتَـارِ أَتْعَبَهَـا وَخْـدَا

«صلى الله عليه وسلم»](٢).

[٨٦٢]

/ ٢٦ب/ نصرُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ عبدِ الواحدِ الشَّيْبَانيُّ، أبو الفتحِ بنُ أبي الكَرَمِ الوزيرُ الكاتبُ المنشىءُ، المعروفُ بابنِ الأثيرِ(٣).

---

(١) موضع النقاط بياض في الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) ترجم المؤلف لأخيه (المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم) في الجزء السادس برقم ٦٠٨، ولابن أخته (يوسف بن سعد بن الحسين) في الجزء العاشر برقم ٩٦٩.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٤ ـ ٣٩. وفيه وفاته: «سنة سبع وثلاثين وستمائة». وفيات =

هو وأخواه أبو السعادات المبارك، وأبو الحسن علي[(١)] أبناء محمد الأثير، كُلٌّ منهم كان فاضلاً إمامًا في العلم كثير الجاه والحرمة. وكان أصلهم من باعَيْنَاثا من أعمال الجزيرة العُمريّة[(٢)].

وأبو الفتح استظهر القرآن العزيز، وشدا طرفًا من الأدب وعلم العربية وسمع الحديث النبوي على أخيه أبي السعادات. وأخذ معرفة الحساب على الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان الأنصاري الجزري، وجالس الشيخ أبا الحَرم مكيّ بن ريّان النحوي المقرىء الماكسي بالموصل، وقرأ عليه شيئًا. وحفظ من أشعار الجاهلية والعربية وأشعار المحدثين والأحاديث النبوية والأمثال والسِّيَر صدراً وافراً. وعانى فن الترسُّل وصرف همته إليه طول عمره فبرَّز فيه تبريز المُفْلقين حتى أعجز المتقدمين وسلك فيه طريقة لم يسلكها أَحد قبله. وكان ربّ البلاغة وناظم شَذورها، العارف بنوعيّ منظومها ومنثورها.

قد ألقى إليه البيانُ فاضلَ زمامه، وبلغ في الكتابة أقصى مرامه، وملك أعنَّتها

= الأعيان ٥/ ٣٨٩ ـ ٣٩٧ رقم ٧٦٣. رسائل ابن الأثير ٩١ ـ ٩٣، ٩٦ ـ ٧. ذيل الروضتين ١٦٩. الحوادث الجامعة ١٣٦. العبر للذهبي ٥/ ١٥٦. بغية الوعاة ٢/ ٣١٥. طبقات الأسنوي/ الورقة ٢٤ ـ ٢٥. نثر الجمان ٢/ الورقة ١١٧ ـ ١١٨. شذرات الذهب ٥/ ١٨٧ ـ ١٨٨. البدر السافر: الورقة ٢٠٥. مرآة الزمان ٤/ ٩٧ ـ ١٠٠. روضات الجنات ٦٥٨. التكملة للمنذري ٣/ ٥٣٥ رقم ٢٩٣٧. تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ٤ ـ ٦. تاريخ الخميس ٢/ ٤١٥. روضات الجنات ٤٥٨. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٣٥٣ ـ ٣٥٥ قم ٥١٠. ذيل مرآة الزمان ١/ ٦٤. دول الإسلام ١٤٣٢. المستفاد من ذيل تأريخ بغداد ٢٣٨ ـ ٢٣٩ رقم ١٨٤. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٤٤١. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٤. النجوم الزاهرة ٦/ ٣١٨. العسجد المسبوك ٢/ ٤٩٦. ديوان الإسلام ١/ ١٦٥ـ ١٦٦ رقم ٢٤٥. مفتاح السعادة ١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢. الأعلام ٨/ ٣١. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٧٢ ـ ٧٣ رقم ٥٢.

وللدكتور زغلول سلام دراسة عنه، مط نهضة مصر ـ القاهرة، وفيه إشارة إلى مصادر أخرى. وللدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد ترجمة مفصلة في مقدمة تحقيق كتابه «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور» ص٣ ـ ٤٠. ومقدمة كتاب «كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب» تحقيق د. نوري حمودي القيسي وجماعة. ومقدمة كتاب «رسائل ابن الأثير» تحقيق د. نوري القيسي وجماعته.

(١) علي بن محمد عز الدين، انظر: الوافي ٢٢/ ١٣٦.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (باعيناثا).

وحازها، وعرف حقيقتها ومجازها. به خُتم ديوان الإنشاء وإليه انتهت صناعة الترسُل؛ فهو شيخ الكُتّاب ورئيسهم، وإمام البلغاء ونفيسهم، وبقيَة الزمانَ في وقته، ونقّاد الشعر ومعرفة جيّده من رديئه، وصحيحه من سقيمه.

اشتهرت بين الناس فضائله وسارت في الآفاق رسائله، وصنّف مصنفات جميلةً مُفيدةً جيدةً في علمي المعاني والبيان، وأنشأ رسائل أودعها أبكار معان مخترعة أُفرد لهن منها كتابًا؛ وسيأتي ذكر مصنفاته في موضعها من الكتاب ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

وفارق الجزيرة مسقط رأسه في رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقدم / ٢٨ب/ الموصل. وأقام بها في خدمة الأمير مجاهد الدين أبي منصور قايماز بن عبد الله الزيني ـ رضي الله عنه ـ وربما كان يكتب له الإنشاء.

ثم سافر إلىٰ الشام في ربيع الأوّل سنة سبع وثمانين وخمسمائة، فوصله القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي البيساني بخدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ـ وأقام عنده إلىٰ شوال من السنة.

ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي فخيّره الملك الناصر بين المقام في خدمته وبين المضي إلىٰ ولده، وقال له: إذا اتصلت بولدي فالذي قررناه لك باق عليك. فاتصل بالملك الأفضلَ في شوال من السنة المَذكورة، فتولّىٰ وزارته وكتابته، وعلّق به جميع أموره؛ فلما تُوفي الملك الناصر استقلّ بوزارة ممالكه جميعها، فجمع بين تدبيري السيف والقلم.

وكانت إليه الوزارة وكتابة الإنشاء / ٢٧أ/ فلم يزل معه علىٰ تصرفات أموره، إلى أنْ انتزع الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب دمشق من الأفضل، فأخرج الملك العَادل أبا الفتح منهما في صندوق مقفل عليه خوفًا من العامّة لئلا يهلكوهُ [لما] في نفوسهم من ظلمه وحماقته وما عاملهم به من قبيح الفعال؛ لأنه كان ـ لما تولّىٰ عليهم ـ غير محمود الطريقة، ولا مرضي السيرة.

وأقام بسميساط فاستأذن الملك الأفضل في الانصراف إلىٰ وطنه فأذن له فانفصل عنه في ذي القعدة سنة سبع وستمائة.

ثم سافر إلىٰ حلب فلم يلتفت إليه صاحبها، فامتد إلى سنجار فمكث بها مدةً، ثم جاء إلىٰ الموصل وإِلىٰ إِربل وأقام بها قليلاً، وعاد عنها إِلىٰ سنجار فاستقرّ قرارُهُ بها برهةً من الزمان.

ثم استدعاهُ بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله ـ صاحب الموصل ـ سنة ثماني عشرة وستمائة ليكتب له الإنشاء في ديوانه، فقدمها ونزل بالرباط المنسوب إليهم الذي أحدثه / ٢٧ب/ أخوه أبو السعادات، ورتّب له جاريًا ورزقًا. وصار رأس الكتاب ومنشىء الدولة. وأنفذه عدّة مرات رسولاً إِلى الديوان العزيز؛ فكان يكرم ويبجّل وينظر بعين الاحترام.

وكان مدَّة مقامه بالموصل مشتغلاً بالتصنيف، وجماعة من الناس يختلفون إليه ويقتبسون من فوائده، إلاَّ أنَّه كان كثير الحماقة متناقض الأحوال، متهوراً في أموره، سفيه اللسان جبّاهًا لمن يخاطبه ولو كان ملكًا أو سلطانًا، ممقوتًا إلىٰ الناس، شرس الأخلاق، سريع الغضب، متكبراً في نفسه، ذا عُجْب عظيم، وصلف زائد يتجاوز فيهما الحدّ، قليل المبالاة بالخلق لا يرى في العالم إلاَّ نفسه، فيبخس الناس حقوقهم، ويحطُّهم من أقدارهم، ويرمقهم بعين الإهمال. ومما يستدلُّ علىٰ رقاعته وتهوره أنَّ القاضي الفاضل هو الذي رفعه وقدّمه في الدولة الناصرية الصلاحية.

وكان بليغ عصره فضلاً وفهمًا وترسلاً، وأوحد زمانه جاهًا وعلمًا ودينًا، وبه يضرب المثل / ٢٩أ/ في الكتابة وصنعة الإنشاء، يحطُّهُ عن منزلته وينقصه من مرتبته فكان إذا أجرىٰ ذكره في بعض مصنفاته، يقول: حدثني عبد الرحيم بن علي البيساني، وقال عبد الرحيم لم يزد علىٰ ذلك شيئًا. فانظر إلىٰ هذا الجهل والحمق من هذا الرجل فما كان يستحق منه أنْ يوفيه حقّه من العلم والحرمة أنْ يكنّيه فضلاً عن أنْ يذكره بلقبه، وأيضًا من حيث أنه كان السبب في تقديمه وإيصاله.

وكان علىٰ ما أعطي من الإقتدار في الترسل والبراعة لم يكن صاحب بديهة وارتجال في الإنشاء والكتابة. وكان بطيء القريحة، جامد الخاطر، بل إنّه كان جيد الرويّة، صحيح الفكرة.

وإِذا رام إِنشاء كتاب يتهيأ له، ويشرع في عمله، ثمَّ يغلق حينئذ عليه باب داره،

ولم يمكّن أحداً من الوصول إليه، ويتخلّىٰ بنفسه، ويديم الفكر ويكتب ثم يخرق ما يكتبه ويعاود النظر فيه زمانًا طويلاً، فإذا تمَّ له الغرض من المعنىٰ المطلوب اعتبره / ٢٩ب/ أيضًا، وأنفذه فيكون ارتفاع الكتابَ في مدَّة يوم وليلة أو أكثر، فيأتي كأحسن شيء يُوضع ويضع.

شاهدتُهُ مراراً لا أحصيها كثرةً، وحضرت مجلسه أيام كان أخوه أبو الحسن حيًّا. وكان شيخًا طويلاً، بهي المنظر، حسن الهيأة واللباس، نقي الشيبة، نظيف الثياب، عليه أبهة ذوي الرئاسة والجلالة.

وكنت أعاين من زعارة أخلاقه ونزاقته، وضيق عطنه ما يبغض به نفسه إلىٰ كل من يسمعُ به، فكيف من يراه ويحادثه! وربما كُنتُ أساله عن معنىٰ بيت شعر أو تاريخ وفاة بعض الفضلاء فيجيبني من غير انزعاج ولا غضب بأحسن جواب. وكان في بعض الأوقات يستدعي مني الكلام، ويسألني عن الأمر الذي سمت نفسي إلىٰ عمله وألزمتها به، فأذكر له ذلك فيستحسنُهُ ويقول لي: ما قصرت، فأدعُو له.

واستجزتُهُ فأجازني جميع مُصنفاته ورواياته وما يدخل تحت الإجازة، وكتب ذلك لي بخط يده في صدر / ٣٠أ/ إجازتي. وسألته عن ولادته، فقال: ولدتُ يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة بالجزيرة العُمريّة؛ وخُبرت أنَّه انحدر إلى مدينة السلام في رسالة عن صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله، فتوفي بها يوم الإثنين سلخ ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة. ودفن بالجانب الغربي بمشهد الإمام موسىٰ بن جعفر ـ عليه السلام ـ رحمه الله تعالىٰ.

ومن تصانيفه كتاب «الوشي المرقوم في حلّ المنظوم»، وكتاب «الرسالة المخترعة في المعاني المبتدعة» وكتاب «التوصُّل إلى علم التَرسُّل» وكتاب «المثل السائر فيما يحتاج إليه الكاتب والشاعر»، وكتاب «الاستدراك» وهو مما استدركه علىٰ الشيخ أبي محمد سَعيد بن المبارك بن الدهان النحوي في رسالته التي ترجمها: بـ«الرسالة السعدية في المآخذ الكنديّة من المعاني الطائية»، / ٣٠ب/ وكتاب ديوان رسائله في نحو عشر مجلدات، وغير ذلك من المصنَّفات.

وكان قصير النفس في عمل الشعر لا طائل له في نظمه يعمل منه البيت والبيتين أو الثلاثة، لم تكن بتلك القوة، ولا من رائق الشعر وجيّده.

ومما اشتهر من شعره، قوله وقد فارق الموصل متوجهًا إلى الشام، وانفصل عن خدمة الأمير مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الزيني، وذلك في سنة سبع وثمانين وخمسمائة في ربيعها الأوّل عند حصار الجزيرة أتابك مسعودبن مودود بن زنكي بن آقسنقر، وأنفذها فقُرئت على الأمير مجاهد الدين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وقالها في اقتضاء الحال: [من المنسرح]

يَا رَاكِبًا يَقْطَعُ الفَلاَةَ وَلاَ ... يَلْفِتُهُ عَنْ مُرَادِه سَأَمُ
عُجْ بِمَحَلِّ النَّدَىٰ وَمَنْ عَمَّتِ الآ ... فَاقَ مِنْ جُوْدِ كَفِّهِ دِيَمُ
إنْ ذُكِرَتْ فِي الدُّجَىٰ مَنَاقِبُهُ الـ ... ـغُرُّ أَنَارَتْ مِنْ وَصْفِهَا الظُّلَمُ
مُجَاهِدِ الدِّيْنِ مَنْ بِهِ انْحَسَرَتْ ... عَنِ البَرَايَا الآفَاتُ وَالنِّقَمُ
/ ٣١أ/ وَقُلْ لَهُ أَيْنَ خِدْمَتِي لَكَ يَا مَوْلاَيَ ... أَيْنَ الحُقُوْقُ وَالذِّمَمُ
أَيْنَ الَّذِي شَاعَ عَنْكَ مِنْ ... حِفْظِكَ الوُدَّ [و] أَيْنَ العُهُوْدُ وَالعُصُمُ
أَيْنَ المَوَاعِيْدُ بِالعَطَاءِ وَبِا ... لإحْسَانِ أَيْنَ السَّمَاحُ وَالكَرَمُ
تِلْكَ أَحَادِيْثُ اللَيلِ ذَابَتْ مَعَ الشَّـ ... ـمْسِ وَذَاكَ المِيْثَاقُ مُنْفَصِمُ
نَسِيْتَ مَا كَانَ فِي الرِّبَاطِ مِنَ الأَ ... يْمَانِ أَمْ غَالَ عَهْدَهَا القِدَمُ
شَاطَرْتَنِي المُلْكَ بِالوُعُوْدِ وَإِذْ ... أَنْتَ وَلاَ صَاحِبٌ وَلاَ حَشَمُ
فَحَيْثُ عَادَتْ دُنْيَاكَ عُدْتَ عَنِ الـ ... ـوَعْدِ وَمَا هَكَذَا جَرَىٰ القَسَمُ

ومما ضمنه كتابه الملقَّب بالمثل السائر، قوله: [من مجزوء الرجز]

ثَلاَثَةٌ تَنْفِي التَّرَحْ ... كَأْسٌ وَكُوْبٌ وَقَدَحْ
مَا ذُبِحَ الزِّقُ بِهَا ... إِلاَّ وَلِلْهَمِّ ذَبَحْ

وهذا أُنموذج من رسائله ما كتبه إلىٰ الأصدقاء جوابًا وابتداءً من مصر والشام / ٣١ب/ وغيرهما من البلاد بعد سفره من الموصل[١]، فمن ذلك كتاب كتبه عن بعض

---

(١) لم أجد في هذه الرسائل سوى واحدة في رسائل ابن الأثير، تحقيق المقدسي. وقد أشرت إليها في =

أصدقائه جوابًا عن كتابه وهو:

«وصل كتابُ فلان، جعل الله أقلامه للبيان طليعة، وللبنان وشيعة، وللإحسان شريعة. ولًا زالت تروض نبيض حكمها صفحة القرطاس، وتدير بها علىٰ الخواطر ما تديره الحُميّا في الكأس، وتخرجُ منها شرابًا مختلفًا ألونه فيه شفاءٌ للناس؛ فتأنق لي حتىٰ حسبته روضةً فمددت يدي لاقتطاف زهرها، وارتشاف ثمرها، وأعطيت النفس ما شاءت من حظ سمعها وبصرها. ثم إنّي عدت علىٰ نفسي منبهًا، ورجعتُ في التشبيه الذي كنت مشبِّهًا، وقلت: أين حوكُ الدِّيم من حوك القلم؟ وأين زهر الروض الذي يمضي أوانه وتحول ألوانه، من زهر اللفظ الذي تبقىٰ أفْوَافه، ويترفع عن منال / ١٣٢أ/ الأيدي قطافُهُ: [من الكامل]

تُنْسَىٰ الرِّيَاض وَمَا يُرَوِّضُ فِكْرَهُ أَبداً عَلَىٰ مَرّ اللَّيَالِيْ يُذْكَرُ

ولمَّا وقفت عليه، أهدىٰ إلي أرجَ طيب، وجلا عليَّ وجه حبيب، وزارني علىٰ أنس مزاره في حُسَن غريب، فقلت: أهلاً بمن عَمَرَ مجلسي من زور هنائه، وألبسني ثوبًا منً سناه وسنائه. ثم حيّيته تحية التعظيم، وصافحته مصافحة التسليم، وجلستُ منه مجلس التعلم، وأجلسته مجلس التعليم: [من البسيط]

لاَ يُسْتَقَى مِنْ جَفِيْرِ الكُتْبِ رَوْنَقُهُ [كَلاَّ] وَلَمْ تُسْتَقَى مِنْ بَحْرِهِ الكُتُبُ

ومما وجدته منه أنَّه ألقىٰ بين جوارحيّ جسداً، وخصَّ منها عينًا وقلبًا ويداً، فلليد منه علىٰ العين بفضّ ختمه، وللعين منه علىٰ القلب بنقل مسطوره إلىٰ فهمه.

ولقد أقدم مرسلُهُ عليَّ بمقدمه، وأراني وجهه الكريم في مرآة قلمه، وفي نجوى الكتب علىٰ بعد الدار، تمثيل لروية الأبصار،

= موضعها.

فليشف بها / ٣٢ب/ غُلَّتي، وليستدمْ بها خَلَّتي، وليعلمْ أنَّ في انقطاعها واتصالها فراقًا من غير فراق، ولقاءً من غير تلاق: [من الطويل]

وَكَمْ مِنْ فِرَاقٍ وَاجْتِمَاعٍ عَلَىٰ النَّوَىٰ ... يُرَجِّيهِمَا هَجْرُ الكِتَابِ وَوَصْلُهُ

وأنا أرجو دوام الاجتماع بكتابه، إِلىٰ أن يقدّر الله الاجتماع بإيابه ـ إِن شاء الله تعالىٰ ـ».

ومن ذلك كتاب كتبه عن نفسه إِلىٰ بعض أصدقائه جوابًا عن كتابه:

«تألّق برق من جانب المجلس السامي، حاطه الله بروحه وأمينه، وحباهُ بسعادتي دنياه ودينه، وأتاه بما يقترحه من المطلب قبل حينه، وجعل خليقة المكارم من خلقه وطينتها من طينه. فرفعتُ طرفي إِلىٰ لوامع أنواره، وبسطت يدي إِلىٰ مواقع اقطاره، وقلت: هذا بشير الرحمة، ورائد النعمة؛ وهو برق تُرجى عقائقه، ولا تخشىٰ صواعقه.

ومن صفاته أنه يضيء علىٰ صفحات / ٣٣أ/ الأفهام، ويتوضّح من ألسنة الأقلام، ويبشّر بقوت الأرواح قوت الأجسام. وذلك هو الكتاب الكريم الذي يأتي بخصب الآمال كما أتىٰ أخوه بخصب الأمحال. غير أنَّ هذا يُشامُ بعيون القلوب، ويجود ما حلّت من عقدة مزنه يد الجنوب.

ولمّا تأمّلته أخذت بسُنة الخبر، في الصلاة عند نزل المطر. وليست الصلاة إلاَّ الدعاء لمن أرسله، وبسط سحابه واسبله. ثم تناولتُهُ فكنتُ أول من حمل غمامًا بيده، وآواه إِلىٰ مورده وعلىٰ ربّه منه، فإنّه لا يزال له شائمًا، وإِليه حائمًا. فلينعم المَجلس بتصريف مخايله، وليسق به الخواطر فإِنها من خمائله ورأيه اسمىٰ ـ إِن شاء الله تعالىٰ ـ».

ومن كتاب كتبه عن نفسه إِلىٰ بعض أصدقائه جوابًا عن كتابه:

/ ٣٣ب/ «تضوَّعتْ نفحةٌ من تلقاء المجلس السامي؛ رعىٰ الله عهده وسقاه، وصان ودّه ووفاه، ويسّر لي إلقاء العصا بلقاه. فعطرت الطريق التي سايرتها، والريح التي جاورتها، وأتت فأفرشتها خدّي، وضممتُ عليه ودّي، وجعلتها ردعًا لجنبي، ولَطِيْمَةً لردني، وسخابًا[١] لعقدي. وعلمت أنها ليست بنفحة طيب، ولكنها كتاب حبيب، فإنَ مناشق الأرواح غير مناشق الأجسام، ولا يستوي عَرْفُ الطِّيْبِ وَعَرْف الأقلام.

ثم مددت يدي إلىٰ الكتاب، بعد أنْ صافحت يد موصله كما صافحت عبقة مندَله، وقلتُ: أهلاً بمن أدنىٰ من الحبيب مزاراً، وأهدىٰ لعيني قرّةً ولقلبي قرارا، ولو أنصفت لقلت: أهلاً بمن سرىٰ في الأسرار، وجرىٰ من الأبصار مجرى الأنوار، وجمع لي برويته بين الأوطان والأوطار. ومع هذا القول فإني لم أُؤد حقّ الترحيب بمن أسعف بالطِّلاب، وطلع علىٰ الآمال المُمحِلة طلوع السحاب.

وإذا كان هذا الحامل الكتاب، فما ظنُّك بالكتاب؟! ولمَّا وقفت عليه، أحدث لي نشوة / ٣٤أ/ طرب، ونشوة أُرب. فغنَّتني هذه بترجيع مثانيها، وأعنتني هذه بمعسول أمانيها؛ وعند ذلك أخذت في خلع العذار، وسكرت من غير معاقرة عُقار. وإنَّ من البيان لخمراً يُسكر من غير تحريم!، وليست بذات لغو ولا تأثيم؛ فهي من سُلاف الألباب، لا سُلاف الأعناب، ومن بنات الخواطر، لا بنات الدساكر. ولا يجلبها من معدنها، ويرخصها علىٰ غلاء ثمنها إلاَّ البيان الفلاني الذي يستخرجها ويخرِجُها، ويصرفها ويمزجها.

وإنّي لأجدُ لخمرة ألفاظه طعمًا زائداً علىٰ الطعم، وليس ذلك لطيب العصر ولا عتق الكرم: [من الكامل]

---

(١) السخاب: قلادة من قرنفل ونحوه.

شَـيءٌ بِـهِ يَسْبِـي العُقُـوْلَ سِـوَى الَّـذِي   يُـدْعَـىٰ الجَمَـالَ وَلَسْـتُ أَدْرِيْ مَـا هُـو ؟

وقد أعدت الجواب ولم أستعر له نظمًا ملفَّقًا، ولا جلبت إليه حُسنًا منمقًا. بل أخرجته على رسله، وغنيت بصقال حُسنه عن صقلَه، فجاء كما تراه غير ممشوط ولا مَخطوط؛ فهو يرفل في أثواب بذلته، وقد حوىٰ الجمال بجملته. والحسن ما وَشَّتْه يدُ التصوير، لا ما حشته يدُ التزوير.

وقد منح الله لساني من ذلك ما حسده عليه / ٣٤ب/ الروض الموشّح، والسِّمط المرصّع، والقمر وهو ابن عشر وأربع. فَخُذ ما أدّته إليك حقيقة النظر، ودع ما نقلته أحاديث الخبر، ووازن بين حسن البداوة والحضر. واعلم أنَّ هذا السيل من غير ذلك المطر؛ فما كُلّ من قال بماشٍ في أثري، ولا رام عن وتري، ولا آخذ في وردي وصدري، فإن النبوة غيرَ الكهانة، ولا يستوي الحق والباطل في المكانة: [من البسيط]

وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

ولا أستثني من هذا القول أحداً سوى المجلس، فإنه في الفضل شقيقي، كما أنه في الودِّ صديقي؛ فنحن رضيعا بيان، وإنْ لم نكن رضيعي لبان، وتوأما وداد، وإنْ لم نكن توأمي ميلاد؛ فكلانا يقتدح من زناد صاحبه، ويأخذ بما يأخذه من مذاهبه. وحَسْبي فضلاً أنْ أحذو علىٰ مثاله ولو وقرت قلمي وقاره، وأسبلت علىٰ كلمي أستاره، لأكبرت أنْ ألقاه بهذا القول، وعلمت أنه أوتي عليّ بسطةً في الطول؛ لكني أردت أنْ أستعير من فضله ما أتجمل به في محضري، وأموّه به يوم مفخري؛ وإلاّ فالسماء نائية علىٰ المتطاول، وأين الثريا من / ٣٥أ/ يد المتناول. فليصفحْ عماقلتُهُ، وليسمح بما ترشحت له وما نلته، ورأيه أسمىٰ، إنْ شاء الله تعالىٰ».

ومن كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض الأصدقاء ابتداءً: [من الكامل]

لاَ تَبْعُدَنْ مِنْ ظَاعِنٍ وَمُقِيْمِ   وَأَقَمْتَ فِيْ قَلْبِيْ وَشَخْصُكَ سَائِرُ

أصدرتُ هذا الكتاب إلىٰ مجلس فلان الدين، أعلاهُ الله وأسماه، وصان من غيَرْ الليالي والأيَام حماه، وأبعد في اكتساب العلياء مرماه، ولا جعله في العَمل لآخرته ممن يستوي يوماه؛ عن قلب مأنوس بلقائه، وطرف مستوحش لفراقه. فهذا مروّع بإظلامه، وذاك ممتّع بإشراقه. غير أن لقاء القلوب لقاء غيب تمثله خواطِر الأفكار، وتتناجى به من وراء الأستار. وذلك أخو الطيف الملم في المنام، الذي يموّه بلقاء الأرواح علىٰ لقاء الأجسام. وما تمثله بنقع حرّ الأشواق / ٣٥ب/ الظماء، ولكنَّه تعلّة المتيمِّم بالصعيد عن عدم الماء، ولئن أقمت بعده في دار وطن، وفي أهل وسكن؛ فليس الأُنس بكثرة الناس، بل ببهجة الإيناس، وإذا لم تكن سكّان القلوب سكان الديار، فلا فرق بينهما وإنْ كانت آهلةً وبين القفار: [من الطويل]

إذَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَىٰ فَلاَ كَانَ حَاجِرُ   وَمَا حَاجِرٌ إلاَّ بلَيْلَىٰ وَأَهْلِهَا

فمن جفَّت علىٰ النوىٰ شُؤُنُهُ، والتقت علىٰ البين جفونه، فإنَّ عهده ذميم، وودّه سقيم. وأرىٰ المنازل وهي جماد أرعىٰ منه ذماما، وأخلق بالمحافظة ليالي وأياما. ألا ترى أنَّها لا ترضىٰ في غرامها إلاّ سقامها، ولا تقنع في وفائها إلاّ بعفة. . . ؛ فتبًا لشوقي إنْ رقت عنه قساوة الأحجار، وزادت بإثرها علىٰ ما عنده من الآثار.

وإنّي لأخجل من هذا القول، وقد وجدتُ علىٰ البعد مصطبراً، ولم يذهبَ إلىٰ الفراق سمعًا ولا بصراً، لكن يقوم عُذري في ذلك بأمل اللقاء، الذي يمدّ غرس الحياة بالأسقاء، ولا يمسك ذماء النفس كالأماني ومواهبها، والآمال ومطالبها.

وأنا أرجو / ٣٦أ/ أنْ يتاح لأيّام الاجتماع يوم معادها، وتردّ أرواحها إلىٰ أجسادها، لأخاصم أيام الفراق إلىٰ ربّها، وآخذ منها

بذنبها، وأجزي سيئات الأشواق، بأعمالها وأعطيها كتابها بشمالها:

[من الطويل]

وَمَـا أَنَـا مِـنْ أَنْ يَجْمَـعَ اللهُ بَيْنَنَـا كَـأَحْسَـنِ مَـا كُنَّـا عَلَيْـهِ بِـآيِـسِ

وقد علم أنَّه ليس للشوق زاد في ايام البعاد، إلاّ ما تهديه إليه اليد عن الفؤاد، وذلك هو الكتب التي في نجواها لقاءٌ لمَن شطَّت محَلَّته، وفي قطرات أقلامها ريٌّ لمن اضطرمت غُلَّتُهُ، فليجمع شملي بشملنا إلى أنْ يقدّر الله جمع الشمل بأهلها، وليعلم أنها هدية تحل محل مرسلها، وتطوق الأعناق بمنّة موصلها. والله لا يخلي من خبره إلاّ بنظره، ولا من كتبه إلاّ بقربه، إنْ شاء الله تعالىٰ. . والسلام».

ومن ذلك كتاب كتبه إلىٰ بعض الإخوان جوابًا:

/ ٣٦ب/ «وصل كتابُ حضرة سيدنا؛ لا زالت أقلامُه متنقلة من منبت أجم، إلىٰ منبت حكم، ومن استسقاء قطر، إلىٰ استسقاء بحر، ومن مجاورة ليث غاب، إلىٰ مجاورة ليث خطاب. فأطرب إذا غرّب، وأزهر إذا أسفر؛ فعلمت أنَّ من البلاغة ألحانًا، ومن الكلام ورداً وريحانا.

ولقد غدوت من حسنه البديع في فصل ربيع، فكلما شاقتني سطورُهُ قلت روض سنح، وكلما غنتني الفاظه قلت حَمَام صدح، وكلما سقتني معانيه قلت غدير طفح. فما أدري ما أصف، ولا عندما أقف؛ غير أنّي وجدته قد حوى أسرار البيان جزالة ولطفًا، وعرّف منها ما لم يألف البلغاء له عرفًا وأنسى ما تقدّم من أساليبها فعصف بها عصفًا، ﴿**وَيَسألونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً**﴾[١].

وما أقول إلاّ أنه الآية الموسويّة التي أتت تقلبُ الأعيان، وتنقلُ العصا إلىٰ صورة الثعبان، فلمثله تسجد سحرة الكلام، وتؤمن بآية

(١) سورة طه، الآية ١٠٥.

قلمه التي تلقفت آيات الأقلام. وها أنا قد / ٣٧أ/ سجدت له، وإنْ لم أكن ساحَراً بقلمي، لكنّي زدتُ به غرامًا، فسجدت له إعظامًا. وقَد يسجد لحكمة البيان كما يسجد لحكم القرآن؛ ومما أعتدُّهُ لنفَسي فخاراً، واتخذهُ لفضلي مناراً، أنُّي إذا فاتتني مُضاهاة مكانها فلم يفتني العلم بمزيّة إحسانها، والعلم بالفَضيلة فضيلة، ومن لم ينل زهر الخميلة كفاهُ نظرُ الَخميلة.

وقد أصدرت كتابي هذا جوابًا عن إصدار كتابه، لا جوابًا عن فصل خطابه؛ فإنَّ موازنة المداد بالمداد أيسرُ من موازنة الفؤاد بالفؤاد. وليس من أعمل يَداً كمن أعمل فكراً، ومعادن القلوب كمعادن الأرض، تخرج تبراً وصُفراً. فليرض مني بما عندي، ولا يكلفني فوق وجدي، فما كُلّ هاتفة ورقاء، ولا كل ناظرة زرقاء: [من البسيط]

وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الإِنْسَانُ غَايَتَهُ   مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلاَلُ

ومن ألقىٰ سلاحه فقداستسلم، ونصف العلم قول لا أعلم.

إن شاء سيدنا أنْ يجعل لساني خطيبًا، وخاطري قليبًا، فليتحفني / ٣٧ب/ بفضله كأسه، ولمدّني بشيء من أفواف قلمه وقرطاسه.. والسلام إنْ شاء الله تعالىٰ».

كتاب كتبه إلىٰ الملك المحسن يمين الدين أبي العباس أحمد بن يوسف بن أيوبَ يهنئه بالحج، وأرسله إليه عند عوده إلىٰ دمشق. وهذا الكتاب جواب عن كتاب ورد منه:

«ورد الكتاب الكريم عن مجلس مولا[نا] الملك المحسن، قرنه الله بأصحاب اليمين، ورفعه إلىٰ المقام الأمين، وجعله ممن صدق يقينه، وثقلت موازينه. وعلت يده وكلمته ودينه. ولا زال مستمسكًا في إخلاص عمله بالسبب الأقوىٰ، آخذاً بأدب الذين آمنوا وتناجوا بالبرّ والَتقوىٰ. فتأرَّجت أنفاسُ نجد من عنوانه، وجاءت بخزاماه وحَوذانه وحرَّكت / ٣٨أ/ إلىٰ تلك الأرض كُلَّ عزم فاتر، وأذكرتْ

بالأذان الذي يأتونه رجالاً وعلىٰ كُلّ ضامر، فتناوله المملوك بعد أنْ بدأ بالتطهير، واتخذ يومه عيداً فأعلن فيه بالتكبير. ثم فضّه فوجد آثار المناسك باديةً في أوّله، ممزوجة بآثار مرسله؛ فهذه يستمدّ منها بركة المطاف والأركان، وهذه يستمدّ منها سجية الفضل والإحسان. وكلاهما مأمول من مثل مولانا الذي أفاض ألطاف عباداته كما أفادَ ألطاف إفاداته.

ولقد فخر هذا العام بحجّه علىٰ ما قبلَهُ، وازدان بفضله حتىٰ حسدت الأعوامُ فضله، فلو كان ذا نُطْق لنشر أفوافَ كَلمه، وخطَب بالثناء علىٰ مولانا ومقدمه، وعرَّف أهل المَوقف أنَّهم في خَفارة ذِمَمه، وأنَّهم غُفر لهم ببركات قَدمه.

وما يقول المملوك أنَّه أدرك بالحجّ فضيلة لم يدركها سوىٰ أنَّه سلك طريقًا لم يسلكها، ولكنّه أدّىٰ فرضًا وزاد عليه بنوافل برِّه فأوجب فرضًا. فكلّ أيامه أيام حجٍّ في طهارة يده ولسانه وقلبه، وتعظيم حرمات الله التي / ٣٨ب/ هي خيرٌ له عند ربّه.

ومُذ سار مولانا عن دمشق اضحت عارية اللباس خالية من الناس، واجدة من الوحشة بقدر ما وجده الحرمُ من الإيناس. وأمّا الآن فقد راجعتها بشاشتها، وردّت إليها حُشاشتها. فلها الهَناءُ بالمولىٰ الذي تتنزَّلُ من بلدها منزلة الروح من جسدها، ويحلّ من قطافها محل الرؤوس من أبدانها: [من الخفيف]

إنَّمــا النَّــاسُ حَيْــثُ أنْــتَ وَمَــا النَّــا   سُ بنَـاسٍ فِـيْ مَـوْضِـعٍ مِنْـكَ خَـالِـيْ

وأمَّا المملوك فإنَّ المولىٰ جمع عليه فراقين، وأثار له اشتياقين؛ فأحدهما بُعْدُهُ عما يتوَقعُه من خبره، وما جعل الله له من قلبين فيحمل من الفراق والأشواق لوعة خطبين. ولما ورد عليه الكتاب الكريم أعاد عهد أُنسه، وأمسك بقية نفسه، ومحا بحُسنى يومه إساءة أمسه؛ فما يدري أصحيفــةٌ مسطــورة أم رحمــة منشــورة، لكنــه تحقــق منهــا معنــىٰ

النشأة وارتجاعها، بما أعادته من الحياة الذاهبة بانقطاعها.

/ ٣٩أ/ والمملوك يسال أنْ يتعهده المولىٰ بأمثالها، ويعتدُّ بها من عطاياهُ وأفضالها، فإنها في هبات قلمه، أرغب منه في هبات نِعَمه، وللآراءِ العالية مزيد العَلوّ إن شاء الله تعالىٰ».

وله كتاب كتبه إلىٰ الملك الأفضل أبي الحسن علي بن يوسف بن أيوب ـ رضي الله عنه ـ يتضمن التهنئة بمولود:

«أصدر هذه الخدمة إلىٰ الجناب الشريف وقد جاءت البُشرى بفرع نما من نجره، ولؤلؤة خرجت من بحره، فعبقت الأسماع بهذا الخبر الأريج، واهتزّت له الآمال وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، واستدلّ الناس بطيب الأصل علىٰ طيب الثمر، وتفرسُّوا فيه ما تفرسوا في الهلال من القمر، ولو نطق يوم مولده بلسان، أو كان ذا روح وجثمان؛ لافتخر علىٰ الأيام الأولىٰ، / ٣٩ب/ والآخرة، وبرز في أثواب زينته الفاخرة: [من الخفيف]

وَإِذَا مَا الأَيَّامُ أَصْبَحْنَ خُرْساً كُظُماً فِي الفَخَارِ قَامَ خَطِيْبَا

ولئن سبقته أيامٌ جعلت عيداً للصيام، ونحر الأنعام، فهذا اليومُ عيد لنحر العدا، وإبقاء سُنَّة البأس والنَّدى.

والله يُجري مولانا علىٰ عادة فضله، وينمي فرعه الكريم حتىٰ يستظلّ بظلّه، ويمضي الأمور بعقده وحله، ولولا إشفاق المملوك من التلفظ بكلمة تنقل علىٰ لسانه، لدعا له بخلافة ملك مولانا ووراثة سلطانه. لكنه يدعو لمولانا وله بالخلود، وأنْ لا يملك العدوّ ولا يرث سوىٰ ميراث الحسود ـ إن شاء الله تعالىٰ».

فصل من كتاب في هذا المعنىٰ:

«المملوك يهنيء مولانا بالجوهرة التي خرجت من معدنه، والبارقة التي تلألأت من خلال مزنه؛ ولقد تشوقت تيجان الملك إلىٰ / ٤٠أ/

زمنها واقترابه، وظمئتْ رياض الآمال إلىٰ صَوب سحابها وانسكابه».

فصل من كتاب في هذا المعنىٰ:

«كتبت هذه الخدمة وقد جاءته البشرىٰ بطلعة هلال سفرت، ومخيلة سحاب ظهرت، ويرجو أن يصير هذا الهلالُ بدراً كاملاً، وهذا السحاب غماماً هاطلاً. ولقد اهتزَّ السيف والقلم جذلاً بمولده، وتفاخراً في السبق إلىٰ منال يده، وبُشِّرتْ منه المكارم بكالئها، والعيون والقلوب بمالئها».

وله أيضًا فصل من كتاب في هذا المعنىٰ:

«المملوك يهنيء مولانا بالشبل الخارج من عرينه، والعَضب المُنتضىٰ في يمينه. ولقد اهتزَّت أسرة الملك لارتقابه، ومدت الجياد عيونها إلىٰ وقت ركابه، ورجع له جيش العدوّ قبل أوان غزوه واقترابه».

/ ٤٠ب/ وهذه رسالة أنشأها حين توفي الإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين أبو نصر محمد بن أحمد، وبويع ولده الإمام المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بالخلافة ـ رضوان الله عليهما[(١)] ـ:

«ما لليل والنهار لا يعتذران وقد عظم حادثهما، وما للشمس والقمر لا يخسفان وقد فقد ثالثهما: [من الطويل]

فَيَا وَحْشَةَ الدُّنْيَا وكَانَتْ أُنِيسَةً وَوَحْدَةَ مَنْ فِيهَا لِمَصْرَعِ وَاحِدِ

وذلك الواحد هو سيِّدُنا ومولانا الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين، الذي كانت ولايته رحمة للعالم، واختير من أرومة النبي الذي هو سيِّدُ بني آدم. فذمته موصولة بذمته، وهو شقيقه في اسمه وخليفته في أمته؛ ولقد وقف علىٰ السُنن فأتىٰ بالحَسَن، وحمدت صحبة الأيام في زمنه فلم يشكُ أحدٌ من / ٤١أ/ الزمن.

---

(١) وذلك في أول شعبان سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وكان بين موتهما تسعة أشهر.

ومما عظم الرزءُ به أنَّه أتىٰ عقيب رُزء وصل فجعَهُ بفجعه، وكان يُستهولُ أحدُهما وهو وتر فبدل الوتر فيه بشفعه. فيا ويح الإسَلام فجع أوّلاً بناصره، وفجع الآن بظاهره، وقرب الوقت بينهما حتىٰ كاد يعثرُ أوّله بآخره. فلم تفق النفوس من بُرَحائها إلاّ وافت ما طوىٰ مضضها علىٰ مضض، ووقع ذلك منها موضع نكسة عطفت علىٰ مرض؛ ونكأُ القَرح بالقَرح أوجع، وذَهاب فرع العلياء بعد أَصله ذهاب بالعلياء أجمع.

وكلا هذين الحادثين؛ رمىٰ الناسَ بسهم عَائر[١]، ليس عليه من صابر، وما كان الله ليسُوءَ دينه بمصاب خليفتين، ولا يجلو ظلمته بصباح سافر. وقد جاء بسيّدنا ومولانا المستنصر بالله أمير المؤمنين، فأرضىٰ به كل قلب سخط ولم يرض، وقيل هذا بدل الكلّ من الكلّ لا بدل البعض من البعض. وكان الناس علىٰ خطر من انتقاض أمرهم فأُتيح لهم إبرامُ ذلك النقض، ونُسي ما تقدَّم من البرْح ودُمل /٤١ب/ ما أعضل من القَرح، ولئن كَثُر الأسفُ علىٰ ليلتين مضتا برامة فقد أسلَت عنهما ليلة السفح، والعبد قائم بهذا المقام، وقلبه متقسّمٌ للعزاء شطراً [و] للهناء شطراً. فإذا نطق بهذا أسبل دمعًا وإذا نطق بهذا أبدىٰ ثغراً، وهو نائب عن مُرْسله في أخذ البيعة التي يد الله فوق يدها، والسابق إلىٰ يومها أفضل من المتأخر إلىٰ غدها، وهي التي تجلّت بإثبات حسنتها أقلام السَّفَرَة، وجعلها الله معدودةً في بيعة العقبة وبيعة الشجرة. ولها يصحّ قول القائل:

[من البسيط]

وَبيْعَـةٍ مِـنْ قُلُـوبٍ غَيْـرِ شَـارِدَةٍ ... مَـا كَـانَ فِـيْ عُـوْدِهَـا ضعْـفٌ وَلاَ خَـوَرُ
لَـوْ أَنَّهَـا لِعَتِيـقٍ لَـمْ يَمُـتْ حَسِـراً ... سَعْـدٌ وَلاَ قَـالَ: كَـانَـتْ فَلْتَـةً عُمَـرُ

وكذلك فإنَّ العبد ينهي طاعةً مرسلةً، التي جعل يومه فيها كأمسه،

(١) عائر: لا يعرف راميه.

وزادها في مباني الإسلام فهو مبنيٌّ بها علىٰ ستَة لا على خمسة. وقد اتخذها معقلاً يكنُّ في ذراهُ، وفي الآخرة عتاداً صالحًا يسرُّهُ أنْ يراه»(١).

/ ٤٢أ/ رسالة أخرىٰ من إنشائه حين توفي الإمامُ الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن الحسن، وبويع بالخلافة للإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين أبي نصر محمد ـ رضي الله عنهما ـ وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة:

«العبدُ يقدّمُ عذره قبل قوله، فإنَّ هذا المقام مقام مهابة لا تجدُ الخواطرُ فيه سَبْحًا، وإذا بلغ البليغُ جهدَه كان قُصاراه أنْ يسأَل صفحًا: [من الكامل]

إنْ كَانَ لاَ يُرْضِيْكَ إلاَّ مُحْسِنٌ ... فَالمُحْسِنُوْنَ إذاً لَدَيْكَ قَلِيْلُ

عبد الديوان العزيز النبوي لؤلؤ يُعزّي نفسه والمسلمين كافة، بفقد مَن الإسلام له فاقد، ومن لم يشكُ الموجدة بمُصابه / ٤٢ب/ إلاّ إلىٰ واجد سيدنا ومولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين، الذي التقت الأَرض منه علىٰ محيي ثراها، ومُمسك عراها، وباري سنة العدل والإحسان بها كما أن الله براها؛ فأي سحاب نضب عنها فيض مواهبه، وأَي جبل خفت جنوبها لزوال مناكبه، لكن تلافىٰ الله ذلك بقيام ولي عهده منَّ بعده، والذي انتضاه علىٰ طول ترقُّب من غمده سيدنا ومولانا الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين، فعطفت هذه النُعمىٰ علىٰ تلك البُوسىٰ، وآسَتْ من كلمها الذي لولاها لما كان يوسى:

[من الطويل]

وَفِيْ الحَيِّ بِالمَيْتِ الَّذِيْ غَيَّبَ الثَّرَىٰ ... فَلاَ أَنْتَ مَغْبُوْنٌ وَلاَ الدَّهْرُ غَابِنُ

وما من أحد إلاَّ وقد استبدل عزاءه بهنائه، ورأىٰ عمود الإسلام قائمًا بعد هدم بنائه، وعلم أنَّ الدهر أذنب ثم اعتذر وقَال: هذه

(١) رسائل ابن الأثير ١٨٦ ـ ١٨٧.

الشمس طالعة إنْ غيّب القمر ، واشتبه لديه رتقُ هذا الفتق برتق فتق أبي بكر بعمر . وقد حضَر العبد نائبًا عن مرسله في إعطاء صفقته بيمينه ، وثمرة قلبه آخذاً بقوله تعالىٰ : ﴿إنّ / ١٤٣أ/ الذينَ يُبَايعُونك إنما يُبَايعُون الله يَدُ الله فَوْقَ أيديْهم﴾[١] ولو حضرَ هذه البيعة سعد لرأىٰ مطلَعها سعداً ، ولم يجدَ من الدَخَول فيها بُدّاً ، ولما غمَّ في قطيفته غمًّا ، ونأىٰ عن دار قومه بعداً . فهي أخت بيعة الرضوان ، وأمّ الشرائط المشروطة في عقود الإيمان ، والمركب الذي النجاة بين صهوته وعنانه ، ومظنّة النجاة ما بين صهوة وعنان ، وللسابق في مثل هذا المقام فضيلة سبقه ، كما أنَّ للصادق مزيّة صدقه ، وكلاهما مجموع لمرسل العبد في الفوز ، بقصب المضمار والانفراد بخالص الإضمار ، والذي إعلانه كإسراره ، وقليلاً ما يستوي حالتا الإعلان والإسرار ، ولئن غابَ عنه الحضور بنفسه فهو في عداد من حَضر ، والتعويل إنما هو علىٰ صدق النية الذي أثرها هو الأثر .

قال النبي ﷺ في بعض غزواته : «إنَّ وراءكم قومًا بالمدينة ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم واديًا إلاّ كانوا معكم»[٢] . فليعوِّل الديوان العزيز من سعيه علىٰ القويّ الأمين ، وغنائه علىٰ المعقل الحصين ، وليضنَّ به وإنما يضنّ بالضنين . . والسلام» .

[٨٦٣]

/ ٤٣ب/ نصرُ الله بنُ المظفّر بن أبي طالب بن حمزةَ بنِ عليٍّ بن الحسين أبو الفَتح بنُ أبيَ العزِّ بنِ الصَفارِ الشيبانيّ المعروفُ بابنِ شَقيشقة[٣] .

---

(١) سورة الفتح ، الآية ١٠ .

(٢) صحيح البخاري ٥/ ١٣٦ ، ط دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ . مسند أحمد بن حنبل ٣/ ١٠٣ و٣٤١ ، ط دار صادر ، بيروت . فقه السنة للسيد السابق ٢/ ٦٣٥ ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٣) في هامش الأصل : «توفي نجيب الدين ابن شقيشقة المذكور يوم الإثنين ودفن يوم الثلاثاء بعد الظهر بجنب الكهف بقاسيون في سابع جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وستمائة» .
=

من أهل دمشق.

كانت له عناية بسماع الحديث النبوي، وسمع منه الكثير بنفسه، ولقي مشايخه ورجاله الذين كانوا يفدون إلىٰ دمشق من الغرباء وأهلها. واستفاد منهم، واستكثر من الشيوخ حتىٰ بلغت مشيخته أَلف شيخ، وحصَّل من الفوائد شيئًا عظيمًا. ولم يدخل دمشق طالبُ حديث أو شاعرٌ أو أديبٌ إلاّ ويجتهدُ في قضاء حوائجه، ويتعصَّبُ له تعصّبًا تامًا، ويُثني علىٰ فضله عند الناس.

وهو مشكور الطريقة ببلده، فجزاه الله عن مروءته الخير ولمن كان فيه مروءة. وعنده فقه وأدب مقل من قول الشعر.

أنشدني لنفسه بدمشق في سنة تسع وثلاثين وستمائة: [من الطويل]

خَفِ اللهَ في صَبٍّ سَلَبْتَ رُقَادَهُ ... وَأَتْبَلْتَ بِالبَيْنِ الْمُشِتِّ فُؤَادَهُ

/ ٤٤أ/ وَوَافَيْتَهُ مُلقًى عَلَىٰ فُرُشِ الضَّنَىٰ ... أَسِيرَ غَرَامٍ لاَ يَفُكُّ قِيَادَهُ

يَرَىٰ القُرْبَ فَرْضًا مِنْكَ يَا أَحْسَنَ الوَرَىٰ ... وَأَنْتَ تَرَىٰ فَرْضًا عَلَيْكَ بِعَادَهُ

وأنشدني أيضًا لنفسه في غلام جميل الصورة حلاوي: [من السريع]

قُلْ لِلْحَلاَوِيِّ عَلَىٰ الَّذِي ... تَحَارُ أَلْبَابُ الوَرَىٰ فِيهِ

إِنَّ الَّذِي نَأْخُذُ مِنْ كَفِّهِ ... هُوَ الَّذِي نَجْنِيهِ مِنْ فِيهِ

[٨٦٤]

نَصْرُ اللهِ بنُ نصرِ اللهِ، بنِ نصرِ اللهِ، أبو الفتوحِ الهيتيُّ(١).

= ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٩ ـ ٤٠. وفيه: «ولد سنة نيّف وثمانين وخمسمائة، وتوفي سنة ستة وخمسين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص٣٠٠ ـ ٣٠٢ رقم ٣٣٥. فوات الوفيات ٤/ ١٨٥ رقم٥٤٣. شذرات الذهب ٥/ ٢٨٥. ميزان الاعتدال ٤/ ٢٥٤ رقم ٩٠٥٤. البداية والنهاية ١٣/ ٢١٧ ـ ٢١٨. عيون التاريخ ٢٠/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦. لسان الميزان (ط بيروت) ٧/ ١٩٢ رقم ٨٨٧٦. عقود الجمان للزركشي ٣٣٥. عقد الجمان ١/ ١٩٣ ـ ١٩٤. ذيل الروضتين ٢٠١. العبر ٥/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٩. ذيل التقييد للفاسي ٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ رقم ١٦٦٣. الدارس ١/ ٨٠ ـ ٨١. المعين في طبقات المحدثين ٢٠٩ رقم ٢١٩١. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٤. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥٣.

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٧ ـ ٨ وفيه: «نصر الله بن نصر الله بن نصر الله بن سلامة بن سالم، أبو الفتح الهيتي، معين الدين بن أبي المعالي الشافعي. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠)=

من الشعراءِ العراقيّين.

دخل بلاد الشام وامتدح ملوكها، وذوي اليَسار منهم، واسترفدهم بأشعاره وكبر وأسنَّ، ولم يترك قول الشعر، وانقطع بأُخَرَة إلىٰ صاحب حماة الملك المنصور أبي المعالي محمد بن عمر بن شهنشاه بن أيوب، وبهاً تَوفي [في الخامس عشر من شوال سنة سبع وثلاثين وستمائة][(١)].

وكان عنده تهوس وخفّة يدلّ علىٰ ذلك ما أخبرني من أثق به، أنه كان إذا امتدح رجلاً بقصيدة يُعنونُ علىٰ رأسها المملوك نصر الله بن نصر الله بن نصر الله الهيتي؛ ثم يخالف /٤٤ب/ الاسم ويكتب علىٰ قصيدة أخرىٰ المملوك أبو الفتوح بن أبي الفتوح بن أبي الفتوح، ومرّةً المملوك نصر الله بن أبي الفتوح بن نصر الله، وتارةً أبو الفتوح بن نصر الله بن أبي الفتوح الهيتي.

وكان يتعاطىٰ الفصاحة في مقولاته وإنشائه، صاحب منظوم ومنثور. يذهب في إنشائهما مذهب أبي الفتح البَلَطي. وكان يصنَع أبياتًا من الشعر جميعها معجمة. وقصيدة خَالية من الإعجام؛ وغير ذلك من هذه الفنون ما تركُهُ أوْلى من تدوينه. وكانت ولادته بهيت في عاشر محرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

أنشدني الشيخ الأجلُّ العدلُ السعيد بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن يحيىٰ بن الخشاب بحلب من لفظه ـ رضي الله عنه ـ قال: أنشدني أبو الفَتوح نصر الله بن نصر الله بن نصر الله الهيتي لنفسه بحلب يمدح الملك الظاهر غياث الدين أبا المظفَّر غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الخفيف]

/٤٥أ/ ضَحِكَ البَرْقُ إذْ بَكَىٰ الإبْرِيْقُ ... ثُمَّ جَادَ السَّحَابُ وَالرَّاوُوْقُ
وَتَغَنَّتْ وُرْقُ الحَمَائمِ حَتَّىٰ ... أَطْرَبَ البَانَ بَيْنَها التَّصْفيْقُ
كُلُّ وَرْقَاءَ فِيْ الأَصَائِلِ يُخْفيْـ ... ـهَا عَنِ النَّاظِرِيْنَ غُصْنٌ وَرِيْقُ

= ص٣٥٥ رقم ٥١١. التكملة للمنذري ٣/ ٥٤٥ رقم ٢٩٥٣، وفيه: «نصر الله بن نصر الله بن سلامة بن سالم الهيتي المولد، المصري الوفاة، الشافعي، الشاعر المنعوت بالمعين. توفي بالقاهرة في ليلة الخامس عشر من شوال ودفن من الغد».

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

يَا خَلِيْلَيَّ نَادِمَانِيْ فَقَدْ طَا	بَ مُدَامِيْ وَزَانَهُ التَّرْوِيْقُ
وَٱضْرِبَا لِيْ صَوْتًا عَلَىٰ العُوْدِ والنَّا	يِ طَرُوبًا يَلَذُّ لِيْ وَيَرُوْقُ
سَالِكًا مَذْهَبَ القَدِيْمِ فَإِنِّيْ	مِنْ مَبَادِيْ أَلْحَانِهِ مَخْلُوْقُ
وَٱسْقِيَانِيْ صِرْفًا فَإِنَّ مِزَاجِيْ	لاخْتِلافِ المِزَاجِ لَيْسَ يُطِيْقُ
مَا شِفَائِيْ مِنَ الهُيَامِ وَلاَ بَرْ	دُ غَلِيْلِيْ إِلاَّ السُّلاَفُ الرَّحِيْقُ
وَإِذَا مَا مَرِضْتُ لَيْسَ يُدَاوِيْ	فَرْطَ دَائِيْ إِلاَّ الشَّرَابُ العَتِيْقُ
مَا مُرَادِيْ إِلاَّ المُدَامُ وَلاَ أَحْـ	ـسُدُ إِلاَّ ذَا سَكْرَةٍ لاَ يُفِيْقُ
فَهْيَ شَمْسٌ مُنِيْرَةٌ وَمِنَ الآ	يَاتِ شَمْسٌ يَضُمُّهَا إِبْرِيْقُ
لِيَ مِنْهَا مَدَىٰ الزَّمَانِ صَبُوْحٌ	كَمُلَتْ لَذَّتِيْ بِهِ وَغَبُوْقُ
وَلَهَا فِيْ فَمِ النَّدِيْمِ غُرُوْبٌ	وَمِنَ الكَأْسِ وَالبِزَالِ شُرُوْقُ
فَٱسْقِنِيْهَا مِنْ كَفِّ أَغْيَدَ يَحْكِيْ	ذَابِلَ الرُّمْحِ قَدُّهُ المَمْشُوْقُ
/٤٥ب/ بَابِلِيِّ اللِّحَاظِ مِنْ جَفْنِهِ الفَا	تِرِ عَضْبٌ مَاضِيْ الشَّبَاةِ رَقِيْقُ
فِيْ رِيَاضٍ كَأَنَّهَا حُلَلُ الدِّيْـ	ـبَاجِ قَدْ حَاكَهَا الحَيَا وَالبُرُوْقُ
مَا تَرَىٰ الأَرْضَ كَالنَّمَارِقِ تُزْهَىٰ	بِنُقُوْشٍ كَأَنَّهَا تَزْوِيْقُ
وَعَلَيْهَا أَثْوَابُ نُوْرٍ كَسَاهَا	فِيْ مُتُوْنِ الرِّيَاضِ زَهْرٌ أَنِيْقُ
وَرُبَاهَا قَدْ طُرِّزَتْ بِرُقُوْمٍ	نَسْجُهَا مِنْ يَدِ الغُيُوْمِ صَفِيْقُ
قَدْ تَنَافَىٰ فِيْ الشِّبْهِ لَوْنًا وَرِيْحًا	فَهْوَ نَوْرٌ زَاهٍ وَمِسْكٌ فَتِيْقُ
يُشْبِهُ اليَاسَمِيْنُ لَوْنَ مُحِبٍّ	نَاحِلِ الجِسْمِ رَاعَهُ التَّفْرِيْقُ
وَتَرَىٰ النَّرْجِسَ المُضَاعَفَ يَحْكِيْ	حَدَقًا لاَ يَضُرُّهَا التَّحْدِيْقُ
وَكَأَنَّ الشَّقِيْقَ رَايَاتُ غَازِيْ	أَوْ دَمًا مِنْ سُيُوْفِهِ مَدْفُوْقُ
مَلِكٌ بَابُهُ بِكَفِّ رَجَاءِ الـ	ـخَلْقِ عِلْمًا بِجُوْدِهِ مَطْرُوْقُ
يَطْلُبُوْنَ الأَرْزَاقَ بِالقَصْدِ كَالحُـ	ـجَّاجِ إِذْ بَابُ غَيْرِهِ مُرْتُوْقُ
جَعَلُوا حَارِمًا لَهُمْ ذَاتَ عِرْقٍ	وَبَسَاتِيْنَ عَمَّ عِنْدِيْ العَقِيْقُ
فَتَوَالَىٰ غَيْثُ الغِيَاثِ عَلَيْهِمْ	بِنُضَارٍ فِيْهِ البُرُوْقُ بَرِيْقُ
هَمُّهُ أَنْ يُفَرِّقَ المَالَ فِيْ الآ	فَاقِ وَالجَمْعُ ذَلِكَ التَّفْرِيْقُ
/٤٦أ/ فَهْوَ الرَّازِقُ الَّذِيْ غَمَرَ الخَلْـ	ـقَ فَكُلٌّ مِنْ كَفِّهِ مَرْزُوْقُ

وَهُوَ السَّابِقُ الَّذِي أَحْرَزَ السَّبْـ　　ـقَ فَمَنْ رَامَ شَأْوَهُ مَسْبُوْقُ
وَهْوَ مَلْكٌ دُوْنَ الخَلاَئِقِ جَمْعاً　　بِالمَعَالِي وَالمَكْرُمَاتِ خَلِيْقُ
وَهْوَ بَيْنَ المُلُوكِ بِالعَدْلِ وَالفَضْـ　　ـلِ وَإِيْصَالِ جُوْدِهِ مَرْمُوْقُ
وَهْوَ فِي الحِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالإِنْـ　　ـصَافِ وَالجُوْدِ لِلْمُلُوكِ سَبُوْقُ
وَلَهُ مَسْلَكٌ إِلَى كُلِّ بِرٍّ　　وَإِلَى فِعْلِ كُلِّ خَيْرٍ طَرِيْقُ
مُسْتَقِيمُ المَسْعَى عَلَى مَنْهَجِ العَدْ　　لِ جَوَادٌ وَبِالرَّعَايَا رَفِيْقُ
يَحْذَرُ اللهَ فِي الرَّعِيَّةِ سِرّاً　　وَسِوَاهُ سَكْرَانُ لاَ يَسْتَفِيْقُ
مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ رَؤُوْفٌ لَهُ قَلْـ　　ـبٌ إِذَا أَغْلَظَ المُسِيءُ رَقِيْقُ
وَاسِعُ الصَّدْرِ ضَيِّقُ العُذْرِ عَفُّ الذَّ　　يْلِ رَحْبُ الذِّرَاعِ بَرٌّ شَفِيْقُ
مَلَكٌ فِي ذُرَى الفَخَارِ لَهُ أَصْـ　　ـلٌ طَهُوْرٌ فِي المَكْرُمَاتِ عَرِيْقُ
خَيْرُ أَصْلٍ لِخَيْرِ مَلْكٍ زَكَتْ مِنْـ　　ـهُ فُرُوْعٌ نَضِيْرَةٌ وَعُرُوْقُ
سُؤْدَدٌ تَالِدٌ وَمَجْدٌ طَرِيْفٌ　　دُوْنَهُ فِي عُلُوِّهِ العَيُّوْقُ(١)
طَالَ فَوْقَ العُلاَ كَقَلْعَتِهِ الشَّهْـ　　ـبَاءِ دَامَتْ تَحْلُو لَهُ وَتَرُوْقُ
/٤٦ب/ هِيَ بَيْنَ القِلاَعِ مِثْلُ غِيَاثِ الـ　　ـدِّيْنِ بَيْنَ المُلُوكِ وَهْوَ يَفُوْقُ
وَهْيَ كَالجِسْمِ وَهْوَ رُوْحٌ وَبِالأَرْ　　وَاحِ تَبْقَى الجُسُوْمُ لَوْلاَ الزُّهُوْقُ
أَوْحَشَتْهَا أَعْطَافُهُ مُذْ نَأَى عَنْـ　　ـهَا فَكُلٌّ مِنْهَا إِلَيْهِ مَشُوْقُ
إِنْ خَلَتْ مِنْهُ لاَ خَلَتْ فَهْيَ تَشْتَاقُ　　إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مَعْشُوْقُ
لَوْ تُطِيْقُ المَسِيْرَ سَارَتْ مِنَ الشَّوْ　　قِ إِلَيْهِ لَكِنَّهَا لاَ تُطِيْقُ
فَكَأَنَّ الإِلَهَ لَمَّا دَحَاهَا　　قَالَ: هَذِي بِغَيْرِهِ لاَ تَلِيْقُ
مَدْحُهَا يُعْجِزُ الخَوَاطِرَ فَالحَا　　ذِقُ يَعْنُو وَيُذْعِنُ المِنْطِيْقُ
فَهْوَ مِثْلُ ابْتِكَارِ مَدْحِ غِيَاثِ الدِّ　　يْنِ صِدْقاً فَذِكْرُهُ تَصْدِيْقُ
مُعْجِزَاتُ المَدِيْحِ قَدْ جُمِعَتْ فِيـ　　ـهِ وَآيَاتُ فِعْلِهِ صِدِّيْقُ
كُلُّ وَصْفٍ فِيمَنْ سِوَاهُ مَجَازٌ　　وَاسْتِعَارَاتُ وَصْفِهِ تَحْقِيْقُ
وَرِثَ المُلْكَ عَنْ أَبِيهِ تَلِيْداً　　وَسَيَحْوِي البِلاَدَ وَهْوَ حَقِيْقُ

---

(١) العيّوق: نجم.

وَيُبُِثُّ الجيُوشَ فِي البَرِّ وَالبَحْـ ـرِ فَمِنْهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ فَرِيقُ
بِأُسُودٍ عَلَى العَقَارِبِ تُضْحِي وَفَسِيحُ الفَضَاءِ عَنْهَا يَضِيقُ
تَرِدُ الحَرْبَ ثُمَّ تَصْدُرُ عَنْهَا وَلَهَا مِنْ دَمِ الأَعَادِي خَلُوقُ
/ ٤٧أ/ ثُمَّ تَعْلُو بِيضَ المَعَاقِلِ بِالبِيـ ـضِ وَلاَ مَانِعٌ وَلاَ مَنْجَنِيقُ
وَيَحُوزُ المَمَالِكَ المَلِكُ الظَّا هِرُ قَهْراً وَتُسْتَفَادُ الحُقُوقُ
وَتَرَى المُلْكَ بَعْدَهَا يُوسُفِيّاً لَيْسَ يَعْصِيهِ فِي الوَرَى مَخْلُوقُ
يَا مَلِيكَ الآفَاقِ أَحْيَيْتَ أَهْلَ الْـ ـفَضْلِ حَتَّى حُثَّتْ إِلَيْكَ النُّوقُ
وَشَرَيْتَ القَرِيضَ غَالاً فَقَامَتْ لِذَوِي النَّظْمِ فِي ظِلاَلِكَ سُوقُ
فَاسْتَمِعْ مِنْهُمُ غَرَائِبَ شِعْرٍ قَدْ كَسَاهَا التَّجْنِيسُ وَالتَّطْبِيقُ
وَتَهَنَّ الإِقْبَالَ فِي العِيدِ فَالنَّصْـ ـرُ يُهَنِّيكَ فِيهِ وَالتَّوْفِيقُ
وَابْتَهِجْ بِالتَّشْرِيقِ فَالنَّدْبُ مَنْ يَفْـ ـعَلُ فِيهِ مَا يَقْتَضِي التَّشْرِيقُ
وَاجْعَلِ النَّحْرَ فِيهِ نَحْرَ أَعَادِيـ ـكَ وَكُلُّ إِذَا عَفَوْتَ عَتِيقُ
فَقُلُوبُ الأَعْدَاءِ تَرْجُفُ خَوْفاً وَلَهَا مِنْ سُطَا يَدَيْكَ خُفُوقُ

وأنشدني الشيخ العدلُ الأمين أبو عبد الله محمد بن عبدالقاهر بن هبة الله بن النصيبي بحلب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني / ٤٧ب/ أبو الفتوح نصر الله بن نصر الله بن نصر الله الهيتي لنفسه مبدأ قصيدة: [من الطويل]

حَدِيثُ غَرَامِي مُسْتَفِيضٌ وَمُسْنَدُ وَدَمْعِي وَوَجْدِي مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدُ
وَحُبِّي قَدِيمٌ وَالتَّجَمُّلُ مُحْدَثٌ وَثَوْبُ نُحُولِي بِالجَمَالِ مُجَدَّدُ
وَلِي خَبَرٌ يَرْوِيهِ شَأْنِي مُسَلْسَلاً وَفِيهِ مَعَ المَعْنَى الجَلِيِّ تَعَبُّدُ
فَلَوْ أَنَّ مَوْضُوعَ الأَسَى بِحُشَاشَتِي مَعَ البُعْدِ مَحْمُولٌ لَمَا كُنْتُ أَجْهَدُ
وَلَوْ أَنَّ سَعْداً بِالمَنَازِلِ طَالِعٌ لَكَانَ إِذَا مَا قَابَلَ الرَّبْعَ يُسْعَدُ
سَمِيرِي مِنَ السَّمْرَاءِ طَيْفٌ كَأَنَّهُ مَعَ الصُّورَةِ الحَسْنَاءِ مَعْنًى مُجَرَّدُ
أَلَمَّ خَيَالاً وَاللَّوَائِمُ غُفَّلٌ فَوَافَى خَيَالاً وَالعَوَاذِلُ هُجَّدُ
فَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالحَبِيبِ فَقُرْبُهُ بِهِ غُلَّةُ الصَّبِّ المُتَيَّمِ تَبْرُدُ
وَقَدْ كُنْتُ جَلْداً قَبْلَ طَارِقَةِ النَّوَى وَهَا أَنَا مِنْ بَعْدِ النَّوَى أَتَجَلَّدُ
فَصَبْرِي جَمِيلٌ وَاشْتِيَاقِي كُثَيِّرٌ وَقَلْبُكَ يَا خَنْسَاءُ صَخْرٌ وَجَلْمَدُ

وَجَارِي دُمُوعِي فِي المَآقِي مُوَطَّفٌ ... وَرَاتِبُ وَجْدِي فِي البَوَاقِي مُخَلَّدُ
/١٤٨أ/ وَتَصْفِيرُ جِسْمِي مِنْهُ تَقْطِيرُ أَدْمُعِي ... لِذَلِكَ أَنْفَاسِي جَوًى تَتَصَعَّدُ
بِنَفْسِي شَمْسٌ لَوْ رَأَى النَّاسُ حُسْنَهَا ... تَحَقَّقَتَ أَنَّ الجَمْعَ يَسْبِيهِ مُفْرَدُ
لَهَا وَجْنَةٌ كَالوَرْدِ حَمْرَاءُ مِنْ دَمِي ... وَخَدٌّ كَمَا شَاءَ الجَمَالُ مُوَرَّدُ
وَفِي الخَدِّ خَالٌ مُشْرِفٌ تَحْتَ نَاظِرٍ ... عَلَى عَامِلٍ لَوْلاَ التُّقَى كَانَ يُعْبَدُ
لَهَا القَدُّ غُصْنٌ مَاسَ فِي دِعْصِ رَمْلَةٍ ... أَقَلَّ هِلاَلاً بِالخُطَى يَتَأَوَّدُ
وَلِلْشَّافِعِيِّ الرِّدْفُ مِنْهَا مُثَقَّلٌ ... وَلِلْحَنَفِيِّ الطَّرْفُ مِنْهَا مُحَدَّدُ
فَلَوْ جَبَرَتْ مِنْ كَسْرِ قَلْبِي بِوَصْلِهَا ... مُقَابَلَةً بِالعَوْدِ وَالعَوْدُ أَحْمَدُ
لَقَبَّلْتُ ثَغْراً كَاللآلِي مُنَظَّماً ... بِهِ الرِّيقُ شَهْدٌ وَالأَرَاكَةُ تَشْهَدُ
فَمَا الخَاسِرُ المَغْبُونُ إِلاَّ مَنِ اشْتَرَى ... بِهِ غَيْرَهُ وَهْوَ الجُمَانُ المُنَضَّدُ
وَمَا القَاعِدُ المَفْتُونُ إِلاَّ أَخُو الهَوَى ... وَمَا القَائِمُ المَهْدِيُّ إِلاَّ مُحَمَّدُ

وأنشدني أيضًا من لفظه، قال: أنشدني نصر الله بن أبي الفتوح بن نصر الله الهيتي لنفسه: [من الوافر]

/٤٨ب/ عَصَانِي طَائِعُ الطَّرْفِ العَصِيِّ ... فَصِرْتُ فِدَاءَ نَرْجِسِهِ الجَنِيِّ
لأَمْتَحِنَنَّ صَبْرِي عَنْ شَتِيتٍ ... يُظَمِّينِي بِلاَ رِيقٍ شَذِيِّ
فَلاَ يَسْقِي وَيُشْقِي حِينَ يَجْفُو ... وَلاَ يَصْفُو لأَيِّ هَوًى غَزِيِّ
سَيَذْكُرُ خُلَّةً لأَخٍ وَدُودٍ ... مَصُونٍ سِرُّهُ شَكْلٍ زَكِيِّ
فَكَمْ يَقْضِي وَيَظْلِمُ وَهْوَ لاَهٍ ... وَيَعْقِلُ عَنْ مُطِيعٍ هَوًى وَفِيِّ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني نصر الله الهيتي قوله في الغزل: [من الطويل]

غَزَالٌ لَهُ خَالٌ شَذَاهُ أَظُنُّهُ ... جَنِيَّ شَقِيقٍ يَقْتَضِيهِ ضِيَاءُ
خَلَوْتُ بِهِ صُبْحاً وَزَادَ تَعَرُّضاً ... وَكُلُّ غَزَالٍ عَزَّ فَهْوَ رَخَاءُ
جَثَا ضَاحِكاً يُسْقَى سُلاَفاً فَقَالَ لِي: ... أَخُصُّكَ حَتَّى فَالسُّلاَفُ شِفَاءُ
وَأَشْهَرَ شَمْساً مِنْ مُدَامٍ وَضَوْؤُهَا ... يُلاَزِمُهَا إِذْ صَارَ مِنْهُ سَمَاءُ
أَيَظْلِمُنِي وَالكَامِلُ المَلْكُ عَاطِفٌ ... وَلاَ غَيَّ فِيمَا قَالَهُ العُلَمَاءُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

/ ١٤٩/ مَـا بيْـنَ رَامَـةَ فَـالعُـذَيْـب فَحَـاجـرِ أُسْـدٌ تَقَنَّصُهَـا أُكُـفُّ جَـآذرِ
وَمِـنَ العَجَـائـب أنَّ آسَـادَ الشَّـرَىٰ تَعْنُـو لسِـرْب فِـي الفَـلاَة نَـوَافـرِ
لاَ تَخْـدَعَنَّـكَ بـالْـوُعُـوْد فَطَـالَمَـا أَخْلَفْـنَ إِخْـلاَفَ المَلُـوْلِ الغَـادرِ
إنَّ الظِّبَـاءَ وَإنْ تَقَـادَمَ عَهْـدُهَـا وَأَتَـتْ بحُسْـنِ بَـوَاطـنٍ وَظَـوَاهـرِ
لَتَمُـجُّ أَرْيـاً مِـنْ نِيُـوْبِ أَسَـاوِدٍ وَتَسُـلُّ تبـراً مِـنْ جُفُـوْنِ مَحَـاجـرِ (١)

[٨٦٥]

نصْرُ الله بنُ هبةِ الله بن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسن بن يحيىٰ بنَ عليٍّ، أبو الفتح بنُ أبي العزِّ الكاتبُ الرسائليُّ، المعروفُ بابنِ بُصاقةَ وبُزاقةَ وبُساقةَ كُلٌّ يقالُ، الغفاريُّ الكنانيُّ(٢).

ولد بُقوص(٣) تقريبًا في سنة ثمانين وخمسمائة(٤)، ونشأ بمصر واستظهر القرآن العزيز، واشتغل بالأدب علىٰ جماعة من الأدباء بمصر والشام، وقرأ علىٰ الشيخ العالم أبي اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي. وخدم في دولة الملك المعظم شرف الدين عيسىٰ بن أبي بكر بن أيوب ـ صاحب دمشق ـ وبعده لولده الملك الناصر داود كاتب الإنشاء / ٤٩ب/ وتقدَّم عندهما، وارتفع شأنُهُ، وعلت منزلته.

ورأيتُ من يثني علىٰ فضله وصناعته في الكتابة وقوانينها، ويقول: هو أكتبُ أهل زمانه بلا مُدافَع، وأعرفُهُم بالقواعد الإنشائية، وأجودهم ترسُّلاً، وأحسنهم عبارةً،

(١) الأري: العسل.
(٢) ترجمة في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٤١ ـ ٤٩، وفيه: «نصر الله بن هبة الله بن أبي محمد بن عبد الباقي. . ، توفي سنة خمسين وستمائة بدمشق». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٤٥٦ ـ ٤٥٧ رقم ٦١٨. الطالع السعيد ٦٧٦. الجواهر المضية ٢/ ١٩٩ وفيه: «ابن رصافة». وفي ٢/ ٣٩٢ «ابن بصانة». شذرات الذهب ٥/ ٢٥٢. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٤ وفيه: «ابن قصافة». السلوك ج١ق٢/ ٣٨٥. الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية لداود بن عيسى الأيوبي ٩٦ ـ ٩٨. بدائع البدائة ٢٧١ رقم ٣٠٧. عيون التواريخ ٢٠/ ٧٠ ـ ٧١. المغرب في حلى المغرب ٢٩٩ ـ ٣٠٠. البداية والنهاية ١٣/ ١٨٤ وفيه: «ابن صاقعة». حسن المحاضرة ١/ ٢٤٣. الأعلام ٨/ ٣١.
(٣) قوص: مدينة كبيرة عظيمة واسعة هي قصبة صعيد مصر. انظر: معجم البلدان/ مادة (قوص).
(٤) في هامش الأصل: «ولد سنة تسع وسبعين وخمسمائة».

وأطولهم باعًا، وله ديوان شعرٍ ورسائل.

شاهدته بظاهر مدينة حلب المحروسة، بمقام الخليل إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ يوم الخميس الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبع وأربعين وستمائة، وعلقت عنه قطعًا من شعره، ولم يكن في الوقت سَعَة لأكتب من ترسله وأثبتَهُ في هذا المجموع.

ورأيتُهُ شيخًا لطيفًا كيِّسًا فيه دماثة وبشاشة؛ ثم سافر إلى دمشق، ولم يزل مقيمًا بها إلىٰ أن توفي يوم الجمعة ثامن جمادى الآخرة سنة خمسين وستمائة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

ومما أنشدني لنفسه إملاءً من لفظه: [من الطويل]

وَحَقِّكُمُ لَمْ يُلْهِنِي بَعْدَ بُعْدِكُمْ ظُهُورُ مَذَاكٍ أَوْ صُدُوْرُ مَجَالِسِ
/٥٠أ/ وَلاَ رَاقَنِي فِيْ النَّاسِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلاَ أَنِسَتْ رُوْحِي بِوُدِّ مُؤَانِسِ
رَمَانِي زَمَانِيْ الفَظُّ عَنْ قَوْسِ غَدْرِهِ بِسَهْمِ فِرَاقٍ مُطْلَقًا غَيْرَ حَالِسِ
وَعُوِّضْتُ عَنْ يَوْمِيْ المُنِيْرِ بِقُرْبِكُمْ بِلَيْلٍ مِنَ البُعْدِ المُبَرِّحِ دَامِسِ
فَأَضْحَىٰ عَدُوِّيْ عِنْدَ ذَلِكَ رَاحِمِي وَكَانَ صَدِيْقِيْ قَبْلَ ذَاكَ مُنَافِسِي
سَأَصْبِرُ حَتَّىٰ يُحْدِثَ اللهُ لُطْفَهُ عَلَىٰ رُغْمِ آنَافٍ وَذُلِّ مَعَاطِسِ
فَمَا أَنَا مِمَّنْ يَجْمَعُ اللهُ بَيْنَنَا عَلَىٰ خَيْرِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِآيِسِ

وأنشدني أيضًا لنفسه ما كتبه إلىٰ بعض الملوك:(١) [من الخفيف]

لَوْ شَرَحْتُ الَّذِيْ وَجَدْتُ مِنَ الوَجْدِ عَلَيْكُمْ أَمْلَلْتُكُمْ وَمَلِلْتُ
فَلِهَذَا خَفَّفْتُ عَنْكُمْ وَأَقْصَرْتُ وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُطِيْلَ أَطَلْتُ
غَيْرَ أَنَّ العَبِيْدَ تَحْمِلُ عَنْ قَلْبِ المَوَالِي وهَكَذَا قَدْ فَعَلْتُ

وأنشدني لنفسه أيضًا، وفيه لزوم السين: [من الكامل]

يَا مَنْ غَدَا مِنْ كُلِّ عَارٍ عَارِيَا وَمِنَ المُرُوَّةِ وَالفُتُوَّةِ كَاسِيَا
/٥٠ب/ ورَأَيْتُهُ فِيْ العِلْمِ بَحْرًا زَاخِرًا وَوَجَدْتُهُ فِيْ الحِلْمِ طَوْدًا رَاسِيَا
عَجَبِيْ لِمِثْلِكَ كَيْفَ يَنْسَىٰ ذَاكِرًا وَاعْجَبْ لِمِثْلِيْ كَيْفَ يَذْكُرُ نَاسِيَا

(١) الأبيات في الوافي ٢٧/ ٤٧.

بَعُدَ المَدَىٰ وَرُزِقْتُ قَلْبًا لَيِّنًا يَشْكُو [الضَّنَىٰ] وَرُزِقْتَ قَلْبًا قَاسِيَا
هَبْنِي أَسَأْتُ كَمَا ظَنَنْتَ فَكُنْ لِجُرْ حِ إِسَاءَتِي بِجَمِيلِ صَفْحِكَ آسِيَا
فَقَدِ ٱفْتَقَدْتُ مِنَ المَعَارِفِ كُلَّهُمْ فَعَسَاكَ تُصْبِحُ لِلْفَقِيرِ مُوَاسِيَا

وأنشدني أيضًا لنفسه يتغزّل: [من المنسرح]

مَالَكَ فِي الخَلْقِ عَاشِقٌ مِثْلِي فَكَيْفَ تَخْتَارُ فِي الهَوَىٰ قَتْلِي
إِنْ أَنْكَرَتْ مُقْلَتَاكَ سَفْكَ دَمِي فَلِي بِخَدَّيْكَ شَاهِدَا عَدْلِ
لَكِنَّنِي غَيْرُ طَالِبٍ قَوَداً مِنْكَ وَلَا رَاغِبًا إِلَىٰ عَقْلِ (١)
وَلَا لِيَوْمِ الحِسَابِ أَذْخَرُهُ بَلْ أَنْتَ مِنْهُ فِي أَوْسَعِ الحِلِّ
يَا فَارِغَ القَلْبِ عُدْ عَلَىٰ دَنِفٍ فُؤَادُهُ فِي هَوَاكَ فِي شُغْلِ
وَعَدْتَنِي أَنْ تَزُورَنِي فَعَسَىٰ تُقْصِرُ عَمَّا أَطَلْتَ مِنْ مَطْلِ
مَرَارَةُ الهَجْرِ ذُقْتُهَا فَمَتَىٰ تُذِيقُنِي مِنْ حَلَاوَةِ الوَصْلِ
/ ٥١أ/ يَا عَاذِلِي فِي هَوَاهُ دَعْ عَذْلِي فَلَسْتُ أُصْغِي فِيهِ إِلَىٰ العَذْلِ
أُمِرْتُ بِالصَّبْرِ عَنْ تَذَكُّرِهِ مَنْ لِي بِأَنْ أَسْتَطِيعَهُ مَنْ لِي
لَكِنْ هَوَاهُ غَطَّىٰ عَلَىٰ بَصَرِي وَمَسْمَعِي وَالفُؤَادُ فِي خَبْلِ

وأنشدني لنفسه لُغزاً في الإبرة: [من الطويل]

وَعَارِيَةٍ لَا تَشْتَكِي البَرْدَ فِي الشِّتَا عَلَىٰ أَنَّهَا مَنْهُوكَةُ الجِسْمِ بِالبَرْدِ
تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا مِنَ العُورِ لَا الحُورِ الحِسَانِ مِنَ الخُلْدِ
إِذَا زَالَ عَنْهَا سُمُّهَا زَالَ نَفْعُهَا وَحَالُ ذَوَاتِ السُّمِّ فِي ذَاكَ بِالضِّدِّ
تَصَدَّتْ لِجَمْعِ الشَّمْلِ بَعْدَ شَتَاتِهِ وَلَا حَظِيَتْ فِيهِ بِأَجْرٍ وَلَا حَمْدِ
إِذَا كُسِيَتْ ثَوْبًا كَسَتْهُ لِغَيْرِهَا بِلَا مِنَّةٍ مِنْهَا عَلَيْهِ وَلَا كَدِّ
أُنَزِّهُ طَرْفِي فِي سَنِيِّ مَلَابِسٍ تَجُودُ بِهَا مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَلَا قَصْدِ
تَفَضَّلْ فَقَدْ أَوْضَحْتُ بَعْضَ أُمُورِهَا بِتَكْمِلَةِ الإِيضَاحِ يَا مَعْدِنَ الرِّفْدِ

وأنشدني أيضًا لنفسه لغزاً في المشط: [من الطويل]

---

(١) العقل: الدية.

/ ٥١ب/ وَأَصْفَرَ ذي وَجْهَيْن بالنَّار مَا اكْتَوَىٰ ... وَلاَ وُسِمَتْ خَدَّاهُ باسْمِ أُولِي الأَمْرِ
وَلاَ شَكَّ فيهِ الصَّيْرَفِيُّ فَحَكَّهُ ... وَلاَ حَارَ بَيْنَ الصُّفْرِ منْهُ أَوِ الصُّفْرِ
يَلُوحُ لَهُ نَشْرٌ وَلكنَّهُ يُرَىٰ ... وَلاَ يَنْتَشي بالضِّدِّ منْ عَادَة النَّشْرِ
يَعَضُّ بأَسْنَان وَلَيْسَ لَهُ فَمٌ ... وَيَثْغَرُ أَحْيَاناً وَلَيْس بذي ثَغْرِ
يُخَلِّصُ بيْنَ الأَهْلِ مَهْمَا تَشَاجَرُوا ... فَيَقْضي لعَقْد العُسْر بالحَلِّ وَاليُسْرِ
بعدَّة أَمْيَال يُعَدُّ مَسيرُهُ ... وَإنْ كَانَ مُلْقَىً لاَ يَسيرُ وَلاَ يَسْرِي
رَأَىٰ الزُّهْدَ رَأْياً فَاغْتَدَىٰ مُتَخَلِّلاً ... عَلَىٰ جسْمه العَارِي بمَسْح منَ الشَّعْرِ
فَبُحْ باسْمِهِ إِنِّي عُنِيتُ بكَتْمِه ... وَلاَ تُخْفِهِ يَا مُبْدِعَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ

وأنشدني أيضًا لنفسه في الساعات المدبَّرة بالماء: [من الطويل]

وَمُخْبِرَة بالعلْم وَهْيَ جَهُولَةٌ ... بمَا أَخْبَرَتْ عَنْ علْمه لَيْس تعْلَمُ
إذَا رُوِيَتْ بَاحَتْ بمكْنُون سرِّهَا ... وَإنْ ظَمئَتْ فَالسِّرُّ منْهَا يُكَتَّمُ
تَضجُّ وَتَشْكُو الرَّجْمَ في كُلِّ سَاعَة ... وَلَكنَّهَا مَرْجُومَةٌ لَيْسَ تُرْحَمُ
/ ٥٢أ/ وَتُبْدي أَنيناً مُشْعراً بتَأَلُّمٍ ... وَلَيْسَ بهَا ضُرٌّ وَلاَ تَتَأَلَّمُ
وَيُفْهَمُ عَنْهَا مَا تَقُولُ وَإِنَّهَا ... لَعَجْمَاءُ لا تُوحي وَلاَ تَتَكَلَّمُ

وكتب إلىٰ الشيخ العلاّمة سيف الدين أبي الحسن علي بن علي الآمدي، يشفع إليه في عماد الدين السلماسي، في أنْ يُقرئه شيئًا من كتبه وهو «رموز الكنوز». وكان قد تحدَّث معه في ذلك مشافهةً: [من البسيط]

يَا سَيِّداً جَمَّلَ اللهُ الزَّمَانَ به ... وَأَهْلَهُ منْ جَميع العُجْم وَالعَرَب
العَبْدُ يَذْكُرُ مَوْلاَهُ بمَا سَبَقَتْ ... وُعُودُهُ لعمَاد الدِّين عَنْ كَثَبِ
وَمثْلُ مَوْلاَيَ مَنْ جَاءَتْ مَوَاهبُهُ ... عَنْ غَيْرِ وَعْد وَجَدْوَاهُ بلاَ طَلَبِ
فَأَصْف منْ بَحْركَ الفَيَّاض مَوْرِدَهُ ... وَأَغْنه منْ كُنُوز العلْم لاَ الذَّهَبِ
وَاجْعَلْ لَهُ نَسَباً يُدْلي إلَيْكَ به ... فَلُحْمَةُ العلْم تَعْلُو لُحْمَةَ النَّسَبِ
/ ٥٢ب/ وَلاَ تكلْهُ إلَىٰ كتْبٍ تُنَبِّئُهُ ... فَـ(ـالسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً منَ الكُتُبِ)(١)

---

(١) ما بين القوسين صدر بيت لأبي تمّام، وعجزه:
. . . . «فـي حـدّه الحـدّ بيـن الجـدّ واللعـب»=

وأنشدني لنفسه لُغزاً في القلم: [من الطويل]

وَمَا نَاقِصٌ بِالنَّقْصِ صَارَ مُذَكَّراً ... وَكَانَ لَهُ التَّأْنِيثُ وَهْوَ مُتَمِّمُ
عَجِبْتُ لَهُ يَزْدَادُ فَضْلاً بِنَقْصِهِ ... فَيُصْبِحُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ يُتَرْجِمُ
وَيَفْهَمُ مَا يُوحَى إِلَيْهِ مُسَارِعاً ... فَيُعْرِبُ عَنْهُ وَهْوَ أَطْرَشُ أَبْكَمُ
وَيَسْعَى إِذَا اسْتَسْعَيْتَهُ وَهْوَ مُطْرِقٌ ... لِغَيْرِ حَيَاءٍ لَابِسٌ وَهْوَ مُحْرِمُ
شِعَارُ بَنِي العَبَّاسِ أَضْحَى شِعَارُهُ ... وَلَيْسَ لَهُ... خُرَاسَانَ مسلمُ
صَمُوتٌ إِذَا أَمْسَى سَلِيماً لِسَانُهُ ... نَطُوقٌ إِذَا أَجْرَرْتَهُ مُتَكَلِّمُ
وَلَكِنْ مَهْمَا حُطَّ عَنْهُ لِثَامُهُ ... وَلَكِنْ فَصِيحٌ عِنْدَمَا يَتَلَثَّمُ
تَرَى بَاقِلاً مِنْهُ إِذَا كَانَ حَاسِراً ... وَتَنْظُرُ قُسّاً مِنْهُ وَهْوَ مُعَمَّمُ
وَإِنْ عِبْتَهُ بِالجَهْلِ فَاْلَمْ بِأَنَّهُ ... مَعَ الجَهْلِ... بِشُرْبِ المَاءِ أَعْلَمُ(١)
تَحَيَّلْتُ فِي إِظْهَارِهِ وَهْوَ مُضْمَرٌ ... وَحُمْتُ عَلَى إِيضَاحِهِ وَهْوَ مُبْهَمُ
فَلَمْ أُبْدِهِ بِالذِّكْرِ إِلَّا مُصَحَّفاً ... لِعِلْمِي وَإِنْ لَمْ أُبْدِ أَنَّكَ تَفْهَمُ

/٥٣أ/ وكتب إليه بعض أصدقائه من الشام. وكان أبو الفتح قد سافر إلىٰ البلاد العراقية، وأقام ببغداد وانقطعت أخبارُهُ بها يتشوقه ويحثُّه علىٰ المجيء إلىٰ البلاد الشاميَّة بهذه الأبيات: [من الطويل]

وَذِي عَزَمَاتٍ لَا تَكِلُّ سُيُوفُهُ ... وَإِنْ صَارَ لَا يَخْشَى الرَّدَى فِي المَنَازِلِ
وَإِنْ لَاحَ بَرْقٌ مِنْ بَرِيقِ سُيُوفِهِ ... فَمِنْ بَعْدِهِ رَعْدٌ كَثِيرُ الزَّلَازِلِ
وَقَالَ وَقَدْ طَالَتْ عَلَيْهِ سُنُونُهُ ... وَمَا عَاشَ إِلَّا بِالعَوَالِي العَوَامِلِ
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾ عَاجِلاً ... وَعَايَنْتَنَا بَيْنَ القَنَا وَالقَنَابِلِ(٢)
فَإِنِّي أُثِيرُ الحَرْبَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... وَأُظْهِرُ فِعْلِي فِي العِدَا وَالعَوَاذِلِ

فأجابه أبو الفتح بهذه الأبيات علىٰ الوزن والقافية: [من الطويل]

/٥٣ب/ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ يَا ذَا الفَضَائِلِ ... فَلَيْسَ لَهُ فِي حَوْزِهَا مِنْ مُمَاثِلِ
فَشَبَّهْتُهُ لَفْظاً وَخَطّاً تَسَمُّحاً ... بِسِمْطِ اللَّآلِي أَوْ بِرَوْضِ الخَمَائِلِ

= انظر: ديوانه ١٤.

(١) موضع النقاط بياض في الأصل.

(٢) سورة النصر، الآية ١، القنابل: الطوائف من الناس والخيل.

وَقَبَّلْتُهُ بَلْ كِدْتُ أمْحُو سُطُورَهُ   لفَرْطِ اشْتِيَاقِي بالدُّمُوعِ الهَوَامِلِ
وَقَفْتُ عَلَىٰ المَعْنَى الَّذِي قَدْ رَمَزْتَهُ   وُقُوفَ المُعَنَّىٰ فِي الرُّسُومِ المَوَاثِلِ
وَأُقْسِمُ يَا مَوْلَايَ لَوْ كُنْتُ قَادِراً   عَلَىٰ السَّعْيِ لَمْ أقْنَعْ بِخَطِّ أنَامِلِي
وَبِالرَّغْمِ مِنِّي أنْ يُسَلِّمَ بَعْضُنَا   عَلَىٰ بَعْضِنَا بِالْكُتْبِ أوْ بِالرَّسَائِلِ

وله في كتاب إلىٰ الملك المعظم شرف الدين عيسىٰ بن أبي بكر بن أيوب ـ صاحب دمشق ـ وقد غاب عن القُدس: [من السريع]

يَا مَلِكاً مَا زَالَ إنْعَامُهُ   فِي النَّاسِ مَعْقُولاً وَمَحْسُوسَا
غِبْتَ عَنِ القُدْسِ فَأوْحَشْتَهُ   وَإنْ غَدَا بِاسْمِكَ مَأنُوسَا
وَكَيْفَ لَا تُوحِشُ أرْجَاءَهُ   وَأنْتَ رُوحُ القُدْسِ يَا عِيسَىٰ

ومن كلامه المنثور قوله:

/ ٥٤أ/ «قتيلُ الجفون الفواتر، في سبيل حُبِّه، كقتيل السيوف البواتر في سبيل ربِّه؛ إلَّا أنَّ هذا يُغسَّل بدموعه، وهذا يُزمَّل بنجيعه، وهذا في حال حياته ميّتٌ يُرمق، وهذا في حال مماته حيٌّ يُرزَق».

[٨٦٦]

نصرُ الله بن يوسفَ بنِ أبي الفتحِ الكِنانيُّ، أبو الفتحِ.

من أهل الدِّيار المصرية.

وقع إلىٰ إربل من بلاد الشام متصرفًا علىٰ عهد مليكها العبد الفقير إلىٰ الله تعالىٰ أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ واستوطنها إلىٰ أنْ مات بها في ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمائة. وكان يكتب خطًّا حسنًا، وينظم شعراً مطبوعًا.

أنشدني الوزير الصاحبُ شرفُ الدين أبو البركات المبارك بن أحمد بن المبارك ابن موهوب المستوفي الإربلي بها ـ رضي الله عنه ـ في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني أبو الفتح نصر الله بن يوسف بن أبي الفتح الكناني المصري لنفسه:

[من الكامل]

/ ٥٤ب/ مَا هَذِهِ البِدَعُ الَّتِي قَدْ أُحْدِثَتْ   خُصَّتْ بِهَا دُونَ الوَرَىٰ الكُتَّابُ

قَامَتْ قِيَامَتُهُمْ وَلَمْ يَكُ وَقْتَهَا ... وَأَتَاهُمُ قَبْلَ الحِسَابِ عَذَابُ
مَا كَانَ ذَا إِلَّا تَوَهُّمَ مَا سَعَىٰ ... بِالنُّصْحِ وَهْوَ بِنُصْحِهِ كَذَّابُ
«مَا فَاتَهُمْ فِي كُلِّ مَا وُعِدُوا بِهِ ... فِي الحَشْرِ إِلَّا رَاحِمٌ وَهَّابُ»

هذا البيت لأبي الفتح ابن التعاويذي البغداذي مُضمَّنٌ[1].

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني نصر الله بن يوسف لنفسه: [من الكامل]

كَمْ ذَا أُعَلِّلُ بِالمُنَىٰ قَلْبِي ... حَسْبِي أَبْنُ يَمْكَ فِي الوَرَىٰ حَسْبِي
مَا بَعْدَهُ لِلْمُرْتَجِي أَمَلٌ ... وَقَفَ الرَّجَاءُ بِبَابِهِ الرَّحْبِ

وحدَّثني الأمير الكبير العالم ركن الدين أبو شجاع أحمد بن قرطايا بن عبد الله الإربلي ـ أسعدهُ الله ـ من لفظه وحفظه بإربل، قال: كان /٥٥أ/ لأبي الفتح نصر الله بن يوسف بن أبي الفتح الكناني صديق يهوديّ، فضمن من إنسان غريمًا ببدنه، فهرب ذلك المكفول إلىٰ بعض البلاد، فطُولب اليهودي به وبإحضاره، فعمل اليهودي محضراً؛ إن الغريم قد سكَن في بلد رجل خارجي ولا يمكنه الوصولُ إليه، ولا يقدر على إحضاره، وطَلب من أبي الفتح ومن جماعة أخر أنْ يضعوا خطوطهم بذلك، فوضعوا. فبلغَ الديوان العزيز قصّتهم فاعتقل أبو الفتح بهذا السبب. وكان بين [فخر الدين أبي الفضل أحمد خواندزه][2] ـ ولد الوزير مؤيد الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القميّ ـ وبين أبي الفتح معرفة؛ فكتب إليه بهذه /٥٥ب/ الأبيات، وأنشدنيها الأمير ركن الدين عن قائلها أبي الفتح: [من الطويل]

أَمَوْلَايَ فَخْرَ الدِّيْنِ حِلْمُكَ وَاسِعٌ ... وَعَدْلُكَ مَبْسُوطٌ وَمَازِلْتَ تُنْصِفُ
أَبِنْ لِي يَا ٱبْنَ الأَكْرَمِيْنَ قَضِيَّتِي ... فَقَدْ أَشْكَلَتْ وَالأَمْرُ عِنْدَكَ يُعْرَفُ
أُبِيْتُ وَقَدْ وَكَّلْتَ بِي وَالَّذِي جَنَىٰ ... يَنَامُ قَرِيْرَ العَيْنِ لا يَتَكَلَّفُ
وَمَا بَيْنَنَا إِلَّا يَسِيْرُ مَوَدَّةٍ ... إِذَا ٱزْدَحَمَتْ بَيْنَ المَوَدَّاتِ تَضْعُفُ
فَقَدْ ذَكَّرَتْنِي لَيْلَتِي بَيْتَ شَاعِرٍ ... شَكَا فِيهِ مَنْ يَشْكُو الصَّدِيْقَ وَيَعْطِفُ
«وَمَا ضَرَّنِي إِلَّا الَّذِيْنَ عَرَفْتُهُمْ ... جَزَىٰ اللهُ خَيْراً كُلَّ مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُ»

هذا البيت مضمَّن.

---

(١) البيت في ديوانه ص٤٨.
(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

[٨٦٧]

ناصحُ بنُ سعدِ بنِ ظَفَرٍ، أبو الشرفِ الكاتبُ المنشىءُ الأديبُ الكاوانيُّ.

وكاوان قرية من قرىٰ جرباذقان(١).

كان يكتب الإنشاء لطغرل بن أرسلان السلجقي ـ صاحب عراق العجم وبلاد أذربيجان وغيرها ـ وكان الغاية في علم الآداب وفنونها، حائزاً فضيلتي المنظوم والمنثور بالعربية والفارسية، علّامة زمانه، وواحد وقته في الفضائل، بلاغةً وتقدّمًا وتبريزاً وفهمًا؛ وديوان أشعاره ورسائله موجودان صارا إِليّ، وعلقتُ منهما ما هو غرض كتابي هذا من النظم والنثر.

أنشدني القاضي شمس الدين أبو حامد محمد بن أحمد بن أبي بكر الفقيه الشافعي الجرباذقاني بالموصل بالمدرسة البدرية المطلّة علىٰ دجلة من لفظه وحفظه، قال: أنشدني أبو الشرف ناصح بن سعد بن /٥٦ب/ ظفر الكاتب المنشىء الأديب الكاواني لنفسه: [من الكامل]

قُـــلْ لِلْعُـــذَيْـــبِ إِذَا رَأَيْـــتَ الضَّـــالاَ ... يَهْتَـــزُّ مِـــنْ مَـــرِّ النَّسِيْـــمِ شَمَـــالاَ

رَوَّاكَ مِـــنْ مَـــاءِ الغَمَـــامِ سُـــلاَفُـــهُ ... وَسَقَـــاكَ نَـــوْءُ المِـــرْزَمَيْـــنِ سِجَـــالاَ

ومنها في المديح ووصف المعسكر:

جِـــنٌ عَلَـــى جِـــنٍّ إِذَا ٱرْتَهَـــجَ الـــوَغَـــىٰ ... نَحْـــوَ العَـــدُوِّ يُبَـــارِزُ الأَبطَـــالاَ

شُـــوْسٌ إِذَا رَكِبُـــوا لِيَـــوْمِ كَـــرِيْهَـــةٍ ... تَـــرَكُـــوْا دِيَـــارَ عَـــدُوِّهِـــم أَطْـــلاَلاَ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني أبو الشرف الكاواني قوله من قصيدة مبدأُها:

[من الوافر]

---

(١) جرباذقان: بلدة قريبة من همذان، بينها وبين الكرج وأصبهان، كبيرة مشهورة. انظر: معجم البلدان/ مادة (جرباذقان).

جُيُوشُ الحُبِّ تَغْزُونِي سَرَايَا وَتَجْعَلُ مُهْجَتِي بَعْضَ السَّبَايَا
وَغَابَتْ يَوْمَ بَانُوا شَمْسُ عَيْشِي وَقِدْماً كَانَ طَلْعَتُهَا مُنَايَا
رَمَتْنَا مِنْ لَوَاحِظِهَا بِسَهْمٍ فَصَارَ ظُهُورُنَا مِثْلَ الحَنَايَا
سَرَىٰ بِحُمُولِهَا رَكْبٌ هَوَاهُمْ يَمَانِيٌّ فَرَافَقَهُمْ هَوَايَا
أَلَا يَا حَادِيَ الأَظْعَانِ مَهْلاً بِهِنَّ هُنَيْهَةً وَقْفَ المَطَايَا
/ ٥٧أ/ لَعَلِّي أَشْتَفِي مِنْهَا بِلَحْظٍ يُسَوِّغُ مَا شَرِقْتُ بِهِ شَجَايَا
فَتِلْكَ ضَعَائِنٌ رَحَلَتْ وَلَكِنْ هَوَىٰ قَلْبِي حَمَلْنَ عَلَى الحَوَايَا
تَفَرَّقْنَا وَقَلْبِي فِي انْصِدَاعٍ لَدَى الجَرْعَاءِ مَا بَيْنَ الشَّظَايَا
أَشَارَتْ لِلْوَدَاعِ بِكَسْرِ جَفْنٍ لَهُ وَقْعُ المَنَاصِلِ فِي حَشَايَا
وَهَزَّتْ لِلتَّثَنِّي رُمْحَ قَدٍّ قُلُوبُ العَاشِقِيْنَ لَهُ دَرَايَا
وَمَدَّتْ وَالرَّقِيبُ عَلَىٰ تَنَاءٍ يَداً عُضَّتْ بِأَطْرَافِ الثَّنَايَا
دُهِشْتُ تَحَيُّراً وَدَعَوْتُ سِرّاً أَلَا يَا رَبَّنَا احْفَظْهَا الأَيَا

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني أبو الشرف لنفسه: [من مجزوء الرجز]

هَبَّ نَسِيمُ الصَّبَا يَفْتُقُ نُوْرَ الرُّبَى
يَا صَاحِبَيَّ اشْرَبَا كَأْساً تُعِيْدُ الصِّبَا
بَعْدَ دَوَاعِي الهَرَمْ

***

غَرَّدَ فَوْقَ الأَرَاكْ حَمَامَةُ الأَيْكِ هَاكْ
مِنْ يَدِ سَاقٍ سَقَاكْ رَاحاً تُرِيْكَ السِّمَاكْ
تَحْتَ مَوَاطِي القَدَمْ

***

نَمْنَمَ نَوْءُ السَّحَابْ فَوْقَ مُتُوْنِ الهِضَابْ
/ ٥٧ب/ وَشْياً كَلَوْنِ الثِّيَابْ وَكَانَ صَحْنُ التُّرَابْ
تَذْكِرَةً مِنْ إِرَمْ

***

الغَيْـــمُ ممَّـــا سَـــرَىٰ يَمْنَـــحُ وَجْـــهَ الثَّـــرَىٰ
سَيْـــلاً حَكَـــىٰ إنْ جَـــرَىٰ كَـــفَّ إمَـــامِ الـــوَرَىٰ
فصَـــدْرِ صُـــدُوْرِ العَجَـــمْ

***

مُهَـــذَّبُ الـــدِّيْـــنِ مَـــنْ قَلَّـــدَ أهْـــلَ الـــزَّمَـــنْ
بِـــالجُـــوْدِ طَـــوْقَ المنَـــنْ هُنِّيْـــتَ يَـــا أبْـــنَ الحَسَـــنْ
إنَّـــكَ مَـــوْلَـــىٰ الأُمَـــمْ

***

قَـــدْ شَـــاعَ فِـــيْ العَـــالَـــمِ أنَّ أبَـــا القَـــاسِـــمِ
أرْبَـــىٰ عَلَـــىٰ حَـــاتِـــمِ بِـــالْكَـــرَمِ الـــدَّائِـــمِ
لاَ زَالَ طَـــوْدَ الكَـــرَمْ

***

وقال أيضًا، وهو مما نقلته من ديوان شعره: [من الطويل]

أيَـا فَـرْخَتَـيْ عُشِّـيْ ونُـوْرَيْ كَـرِيْمَتـيْ وَيَـا مُقْلَتَـيْ عَيْنـيْ وَيَـا فِلْـذَتَـيْ كَبْـدِي
لَقَـدْ زِدْتُمَـا يَـوْمَ الفِـرَاقِ كَـآبَتـيْ وَأجْـرَيْتُمَـا دَمْعَـيْ عَلَـىٰ سَحْنَتَـيْ خَـدِّيْ
وَأرَّثْتُمَـا فِـيْ القَلْـبِ نَـارَ صَبَـابَـةٍ يَضِيْـقُ بِهَـا صَدْرِيْ وَيَعْلُـوْ بِهَـا وَجْدِيْ[1]
«فَيَـا لَيْـتَ شِعْـرِيْ هَـلْ أبِيْتَـنَّ لَيْلَـةً» وَبَيْتُكُمَـا بَيْتـيْ وَمَغْنَـاكُمَـا عِنْـدِيْ
وَهَـلْ يَنْظُـرَنِّـيْ الـدَّهْـرُ حَتَّـىٰ أرَاكُمَـا وأُصْبِـحَ مِـنْ بُعْـدِ الـدِّيَـارِ عَلَـىٰ بُعْـدِ

/ ٥٨أ/ وقال أيضًا: [من البسيط]

يَـا رَبَّـةَ الخِـدْرِ إنْ تَنْسَـوْنَ صَاحِبَكُـمْ فَنَحْـنُ وَاللهِ لاَ نَنْسَـاكُـمُ أبَـدَا
وَلَـوْ رَأيْتُـمْ غَـدَاةَ الجَـزْعِ إذْ رَقَلَـتْ بِنَـا المَطِـيُّ إلَـىٰ نَـادِيْكُـمُ بَـدَدَا
حَيْـثُ التَقَيْنَـا إلَـىٰ بَطْحَـائِكُـمْ عَـرَضًـا وَلَـمْ نَجِـدْ ثَـمَّ مِـنْ أحْبَـابِنَـا أحَـدَا
فَيَـا لَهَـا عَبَـرَاتٍ أُذْرِفَـتْ صَبَبًـا وَيَـا لَهَـا زَفَـرَاتٍ أُرْسِلَـتْ صُعُـدَا

---

(١) أرث: أوقد.

وقال أيضًا: [من البسيط]

يَا جيرَتي بالعُذَيْبِ العَذْبِ مَوردُهُمْ ... لاَ أَوْحَشَ اللهُ مِنْكُمْ آخرَ الأَبَدِ
إِذَا تَنَسَّمْتُ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ أَحَداً ... فَقَدْ سَفَكْتُ دَمِي فِي هَجْرِكُمْ بِيَدِي
لاَ جَدَّدَ اللهُ فِي الأَيَّامِ يَوْمَ غَدٍ ... إِنْ لَمْ أُسَرَّ بِلُقْيَاكُمْ غَدَاةَ غَدِ

وقوله: [من الطويل]

أَقُولُ لِوَرْقَائَيْنِ فِي جُنْحِ لَيْلَةٍ ... تَنُوحَانِ فَوْقَ البَانِ تَصْطَحِبَانِ
خُذَا بِنَصِيبِ العَيْشِ مَا دُمْتُمَا مَعاً ... وَلاَ تَأْمَنَا مِنْ أَعْيُنِ الحَدَثَانِ
فَإِنَّ مَسَرَّاتِ القُلُوبِ عَلَى الفَتَى ... قَوَاضٍ وَسَاعَاتِ السُّرُورِ فَوَانِي

وقال أيضًا: [من الطويل]

/ ٥٨ب/ نَسِيمَ الصَّبَا إِنْ جِئْتَ أَرْضَ أَحِبَّتِي ... بِسِقْطِ اللِّوَى حُوشِيتَ طُرْقَ المَهَالِكِ
بِحَيْثُ قُلُوبُ العَاشِقِينَ تَزَاحَمَتْ ... فَضَاقَ عَلَى الغَادِينَ نَهْجُ المَسَالِكِ
فَقُلْ لِفَتَاةِ التَّيْمِ إِنَّ فَتَاكُمُ ... يَقُولُ: وَحَقِّ الوُدِّ يَا ابْنَةَ مَالِكِ
عَلَى شَاطِىءِ الوَادِي بِمُنْعَرِجِ اللِّوَى ... تَرَكْتُ فُؤَادِي فَاطْلُبِيهِ هُنَالِكِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

مَنْ ذَا الَّذِي بِكَ مَشْغُوفٌ مِنَ النَّاسِ ... نَجَا وَرَأْسُكَ مِنْ عَيْنَيْكَ بِالرَّاسِ
وَمَنْ تَجَرَّعَ كَأْساً فِي هَوَاكَ فَلَمْ ... يَغْتَصَّ بَعْدَ التِذَاذِ الكَأْسِ بِالكَاسِ
وَمَنْ شَفَتْهُ أَحَادِيثُ المُنَى عَلَلاً ... لَمْ يَنْصَرِفْ مِنْ كِلاَ خَدَّيْكَ بِاليَاسِ
جَالَتْ لِحَاظُكَ يَومَ البَيْنِ فِي جَلَدِي ... مَا لَمْ يَجُلْ فِي كُلَيْبٍ سَيْفُ جَسَّاسِ
يَا طُرَّةَ الشِّيحِ بِالخَلْصَاءِ شَوَّهَهَا ... يَدُ الصَّبَا طَالَ فِي ذِكْرَاكِ وَسْوَاسِي
أَهْدَى النَّعَامَى وَكَانَ البَيْنُ يُوحِشُنِي ... رَيَّاكِ لِي فَأَعَادَتْ بَعْضَ إِينَاسِي
أَغِيضُ مِنْ زَفَرَاتٍ كُلَّمَا نَسَمَتْ ... حِذَارَ أَنْ يَتَأَذَّى حُرُّ أَنْفَاسِي

وقال أيضًا: [من الكامل]

كَثُرَتْ هُمُومِي فِي الهَوَى وَتَمَادَتِ ... وَرَضِيتُ كَفِّي فِي الفِرَاقِ وِسَادَتِي
/ ٥٩أ/ وَاشْتَدَّ بِي بَرْحُ السَّقَامِ فَمَا عَلَيْهِ لَوْ أَتَى مُتَجَشِّماً لِعِيَادَتِي
أَعْطَيْتُهُ لِينَ المَقَادِ وَلَمْ أَكُنْ ... أُعْطِي [لَهُ] لَوْلاَهُ لِينَ مَقَادَتِي

هَجَرُوا وَلَمْ أَجْرَعْ كُؤُوسَ فِرَاقِهِمْ ... لَوْ كَانَ يُسْعِفُ فِي الزَّمَانِ إِرَادَتِي
يَا سَادَتِي كَمْ تَهْجُرُونَ مُتَيَّمًا ... قَادَ الغَرَامَ بِنَفْسِهِ فَانْقَادَتِ
إِنِّي وَحَقِّ اللهِ مَوْلًى فِيكُمْ ... عَطْفًا عَلَى مَوْلَاكُمُ يَا سَادَتِي

وقال أيضًا: [من الرمل]

إِنَّ أَحْبَابِي يَوْمَ افْتَرَقُوا ... بِالحِمَى لَمْ يَعْرِفُوا وَجْهَ الصَّوَابْ
أَصْبَحَ العُمْرُ قَصِيرًا بِهِمُ ... ضَيَّعُوهُ بَيْنَ عَتْبٍ وَعِتَابْ

وقال أيضًا: [من الكامل]

وَبِمُهْجَتِي مَنْ جَاءَنِي مُتَعَتِّبًا ... يَشْكُو النَّوَى مُغْرَوْرِقَ الأَجْفَانِ
وَالدَّمْعُ فِي خَدَّيْهِ يُنْظَمُ عِقْدُهُ ... كَالطَّلِّ فَوْقَ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ

وله أيضًا: [من البسيط]

إِنِّي لَمُهْدٍ عَلَى أَيْدِي الصَّبَا سَحَرًا ... مِنَ التَّحَايَا كَأَنْفَاسِ الرَّيَاحِينِ
وَكَامِنٌ طُولَ لَيْلِي فِي مَرَاصِدِهَا ... لَعَلَّهَا بِنَسِيمٍ مِنْكَ تَشْفِينِي

/ ٥٩ب/ وقال في مهذّب الدين أبي القاسم بن الحسن وقد آبَ من غيبته:

[من السريع]

أَهْلًا بِهَذَا القَمَرِ القَادِمِ ... وَمَرْحَبًا بِالمَطَرِ السَّاجِمِ
قَرَّتْ عُيُونُ النَّاسِ مِنْ مَقْدَمِ الصَّـ ... ـدْرِ الكَبِيرِ العَادِلِ العَالِمْ
مَوْلَى المَوَالِي السَّيِّدِ المُرْتَجَى ... مُهَذَّبِ الدِّينِ أَبِي القَاسِمِ
مَنْ يَدُهُ عِنْدَ احْتِبَاسِ النَّدَى ... تَخْلُفُ صَوْبَ المَطَرِ الدَّائِمِ
وَبَأْسُهُ عِنْدَ احْتِدَامِ الوَغَى ... يَهْشِمُ أَنْفَ الأَسَدِ الهَاشِمِ
وَوَجْهُهُ عِنْدَ ارْتِكَامِ الدُّجَى ... يَكْفِي ضِيَاءَ الكَوْكَبِ النَّاجِمِ
وَجُودُهُ ظِلٌّ بِلَا مِنَّةٍ ... يَسْعَى إِلَى القَاعِدِ وَالقَائِمِ
وَعَدْلُهُ بَيْنَ الوَرَى حَارِسٌ ... وَكُلٌّ بِاليَقْظَانِ وَالنَّائِمِ
لَوْ لَمْ يُلَاحِظْنِي إِقْبَالُهُ ... كُنْتُ صَرِيعَ الزَّمَنِ العَارِمِ
أَكْرَمَ قَدْرِي حِينَ صَادَفْتُهُ ... تَكْرِمَةَ المَخْدُومِ لِلْخَادِمِ
وَهَزَّ عِطْفَ الفَضْلِ لَمَّا رَأَى ... لَفْظِي يُجْرِي دُرَرَ النَّاظِمِ

/ ٦٠أ/ جَـرْبـاذَقَـانُ اليَـوْمَ مُـذْ حَلَّهـا أبلَـــجُ مثْـــلُ الـــذَّكَـــرِ الصَّـــارِمِ
جَنَّـــةُ خُلْـــدٍ فـــي بَسَـــاتِينِهَـــا يَبْســـمُ ثَغْـــرُ الـــزَّهَـــرِ البَـــاسِـــمِ
طَـــارَ عُقَـــابُ العَـــدْلِ فـــي جَـــوِّهِ يَفْقَـــأُ عَيْـــنَ الحَـــدَأ الظَّـــالِـــمِ
يَـــا سَيِّـــداً فـــي بَحْـــرِ إحْسَـــانِـــهِ مَـــاءٌ يُـــرَوِّي كَبِـــدَ الهَـــائِـــمِ
يَقْـــذِفُ لِلْـــوَافِـــدِ دُرّاً وَلاَ يَخْشَـــى عَلَيْـــهِ خَطَـــرَ العَـــائِـــمِ
لَيْـــسَ اعْتِصَـــامِـــي بِـــكَ إلاَّ [لِمَـــا] أعْلَـــمُ مَـــا غَيْـــرُكَ مِـــنْ عَـــاصِـــمِ
صَـــاحَبَـــكَ الإقْبَـــالُ مَـــا صَيْحَـــةٌ تُسْمَـــعُ لِلْصَـــادِحِ وَالبَـــاغِـــمِ

وقال في غلام معذر: [من الكامل]

كَتَـبَ الجَمَـالُ عَلَـى صَحِيفَـةِ خَـدِّهِ خَطّـاً فَلَقَّبَـهُ الـوُشَـاةُ عِـذَارا
خَـطٌّ يَـرُوقُ المُقْلَتَيْـنِ كَـأنَّـهُ خَـطُّ ابْـنِ مُقْلَـةَ يُـونِـقُ الأبْصَـارَا

وقوله في وصف الخمر: [من المتقارب]

إذَا مَـا مَـزَجْـتَ بِمَـاءِ الغَمَـامِ مُـدَامَـاً مُفَـرِّقَـةً لِلْهُمُـومْ
/ ٦٠ب/ فَسُقْهَـا إلـيَّ فَلَيْسَـتْ حَـرَامـاً عَلَـى ابْـنِ الكِـرَامِ بَنَـاتُ الكُـرُومْ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

قَـدْ طَـالَ سُقْمِـي وَمَـلَّ عُـوَّادِي وَأكْثَـرَ القَـوْلَ فِـيَّ حُسَّـادِي
فَقَـائِـلٌ قَـدْ خَبَـتْ بَـوَائِـرُهُ وَقَـائِـلٌ لَهْـفَ زِيْنَـةِ النَّـادِي
وَكُلُّهُـمْ عَـارِفٌ بِمَـرْتَبَتِـي بَيْنَهُـمُ فِـي رُؤُوسِ أشْهَـادِ
لاَ بَـأسَ أقْضِـي حُقُـوقَهُـمْ كَمَـلاً إنْ كَـانَ فِـي الأرْضِ بَـاقِيـاً زَادِي

وقوله أيضًا: [من الوافر]

سَقَـى أطْـلاَلَ عَـزَّةَ بَـاكِـرَاتٌ مِـنَ الأنْـوَاءِ تَضْحَـكُ ثُـمَّ تَبْكِـي
فَثَـمَّ رَوَاجِـحُ الأكْفَـالِ رُوْدٌ خَلَعْـتُ لأجْلِهِـنَّ ثِيَـابَ نُسْكِـي
إذَا نُشِـرَتْ ذَوَائِبُهُـنَّ غَـابَـتْ أيَـاةُ الشَّمْـسِ تَحْـتَ خِتَـامِ مِسْـكِ(١)

وقال وقد جاءه كتاب: [من الوافر]

(١) أياة الشمس: نورها وحسنها.

نَشَرْتُ كِتَابَكُمْ فَوَجَدْتُ نَشْرا ... يُجَدِّدُ رِيحُهُ لِلرُّوحِ نَشْرَا
وَلَمَّا أَنْ فَضَضْتُ لَهُ خِتَاماً ... تَضَوَّعَ يَمْلأُ الآفَاقَ عِطْرَا
/ ٦١أ/ وَحَاكَ بَنَانُ شَمْسِ الدِّيْنِ فِيْه ... رِيَاضاً أَطْلَعَتْ زَهْراً وَزُهْرَا
وَأَدْرَجَ ضِمْنَهَا لَفْظاً وَمَعْنًى ... لآلِىءُ فُصِّلَتْ نَظْماً وَنَثْرَا
فَأَوْلَيْنَا بِهَا بُشْرَى وَبِشْراً ... وَوَفَّيْنَا لَهَا حَمْداً وَشُكْرَا

وقال في غلام معذر: [من السريع]

قَالُوا: بَدَا فِيْ خَدِّهِ خُضْرَةٌ ... قُلْتُ: ضِيَاءُ النَّجْمِ فِيْ غَاسِقِ
ألآنَ أُخْتَصُّ بِهِ إِذْ غَدَا ... يَقْصُرُ عَنْهُ نَظَرُ الفَاسِقِ

وقال: [من الطويل]

وَقَالُوا: هَجَرْتَ الشِّعْرَ؟ قُلْتُ: لأَنَّنِيْ ... إِذَا قُلْتُ مَدْحاً كُنْتُ فِيْ القَوْلِ كَاذِبا
وَيَقْبُحُ بِيْ بَعْدَ المَشِيْبِ تَذَكُّرِيْ ... ذَوَائِبَ أَسْرَابِ المَهَا وَالتَّرَائِبَا
وَلَيْسَ بِذِيْ هُجْرٍ يَنَالُ لِسَانُهُ ... مِنَ النَاسِ أَوْ يُحْصِي لِعِرْضٍ مَعَائِبَا
فَأَوْلَى بِحَالِيْ أَنْ يُقَالَ: شُوَيْعِرٌ ... هَذَى مَا هَذَى دَهْراً فَأَصْبَحَ تَائِبَا

وقال: [من الطويل]

أَأَقْبَلُ ضَيْماً بَعْدَ مَا طَابَ فِيْ الوَرَى ... بِزَهْرَةِ آدَابِيْ رِيَاضُ المَشَاهِدِ
/ ٦١ب/ إِذاً لا رَأَتْ عَيْنِيْ وُجُوهَ مَآرِبِيْ ... وَلا سَمِعَتْ أُذْنِيْ غِنَاءَ المَحَامِدِ

وقال: [من الكامل]

لا تَحْسَبُوا هَجْرَ المَسَاكِنِ غُرْبَةً ... وَلا مِحْنَةً أَنْ يَشْتَكِيْ الرَّجُلُ الفَقْرَا
فَإِنَّ افْتِقَادَ المَرْءِ أَقْرَانَ عَصْرِهِ ... هِيَ الغُرْبَةُ العُظْمَى هِيَ المِحْنَةُ الكُبْرَى

وقوله يمدح: [من المنسرح]

يَا حَاتِمَ العَصْرِ فِيْ سَمَاحَتِهِ ... لَوْ كُنْتَ تَدْرِيْ مَوَاضِعَ النِّعَمِ
إِنَّكَ فِيْمَا تُنِيْلُ فِيْ نِعَمٍ ... لأَحْوَلُ الجُوْدِ أَعْوَرُ الكَرَمِ

وقال: [من الوافر]

أحِبُّ الأبطحيَّ وَصَاحِبَيْهِ ... وَحَافِدَهُ وَيُعْجِبُنِي عَلِيٌّ[1]
وَلَكنِّي بِحُبِّ الآلِ مُغْرًى ... كَمَا يُغْرَى بِمَوْلاَهُ الوَلِيُّ
فَإِنْ يَكُ نَاصِبِيٌّ رَافِضِيًا ... فَإِنِّي النَّاصِبِيُّ الرَّافِضِيُّ

وقال: [من الوافر]

يَمِيْنِي أحرمت شَلَّتْ يَمِيْنِي ... فَقَدْ. . . تَرْجَمَةَ اليَمِيْنِي[2]
قَمِيْنٌ أنْ أُلامَ عَلَى عَذَارَى ... زَفَفْتُ بِهَا إلَى غَيْرِ القَمِيْنِ
/ ٦٢أ/ فَوَا أسَفِي عَلَى زُهْرِ اللآلِي ... وَوَا أسَفِي عَلَى الدُّرِّ الثَّمِيْنِ

وقال: [من البسيط]

قُلْ لِلْكِرَامِ وُقِيْتُمْ صَرْفَ دَهْرِكُمُ ... فَالدَّهْرُ يَمْثُلُ فِي الدُّنْيَا بِأمْثَلِهَا
وَكَانَ يَجْعَلُ عَالِيْهَا كَسَافِلِهَا ... فَصَارَ يَجْعَلُ أعْلاَهَا كَأسْفَلِهَا

وقال: [من الرمل]

رُبَّ وَرْقَاءَ عَلَى الأَيْكِ تَغَنَّى ... سَحَرَتْ غُنَّتُهَا قَلْبًا مُعَنَّى
طَارَحَتْنِي بَعْدَ هَدْءٍ شَجْوَهَا ... كَحَزِيْنٍ وَهْيَ لاَ تُضْمِرُ حُزْنَا
مَا بُكَاهَا كَبُكَائِي إنَّنِي ... خَضِلُ الجَفْنِ وَلاَ تُخْضِلُ جَفْنَا
كُلَّمَا حَنَّتْ عَلَى أيْكَتِهَا ... حَنَّةً جَاوَبَهَا أوْرَقُ حَنَّا
لاَ عَفَا الرَّحْمَانُ عَنْهَا مَا جَنَتْ ... إنَّهَا هَاجَتْ فُؤَادًا مُطْمَئِنَّا
إنَّ لِلْعَاشِقِ قَلْبًا مُسْتَهَامًا ... كُلَّمَا أقْلَقَهُ الوَجْدُ أرَنَّا

وقال: [من البسيط]

أسْتَوْدِعُ اللهَ ذَاكَ العَارِضَ الهَطِلاَ ... وَأكْتَفِي كُلَّ مَكْرُوْهٍ بِهِ نَزَلاَ
فَقَدْ بَلَوْتُ بِهِ الدُّنْيَا بِأجْمَعِهِمْ ... فَلَمْ أجِدْ مِثْلَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلا
/ ٦٢ب/ أعْلاَهُمُ هِمَّةً أسْنَاهُمُ خَطَرًا ... أوْفَاهُمُ ذِمَّةً أزْكَاهُمُ عَمَلاَ
مَا زَارَهُ زَائِرٌ إلاَّ وَأوْسَعَهُ ... جُوْدًا وَلَمْ يُبْقِ مِنْ آمَالِهِ أمَلاَ
لَمَّا نَزَلْتُ ذُرَاهُ الرَّحْبَ أكْرَمَنِي ... فَزَادَهُ اللهُ إكْرَامًا بِمَا فَعَلاَ

---

(١) الحافد: ولد الولد.
(٢) موضع النقاط بياض في الأصل.

وهذه نُبَذٌ من كلامه المنثور، نقلتها من ديوان رسائله، فمن ذلك ما كتبه إلىٰ قاضي القضاة ركن الدين صاعد: [من الوافر]

جَنَابُكَ لِلْوَرَىٰ أَعْلَىٰ جَنَابِ ... وَبَابُكَ لِلْمُؤَمِّلِ خَيْرُ بَابِ
أَتَيْتُ ذُرَاكَ يَا مَوْلَايَ عَمْداً ... لأَنِّي لَيْسَ غَيْرُكَ فِي حَسَابِي
وَإِنِّي إِنْ كَبَا زَنْدُ اللَّيَالِي ... عَلَيَّ فَإِنَّ زَنْدَكَ غَيْرُ كَابِي
وَإِنَّ جَنَابَ أَرْضِي إِنْ نَبَا بِي ... فَإِنَّ جَنَابَ عِزِّكَ غَيْرُ نَابِي
وَمَا فَعَلَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مَهْمَا ... تَخِفُّ إِلَيْكَ إِخْفَافَ الرِّكَابِ

خادمُ مولانا ـ أدام الله ظلَّهُ ـ بالباب متشرفًا؛ بلثم التراب، ومقيمًا مراسيم الثناء، ولوازم الدعاء، منهيًا /٦٣أ/ إلىٰ الرأي العالي ـ أعلاهُ الله ـ أنه طالما كانت تناجيه نفسُهُ بالاستعداد بخدمة هذه السُدَّة العليّة، والانحصار في خادمي هذه الحضرة الزكيَّة؛ لكنه كُلَّما أقامه الأمل، أقعده الكسل، وإذا حرَّكته الدواعي الشائقة، قيدته الأسبابُ العائقة، فحرمه عن البحر الطامي، والغيث الهامي، ما كان يعتكف عليه من ثمد ركيّ، ويمتريه من ضرع بَكيّ، ويحترثه من زرع غير زكي، حتىٰ أزعجه عند تراكم الفتن المائرة، ونغصَهُ عليه المحن الثائرة التي صيَّرت الضِّياع نُهْزَةَ الضَّياع، والأملاك نُهْبَةَ الهلاك، والأموال عرضة الزوال.

وصار الكلام في الرُؤوس، ووقع الخطبُ في النفوس، ترك ما ملك سدًى، ونفض عما جمع يداً، ونجا بحشاشة نفسه وولده، واحتضن أفلاذ كبده؛ موائلاً إلىٰ الباب الرفيع، الذي هو كعبةُ الزُوَّار، ووجهةُ الأحرار، يتبوأُ ظلالَ نعَمه، ويرتدي أذيال كرمه. قدر /٦٣ب/ ما تُفْثَأُ قُدُورُ الأقدار، وريثما يؤولُ الأمر إلىٰ الفرار، فإنَّ منَّ المولىٰ ـ حرس الله ظلّه ـ عليه بسؤله، واسعفه بمأمولَه. كانت يداً واقعة في نصابها، ومنّةً مفرغةً في مصابها، مشكورة إلى آخر العُمر، موفورة الحمد مدى الدهر، والرأي أعلىٰ وأجل».

ومما كتبه إلىٰ بعض الصدور :

«نحنُ ـ أطال الله بقاء فلان ـ في زمن الحُرُّ في أهله غريب، في قومه قريب. لاسيما غربتان هما كربتان؛ غربةُ الفضل والبعد عن الوطن والأهل، والمجلس العالي ـ أدام الله علاه ـ وإنْ كان من آدابه بين ندامى وجلاّس، ومن خدّامه بين مراع ومُواس، لكنه إذا هدرت حمامة فضله لم يطارحها هديل، وإذا غرّدت صنَّاجة طبعه لم يعاونها رسيل، فإن أراد أنْ يضُمَّ إلىٰ خفيف أوزانه ثقيلاً، وإلىٰ عُلا شأنه عقيلاً، / ٦٤أ/ لزمته مساءَ صباحَ، وخدمته كما تخدم الأجسام الأرواح، ولي في ذلك الشرف الأعلىٰ، والسعادة العظمى، وللرأي مزيد العلو والرفعة : [من المنسرح]

لاَ جَعَلَ اللهُ مِنْكَ لِي بَدَلاً ... إنَّكَ مِنْ كُلِّ فَائِتٍ بَدَلُ
وَلاَ عَرَانِي بمهجةٍ ظَلَّ بِهَا ... يُرَاعَى وَيُجْبَرُ الخَلَلُ
لاَ يُوحِشُ الجَوَّ فَقْدُ كَوْكَبِهِ ... مَادَامَتِ الشَّمْسُ فِيهِ تَشْتَعِلُ

وكتب جواب رقعة وصلت إليه من عند بعض الكبراء :

«وصلت اللمعةُ الفلانيّة؛ كالروض رَقَّحَ واشيه، فرقَّ حواشيه، والحزن صَبَّ غواديه، صبغ واديه، مُغترفًا من اليم الخضّم نُطَفَهُ، ومخترقًا من سحوق الفضل لطفه، فتدرع الخادم بها حبَرَ الفخر، وتدرَّع بيُمنها إلىٰ ما يتمنَّاه، علىٰ الدهر غير واقف في جوابها موقف المُباراة، ولا ذاهبًا / ٦٤ب/ بنفسه في حلبة المُباهاة.

بيد أنَّهُ علّق تميمةً علىٰ نحرها، حين ضاق ذرعه عن مهرها، وهو أبداً رهين برِّها، رافلٌ في حُلل فخرها، والرأي العالي في إرخاء السُّترة السَّاترةَ، علىٰ هذه التحفة الظاهرة، علىٰ الداعي لأيامه، المنخرط في سلك خدامه أعلىٰ».

وقال فيه هذا الدوبيت :

قَدْ أَخْصَبَ مِنْ فَضْلِكَ وَادِيْ الشَّرَفِ ... وازْدَادَ هَوَاكَ فِي فُؤَادِ الشَّرَفِ

نَادَىٰ بِلِسَانِهِ مُنَادِيْ الشَّرَفِ　　　يَا رَبِّ أَطِلْ عُمْرَ عِمَادِ الشَّرَفِ

ومما كتبه إلىٰ مهذب الدين أبي القاسم:

«خادم مولانا حرس الله ظلاله، وأدام إقباله ـ يقبِّل تُراب الخدمة، ويُقيم صالح الدعوة، ويحمَد الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ ما سنَّىٰ له من جميل الهمم، ووالىٰ إليه من جزيل النعيم، ويتضرعُ / ٦٥أ/ إليه في إمهاء طول العُمر، إلىٰ أنْ يَمُنَّ عليه بالمثول بين يدي الصدر، مقبِّلاً أنامله التي هي مفاتيح الأرزاق، ومتأمّلاً شمائله التي هي مصابيح الكرم علىٰ الإطلاق؛ ومطفئًا بلقياه ناراً تتلهب بين الضلوع، ووجداً تنسكب به سوافح الدموع، فقد طالما يقيمه الشوق ويقعده، ويزعجه الأمل ويكمده، وهو عما يريدُ ممنوع، وبما يتمناهُ مفجوع، وإنه علىٰ ما به من ارتياح باب الأمنيّة، في الاستسعاد بتلك الطلعة البهيّة. يواظب علىٰ عقد كلل الدعاء حول مخيم ناديه، ويداوم علىٰ نسج حُلل الثناء مقطوعة علىٰ قدر معاليه، فأحسن الخدمة موقعًا ما تَشيه الأقلام، وتعيه الأيّام، وتداوله الألسنة، وتتناقله الأزمنة؛ فيكون حياةً بعد الحياة، ووقتًا بحسب انقضاء الأوقات، ويعرف إلىٰ الناس أنَّ سوق الأدب بعدُ رائجة، ولجّة الكرم وعلو الهمم هائجة مائجة. مادام مولانا ـ أعزّ الله أنصاره ـ في مسند الإقبال، ومنصب الجلال، عامراً ربْع / ٦٥ب/ الآداب، وآخذاً بضَبْع الكتابة والكتَّاب، يُؤتىٰ من كل صوب، ويقصدُ من كل أوب؛ لتوضع منه الممادح موضعها، وتقع عنه المحامد موقعها فيجلب إلىٰ حضرته العلية بضاعات النظم فيُغالى في استيامها، وتحمل إليه بلاغات النثر فيهُزُّ عطْفَيه لاغتنامها، ضاحكًا في وجه الوافد ثناياه، ومتهللاً بطلوع الزائر محيّاه:

[من الكامل]

كَذَبَ ابنُ فَاعِلَةٍ يَقُوْلُ بِجَهْلِهِ　　　مَاتَ الكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرزَقُ

وإلىٰ الله تعالىٰ الرغبة في إطالة بقاء الكرام بإطالة بقائه، وإدالة أهل الفضل بدوام دولته وعلائه، ما جاء بالماء سحاب، وعاد إلىٰ السماء شهاب، إنَّه ولي الإجابة، ولما عَرَفَ الخادم أنَّ الهمةَ العليّة ترتاحُ لمُطالعة الآداب، وتعتلق من فنون العلم بأقوى الأسباب، عضَّ إبهامَهُ أسفًا علىٰ ما كان عنده من أعلاق الكتب. أتىٰ الدَّهر علىٰ طارفها وتليدها، وغارت الأيام علىٰ ما كان من عتيدها.

/ ٦٦أ/ حتىٰ لم يبق إلاّ الرتج القليل، الذي لو خدم تلك الحضرة العالية، بجميع أعدادها كان كالنملة حملت إلىٰ سليمان رِجْلَ[1] جرادها، لكنه رأىٰ الضِّنَّة بالموجود أشدَّ الضِّنَن، وسخاء الرجل بما ملك من أسدِّ السُّنن، فخدم الحضرة أعلاها الله بهذه المجلدات، وهي كذا وكذا، فالعالي العالي في إسبال ذيل العفو علىٰ ما يتجاسر به الخادم، ويرتكبه من الاسترسال إلىٰ ما يليق بالخدم إلاَّ إلىٰ ذوي الكرم، قرين العلوِّ والرفعة».

وكتب إلىٰ بعض الأفاضل جوابًا عن كتاب وَرَدَ عليه منه:

«سلام الله ـ تعالىٰ ـ وهو خيرُ ما يُعلَّقُ علىٰ هوادج الرياح، ويفتق بنسيمه نوافجَ الأرواح، ويُحيى به محيًّا الأحباب، ويضمّن هداياه طيّ الكتاب، علىٰ فلان ولازالت مجامرُ أنفاسه تَفْغَمُ المَنافس، وتُرغم المُنافس. وجواهر ألفاظه / ٦٦ب/ تعمرُ المُجالس، وتَغمُرُ المُجالس، ورياضَ الأدب بأزاهير نُطقه مونقةً، وحياض الكرم بنمير خُلقه متدفِّقة، ما طَرَّ شارب فرع، ودرَّ حالبُ ضرْع، ورقرق بالماء سحاب، وأشرق في السماء شِهاب، وفرَّق بالصّياح غراب، ورق للصباح جِلباب بمحمد وعترته.

(١) الرِجل: القطعة العظيمة من الجراد.

وبعدُ: فقد وصل كتابُهُ الذي كان بُرجًا يُطلعُ نَيِّرَي النظم والنثر، ودُرجًا يجمع جوهري الخُطَب والشعر، كلا علْقَيْه ثمين، وكلتا يديه يمين، وكلاهما بالثناء قَمِيْن، إنْ ٱغتُرستْ فرَنْدٌ وَعَرَارٌ، وإن اقتُبست فَمَرْخٌ وعَفَار، سَعْدَان كَلاهما في المراعي سعدان ووردان، هما للصّادي صداوان وعينان تجريان كدجلة والفرات، وقَيْنتان يُغنيان بما يُحيي الأموات، ويجمع بين العظام والرُّفات. لم أرَ قطّ مثله فظًا جُلُّهُ فوائد، بل كلُّه فرائد. حروفه ظروفُ الظَّرْف، وسطوره جلاء الطَّرْف وصليّ[1] العَرْف كالعقل كلُّه /٦٧أ/ نورٌ والعلم لا يحله زور فتاة لها صَبَاحَه، ومشكاةٌ فيها نور مصباحه. يرتكض فيه بحر نشيط في بحر بسيط، ونثرٌ يعترض منه نور عريض في روض أريض؛ فيا له من سفْر سافر، من بحر الأدب وَبرِّه، وأسفر عن شمس الكرم وبدره، وصَرْصر فيها باز يبيضُ في العَيُّوق، ويَفرِّخ ببيض الأَنُوق، بل حاكه بحرٌ من البحار، وحَبْر من الأحبار، وصدرٌ من المصطفَين الأخيار، يغترف من بحر أسخىٰ من حاتم، وابائي[2] من حنيف الحناتم، وينطق بلسان أجرىٰ من السيل تحت الليل، وأمضىٰ من الترك فوق الخيل، وأحلىٰ من الخمرة بزلال، وأصلىٰ من الجمر في الاشتعال:

[من الكامل]

وَحَدِيثُهَا كَالرَّعْدِ يَسْمَعُهُ ... رَاعِي سِنِينَ تَتَابَعَت جَدْبَا
فَيُصِيخُ مُسْتَمِعًا لِدِرَّتِهِ ... وَيَقُولُ مِنْ طَرَبٍ هَيَا رَبَّا

وكان موقعه منّي موقع عَوْد الولد النَّدْب، بعد الغيبة، والجَوْد إلىٰ البلد الجَدْب عَقيْبَ الخيبة، وحَلَّ محلَّ النُّور في الأحداق، /٦٧ب/ والشهد في الأشداق، والنوم في الآماق، والوصل إِثْرَ الفراق.

(١) الصليّ: مدَق الطِّيب.
(٢) كذا في الأصل.

بَيْدَ أنّي لمَّا هُزِزتُ بخطابه في قرن جوابه، كدت أتخذ الليل جملاً، والباطل دَغَلاً، وأستر تحت الظلام، وألوذ إلىٰ الإنهزام، وقلت: يا فلان هذا أجل من الحرش، واين الوَبْلُ من الرَّشِّ؟ لا تَتعرَّض لارتجاله فلست من رجاله، تبيّن رويداً ما أمامه من هند هو ساط بأسواط، سابق بأشواط، وأنت عاط بغير أنواط، فاللهَ اللهَ في الاحتياط. [من البسيط]

فَـابْـنُ اللَّبُـوْنِ إذَا مَـا لُـزَّ فِـيْ قَـرَنٍ ... لَـمْ يَسْتَطِـعْ صَـوْلَـةَ البُـزْلِ القَنَـاعِيْـسِ

ثم تجلَّدت بعد ما تبلَّدتُ وصرتُ: [من الوافر]

أَقُـوْلُ لَهَـا وَقَـدْ طَـارَتْ شَعَـاعـاً ... مِـنَ الأَبطَـالِ وَيْحَـكِ لَـنْ تُـرَاعِـيْ

ولا زلتُ أفتل في ذروتها وغاربها كالمُرَاعي حتّىٰ أَسْمَحَ قَرُوْنُها(1) بعد ما جَمَحَ حَرُونُها؛ وَلَانَ قيادُها بعد ما بانَ عنادُها، وقالت: الآن وقد غشاني الضَّنى، فقلت: [من المنسرح]

قَـدْ كُنْـتِ قَبْـلَ البُكَـاءِ عَـابِسَـةً

لكن الفحل يحمي /١٦٨أ/ شَوْلَهُ معقولاً، والمرء يحمل سيفَه وإن لم يكن مصقولاً؛ إذ لا كُلُّ بحر موَّاج، ولا كُلُّ غيم ثجّاج، ولا كُلُّ طَرف همْلَاج، ولا كُلَّ خطيب سراَج. إنْ لم تجد لي صافيةً ممزوجة، وإنْ لم تَسلكي فمخلوجة، ليسَ عليك إلاَّ مالك، والسخيّ بمالك هذا هذا.

ثم يا مولاي! كيف أنت وحالك؟ وفي أي ربْع مجالك. سمعت أنك تنظُرُ في أمر القضاء، فهل بعين الرضاء، وتزكّي فهل تجد من يزكىٰ من غير أنْ تلكا، وأنت في أشغر بلدٍ، وقومٍ ما زكا منهم من أحد.

(1) أسمح قرونها: ذلّت نفسه.

أما أنا فعندي الجلوس في بيت المجوس، بل القعود في حُشِّ اليهود، بل لبوس أثواب المحن بالجلوس علىٰ أبواب الشحن، أهون من الإغضاء علىٰ فضائح القضاء، والهجوع علىٰ الجوع، أو القناعة بالقنوع، أو الزراعة بالدموع خير من ضروب الرُّشا وإنْ هي ثروب، وكثبًا فالدُّرَّة في نحر الأَمَة ضائعة، والحُرَّة لا تأكل بثدييها وإنْ هي جائعة؛ لاسيما حيث درْهَمُ الوقاحة أرْوَجُ من دينار الفصاحة، وهَرَاشُ الوكلاء أرجحُ وأنجحُ مَن قُماش /٦٨ب/ الفُضلاء والكلاب جِياع، والضِّياع إلىٰ ضَياع، وسحاب الحقّ خُلّب، وغلَبَ الباطل غُلَّب، وتدمىٰ الأَنداءُ بأنامل الحلب، والمُحبُّ يشقىٰ بكُل حُوَّل قُلَّب، وسوق العالم إلىٰ الكساد، وأساس الأمر علىٰ الفساد، وأملاك المسلمين علىٰ المزَاد، وأموال اليتامىٰ نهب، وحقوق الأيامىٰ سلب، والحمير تمتعر، والجحيم تستعر:

[من الخفيف]

فِي قُضَاةٍ مِنَ الصَّوَابِ قُضَاةٌ ... وَعُدُوْلٍ عَنِ الصَّلَاحِ عُدُوْلُ

فوقاك الله شرّ ذلك اليوم، وضُرَّ ذلك القوم، وجعل لك مخرجًا من حيث لا تحتسب، وساقك إلىٰ ما يرضيه فيما تكتسب، وأعاذنا وإياك من القَرار مع الأشرار، وضمّ الأزرار علىٰ الأوزار، وكشف الإزار عن العوار، وجعلنا من الأتقياء الأبرار بمحمد النبي وآله الأخيار».

ورسائله كثيرة، والذي أوردنا منها فيه كفاية وغنًى.

[٨٦٨]

ناهضُ بنُ إدريسَ الواداشيُّ.

ينسب إلىٰ وادآش من أعمال غرناطة.

كان شاعر قُطْرِه، أشعر من ذُكر في عصره، يقول في السيد أبي يحيىٰ:

[من الطويل]

أَلَا حَبَّذَا القَصْرُ الَّذِيْ ٱرْتَفَعَتْ بِهِ ... عَلَىٰ المَاءِ مِنْ تَحْتِ الحِجَارَةِ أَقْوَاسُ

هُوَ المَصْنَعُ الأَعْلَىٰ الَّذِيْ أَنِفَ الثَّرَىٰ ... وَرَفَّعَهُ عَنْ لَثْمِهِ المَجْدُ وَالبَاسُ

فَأُرْكُبَ مَتْنَ النَّهْرِ عِزّاً وَرِفْعَةً وَفِي مَوْضِعِ الأَقْدَامِ لاَ يُوجَدُ الرَّاسُ
فَلاَ زَالَ مَعْمُورَ الجَنَابِ وَبَابُهُ يَغَصُّ وحَافِي أُفْقِهِ الدَّهْرَ أَعْرَاسُ

[٨٦٩]

نبأُ بنُ أبي غانمِ بن حُسينِ بنِ عبدِ السيدِ، أبو المعالي، المعروفُ بابنِ الزعفرانيِّ اليهوديُّ.

من أهل حلب، ومن أربابها المتصرّفين في الأعمال السلطانيَّة. وقد خدم مُتصرّفًا في ديوان حلب سنين متعددة. وكان أعرف أهل ملَّته بالتصرُّف وعلم القوانين الديوانية، ورُسُوم القواعد الحُسبانيَّة، والإطلاع على غَوامضها.

وكانت وفاته في يوم الإثنين خامس رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة. وكان مولده في سنة تسع وسبعين /٦٩ب/ وخمسمائة.

وكان حسن الخطّ، شاعراً متوسط القول، نظم أشعاراً كثيرة في فنون متعدّدة. وكانت به لُكنةٌ في لسانه؛ وإذا أراد أنْ يُعبّر عن ما في ضميره عجز ولم يستطع إداءَ ما فيه، وله أرجوزةٌ طبيَّةٌ سمّاها «تذكرة اللبيب وتبصرة الطبيب»، وعمل أرجوزةً نحويّةً لقبها «سُنَن الإعراب في سَنَن الأعراب». وامتدح الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد المولىٰ الحلبي بها الكاتب المنشىء من لفظه، قال: أنشدني أبو المعالي نبأ بن أبي غانم بن حسين بن عبد السيد ابن الزعفراني لنفسه: [من الخفيف]

رَقَّ قَلْبُ العَدُوِّ مِمَّا أُقَاسِي وَرَثَىٰ لِي وَأَنْتَ قَلْبُكَ قَاسِي
يَا بَدِيعَ الصِّفَاتِ غَيْرُ بَدِيعِ هَلْ تُجَازِي مَوَدَّتِي أَوْ تُوَاسِي
مَا عَلَىٰ مَنْ تَمَلَّكَ النَّاسَ رِقّاً لَوْ رَعَىٰ فِي الهَوَىٰ قُلُوبَ النَّاسِ
رَشَأٌ لَوْ رَآهُ يُوسُفُ أَضْحَىٰ لَهِجًا بِالغَرَامِ وَالوَسْوَاسِ
/١٧٠/ لاَ تَقِسْ حُسْنَهُ إِلَىٰ يُوسُفَ الحُسْـ ـنِ يَمِينًا مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قِيَاسِ
حَبَّذَا حَبَّذَا زَمَانٌ تَقَضَّىٰ فِي هَوَىٰ نَجْلِ قَيْصَرِ البَانِيَاسِي
بِلِحَاظٍ كَأَنَّهَا أُسْدُ غَابٍ خَدَرَتْ فِي جُفُونِ ظَبْيٍ كِنَاسِ

وَجَبِيْنٍ كَالصُّبْحِ تَحْتَ دُجَى الشَّعْرِ   وَخَدٍّ كَالْوَرْدِ بَيْنَ الآسِ
وَرُضَابٍ كَأَنَّهُ نُطْفُ الرَّا   حِ وَثَغْرٍ حَكَىٰ حَبَابَ الكَاسِ
نَاحِلِ الْخَصْرِ قَدْ حَكَىٰ بِنُحُوْلِي   فِي هَوَاهُ فَلَيْتَ لِي مِنْهُ آسِي
هُوَ نَارِي وَجَنَّتِي وَنَعِيْمِي   وَشَقَائِي وَصِحَّتِي وَانْتِكَاسِي
لَوْ تَهَيَّا بِأَنْ يَبِيْتَ نَدِيْمِي   فُزْتُ فِي خَلْوَتِي بِهِ وَاخْتِلاَسِي

وقال أيضًا يستدعي صديقًا له: [من البسيط]

أَمَا تَرَىٰ اليَوْمَ بَادِيْ الطَّلِّ والدَّمَقِ   وَمطْرَفَ الدَّجْنِ قَدْ غَشَّىٰ سَنَى الأُفُقِ
فَقُمْ بِنَا نجْتَلِيْهَا فِيْ زُجَاجَتِهَا   صَفْرَاءَ كَالشَّمْسِ أَوْ حَمْرَاءَ كَالشَّفَقِ
فَنَحْنُ فِيْ مَجْلِسٍ زَاهٍ وَعَبْهَرُهُ   سَاهٍ وَسَاقِيْهِ مِثْلُ الشَّادِنِ الخَرِقِ
محْمَرُ نَارنْجِهِ يَحْكِيْ الخُدُوْدَ وَفِيْ   تَحْدِيْقِ نَرْجِسِهِ مَعْنًى مِنَ الحَدَقِ
/ ٧٠ ب/ وَقَهْوَةٍ عُتِّقَتْ حَتَّىٰ أَضَرَّ بِهَا   مَرُّ السِّنِيْنَ فَمَا أَبْقَىٰ سِوَىٰ رَمَقِ
يُذْكِيْ لَهَا المَاءُ نَشْراً بِالمِزَاجِ كَمَا   يُذْكِيْ لَظَىٰ النارِ نَشْرَ المَنْدَلِ العَبِقِ
فَخِلْتُ كَفِّي خَضِيْباً حِيْنَ لاَمَسَهَا   وَخِلْتُهَا نَارَ عِيْسَىٰ لَيْلَةَ الصَّدَقِ

وقال في المعنىٰ: [من الوافر]

بِعَيْشِكَ قُمْ إِلَىٰ حَثِّ الكُؤُوْسِ   فَإِنَّ العَيْشَ شُرْبُ الخَنْدَرِيْسِ
وَلاَ تُطِعِ اللَّوَاحِيْ فِيْ مُدَامٍ   تَدُوْمُ بِهَا مَسَرَّاتُ النُّفُوْسِ

وقوله في يوم ثلج يحثّ علىٰ الشرب: [من مجزوء الكامل]

قُمْ وَافْتَرِعْ بِكْرَ الطِّلا   وَاسْتَجْلِ كَاسَاتِ العُقَارِ
فَالْيَوْمُ يَوْمٌ أَبْيَضٌ   يَدْعُو إِلَىٰ خَلْعِ العِذَارِ
وَمَبَاسِمُ الإِطْرَابِ فِيـ   ـهِ لِطَشِّهِ ذَاتُ افْتِرَارِ(١)
وَالثَّلْجُ قَدْ غَطَّىٰ الرُّبَىٰ   وَالجَوُّ مُبْيَضُّ الأَزَارِ
وَتَخَالُهُ مُتَسَاقِطاً   كَالنُّوْرِ أَسْرَعَ فِيْ انْتِشَارِ
فَذَرِ الوَقَارَ فَتَرْكُهُ   فِيْ شُرْبِهَا عَيْنُ الوَقَارِ

(١) الطش: المطر الضعيف.

/ ١٧١أ/ لاَ عَيْشَ إلاَّ فِيْ اجْتِمَا ... عِ الشَّمْلِ بِالكَأْسِ المُدَارِ

وقال يستدعي صديقًا في زمن الربيع إلىٰ روضة: [من الكامل]

يَا صَاحِ قُمْ وَاسْتَجْلِ بِكْرَ مُدَامَةٍ ... تُهْدِيْ إِلَيْكَ غَرَائِبَ الأَفْرَاحِ
وَاجْمَعْ بِهَا شَمْلَ السُّرُوْرِ فَيَوْمُنَا ... يَوْمٌ بِهِ قَدْ طَابَ شُرْبُ الرَّاحِ
وَالرَّوْضُ قَدْ رَقَمَ الرَّبِيْعُ بِسَاطَهُ ... بِوَشَائِعٍ مِنْ سَوْسَنٍ وَأُقَاحِ
وَمُدِيْرُهَا قَمَرٌ مُنِيْرٌ قَدْ زَهَتْ ... وَجَنَاتُهُ بِالآسِ وَالتُّفَّاحِ
وَكَأَنَّ طِيْبَ مَذَاقِهَا مِنْ رِيْقِهِ ... وَحَبَابَهَا مِنْ ثَغْرِهِ الوَضَّاحِ

وقال في مثله: [من الوافر]

بِعَيْشِكَ قُمْ لِنَسْتَجْلِيْ العُقَارَا ... فَفِيْ ذَا اليَوْمِ حُقَّ بِأَنْ تُدَارَا
وَصِلْ عَجِلاً فَيَوْمُكَ يَوْمُ ثَلْجٍ ... بِهِ وَجْهُ البَسِيْطَةِ قَدْ تَوَارَىٰ
كَأَنَّ سُقُوْطَهُ نُوَّارُ دَوْحٍ ... تُثِيْرُ يَدُ الرِّيَاحِ لَهُ نِثَارَا

وقال في المعنىٰ: [من الوافر]

لِمِثْلِ اليَومِ تُدَّخَرُ العُقَارُ ... فَدُوْنَكَ شُرْبَ كَاسَاتٍ تُدَارُ
/ ١٤٢/ وَبَادِرْ بِالمَسَرَّةِ غَيْرَ وَانٍ ... فَمَا أَوْقَاتُهَا إلاّ قِصَارُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

أَدِرْ يَا صَاحِبِيْ كَأْسَ المُدَامِ ... فَشُرْبُ الرَّاحِ مِنْ شِيَمِ الكِرَامِ
وَلاَ تَحْبِسْ كُؤُوْسَكَ عَنْ مَشُوْقٍ ... إِلَىٰ لُقْيَاكَ صَبٍّ مُسْتَهَامِ
فَقُمْ وَاسْتَجْلِهَا فِيْ يَوْمِ ثَلْجٍ ... حَبَاكَ بِدُرِّهِ دَرُّ الغَمَامِ
إِذَا نَثَرَ اللُّجَيْنَ الجَوُّ بَادِرْ ... بِتِبْرِ الرَّاحِ فِيْ حُسْنِ التِئَامِ
إِذَا مُزِجَتْ تَرَىٰ شَمْسًا عَلَيْهَا ... كَوَاكِبُ فِيْ يَدَيْ بَدْرِ التَّمَامِ

وقال يصف الخلاف: [من الوافر]

وَزَائِرَةٍ لَهَا أَرَجٌ ذَكِيٌّ ... تَزُوْرُكَ بُرْهَةً فِيْ كُلِّ عَامِ
تُبَشِّرُ بِالرَّبِيْعِ وَقَدْ تَرَاهَا ... تَهَادَىٰ عِنْدَ كَاسَاتِ المُدَامِ
لَهَا وَبَرٌ عَلَىٰ جِسْمٍ ضَئِيْلٍ ... بِلاَ لَحْمٍ يُحَسُّ وَلاَ عِظَامِ

وقال أيضًا مما عمله بأسعرد: [من الطويل]

بعَيْشِكَ صَفْ لي غَيْرَ وَان فَيومُنَا ... كبَهْجَتِه يَدْعُو إلَى اللّهو وَالقَصْف
/ ٧٢أ/ وَمَجْلسُنَا زَاه أنيقٌ وَخَمْرُنَا ... عَتيقٌ كلَوْن التِّبْر في غَايَة اللُّطْف
وَنُدْمَانُنَا أُخْوَانُ صدْق كَأنَّهُم ... نُجُومُ سَمَاء قَدْ جُبلْنَ عَلَى الظَّرْف
وَقَدْ حَرَّكَ الشَّادي المَثَانيَ وَقَدْ شَدَا ... فَمنْ طَرَب يُحْيي النُّفُوسَ وَمِنْ عَزْف
وَطَافَ بَشَمْس الرَّاح سَاق مُتَرَّكٌ ... كَبَدْر الدُّجَى حُسْنًا يَجلُّ عَن الوَصْف
فَإنْ زُرْتَنَا تَمَّ السُّرُوْرُ وَإنْ تَغبْ ... يَعُدْ صَفْوُ هَذَا العَيْش رَنْقًا بلاَ خُلْف

ومما عمله في صدر كتاب: [من البسيط]

يَا أبعَدَ اللهُ أيَّامَ البعَاد لَقَدْ ... جُرِّعْتُ منْهَا كُؤُوسَ العَلْقَم الصَّبر
يُحَاربُ الشَّوْقُ قَلْبي ثُمَّ يَنْجدُهُ ... جَيْشُ الأَسَى وَكَمينُ الهَمِّ وَالفكَر
يَا شَوْقُ حَسْبُكَ مَا أبقَيْتَ لي جَلَداً ... وَيَا حَنينُ لَقَدْ أفْنَيْتَ مُصْطَبَري

وقال عتبًا في صدر كتاب: [من الطويل]

أخلاَّيَ غبْنَا عَنْكُمُ فَنَسيْتُمُ ... مَوَدَّتَنَا مَا هَكَذَا سُنَّةُ الوُدِّ
وَأشْبَهْتُمُ أهْلَ السَّفينَة في الوَفَا ... فَمُنْذُ افْتَرَقْنَا مَا أقَمْتُمْ عَلَى عَهْد
وَكَمْ رُمْتُ مَذْقَ الوُدِّ غَيْظًا عَلَيْكُمُ ... فَلَمْ أرَ عَنْ صدْق المَوَدَّة منْ بُدِّ
/ ٧٢ب/ أمَا وَصَفَاء الوُدِّ لاَ حُلْتُ عَنْكُمُ ... وَلاَ خُنْتُكُمْ مَا عشْتُ في القُرْبَ وَالبُعْد

وقال أيضًا يستهدي نبيذاً: [من مجزوء الكامل]

ذَهَبَ الشَّبَابُ فَلَسْتُ أطْـ ... ـمَعُ في مُرَاجَعَة الشَّبَاب
وَالشَّيْخُ لاَ يُلْهيْه عَنْ ... عَصْر الشَّبَاب سوَى الشَّبَاب
وَالرَّاحُ أنْفَعُ للْمَشَا ... يخ في الشّتَاء منَ الجبَاب
تَغْنَى بضَوْء الكَأس إنْ ... مُزجَتْ بلَيْل عَنْ شهَاب
وَتُرِيْكَ تبْراً في لُجَيْـ ... ـن تَحْتَ دُرٍّ منْ حَبَاب
فَعَسَاكَ تُحْيينيْ بهَا ... فَتُميْتَ همِّي وَاكْتئَابي

وقال أيضًا: [من المجتث]

مَا للْهُمُوْم دَوَاءٌ ... سوَى كُؤُوس المُدَام
كَمْ قَدْ نَفَتْ منْ هُمُوْمٍ ... وَكَمْ شَفَتْ منْ سَقَام

إنْ حَرَّمُوهَا فَشُرْبُ الدِّ ... مَاءِ غَيْرُ حَرَامِ

وله يستهدي نبيذاً: [من الكامل]

/١٧٣أ/ خَلَت الدِّنَانُ منَ المُدَامِ فَلاَ تَسَلْ ... عَنْ حَالِ عَبْدِكَ بَعْدَ عُدْمِ الرَّاحِ
كَانَتْ بِهَا أفْرَاحُهُ مَوْصُولَةً ... وَاليَوْمُ مَوْقُوفٌ عَلَى الأَتْرَاحِ
كَانَتْ مَجَالِسُ أنْسِهِ مَأْهُولَةً ... فَاسْتَوْحَشَتْ وَخَلَتْ مِنَ الأَفْرَاحِ
كَانَتْ تُضِيءُ بِهَا الكُؤُوسُ فَأَصْبَحَتْ ... مِثْلَ المَحَابِرِ ظُلْمَةُ الأَقْدَاحِ
قَدْ مَسَّهُ ظَمَأٌ فَهَلْ مِنْ نَاقِعٍ ... بِالرَّاحِ غُلَّةَ حَائِمٍ مُلْتَاحِ

ومما عمله في المعنىٰ: [من الكامل]

لَوْ كَانَ أَصْحَبَ بَعْدَ طُولِ شِمَاسِ ... أمَلِي حَظِيتُ بِعُشْرَةِ الأَكْيَاسِ
عَزَّ المُدَامُ وَكَانَ أكْرَمَ صَاحِبٍ ... يُهْدِي السُّرُورَ إلَىٰ قُلُوبِ النَّاسِ
يَقْضِي بِجَمْعِ الشَّمْلِ بَعْدَ شَتَاتِهِ ... وَيَكَادُ يَعْطِفُ كُلَّ قَلْبٍ قَاسِي
لله مَا أَحْلَى مَجَالِسَ لَهْوِنَا ... فِيهِ بِحُسْنِ تَآلُفِ الجُلاَّسِ
خَلَتِ الدِّنَانُ وَكُنَّ مِنْهُ أوَاهِلاً ... فَرَجَعْنَ مِثْلَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ
إنَّ الرَّضِيعَ يَنَالُ عِنْدَ فِطَامِهِ أَلَمًا ... وَلاَ سِيَمَا رَضِيعُ الكَاسِ

وله في المعنىٰ: [من البسيط]

/١٧٣ب/ هَلاَّ صَرَفْتَ بِصِرْفِ الرَّاحِ يَا صَاحِ ... هُمُومَ صَبٍّ إلَيْهَا جِدَّ مُرْتَاحِ
قَدْ أعْوَزَتْهُ وَهَلْ عَيْشٌ لِمُكْتَئِبٍ ... يَعْتَاضُ بِالدَّمْعِ عَنْ مَشْمُولَةِ الرَّاحِ
دِنَانُهُ خَاوِيَاتٌ كَالصُّدُورِ نَأَتْ ... عَنْهَا القُلُوبُ فَمَا تَعْبَا بِمُلْتَاحِ
لَوْ نَابَ عَنْهَا دَمٌ أجْرَيْتُ مِنْ شَغَفٍ ... دَمِي وَدَارَتْ بِهِ لِلشَّرْبِ أقْدَاحِي

ومما عمله في صدر كتاب: [من الطويل]

تَمَنَّيْتُ أنْ أجْلُو بِرُؤْيَاكَ نَاظِرِي ... وَأنْ يَشْتَفِي قَلْبِي مِنَ البُعْدِ بِالقُرْبِ
فَمَا بَلَغَتْ نَفْسِي المُنَىٰ فَتَعَلَّلَتْ ... لِشَوْقِيَ بِإنْفَاذِ الرَّسَائِلِ وَالكُتْبِ
وَإنِّي إذَا حَالَتْ يَدُ البُعْدِ بَيْنَنَا ... سَأُهْدِي تَحِيَّاتِي إلَيْكَ مَعَ الرَّكْبِ
تَحِنُّ إلَىٰ لُقْيَاكَ نَفْسِي صَبَابَةً ... كَمَا حَنَّ ظَمْآنٌ إلَى البَارِدِ العَذْبِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

مَـــا تَعَشَّقْتُـــهُ لإفْـــرَاط حُسْـــن ... لَا وَلَا أَنَّـــهُ أَتَـــمُّ المِـــلَاحِ
إنَّمَـــا للْقُلُـــوْب فـــي الحُـــبِّ أَسْـــرَارٌ ... خَفَـــايَـــا خَفيَّـــةُ الإِيْضَـــاحِ
كَـــمْ قَبِيْـــحٍ عِنْـــدَ المُحـــبِّ مَليْـــحٌ ... وَمَليْـــحٍ فِـــي عَيْنِـــه كَـــالقِبَـــاحِ

/ ٧٤أ/ وقال أيضًا: [من الطويل]

خَليْلَـــيَّ مَـــا بَـــالـــيْ أَرَىٰ كُـــلَّ غَيْهَـــب ... تَجلَّـــىٰ وَحَظِّـــي مَـــا تَجلَّـــتْ غَيَـــاهِبُـــهْ
فَـــلَا صِبْغُـــهُ المُسْـــوَدُّ يُـــرْجَـــىٰ نُصُـــوْلُـــهُ ... وَلَا لَيْلُـــهُ الـــدَّاجِـــي تُضِـــيءُ كَـــوَاكِبُـــهْ
تَـــوَالَـــتْ عَلَـــىٰ قَلْبِـــيْ هُمُـــومٌ كَـــأَنَّهَـــا ... . . . فِيْـــه بِثَـــار تُطَـــالِبُـــهْ
فَيَـــا أَبْعَـــدَ اللهُ الـــزَّمَـــانَ وَجَـــوْرَهُ ... فَمَـــا تَنْقَضِـــيْ أَهْـــوَالُـــهُ وَعَجَـــائِبُـــهْ

وقال في غلام جميل بوجهه كلف: [من الكامل]

قَـــالُـــوا: كَلفْـــتَ بِحُـــبِّ مَـــنْ فِـــيْ وَجْهِـــه ... كَلَـــفٌ، فَقُلْـــتُ: كَـــذَلِـــكَ البَـــدْرُ
لَـــوْ لَـــمْ يَحُـــزْ كُـــلَّ المَـــلَاحَـــةَ مَـــا بَـــدَا ... لِلْحُسْـــنِ فِـــيْ وَجَنَـــاتِـــه أَثَـــرُ
وَعُـــذِلْـــتُ قَبْـــلَ اليَـــوْمِ فِيْـــه فَقَـــدْ بَـــدَا ... آسُ العِـــذَارِ أُقِيْـــمَ لِـــيَ العُـــذْرُ

وله معاتبة: [من الكامل]

مَـــا لِـــيْ أَمِيْـــلُ إِلَـــىٰ حِفَـــاظِ مُضَيِّـــعٍ ... سَفَهًـــا وَأَرْغَـــبُ فِـــيْ مَحَبَّـــةِ قَـــالِـــيْ
صَعْـــبِ المَـــرَاسِ وَكُلَّمَـــا لَاطَفْتُـــهُ ... يَـــزْدَادُ فَـــرْطَ تَبَـــرُّمٍ وَمَـــلَالِ
وَعَـــلَا عَلَـــيَّ فَهَـــانَ عِنْـــدِيْ تَـــرْكُـــهُ ... وَالتَّـــرْكُ يُـــرْخِـــصُ كُـــلَّ شَـــيْءٍ غَـــالِـــيْ

/ ٧٤ب/ وقال علىٰ وزنين وقافيتين:

لَـــمْ أَنْسَـــهُ مُـــذْ زَارَنِـــيْ ... مُتَخَلِّسًـــا مِـــنْ غَيْـــرِ وَعْـــدِ ... مُعْجَبًـــا بِـــدَلَالِـــهْ
جَـــذْلَانَ سَهَّلَـــهُ الـــرِّضَـــا ... فَأَتَـــىٰ عَلَـــىٰ غَرَضِـــي وَقَصْـــدِيْ ... بَعْـــدَ طُـــوْلِ مَـــلَالِـــهْ
فِـــيْ لَيْلَـــةٍ نَـــامَـــتْ بِهَـــا الـــرُّ ... قَبَـــاءُ لاسْتِيْقَـــاظِ وَجْـــدِيْ ... خَـــاضِعًـــا لِجَـــلَالِـــهْ
قَبَّلْـــتُ مِنْـــهُ مُقَبَّـــلًا ... يَفْتَـــرُّ عَـــنْ بَـــرَدٍ وَشَهْـــدِ ... مَيْـــثَ فِـــيْ جَـــرْيَـــالِـــهْ
وَرَتَعْـــتُ فِـــيْ وَجَنَـــاتِـــهِ ... مَـــا بَيْـــنَ رَيْحَـــانٍ وَوَرْدِ ... بَـــلْ خَلَـــوْتُ بِخَـــالِـــهْ
وَجَنَيْـــتُ رُمَّـــانَ النُّهُـــوْ ... دِ مُهَنَّـــأً مِـــنْ غُـــضِّ قَـــدِّ ... عَـــزَّ نَيْـــلُ مِثَـــالِـــهْ
وَحَلَلْـــتُ عَقْـــدَ نِطَـــاقِـــهِ ... بِيَـــدَيَّ فِـــيْ هَـــزْلٍ وَجِـــدِّ ... مَـــعْ تَلَطُّـــفِ حَـــالِـــهْ
للهِ مِنْهَـــا لَيْلَـــةً ... طَلَعَـــتْ بِهَـــا أَقْمَـــارُ سَعْـــدِيْ ... مُـــذْ سَخَـــا بِـــوِصَـــالِـــهْ

لَوْ سَامَنِي فِي مِثْلِهَا بَذْلَ الحَيَاةِ لَهَانَ عِنْدِي فِي بَدِيعِ جَمَالِهِ
أَوْ بَيْعَ مِنْهَا سَاعَةٌ لَشَرَيْتُهَا بِالعُمْرِ وَحْدِي فَائِزاً بِكَمَالِهِ
سَمَحَ الزَّمَانُ بِوَصْلِهِ مِنْ بَعْدِ إِعْرَاضٍ وَصَدٍّ وَامْتِنَاعِ خَيَالِهِ
وَسَخَا بِمَا عَجَزَتْ قُوَىٰ شُكْرِي لَهُ وَفُؤَادُ حَمْدِي فِي جَمِيلِ ضَلَالِهِ

/ ٧٥أ/ وقال متغزلاً: [من الكامل]

يَا مَنْ حَيَاةُ المُسْتَهَامِ وَمَوْتُهُ بِيَدَيْهِ فِي حَالَيْ رِضَاهُ وَسُخْطِهِ
مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَنِي مُتَقَلِّبًا يَصْبُو إِلَىٰ خَفْضِ المُحِبِّ وَحَطِّهِ
أَسْهَرْتَنِي وَرَقَدْتَ ثُمَّ شَغَلْتَنِي وَخَلَوْتَ مِنْ كَمَدِ الغَرَامِ وَفَرْطِهِ
أَمِنَ المُرُوءَةِ أَنْ أَفِي لَكَ فِي الهَوَىٰ وَتَخُونَ فِي عَهْدِ الوَفَاءِ وَشَرْطِهِ
لَوْ فَتَّشُوا قَلْبِي رَأَوْكَ بِهِ وَقَدْ كَتَبَ الغَرَامُ هَوَاكَ فِيهِ بِخَطِّهِ
أَفْدِيكَ مِنْ رَشَأٍ تَعَزَّزَ إِذْ غَدَا يُعْزَىٰ إِلَىٰ مُوسَىٰ الكَلِيمِ وَسِبْطِهِ
وَمُهَفْهَفٍ كَتَبَ العِذَارُ بِخَدِّهِ سَطْراً يَرُوقُكَ شَكْلُهُ مَعْ نَقْطِهِ
لَا غَرْوَ إِنْ حَازَ الجَمَالَ فَيُوسُفٌ مِنْ قَوْمِهِ وَأَبُوهُ وَالِدُ رَهْطِهِ
لَمْ أَنْسَ إِذْ صَلَّىٰ لَدَىٰ مِحْرَابِهِ مُتَطَيْلِسًا قَدْ طَاحَ جَانِبُ مِرْطِهِ
وَدَعَا بِبَسْطِ ذِرَاعِهِ فَكَأَنَّمَا قَبَضَ القُلُوبَ بِأَسْرِهَا فِي بَسْطِهِ

وقال أيضًا: [من الوافر]

إِذَا مَا كَانَ هَجْرُكَ لِي جَحِيمًا وَصَدُّكَ جَنَّةً فَعَلَامَ تَجْفُو
فَصِلْنِي مُنْعِمًا لِيَزُولَ هَمِّي فَعَيْشِي بَعْدَ بُعْدِكَ لَيْسَ يَصْفُو

/ ٧٥ب/ وقال في المعنىٰ: [من المتقارب]

إِذَا كَانَ وَصْلُكَ لِي جَنَّةً فَهَجْرُكَ لَا شَكَّ نَارُ الجَحِيمِ
فَصِلْنِي وَلَا تَبْخَلَنْ بِالوِصَالِ عَلَىٰ مُغْرَمٍ بِكَ نِضْوٍ سَقِيمِ
وَدَعْ عَنْكَ ذَا السُّخْطَ وَابْغِ الرِّضَا فَإِنَّ الرِّضَا مِنْ خِلَالِ الكَرِيمِ

وقوله في اللقاء: [من الطويل]

لَعَيْنِي مَتَىٰ فَازَتْ بِرُؤْيَاكَ قُرَّةٌ وَقَلْبِي سُرُورٌ مُفْرِطٌ وَحُبُورُ
فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ اللِّقَاءُ فَإِنَّنِي عَلَيْهِ لِرَبِّي حَامِدٌ وَشَكُورُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

بَعُدَ الخِلُّ والرَّقيبُ قريبُ ... وَجَفا السُّقْمُ حينَ صَدَّ الحَبيبُ
وَجَفاني الكَرى وَوَاصَلَنيْ الشَّوْقُ ... فَحالي بَيْنَ الأنامِ عَجيبُ
بِأَبِي شَادِنٌ غَرِيرٌ نَضِيرٌ ... فِي هَوَاهُ يُسْتَعْذَبُ التَّعْذِيبُ
أَهْيَفٌ مُتْرَفٌ ظَرِيْفٌ لَطِيْفٌ ... أَبداً نَحْوَهُ تَمِيلُ القُلُوبُ
بَدْرُ تَمٍّ يُنِيرُ فَوْقَ قَضِيْبٍ ... نَاضِرٍ تَحْتَهُ يَمُوجُ الكَثِيبُ
قَاطِنٌ فِي الفُؤَادِ لَمْ يَنْأَ عَنْهُ ... وَهْوَ فِي حُسْنِهِ البَدِيعِ غَرِيبُ
/٧٦أ/ غَابَ فِي سَفْرَةِ الصُّدُوْدِ وَلَكِنْ ... هُوَ فِي القَلْبِ حَاضِرٌ مَا يَغِيبُ
أَنَّبُونِي عَلَى هَوَاهُ، فَقَدْ لَذَّ ... لِسَمْعِي مَعْ ذِكْرِهِ التَّأْنِيبُ
طَابَ فِيهِ عَتْبِي وَكُلُّ حَدِيثٍ ... مَرَّ ذِكْرُ الحَبِيبِ فِيهِ يَطِيبُ

وقال: [من المجتث]

بَدَّلْتَ بِالهَجْرِ رِفْعِي ... خَفْضاً فَقَدْ ضَاقَ ذَرْعِي
وَصِرْتَ تُعْرِضُ عَنِّي ... بَعْدَ اتِّحَادٍ وَجَمْعِ
قَضَيْتَ بِالغَدْرِ ظُلْماً ... بِغَيْرِ عَدْلٍ وَشَرْعِ
صَدَدْتَنِي عَنْ دَلالٍ ... وَعَنْ مَلالٍ وَمَنْعِ
وَمِلْتَ نَحْوَ أُنَاسٍ ... طِبَاعُهُمْ غَيْرُ طَبْعِي
وَأَنْتَ أَكْرَمُ عِنْدِي ... مِنْ نَاظِرَيَّ وَسَمْعِي
إِنْ زُرْتَنِي تَمَّ أُنْسِي ... وَبَانَ نُجْحِي وَنُجْعِي
فَفِي يَدَيْكَ بِأَمْرِ الإِ ... لَهِ ضَرِّي وَنَفْعِي

وقال: [من الوافر]

سَقَانِي الرَّاحَ فِي جُنْحِ الظَّلامِ ... كَحِيلُ الطَّرْفِ مُعْتَدِلُ القَوَامِ
/٧٦ب/ وَحَيَّانِي مُحَيَّاهُ بِوَرْدٍ ... مِنَ الخَدَّيْنِ مِنْ غَيْرِ احْتِشَامِ
وَقَبَّلَ رَاحَتِي فَلَثَمْتُ فَاهُ ... فَرَاجَعَنِي بِضَمٍّ وَالْتِزَامِ
فَيَا لَكَ لَيْلَةً أَمْسَى أَنِيسِي ... بِهَا وَمُنَادِمِي بَدْرُ التَّمَامِ
فَمِنْ يَدِهِ وَمُقْلَتِهِ وَفِيهِ ... مُدَامٌ فِي مُدَامٍ فِي مُدَامِ

وقال: [من الوافر]

أَتَانِي زَائِراً بَعْدَ ٱزْوِرَارِ ... رَخِيمُ الدَّلِّ أَهْيَفُ ذُوْ ٱحْوِرَارِ
وَقَدْ نَامَتْ عُيُونُ مُرَاقِبِيْهِ ... وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ الإِزَارِ
وَٱقْبَلَ ثُمَّ قَابَلَنِي بِوَجْهٍ ... كَسَا الظَّلْمَاءَ أَرْدِيَةَ النَّهَارِ
يُرَنِّحُ عِطْفَهُ المَيَّاسَ سُكْرُ الصِّـ ... ـبَا فَتَخَالُهُ سُكْرَ العُقَارِ
فَقُمْتُ لأَجْلِهِ وَسَجَدْتُ شُكْراً ... لِخَالِقِهِ عَلَى قُرْبِ المَزَارِ
وَبِتُّ بِهِ قَرِيْرَ العَيْنِ أَجْلُوْ ... مَحَاسِنَهُ العِذَابَ بِلاَ حِذَارِ
وَبَاتَ مُنَادِمِي فَحَظِيْتُ مِنْهُ ... بِطِيْبِ الأُنْسِ مِنْ بَعْدِ النِّفَارِ
سَقَانِي رَاحَ رِيْقَتِهِ وَحَيَّا ... بِوَرْدِ الخَدِّ مَعْ آسِ العِذَارِ
فَيَا لَكَ لَيْلَةً فِيْ الدَّهْرِ جَاءَتْ ... عَلَى قَدَرِ ٱقْتِرَاحِي وَٱخْتِيَارِي

/٧٧أ/ وقال: [من الطويل]

أَخِلاَّيَ طَابَ العَيْشُ لَمَّا حَضَرْتُمُ ... وَرَاقَ فَأَضْحَى نَيِّرُ السَّعْدِ مُبْدِرَا
وَهَبَّ نَسِيمٌ عَاطِرٌ مِنْ دِيَارِكُمْ ... فَجَدَّدَ لِي عَهْدَ التَّدَانِي وَٱذْكَرَا
وَمَا طَابَ هَذَا الطِّيْبُ إلاَّ لأَنَّهُ ... سَرَى نَشْرُكُمْ فِي ضِمْنِهِ فَتَعَطَّرَا
فَلِلَّهِ مِنْكُمْ مَا أَصَحَّ وَفَاكُمُ ... وَأَعْظَمَكُمْ فِي النَّاسِ قَدْراً وَأَكْبَرَا
سَقَى اللهُ أَيَّاماً مَضَتْ بِاجْتِمَاعِنَا ... بِلاَ كَدَرٍ صَوْباً مِنَ المُزْنِ مُمْطِرَا

وقال: [من الخفيف]

أَرِجَ الجَوُّ بِالنَّسِيْمِ المُهَدِّي ... نَفَحَاتِ العَبِيْرِ مِنْ نَشْرِ هِنْدِ
مَرَّ فِي حَيِّهَا النَّسِيْمُ سُحَيْراً ... فَحَبَتْهُ بِنَشْرِ مِسْكٍ وَنَدِّ
فَاعْتَرَتْنِي لِطِيْبِهِ هِزَّةُ السُّكْـ ... ـرِ عَلَى أَنَّنِي نَزِيْفُ الوَجْدِ
وَأَهَاجَ النَّسِيْمُ لِلْقَلْبِ شَوْقاً ... وَهُيَاماً وَلَوْعَةً ذَاتَ وَقْدِ
يَا خَلِيْلَيَّ عَرِّضَا بِحَدِيْثِي ... عِنْدَهَا عَلَّهُ يُفِيْدُ وَيُجْدِي
وَاذْكُرَانِي لَهَا فَإِنْ سَأَلَتْ عَنِّـ ... ـي فَقُوْلاَ: قَتِيْلُ هَجْرٍ وَصَدِّ
وَأَسْعِدَانِي عَلَى هَوَايَ فَإِنِّي ... فِي جِهَادٍ مَعَ الغَرَامِ وَجَهْدِ
/٧٧ب/ فَقِفَا لِي حِيَالَ جَوْشَنَ مَا بَيْـ ... ـنَ قِبَابِ الأَحْبَابِ مِنْ كُلِّ بُدِّ

وَأَنْشِدَا لِي قَلْبِيَ الَّذِي ضَاعَ مِنِّي ... فَعَسَاهُمْ أَنْ يَسْمَحُوا لِي بِرَدِّ
وَإِذَا عُجْتُمَا عَلَى سَاكِنِ الخَيْـ ... ـفِ سَلَاهُ بِمَنْ تَبَدَّلَ بَعْدِي
حَبَّذَا سَفْحُ جَوْشَنٍ فَهْوَ أَزْهَى ... مِنْ تِلَاعِ الحِمَى وَأَعْلَامِ نَجْدِ
وَقُوَيْقٌ فَمَاؤُهُ العَذْبُ مِنْ رِيـ ... ـقِ مَاءِ العُذَيْبِ أَعْذَبُ وِرْدِ
يَا رَعَى اللهُ عَصْرَ لَهْوٍ تَقَضَّى ... خَلَساً وَالصِّبَا قَشِيبُ البُرْدِ
وَزَمَاناً مَضَى بِنَيْلِ الأَمَانِي ... لَمْ يُرَوَّعْ فِيهِ الأَمَانِي بِبُعْدِ

وقال: [من الخفيف]

لَكَ فِي القَلْبِ مَنْزِلٌ وَمَحَلُّ ... أَبَداً مِنْكَ آهِلٌ لَيْسَ يَخْلُو
يَا مُنَى النَّفْسِ إِنْ مُنِيتُ بِهَجْرٍ ... فَمُنَايَ وَبُغْيَتِي مِنْكَ وَصْلُ
أَمِنَ العَدْلِ أَنْ تَمَلَّ مُحِبّاً ... لَكَ فِي كُلِّ حَالَةٍ لَا يَمَلُّ
حَاشَ للهِ أَنْ تُحَرِّمَ وَصْلِي ... وَهُوَ مُرٌّ فِي مَذْهَبِ الحُبِّ حِلُّ
أَوْ تُبِيحَنَّ قَتْلَتِي بِتَجَافِيـ ... ـكَ وَقَتْلُ البَرِيِّ فِي الشَّرْعِ بَسْلُ(١)
لَا تَكِلْنِي إِلَى السُّلُوِّ فَهَذَا ... مُسْتَحِيلٌ بِأَنَّنِي لَكَ أَسْلُو
/١٧٨أ/ أَنْتَ لَاهٍ عَنِّي بِغَيْرِيَ مَشْغُو ... لٌ وَمَا لِي سِوَاكَ فِي النَّاسِ شُغْلُ

وقال: [من الكامل]

يَا وَيْحَ مَنْ أَضْحَتْ مَنَازِلُهُمْ ... أَجْدَاثُهُمْ قَدْ بَادَهُمْ قَفْرُ
تَرَكُوا أَحِبَّتَهُمْ وَأَهْلَهُمُ ... قُبِرُوا وَقَدْ وَافَاهُمُ الدَّهْرُ
وَاسْتَبْدَلُوا بِالتُّرْبِ مَنْزِلَةً ... بَعْدَ القُصُورِ فَعُزِّزَ الأَمْرُ
كَمْ حَازَ مَنْ ضَاقَتْ لِهِمَّتِهِ ... سَعَةُ الفَضَاءِ بِضِيقِهِ القَبْرُ
وَالَهْفَ نَفْسِي بَعْدَ فَقْدِهِمُ ... عَزَّ العَزَاءُ وَأَعْوَزَ الصَّبْرُ

وقال في ذمّ الزمان وأهله: [من البسيط]

لَمَّا تَنَوَّعَ دَهْرِي فِي مُعَانَدَتِي ... وَرَامَ عَكْسَ الَّذِي أَخْتَارُهُ القَدَرُ
حَجَبْتُ نَفْسِي عَنْ بَدْوٍ وَعَنْ حَضَرٍ ... كَيْ لَا يَرَى نَقْصَ حَالِي فِي الوَرَى بَشَرُ

---

(١) بسل: حرام.

أَبدَىٰ العِدَا لِي عُيُوبًا لَسْتُ أَعْرِفُهَا ... وَرُبَّمَا عِيْبَ مَعْ إِشْرَاقِهِ القَمَرُ
«إِذَا مَحَاسِنِيَ اللاَّتِي أُدِلُّ بِهَا ... صَارَتْ ذُنُوبًا فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ»

هذا البيت مضمَّن.

/ ٧٨ب/ وقال في مثله: [من الخفيف]

قَاتَلَ اللهُ ذَا الزَّمَانَ فَمَا يَسْـ ... ـمَحُ يَوْمًا بِمَا يَسُرُّ فُؤَادِيْ
كُلَّمَا رُمْتُ مِنْ زَمَانِيَ إِسْعَا ... دًا قَضَىٰ لِيْ مَنْ دُوْنَهُ بِالعِنَادِ
يَا لَقَوْمِيْ! كَيْفَ احْتِيَالِيْ وَقَدْ صَا ... رَ زَمَانِيْ مِنْ جُمْلَةَ الأَضْدَادِ
يَنْفُقُ الجَاهِلُوْنَ فِيْهِ مَعْ الجَهْـ ... ـلِ وَيُمْنَىٰ ذَوُوْ النُّهَىٰ بِالكَسَادِ
لَيْتَ شِعْرِيْ تُرَىٰ أُبَلِّغُ فِيْهِ ... غَرَضِيْ أَوْ أَنَالُ بَعْضَ مُرَادِيْ

وله في مطرب: [من الوافر]

وَمَعْسُوْلِ الشَّمَائِلِ وَالتَّثَنِّيْ ... رَخِيْمِ الدَّلِّ مُعْتَدِلِ القَوَامِ
إِذَا غَنَّىٰ تَرَنَّحَ سَامِعُوْهُ ... لَهُ طَرَبًا كَشُرَّابِ المُدَامِ
وَمَاجُوا بِالسُّرُوْرِ فَدَبَّ فِيْهِمْ ... دَبِيْبُ البُرْءِ فِيْ أَثَرِ السَّقَامِ
وَقَدْ سَحَرَ العُقُوْلَ فَلَسْتُ أَدْرِيْ ... بِسِحْرِ اللَّحْظِ أَمْ سِحْرِ الكَلاَمِ

وقال في الغزل: [من الوافر]

بِنَفْسِيْ مِنْ بَنِيْ الأَتْرَاكِ ظَبْيٌ ... يُغَيِّرُ بِحُسْنِهِ بَدْرَ التَّمَامِ
/ ٧٩أ/ أَغَنُّ مُهَفْهَفٌ أَحْوَىٰ غَرِيْرٌ ... رَشِيْقُ القَدِّ مَمْشُوْقُ القَوَامِ
كَحِيْلُ المُقْلَتَيْنِ يَكَادُ يَفْرِيْ ... بِصَارِمِ لَحْظِهِ حَدَّ الحُسَامِ
كَأَنَّ جَبِيْنَهُ قَمَرٌ مُنِيْرٌ ... وَحَالِكَ شَعْرِهِ جُنْحُ الظَّلاَمِ
إِذَا دَبَّ الحَيَاءُ بِوَجْنَتَيْهِ ... عَجِبْتُ لِكَوْنِ مَاءٍ فِيْ ضِرَامِ
وَيَبْسِمُ ثَغْرُهُ عَنْ أُقْحُوَانٍ ... تَبَدَّىٰ فِيْ رُضَابٍ مِنْ مُدَامِ
ثَقِيْلُ الرِّدْفِ ذُو خَصْرٍ نَحِيْلٍ ... كَسَانِيْ سُقْمُهُ حُلَلَ السَّقَامِ

وقال: [من الطويل]

وَلَمَّا بَدَا سَطْرُ العِذَارِ بِخَدِّهِ ... وَحَاوَلْتُ أَنْ أَسْلُوْهُ زِدْتُ تَتَيُّمَا
وَكُنْتُ بِهِ صَبَّ الفُؤَادِ فَزَادَنِيْ ... هَوًى لُبْسُهُ ثَوْبَ المَلاَحَةِ مُعْلَمَا

وَقَدْ رَقَمَتْ أَيْدِيْ النَّضَارَةِ وَالصِّبَا ... بِدِيْبَاجَتَيْ خَدَّيْهِ وَشْياً مُنَمْنَمَا

وقال في الإستعطاف: [من الطويل]

أَتَحْسَبُ قَلْبِيْ عَنْ مَلاَلٍ تَصَبَّرَا ... أَبَى اللهُ لِيْ فِيْ الحُبِّ أَنْ أَتَغَيَّرَا

فَوَاللهِ لاَ أَسْلُوْكَ عُمْرِيْ وَلَوْ جَرَى ... عَلَيَّ مِنَ الهَجْرِ المُبَرِّحِ مَا جَرَى

/ ٧٩ب/ دَعِ الصَّبَّ يَقْضِي نَحْبَهُ فِيْكَ حَسْرَةً ... إِذَا كُنْتَ تَبْغِيْ أَنْ يَمُوْتَ مُحَسَّرَا

يَمِيْنًا لَقَدْ أَضْرَمْتَ فِيْ القَلْبِ بِالجَفَا ... جَحِيماً وَقَدْ أَجْرَيْتَ لِلْدَمْعِ أَبْحُرَا

ثَنَى وُدَّكَ الوَاشِيْ فَأَصْبَحْتَ هَاجِراً ... وَمَا كَانَ ظَنِّيْ أَنْ تَصُدَّ وَتَهْجُرَا

أَيَجْمُلُ بِالوَجْهِ الجَمِيْلِ إِسَاءَةٌ ... وَذِيْ الحُسْنِ أَنْ يُوْلِيْ قَبِيْحاً وَيَغْدُرَا

بِعَيْشِكَ شِمْ رَعْيَ الوَفَاءِ فَإِنَّنِيْ ... رَأَيْتُ الوَفَا بِالحُرِّ أَحْرَى وَأَجْدَرَا

تَجَافَيْتُ حَتَّى صِرْتُ أُغْضِيْ عَلَى الجَفَا ... وَأَرْضَى بِمَا تَرْضَى مِنَ الهَجْرِ مُجْبَرَا

وقال في الاستدعاء إلى مجلس الشراب: [من البسيط]

قُمْ لِلْصَبُوحِ فَحَبْلُ اللَّهْوِ قَدْ وُصِلاَ ... وَاليَوْمَ ظَلَّ بِجَمْعِ الشَّمْلِ مُحْتَفِلاَ

أَمَا تَرَى الغَيْمَ قَدْ وَارَتْ مَطَارِفُهُ ... وَجْهَ الفَضَاءِ وَدَمْعَ الغَيْثِ قَدْ هَطَلاَ

مَا إِنْ بَكَى الغَيْثُ إِلاَّ قَهْقَهَتْ طَرَباً ... لَهُ الأَبَارِيْقُ حَتَّى أَنْشَأَتْ جَذَلاَ

فَبَادِرِ الرَّاحَ لاَ تَبْغِيْ بِهَا بَدَلاً ... وَلاَ تُطِعْ مَنْ لَحَا فِيْهَا وَمَنْ عَذَلاَ

فَصِلْ صَبُوْحَكَ عَمْداً بِالغَبُوْقِ بِلاَ ... مَطْلٍ وَصِلْنَا سَرِيْعاً وَاحْذَرِ الكَسَلاَ

وله في تغيّر الصديق: [من الطويل]

/ ٨٠أ/ وَقَدْ كَانَ ظَنِّيْ أَنَّهُ لاَ يُضِيْعُ لِيْ ... حُقُوْقَ مَوَدَّاتِيْ وَلاَ يَتَغَيَّرُ

فَمَيَّلَهُ الوَاشِيْ فَأَصْبَحَ كُلَّمَا ... صَفَوْتُ لَهُ فِيْ مَذْهَبِ الحُبِّ يَكْدُرُ

يَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ لَدَيْهِ إِسَاءَةً ... وَكُلَّ جَمِيْلٍ زَلَّةً لَيْسَ تُغْفَرُ

وقال في نهر قويق: [من الكامل]

مَا بَالُ نَهْرِكُمُ قُوَيْقُ كَأَنَّهُ ... عَبَرَاتُ عَيْنٍ جَفْنُهَا مَقْرُوْحُ

يَظْمَا فَتَغْشَاهُ المُدُوْدُ فَيَرْتَوِيْ ... مِنْهَا وَيَبْقَى وَحْلُهَا وَتَرُوْحُ

وقال في لبس الفرو: [من المتقارب]

إِذَا مَا أَتَى القُرُّ قَرَّتْ بِهِ ... عُيُوْنُ الزُّجَاةِ لِلُبْسِ الفِرَا

وَمَــنْ كَــانَ فِيْــهِ بِــلاَ فَــرْوَةٍ فَــرَىٰ جِلْـدَهُ البَـرْدُ مَـعْ مَـنْ فَـرَىٰ

وممّا [عمله] وسيّره إلىٰ من يعزّ عليه مكانه : [من الطويل]

تُــرَىٰ مُقْلَتِــيْ تَحْظَــىٰ بِــأَيْسَــرِ نَظْـرَةٍ إِلَيْـكَ بِمَـا تَجْلُـو القَـذَىٰ عَـنْ جُفُـوْنِهَـا
/ ٨٠ب/ وَهَلْ يَشْتَفِيْ مِنْ لاَعِجِ الشَّوْقِ وَالأَسَىٰ فُــؤَادِيْ بِقُــرْبِ الــدَّارِ بَعْــدَ شُطُــوْنِهَــا
تَحِــنُّ إِلَيْــكَ النَّفْــسُ طَبْعــاً وَكُلَّمَــا أَنِسَــتْ التَّــدَانِــيْ زَادَ فَــرْطُ حَنِيْنِهَــا
وَأَصْعَـبُ مَـا تَلْقَـىٰ العِطَـاشُ مِـنَ الظَّمَـأ إِذَا مُنِعَــتْ وَالمَــاءُ نُصْــبَ عُيُــوْنِهَــا

وقال في لقاء الأحباب : [من الكامل]

يَــا حَبَّــذَا يَــوْمُ اللِّقَــاءِ فَــإِنَّــهُ يَــوْمٌ تَكَــامَلَــتِ المَسَــرَّةُ فِيْــهِ
عَــانَقْــتُ مَــنْ أَهْــوَاهُ عِنْـدَ لِقَـائِـهِ فِيْــهِ وَفُــزْتُ بِقُبْلَــةٍ فِــيْ فِيْــهِ

وقال في غلام مليح الصورة اسمه خليل : [من مجزوء الكامل]

مَــا شَفْــرَةُ السَّيْــفِ الصَّقِيْــلِ أَمْضَــىٰ مِــنَ الطَّــرْفِ الكَحِيْــلِ
كَــلاَّ وَلاَ لِلْــرُمْــحِ حُسْــنُ تَــرَنُّــحِ القَــدِّ النَّبِيْــلِ
وَمُهَفْهَــفٍ عَبْــلِ الــرَّوَا دِفِ مُحْقَــرِ الخَصْــرِ النَّحِيْــلِ
حُلْــوِ المَــرَاشِــفِ وَالمَعَــا طَــفِ وَالمُقَبَّــلِ وَالقَبُــوْلِ
مُسْتَعْــرِبٍ مِــنْ أُسْــرَةِ الأَ تْــرَاكِ مُعْتَــزِّ القَبِيْــلِ
/ ٨١أ/ هَــارُوْتُ فِــيْ لَحَظَــاتِــهِ بِــالسِّحْــرِ يَلْعَــبُ بِــالعُقُــوْلِ
سَفَكَــتْ دَمِــي فَمَسِيْلُــهُ فِــيْ صَفْحَــةِ الخَــدِّ الأَسِيْــلِ
كَــمْ مِــنْ أَسِيْــرٍ فِــيْ هَــوَا هُ لِمُقْلَتَيْــهِ وَكَــمْ قَتِيْــلِ
حَــازَ الجَمَــالَ فَلَيْــتَ يَشْـ فَعُــهُ بِــإِيْــلاَءِ الجَمِيْــلِ
أَوْلَيْتَــهُ بِــالــوَصْــلِ جَــادَ لِمُغْــرَمٍ بَــادِيْ النُّحُــوْلِ
عَلِّــيْ أُعَــلُّ رُضَــابَــهُ فَبِــرَشْفِــهِ بُــرْءُ العَلِيْــلِ
أَشْكُــوْهُ شَكْــوَىٰ خَصْــرِهِ الـ مُضْنَــىٰ مِــنَ الــرِّدْفِ الثَّقِيْــلِ
يَــا عَــاذِلِــيْ فِيْــهِ اتَّئِــبْ أَسْــرَفْــتَ فِــيْ قَــالٍ وَقِيْــلِ
كَــمْ قَــدْ أَطَعْــتُ الحُــبَّ فِيْـ ـهِ وَكَــمْ عَصَيْــتُ بِــهِ عَــذُوْلِــيْ
مَــا يُــوْسُــفٌ فِــيْ حُسْنِــهِ تَــاللهِ أَحْسَــنَ مِــنْ خَلِيْــلِ

إنْ كُنْتُ أَسْلُو حُبَّهُ ... لاَ نِلْتُ يَوْمًا مِنْهُ سُوْلِي

وقال في استعطاف: [من الكامل]

يَا مُوْلَعًا بِالصَّدِّ عَنَّا ... كَمْ ذَا تَجُوْرُ عَلَى المُعَنَّى
/ ٨١ب/ هَلاَّ رَفَقْتَ بِمُسْتَهَا ... مٍ فِي الهَوَىٰ حَيْرَانَ مُضْنَى
حَمَّلْتَهُ مَا لاَ يُطِيْـ ... ـقُ مِنَ الجَفَا فَبَكَى وأَنَّا
وَوَعَدْتَهُ وَصْلاً فَمِلْـ ... ـتَ إِلَى المَلاَلِ فَمَا تَهَنَّى
أَمِنَ المُرُوْءَةِ أَنْ يَفِـ ... ـي وَتَخُوْنَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْنَى
يَسْخُو بِمُهْجَتِهِ وَيَبْـ ... ـخَلُ بِالسَّلاَمِ عَلَيْهِ ضَنًّا
وَارْحَمْتَاهُ لِمُغْرَمٍ ... قَدْ مَاتَ بِالْهِجْرَانِ غَبْنَا

وله في الشيب: [من البسيط]

لَهْفِي عَلَى زَمَنٍ وَلَّتْ نَضَارَتُهُ ... فَلَسْتُ أَرْجُوْ لَهُ بَعْدَ الصِّبَا خَلَفَا
كَانَتْ بُدُوْرُ سُرُوْرِي فِيْهِ مُشْرِقَةً ... إِذْ لَيْلُ فَوْدِي دَاجٍ يُشْبِهُ السُّدُفَا
وَمُذْ تَجَلَّى نَهَارُ الشَّيْبِ عَوَّضَنِي ... مِنَ المَسَرَّةِ هَمًّا وَالمُنَى أَسَفَا

وقال فيه أيضًا: [من الخفيف]

رَاعَنِي الشَّيْبُ حَيْثُ حَلَّ بِفَوْدَ ... يَّ فَلاَ مَرْحَبًا بِهِ حَيْثُ حَلاَّ
لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَيَا لَيْتَهُ اسْتَبْـ ... ـدَلَ عَنْ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْهُ نَصْلا

وله فيمن أهدىٰ إلىٰ محبوبه سفرجلاً: [من مجزوء الخفيف]

/ ٨٢أ/ كَيْفَ يُهْدِي إِلَى الحَبِيْـ ... ـبِ مُحِبٌّ سَفَرْجَلاَ
أَتُرَىٰ مُذْ رَأَىٰ اسْمَهُ ... مُزْعِجًا مَا تَفَأَّلا
سَفَرٌ أَوَّلُ اسْمِهِ ... ثُمَّ بَاقِي اسْمِهِ جَلا

وقال: [من الخفيف]

أُذْكُرِ المَوْتَ حَيْثُ تُمْكِنُكَ الخَلْـ ... ـوَةُ وَاحْذَرْ عَذَابَ حَرِّ الجَحِيْمِ
وَتَحَامَى الخَطَا وَكُلَّ الخَطَايَا ... لَيْسَ تَخْفَى عَلَى السَّمِيْعِ العَلِيْمِ
مَا يَفِي لِلْفَتَى نَعِيْمٌ حَقِيْرٌ ... بِشَقَاءٍ بَعْدَ المَمَاتِ عَظِيْمِ
إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ غُرُوْرٌ ... فَارْغَبِ الآنَ فِي النَّعِيْمِ المُقِيْمِ

أيُّ خَيْـــرٍ وَلَـــذَّةٍ تُكْسِـــبُ الإثْـ ـــمَ وتُفْضِـــيْ إلَـــىٰ العَـذَابِ الأَلِيْـمِ

وقال في الزهد ما كتبه علىٰ مقبرة لبعض أصدقائه: [من البسيط]

دُنْيَـاكَ فَـانِيَـةٌ فَـاعْمَـلْ لآخِـرَةٍ تَبْقَـىٰ فَيَـوْمُـكَ هَـذا مُنْـذِرٌ بِغَـدِ
فَـلاَ بَقَـاءَ لِمَـا يَفْنَـىٰ مُـرَكَّبُـهُ وَلاَ فَنَـاءٌ لِمَـا يَبْقَـىٰ عَلَـىٰ أَحَـدِ
/ ٨٢ب/ كَـمْ قَصَّـرَ الأَجَـلُ المَحْتُـومُ مِـنْ أَمَـلٍ يَسِيْـرُهُ لَـمْ يُنَـلْ فِـيْ أَطْـوَلِ المُـدَدِ

وقال في الزهد والاستغفار: [من الوافر]

إلَهِـيْ قَـدْ تَكَـاثَـرَتِ الـذُّنُـوْبُ وَقَـلَّ لِشقْـوَتِـيْ العَمَـلُ المُثِيْـبُ
وَقَـدْ أَسْـرَفْـتُ فِـيْ خَطَـأَيْ وَجُـرْمِـيْ وَأَنْـتَ عَلَـيَّ مُطَّلِـعٌ رَقِيْـبُ
فَـوَيْلِـيْ مِـنْ لِقَـاكَ وَمِـنْ وُقُـوْفِـيْ لَـدَيْـكَ وَلَيْـسَ غَيْـرُكَ لِـيْ حَبِيْـبُ
وَوَاحُـزْنِـيْ الطَّـوِيْـلَ فَـلاَ مَفَـرٌّ لَنَـا مِمَّـا قَضَيْـتَ وَلاَ هُـرُوْبُ
أَذِقْنِـيْ بَـرْدَ عَفْـوِكَ قَبْـلَ أُصْلَـىٰ بِحَـرِّ لَظَـىٰ وَيُحْـرِقُنِـيْ اللَّهِيْـبُ
إلَهِـيْ نَجِّنِـيْ وَقِنِـيْ عَـذَابَ الـ ـجَحِيْـمِ وَتُـبْ عَلَـىٰ عَبْـدٍ يَتُـوْبُ
إلَهِـيْ قَـدْ دَعَـوْتُـكَ فَـاعْـفُ عَنِّـيْ بِلُطْفِـكَ يَـا سَمِيْـعُ وَيَـا مُجِيْـبُ
إلَهِـيْ فِيْـكَ قَـدْ أَحْسَنْـتُ ظَنِّـيْ وَحُسْـنُ الظَّـنِّ عِنْـدَكَ لاَ يَخِيْـبُ
إلَهِـيْ عَفْـوَكَ المَـرْجُـوَّ فَـارْحَـمْ مُسِيْئًـا فَـاتَـهُ الـرَّأيُ المُصِيْـبُ
إلَهِـيْ حَـوْضُ مَنِّـكَ مُسْتَفِيْـضٌ عَلَيْـهِ كُـلُّ ظَمْـآنٍ يَلُـوْبُ
إلَهِـيْ إنْ أَسَـأْتُ فَلِـيْ اعْتِصَـامٌ بِتَـوْحِيْـدٍ إلَيْـكَ بِـهِ أُنِيْـبُ
/ ٨٣أ/ إلَهِـيْ إنْ تُبَـاعِـدْنِـي الخَطَـايَـا فَحَسْبِـيْ عَفْـوُكَ الـدَّانِـيْ القَـرِيْـبُ
إلَهِـيْ قَـلَّ فِـيْ الـدُّنْيَـا نَصِيْبِـيْ فَهَـلْ مِـنْ حُسْـنِ صُنْعِـكَ لِـيْ نَصِيْـبُ
إلَهِـيْ ضَـاقَ بِـيْ أَمْـرِيْ وَلَكِـنْ رَجَـائِـيْ مِنْـكَ غُفْـرَانٌ رَحِيْـبُ
إلَهِـيْ قَـدْ تَـزَايَـدَ دَاءُ قَلْبِـيْ وَلَيْـسَ سِـوَىٰ رِضَـاكَ لَـهُ طَبِيْـبُ
إلَهِـيْ حَـاقَ بِـيْ حُـزْنِـيْ وَبَثِّـيْ وَحُـقَّ الـرُّعْـبُ بَـلْ وَجَـبَ الـوَجِيْـبُ
إلَهِـيْ عُظْـمُ عَفْـوِكَ بِـالبَـرَايَـا رَؤُوْفٌ إنْ تَعَـاظَمَـتِ الـذُّنُـوْبُ
إلَهِـيْ قَـدْ خَجِلْـتُ مِـنَ المَعَـاصِـيْ وَلاَ عَجَـبٌ إذَا خَجِـلَ المُـرِيْـبُ
إلَهِـيْ مَـا أَقُـوْلُ وَكُـلَّ يَـوْمٍ يَمُـرُّ يَـزِيْـدُ لِـيْ ذَنْـبٌ وَحُـوْبُ
إلَهِـيْ لَيْـسَ يَعْـزُبُ عَنْـكَ أَمْـرٌ وَلاَ يَخْفَـىٰ عَلَيْـكَ وَلاَ يَغِيْـبُ

فَوَيْلِي مِنْ شَقَاوَةِ ذِي ضَلَالٍ … غَوِيٍّ لَيْسَ يَرْدَعُهُ المَشِيبُ
فَوَيْلِي يَوْمَ تَنْقَطِعُ الأَوَاخِي … مِنَ الدُّنْيَا وَتَتَّصِلُ الكُرُوبُ
وَوَيْلِي يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي … بِمَا جَنَتِ النَّوَاظِرُ وَالقُلُوبُ
وَلَا يُجْدِي سِوَى العَمَلِ المُزَكِّي … إِذَا حَضَرَ المُطَالِبُ وَالطَّلِيبُ

وقال: [من البسيط]

/٨٣ب/ لِلصَّبْرِ عَنْكَ اجْتَرَعْتُ الصَّابَ وَالصَّبِرَا … وَلِلرِّضَا بِكَ رُضْتُ الهَمَّ وَالفِكَرَا
أَمَائِلَ العِطْفِ عَطْفًا لَا تَرُمْ مَلَلًا … فَمُذْ هَجَرْتَ لَذِيذُ النَّوْمِ قَدْ هَجَرَا
أَنَازِحَ الدَّارِ وَالأَحْشَاءُ مَسْكَنُهُ … وَدَارُهُ القَلْبُ أَنَّى غَابَ أَوْ حَضَرَا
وَيَا مُنَى النَّفْسِ هَلْ تَحْنُو عَلَى دَنِفٍ … بِالغَدْرِ غَادَرْتَهُ بَيْنَ الوَرَى سَمَرَا
نَاشَدْتُكَ اللهَ عَدْ جَفْنِي الهُجُوعَ عَسَى … يَعُودُنِي إِنْ حُرِمْتُ الوَصْلَ طَيْفُ كَرَى
أَمَا وَحُبِّكَ قَلْبِي مَا ابْتَغَى بَدَلًا … عَنْكُمْ وَلَا رَامَ طَرْفِي غَيْرَكُمْ نَظَرَا
مُذْ غِبْتَ مَا رَاقَ لِي مَرْأًى وَمُسْتَمَعٌ … وَكَيْفَ ذَاكَ وَكُنْتَ السَّمْعَ وَالبَصَرَا
أَسْتَوْدِعُ اللهَ قَلْبًا بَعْدَ بُعْدِكُمُ … وَلَّى ضَيَاعًا فَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ خَبَرَا
جَرَى بِيَ الشَّوْقُ فِي مَيْدَانِ حُبِّكُمُ … طَلْقَ العِنَانِ وَطَرْفُ الصَّبْرِ قَدْ عَثَرَا
وَاسْتَعْبَرَتْ عَبَرَاتِي لِلْفِرَاقِ دَمًا … غَدَا بِحَرِّ زَفِيرِي قَطْرُهُ شَرَرَا
يَا هَاجِرِي عُدْ إِلَى وَصْلِي فَهَجْرُكَ لِي … مَا دَارَ فِي خَاطِرِي يَوْمًا وَلَا خَطَرَا
هَا قَدْ قَدَرْتَ عَلَى هَجْرِي فَصِلْ كَرَمًا … إِنَّ الكَرِيمَ الَّذِي يَعْفُو إِذَا قَدَرَا

وقال: [من الكامل]

لَوْ كَانَ يَسْمَحُ بِالتَّوَاصُلِ أَوْ يَفِي … مَا كَانَ فِي عِدَةِ الوِصَالِ بِمُخْلِفِ
/٨٤أ/ مَذَقَ الوِدَادَ وَخَانَ عَهْدَ مُحِبِّهِ … وَجَفَا وَجَاهَرَ بِالصُّدُودِ المُتْلِفِ
وَاهًا لَهُ مِنْ غَادِرٍ مُتَحَيِّفٍ … جَانٍ عَلَى الخِلِّ الوَفِيِّ المُنْصِفِ
أَبَدًا يَمِيلُ إِلَى المَلَالِ فَكُلَّمَا … لَاطَفْتُهُ يَجْفُو وَلَمْ يَتَلَطَّفِ
أَشْكُو قَسَاوَتَهُ إِلَيْهِ لَعَلَّهُ … يَجْفُو فَلَمْ يَحْنُنْ وَلَمْ يَتَعَطَّفِ
وَأَبُثُّهُ وَلَهِي فَيُعْرِضُ لَاهِيًا … عَنْ فَرْطِ بَلْبَالِي وَطُولِ تَأَسُّفِي
للهِ مَا أَقْسَاهُ قَلْبًا فِي الهَوَى … أَفَمَا يَرِقُّ لِوَالِهٍ مُتَلَهِّفِ
حَكَمَ الغَرَامُ عَلَى المُحِبِّ بِجَوْرِهِ … فَأَطَاعَ سُلْطَانَ الغَرَامِ المُجْحِفِ

وَٱبْتَـزَّهُ سُلْـوَانَـهُ فَلَـو ٱبْتَغَـىٰ ... إسْعَـافَـهُ بتَصَبُّـرٍ لَـمْ يُسْعِـفِ
جَهْـلاً تَقُـوْلُ عَـوَاذلـيْ دَعْ حُبَّـهُ ... وَتَسَـلَّ عَنْـهُ لَعَـلَّ نَـارَكَ تَنْطَفِـيَ
أَنَّـىٰ وَرُؤْيَتُـهُ ٱلَـذُّ إلَـيَّ مِـنْ ... نَيْـلِ المُنَـىٰ وَالأَمْـنِ بَعْـدَ تَخَـوُّفِ
رَشَـأٌ مِـنَ الأَسْبَـاطِ قَـدْ فَـاقَ الـوَرَىٰ ... حُسْنَـاً تَـدَاوَلَ إرْثَـهُ مِـنْ يُـوسُـفِ
كَـدُمَـىٰ الكَنَـائسِ بَـلْ كَظَبْـيِ كنَاسَـةٍ ... يَـرْنُـوْ بطَـرْفٍ كَـالحُسَـامِ المُـرْهَـفِ
ظَـامِـيْ النِّطَـاقِ يكَـادُ يُـرْجِـعُ لَـيْ الصِّبَـا ... ضَمِّـي لِـذَيَّـاكَ القَـوَامِ الأَهْيَـفِ
يَـا صَـاحِ دَاوِ بـذكْـرِه دَاءَ الهَـوَىٰ ... فَهْـوَ الشِّفَـاءُ لمُسْتَهَـامٍ مُـدْنَـفِ
/ ٨٤ب/ وَٱنْقَـعْ بـرِيقَتـهِ الغَلِيْـلَ فَـرَشْفُهَـا ... أَشْهَـىٰ إلَـيَّ مِـنَ السُّـلَافِ القَـرْقَـفِ
إنِّـيْ لَيُطْـرِبُنِـيْ المَـلَامُ بـذكْـرِه ... فَلْيُكْثِـرَنْ لَـوْمِـيْ عَلَيْـهِ مُعَنِّفِـيْ

ومما كتبه إلىٰ الملك العزيز غياث الدين أبي المظفر محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الكامل]

بِـالله يَـا رِيْـحَ الشَّمَـالِ تَحَمَّلِـيْ ... قِصَصِـيْ إلَـىٰ المَلِـكِ العَـزِيْـزِ المُجْمِـلِ
وَصِفِـيْ لَـهُ مَـا قَـدْ لَقِيْـتُ مِـنَ العِـدَا ... وَسَلِيْـهِ كَشْـفَ قَضِيَّتِـيْ وَتَـرَسَّلِـيْ
وَاهَـاً لِمَـنْ أَخْنَـىٰ عَلَيْـهِ زَمَـانُـهُ ... وَكَسَـاهُ بَعْـدَ العِـزِّ ثَـوْبَ تَـذَلُّـلِ
وَسَقَـاهُ نَكْـثُ المُعْتَـدِيْـنَ وَسَعْيُهُـمْ ... كَـأسَـاً مَـذَاقَتُهَـا كَطَعْـمِ الحَنْظَـلِ
يَـا مَـالِـكَ الشَّهْبَـاءِ يَـا مَـنْ جُـوْدُهُ ... ذُخْـرُ الفَتَـىٰ العَـافِـيْ وَكَنْـزُ المُـرْمِـلِ
يَـا طَـوْدَ حِلْـمٍ رَاسِخَـاً هَضَبَـاتُـهُ ... تَسْمُـوْ عَلَـىٰ هَـامِ السِّمَـاكِ الأَعْـزَلِ
يَـا دَوْحَـةَ النِّعَـمِ الَّتِـيْ كُـلُّ الـوَرَىٰ ... يَتَفَيَّـأوْنَ بظِلِّهَـا المُسْتَكْمَـلِ
يَـا ٱبْـنَ الَّـذِيْ آيَـاتُ سِيْـرَةِ عَـدْلِـه ... تُتْلَـىٰ كَـآيَـاتِ الكِتَـابِ المُنْـزَلِ
/ ٨٥أ/ يَـا ٱبْـنَ الَّـذِيْ بَيْـنَ الأَنَـامِ صِفَـاتُـهُ ... عِطْـرِيَّـةُ النَّفَحَـاتِ مِثْـلَ المَنْـدَلِ
يَـا ٱبْـنَ الَّـذِيْ أَسْـدَىٰ إلَـيَّ صَنَـائِعَـاً ... جَلَّـتْ فَلَـمْ تُحْصَـرْ وَلَـمْ تُتَقَلَّـلِ
يَـا ٱبْـنَ الَّـذِيْ مَـازِلْـتُ تَحْـتَ ظِـلَالِـه ... فِـيْ نِعْمَـةٍ جِلْبَـابُهَـا لَـمْ يَسْمُـلِ
لَهْفِـيْ عَلَـىٰ زَمَـنٍ مَضَـىٰ فِـيْ ظِلِّـهِ ... لَـوْ دَامَ لَـمْ أُمْقَـتْ وَلَـمْ أَسْتَبْـدِلِ
فَـلأَبْكِيَـنَّ عَلَـىٰ زَمَـانِ سَعَـادَةٍ ... كَـانَـتْ بِـهِ فَمَضَـتْ وَلَـمْ تُسْتَقْبَـلِ
لَهْفِـيْ عَلَيْـهِ فَلَـوْ يَـدُوْمُ صَفَـاؤُهُ ... مَـا كُنْـتُ عَـنْ نَيْـلِ المُـرَادِ بمَعْـزِلِ
أَنَّـىٰ أُضَـامُ وَأَنْـتَ ذُخْـرِيْ فِـي الـدُّنَـىٰ ... أَوْ أَنْ أُهَـانَ وَفِـيْ حِمَـاكَ تَقَيُّلِـيْ

أَضْحَىٰ وَظِلُّكَ سَابِغٌ وَيَمَسُّنِي ظَمأٌ وَجُودُكَ كَالْغُيُوثِ الْهُطَّلِ
أَيَجُوزُ أَنْ آتِي إِلَيْكَ مُجَمِّلاً وَأَعُودَ عَنْكَ بِحَالَةٍ لَمْ تَجْمُلِ
وَتَرُوحَ غِلْمَانِي وَأَرْجِعَ خَائِبًا مِنْكُمْ وَكَانَ عَلَىٰ نَدَاكَ مُعَوَّلِي
وَأَبِيعَ مَوْجُودِي وَأَرْحَلَ عَنْكُمُ صِفْرَ الْيَدَيْنِ مُشَتَّتًا عَنْ مَنْزِلِي
فَلَقَدْ حُرِمْتُ لَدَيْكَ مَا أَمَّلْتُهُ دُونَ الأَنَامِ وَأَنْتَ خَيْرُ مُؤَمَّلِ
إِنْ كَانَ حَظِّي نَاقِصًا مِنْكُمْ كَمَا شَاءَ الْعِدَا وَبَغَوْا فَكَيْفَ تَحَيُّلِي
أَوْ كُنْتُ عِنْدَكُمُ مُضَاعًا مُهْمَلاً نَسْيًا فَعِنْدَ سِوَاكُمُ لَمْ أُهْمَلِ
/ ٨٥ب/ فَعَسَاكَ تَسْمَحُ لِي بِرَدِّ أُخَيْذَتِي كَرَمًا بِرُغْمِ النَّاكِثِ الْمُتَقَوِّلِ
أَنَا رَاحِلٌ فَإِذَا سُئِلْتُ عَنِ الَّذِي لاقَيْتُ فِي حَلَبٍ وَمَا قَدْ تَمَّ لِي
مَاذَا أَقُولُ لَهُمْ أَيَجْمُلُ بِي سِوَىٰ حُسْنِ الثَّنَاءِ إِذَا حَضَرْتُ بِمَحْفَلِ
فَلأُثْنِيَنَّ عَلَىٰ الَّذِي تُولِيهِ مِنْ فِعْلِ الْجَمِيلِ سُئِلْتُ أَوْ لَمْ أُسْأَلِ

[٨٧٠]

نبهانُ بنُ محمود بن عثمانَ بنِ نبهانَ بنِ بهَّاجِ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ، أبو اليقظانَ الإربليُّ.

أخبرني أنَّه ولد سحرة يوم الإثنين عاشر محرَّم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. وأصله من الدُّور[(١)]، من أبناء التجار المياسير بإربل، وأكبر بيت بها في الثروة وكثرة المال والعقار.

وهو رجل حسنُ الدُّعابة، طيب الخُلُق ذو كياسة ودماثة، ونظم أشعاراً كثيرة، له في عملها بديهة حاضرة، ولما تغلّب التتار علىٰ إربل في سنة أربعٍ وثلاثين وستمائة، سافر إلىٰ مدينة السلام، وخدم لبعض أمرائها متصرفًا؛ وهو بها مقيم. ورأيته بها في سنة تسع وثلاثين وستمائة، وتركته حيًا.

أنشدني لنفسه بإربل /٨٦أ/ في سنة خمس وعشرين وستمائة، يمدح مالكها الفقير إلىٰ الله تعالىٰ أبا سعيد كوكبُوري بن عليّ بن بكتكين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ويهنيه

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (الدور).

بعافية من مرض ألَمَّ به : [من البسيط]

يَا مَالكًا فَاقَ أَهْلَ الأَرْض قَاطبَةً ... وَسَادَ كُلَّ مُلُوكَ العُجْمِ وَالعَرَبِ
وَمَنْ لَهُ المُلْكُ إرْثًا عَنْ أَب فَأَب ... ومَنْ لَهُ المَجْدُ حَقًا غَيْرَ مُكْتَسَبِ
حَاشَاكَ مِنْ عَارضٍ يُطْرَا عَلَيْكَ ومِنْ ... بُؤْس يَنَالُكَ فِي الأَزْمَانِ وَالحقَبِ
وَيَا مَليْكًا وكُلُّ النَّاس يَرهَبُهُ ... وَمنْ سُطَاهُ يَخَافُ الدَّهْرُ ذُو النُّوَبِ
بَحْرُ العَطَايَا وَبَدْرٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... وَلَيْثُ غَابٍ إذَا مَا جَدَّ فِي الطَّلَبِ
لَكَ الهَنَاءُ بأَنْ عُوفِيْتَ يَا مَلَكًا ... وَللْعدَا منْكَ ضَرْبُ الهَامِ بالقُضُبِ
تَفْديكَ كُلُّ مُلُوكِ الأَرْض قَاطبَةً ... وآلُ نَبْهَانَ بالأَرْوَاحِ وَالنَّشَبِ
عَلَى الخُصُوْص أَنَا أَفْديْكَ مُجْتَهداً ... بمُهْجَتِي وَبِمَالِي دُوْنَهُمْ وأَبِي
خُذْهَا مَقَالَةَ صدْقٍ لاَ يُمَازِجُها ... دَعْوَى مُكَدَّرَةٌ بِالمَيْنِ وَالكَذِبِ
وَعِشْ عَلَى رُغْمِ مَنْ يَشْنَاكَ فِي دَعَةٍ ... مُبلَّغًا كُلَّ مَا تَرجُوْهُ مِنْ أَرَبِ
يَسْعَى بأَمْرِكَ صَرْفُ الدَّهْرِ مُمْتَثلاً ... لِمَا تَرُوْمُ بلاَ خُوْفٍ وَلاَ رَهَبِ

/ ٨٦ب/ ونقلتُ من خطّه شعره، ما كتبه إلىٰ الأمير الكبير العالم الأصفهسلار ركن الدين أبي شجاع أحمد بن قرطايا بن عبد الله الإربلي ـ أسعده الله تعالىٰ ـ(١) :

[من الوافر]

أَرُكْنَ الدِّيْنِ يَا مَوْلاَيَ يَا مَنْ ... غَدَا فِي الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ آيَهْ
رَحَلْتَ فَكُنْتُ أَدْعُو كُلَّ يَوْمٍ ... لِمَجدِكَ بِالحَرَاسَةِ وَالكَلاَيَهْ

أصلها الكلاءَة، وهو خطأٌ.

وَأُبْتَ فَزَادَنِي فَرَحًا بأَنِّي ... رَأَيْتُكَ بالإحَاطَةِ وَالرِّعَايَهْ
وَمِنْ حُسْنِ الثَّنَاء بكُلِّ مغنًى ... أَقَمْتَ لِمَجْدِكَ المَحْرُوْسِ رَايَهْ
وَبِي شَوْقٌ إلَيْكَ وَفَرطُ وَجْدٍ ... تَجَاوَزَ وَصْفُهُ حَدَّ النِّهَايَهْ
وَمَا أَنَا مَنْ يُغَيِّرُهُ احْتشَامٌ ... وَلاَ أَنَا مَنْ تُبَطِّرُهُ الوِلاَيَهْ
وَلاَ كُنْتُ الوَضِيْعَ فَرَفَّعَتْنِي ... ولاَيَاتٌ أَتَتْنِي بِالعِنَايَهْ
فَأَنْتَ رَأَيْتَنِي وَسَمِعْتَ أَيْضًا ... بِحَالِي فِي البِدَايَةِ وَالنِّهَايَهْ

(١) ترجم له المؤلف في الجزء الأول من هذا الكتاب برقم ١٠٢ .

/ ٨٧أ/ وَلَوْ أُعْطِيْتُ مُلْكَ الأَرْضِ طُرّاً ... أرَانِي فِي الزِّرَاعَةِ وَالتِنَايَهْ
وَمَا أَنَا طَامِعٌ فِي أرمغَانٍ ... وَمَنْ يُهْدِيْ إِلَى سُبُلِ الهِدَايَهْ
وَلكِنْ أَنْتَ مِنْ مَلَلٍ وَهَجْرٍ ... مَدَى الأَيَّامِ تَعْمَلُ لِيْ حَمَايَهْ
وَمَانِعِيَ التَّأَلُّمُ عَنْ وُصُولِي ... وَبِي مَرَضٌ تَعَدَّى كُلَّ غَايَهْ
إِلَى مَنْ أَشْتَكِي دَهْرِيْ وَمَاذَا ... تُرَى يُجْدِيْ التَّأَلُّمُ وَالشِّكَايَهْ
فَلاَ بَرِحَتْ سُعُودُكَ فِي ابْتِدَاءٍ ... وَأَنْتَ مِنَ الحَوَادِثِ فِي وِقَايَهْ

[٨٧١]

نجمُ بنُ يوسفَ بن أحمدَ بنِ نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بنِ أبي الفَرَجِ بنِ عليِّ [بنِ] الحسنِ، أبو العلاءِ بنُ الحَنبليِّ.

من أهل دمشقَ ومن بيت مشهور بها.

شاهدتُهُ بإربل شابًا جميلاً وسيمًا، يتعلق بخدمة الملكة ربيعة خاتون بنت أيوب بن شاذي، ويتصرّفُ لها في أملاكها المختصّة بها بإربل. وله شعر يسير فيه ضعف، وربّما أخذ لشاعرٍ نصف بيتٍ من الشعر، فيبني عليه أبياتًا قريبة.

ومما أنشدني لنفسه ما كتبه إِلىٰ بعض الوُجُوه الرؤساء وأملاهُ عليّ من لفظه وحفظه: [من الطويل]

/ ٨٧ب/ أَمَوْلاَيَ عِزَّ الدِّيْنِ يَا مَنْ بِجُوْدِهِ ... بَنَىٰ المَجْدَ مِنْ دُوْنِ البَرَايَا وَشَيَّدَا
وَفَاقَ عَلَىٰ أَهْلِ الزَّمَانِ بِعِلْمِهِ ... فَأَصْبَحَ فِيْ جَمْعِ الفَضَائِلِ أَوْحَدَا
إِلَيْكَ اشْتِيَاقِيْ لاَ يَزَالُ مُبَرِّحًا ... عَظِيمًا عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَانِ مُجَدَّدَا
فَهَلْ تَجْمَعُ الأَيَّامُ شَمْلِيْ وَشَمْلَكُمْ ... عَلَىٰ رُغْمِ آنَافِ الحَوَاسِدِ وَالعِدَا
فَتَجْمَعَ مِنْهُ مَا تَفَرَّقَ أَوَّلاً ... وَأَصْبَحَ مِنْ بَعْدِ التَّدَانِيْ مُبَدَّدَا
عَلَيْكَ سَلاَمِيْ مَا شَدَا فَوْقَ أَيْكَةٍ ... حَمَامٌ وَمَا لاَحَ الصَّبَاحُ وَمَا بَدَا

ومن شعره أيضًا ما كتبه إِلىٰ عمِّ أبيه الناصح أبي الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الواعظ بن الحنبلي: [من البسيط]

هَبَّ النَّسِيْمُ فَأَهْدَىٰ نَشْرُكُمْ سَحَرًا ... لِلْصَّبِّ حَقًّا وَسَيْفُ الصُّبْحِ مَا شُهِرَا

سَرَى عَلَى الرُّوْضِ رَقْراقًا فَتَاهُ بِهِ ... وَأَصْبَحَ الرُّوْضُ مِنْ أَنْفَاسِهِ عَطِرَا
أَهَاجَ لِلْصَبِّ أَشْوَاقًا مُبَرِّحَةً ... فَبَانَ لِلْخَلْقِ مَا أَخْفَى وَمَا سَتَرَا
إنْ تُنْكِرُوا فَرْطَ وَجْدِيْ فِيْ مَحَبَّتِكُمْ ... فَسَائِلُوا طَيْفَكُمْ عَنِّي إذَا حَضَرَا
/١٨٨أ/ يَا نَاصِحَ الدِّيْنِ يَا بَحْرَ العُلُوْمِ وَمَنْ ... رَبِّي لَهُ قَبْلَ أَنْ يُبْدِيْهِ قَدْ غَفَرَا
لَوْلاَ نَدَاكَ وَأَنْوَارٌ خُصِصْتَ بِهَا ... مَا كَانَ مَذْهَبُنَا فِيْ الأُفْقِ قَدْ ظَهَرَا
أَحْيَيْتَ بَيْتًا لَنَا فِيْ كُلِّ مَا وَطَنٍ ... بِالجُوْدِ وَالعِلْمِ مَنْ عَادَاكَ قَدْ كَفَرَا
لَوْلاَكَ مَا جِلِّقٌ تَاهَتْ عَلَى بَلَدٍ ... وَمُبْصِرٌ لِشُعَاعِ الشَّمْسِ مَا نَكِرَا

[٨٧٢]

نَدَىٰ بنُ عبدِ الغنيِّ بنِ عليٍّ المصريُّ(١).

أنشدني الصاحبُ الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي بحلب ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الخضر

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/١٣٨ ـ ١٣٩ رقم ١٠٣٠ وفيه: «ندى بن عبد الغني بن علي بن عبد الوهاب الأنصاري الحنفي المنعوت بالرَّضيّ، الشيخ الفقيه، أبو الجود، توفي بالقاهرة في الحادي والعشرين من شعبان سنة أربع وستمائة، ودفن بمقبرة الحنفية المعروفة بهم بسفح المُقَطَّم.
تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وتقدم فيه، ورحل إلى الإسكندرية فسمع بها من الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني، وأبي الضياء بدر بن محمد بن عبد الرحمن بن منصور الحضرمي، وأبي المفضل عبد المجيد بن الحسين بن دليل وغيرهم. وسمع بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ من المنتجب أبي الحسن علي بن الحسن الريحاني المكي. وسمع بمصر من أبي عبد الله محمد بن علي الرّحبي، وأبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد الصمد الكاملي، وأبي عمرو عثمان بن فرج بن سعيد العبدري، وأبي الطاهر اسماعيل بن قاسم الزيّات. وأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن الحسين السِّبي، وشيخ الشيوخ أبي القاسم عبد الرحيم بن أبي البركات بن أبي سعد الصوفي، والعلامة أبي محمد عبد الله بن برّي النحوي، وأبي الغنائم المسلَّم بن مكي، وخلف بن علاّن القيسي، وأبي محمد عبد الله بن سعد الله البجلي، وأبي الحسن علي بن أحمد الحديثي، وأبي القاسم هبة الله بن علي الكاتب، والزوجين أبي الحسن علي بن إبراهيم بن نجا، وفاطمة بنت سعد الخير، وأبي عبد الله محمد بن حمد بن حامد وجماعة كثيرة من أهل البلد والقادمين عليها.
ودرّس بمدرسة السيوفيين بالقاهرة مدة، وحدّث وجمع.
ترجمته في: تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص١٦٦ رقم ٢١٩. المشتبه/ الورقة ٦٣. توضيح المشتبه ١/ ٤٠٠ وفيه: «ندا» بالألف الممدودة.

الحلبي الفقيه الحنفي، قال: أنشدني ندىٰ بن عبد الغني بن علي بمصر لنفسه:

[من الطويل]

عَلَىٰ أيِّ وَجْهِ أبْتَغِي شُكْرَ فَاضِلٍ ... جَمِيْعَ نِهَايَاتِ المَكَارِمِ حَائِزُ
إذَا مَا شَكَرْتُ الفَضْلَ مِنْهُ يَقُوْلُ لِي ... فَضَائِلُ لَمْ أشْعُرْ بِهَا أنْتَ عَاجِزُ

[٨٧٣]

نعمةُ بنُ يوسفَ بنِ بركاتٍ أبو الفضلِ الأنصاريُّ الدمشقيُّ، المعروفُ بالباقعة.

أنشدني /٨٨ب/ الشيخ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي الآدميُّ بحلب، قال: أنشدني الباقعة لنفسه: [من الكامل]

وَمَرِيْضَةِ الأَجْفَانِ تَفْعَلُ فِي الحَشَا ... مَا لَيْسَ يَفْعَلُ مِثْلَهُ السِّحْرُ
حَسُنَتْ خَلائِقُهَا وَخِلْقَتُهَا ... فَعَنَا لِبَهْجَةِ وَجْهِهَا البَدْرُ
عَثَرَ الصَّبَاحُ بِصُدْغِ لَيْلَتِهَا ... وَأتَىٰ عَلَىٰ شَفَقٍ لَهَا الفَجْرُ

[٨٧٤]

نما بنُ الخوجستانيِّ.

من أهل دُنَيْسَر.

كان فيه أدب، ويقول شعراً صالحًا. وكان معلّم الصبيان بماردين.

أنشدني من شعره الأمير شرف الدين أبو حفص عمر بن أسعد بن عمار الموصلي بها، وكتبه لي بخط يده ـ أيده الله تعالىٰ ـ: [من مجزوء الكامل]

يَا عَبْرَتِي فِيْضِي وَيَا ... نَفْسِي مِنَ العَبَرَاتِ فِيْظِي(١)
أضْحَىٰ الزَّمَانُ مُعَانِدِي ... وَغَدَا تَصَرُّفُهُ مُغِيْظِي
لَوْ قِيْلَ مَنْ هَذَا الَّذِيْ ... أعْرَبْتُ عَنْ قَلْبِ حَفِيْظِ
مَنْ لَيْسَ بِالنِّكْسِ الدَّنِـ ... ـيِّ وَلَيْسَ بِالفَظِّ الغَلِيْظِ

---

(١) فيضي: من الفيضان، فيظي: تفسر هنا، موتي، من الموت.

مَـــنْ خَطُّـــهُ فَـــوْقَ الخُطُـــوْ ... طِ وَحَظُّـــهُ تَحْـــتَ الحُظُـــوْظِ

[٨٧٥]

نُوحُ بنُ أبي الفضلِ الدمشقيُّ.

كان والده رجلاً يهوديًا متصرِّفًا في خدمة ميمون القصري، فأنعم الله عليه بالإسلام ـ وكانت ولادة نوح سنة سبع وثمانين وخمسمائة بدمشق، ونشأ وتأدّب وخدم في الأعمال الديوانيّة بحلب، متصرفًا للأمراء.

وكان من أسمح الناس أخلاقًا، وأطيبهم معاشرة، وألطفهم حاشية، وأقدرهم علىٰ قول الشعر، وأسرعهم في نظمه بديهةً. وكان يقول الشعر طبعًا، ولم يكن خبيراً بصناعته ومعانيه ومعرفته، ولمحتُ في أشعاره لحنًا واضطرابًا، ولم يزل مقيمًا بحلب إلىٰ أنْ توفي بهَا في سنة خمس وثلاثين وستمائة، ودفن بمقابر الخليل إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ في تربة معروفة بناصر الدين أبي بكر بن ميمون القصري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

أنشدني أبو الفوارس جهبل بن محمد بن طاهر بن نصر الله بن جَهبَل القُريظيُّ الكلابي الحلبي بها في رمضان سنة تسع وأربعين وستمائة، قال / ٨٩ب/ أنشدني نوح بن أبي الفضل الدمشقي لنفسه، في غلام كان يهواه ـ يعتريه الصرع ـ:

[من الطويل]

بنَفْسِـيَ مَـنْ أُضْحَـىٰ مِـنْ الجِـنِّ خَـائفـًا ... وَقَـدْ كَـانَ مِـنْ رَيْـبِ الحَـوَادِث فِـيْ أُمْـنِ

أَلَـمْ يكْـفِ مَـا فِـيْ حُبِّـهِ مِـنْ مُشَـارِك ... مِـنَ الأنْـسِ حَتَّـىٰ ازْدَدْتَ قَـوْمًـا مِـنَ الجِـنِّ

وَمَـــا ذَاكَ إلاَّ أَنَّ سُلْطَـــانَ حُسْنِـــهِ ... دَعَـاهُـمْ فَلَبُّـوا خَـائفِيْـنَ مِـنَ السِّجْـنِ

جُنِنْـتُ بِـهِ عَمْـداً وَأَعْـدَيْتُهُـمْ بِمَـا ... جُنِنْـتُ فَـأَصْبَحْنَـا شَـرِيْكَيْـنِ فِـيْ فَـنِّ

وقال من قصيدة طويلة أولها: [من الكامل]

قَـدِمَ الـرَّبِيْـعُ فَفَـاحَ طِيْبًـا نَشْـرُهُ ... لمَّـا تَـأَرَّجَ فِـيْ رِيَـاضِ عِطْـرُهُ

وَوَشَـتْ عَلَـىٰ أَنْهَـارِهِ رِيْـحُ الصَّبَـا ... سَحَـراً فَهُتِّـكَ بَعْـدَ سَتْـرٍ سِتْـرُهُ

غَنَّـتْ بَـلاَبِلُـهُ لِـرَقْـصِ غُصُـوْنِـهِ ... طَـرَبًـا وَصَفَّـقَ بِـالتَّـدَفُّـقِ نَهْـرُهُ

فَـاشْـرَبْ عَلَـىٰ زَهْـرِ الـرَّبِيْـعِ فَـإِنَّـهُ ... زَمَـنٌ يَقُـوْمُ بِـهِ لِكُـلِّ غُـدْرُهُ

لاَ حَاجَةٌ لِي فِي الرَّبِيْعِ وَقَدْ بَدَىٰ ... فِي وَجْنَةِ الرَّشَأ المُفَدَّىٰ زَهْرُهُ
فَالوَرْدُ مِنْ وَجَنَاتِهِ وَعِذَارُهُ ... آسٌ وَنَورُ الأُقْحُوَانَةِ ثَغْرُهُ
/٩٠أ/ وَالكَأْسُ ثَغْرٌ قَدْ أَدَارَ مُدَامَةً ... فِيْنَا وَلَكِنْ مِنْ رُضَابَ خَمْرُهُ
فِيْ مَجْلِسٍ جَنَّاتُهُ قَدْ زُخْرِفَتْ ... وُلْدَانُهُ فِيْهَا وَفِيْهَا حُوْرُهُ
وَمُلَحِّنٍ لَوْ كَانَ عَاصَرَ مَعْبداً ... فِي دَهْرِهِ مَا شَاعَ فِيْنَا ذِكْرُهُ
مَازَالَ يَضْرِبُ عُوْدَهُ فَيَئِنُّ مِنْ ... أَلَمٍ فَيَنْدُبُهُ بِسِحْرٍ زَمْرُهُ
يَا أَيُّهَا الرَّشَأُ الَّذِيْ فِي شَعْرِهِ ... لَيْلٌ وَلَكِنْ مِنْ جَبِيْنٍ بَدْرُهُ
نَقِّصْ كُؤُوسَكَ قَدْ سَكِرْتُ صَبَابَةً ... يَكْفِي مُحِبَّكَ مِنْ غَرَامٍ سُكْرُهُ
وَاعْطِفْ عَلَى صَبٍّ بِحُبِّكَ لَمْ يَزَلْ ... طَوْعَ الغَرَامِ وَقَدْ عَصَاهُ صَبْرُهُ

وقال من أخرىٰ: [من الطويل]

لِحَاظُكَ أَنْكَىٰ فِيْ فُؤَادِيْ مِنَ النَّبْلِ ... وَمَا أَنْتَ مِنْ قَتْلِي بِهَجْرِكَ فِيْ حِلِّ
وَإِنِّي وَإِنْ وَاشٍ إِلَيْكَ بِزُوْرِهِ ... أَمَالَكَ عَنِّي لاَ أَمِيْلُ إِلَىٰ عَذْلِ
وَقَدْ لَذَّ لِي الهِجْرَانُ مِنْكَ لأَنَّنِي ... أَرَاكَ بِهِ تَرْضَىٰ فَدَعْنِيْ مِنَ الوَصْلِ
وَكُنْ رَاحِماً لِي مِنْ وُقُوفِي بِذِلَّةٍ ... عَلَيْكَ عَسَىٰ أَنْ تُكْتَفَى وَقْفَةُ الذُّلِّ
فَأُقْسِمُ أَنِّي لَوْ رَأَيْتُكَ عَاقِداً ... لِبَنْدِ قَبَاءٍ عَادَ صَبْرِيَ فِي حَلِّ
وَمُعْتَقِلٍ رُمْحَ القَوَامِ سِنَانُهُ ... لِحَاظٌ لَهَا النَّجْلاَءُ بِالأَعْيُنِ النُّجْلِ
/٩٠ب/ عَدِمْتُ بِوَجْدِيْ فِيْهِ كُلَّ مُمَاثِلٍ ... كَذَلِكَ بَدْرُ الدِّيْنِ عَارٍ مِنَ المِثْلِ

وقال من قصيدة أخرىٰ مبدأها: [من الطويل]

أَهَلْ بَعْدَ إِقْرَارِ المَدَامِعِ جَاحِدُ ... وَهَلْ يَنْفَعُ الإِنْكَارُ والسُّقْمُ شَاهِدُ
وَبِي رَشَأٌ إِنْ رُمْتُ وَصْلاً يَصُدُّنِي ... وَإِنْ رُمْتُ قُرْباً مِنْهُ فَهُوَ مُبَاعِدُ
يُعَانِدُنِيْ طُوْلَ المَدَىٰ وَأُحِبُّهُ ... وَأَعْجَبُ شَيءٍ أَنْ يُحَبَّ مُعَانِدُ
تَصَيَّدَ قَلْبِي بِاللِّحَاظِ وَفِي الهَوَىٰ الأُ ... سُوْدُ لأَلْحَاظِ الظِّبَاءِ مَصَايِدُ
نَفُوْرٌ وَلَكِنْ ذَاكَ فِي الظَّبْيِ عَادَةٌ ... وَمُسْتَأْنِسٌ لَكِنْ عَنِ الصَّبِّ شَارِدُ
وَمَا زِلْتُ فِي حَرْبٍ مَعَ الدَّهْرِ تَارَةً ... تُطَارِدُنِي آفَاتُهُ وَأُطَارِدُ
وَلَمْ أَلْقَ فِيْهِ غَيْرَ خِلٍّ مُمَالِقٍ ... غَبِيٍّ وَإِمَّا نَاصِحٌ هُوَ حَاسِدُ
فَتًى إِنْ مَنَعْتُ الرِّفْدَ عَنْهُ يَسُبُّنِيْ اعتِـ ... ـسَافاً وَإِنْ وَاسَيْتُهُ فَهُوَ جَاحِدُ

صَبَرْتُ عَلَىٰ حَمْلِ الشَّدَائِدِ مُكْرَهًا وَمِثْلِي مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ

وقال أيضًا من قصيدة أُخرىٰ: [من الخفيف]

/ ٩١أ/ أَسْكَرَتْنَا شَمَائِلٌ لاَ شَمُولُ طَافَ فِيْنَا بِهَا الغَزَالُ الكَحِيْلُ
رَشَأٌ سَلَّ مِنْ لِحَاظٍ سُيُوفًا أَنَا دُوْنَ الوَرَىٰ بِهَا مَقْتُولُ
مُنْكِرٌ قَتْلَتِي وَفِي صَحْنِ خَدَّيْهِ شَهِيْدٌ بِهَا دَمِي المَطْلُولُ
شَرْعُهُ لاَ يُقَادُ فِي الحُبِّ صَبٌّ وَلَهُ مِنْ جَمَالِ وَجْهِهِ دَلِيْلُ
إِنْ بَدَا طَالِعًا فَبَدْرٌ تَبَدَّى أَوْ تَثَنَّىٰ فَغُصْنُ بَانٍ يَمِيْلُ
رَشَأٌ خَصْرُهُ ضَعِيْفٌ وَلَكِنْ حَمْلُهُ رِدْفُهُ الكَثِيْبُ المَهِيْلُ
خُنْتُ فِيْهِ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ عَذُوْلِي وَمِنَ الحَزْمِ أَنْ يُخَانَ العَذُوْلُ
لاَ يَمَلُّ الغَرَامَ قَلْبِيَ لأَنِّي كَارِهٌ أَنْ يُقَالَ: قَلْبٌ مَلُولُ
يَا زَمَانِي إِنْ كَانَ قَصْدُكَ مِنِّي فِي عِنَادٍ فَإِنَّ قَلْبِي حَمُولُ
كُلَّمَا رُمْتُ فِي المَعَالِي نُهُوضًا رَدَّنِي حَاسِدٌ وَضِدٌّ جَهُولُ
قَدْ قَتَلْتُ الزَّمَانَ خُبْراً إِلَىٰ أَنْ صَحَّ عِنْدِيَ عَادَاتُهُ التَّبْدِيْلُ
فَيُعِزُّ الذَّلِيْلَ بَعْدَ انْكِسَارٍ وَيُرِيْكَ العَزِيْزَ وَهْوَ ذَلِيْلُ
وَلَقَدْ سُقْتُ فِي الفَيَافِي قَلُوصًا سَيْرُهَا فِي الفَلاَةِ سَيْرٌ ذَمِيلُ
أَقْطَعُ البِيْدَ بِالمَسِيْرِ لِعِلْمِي أَنَّ قَطْعَ الفَلاَ بِسَعْدٍ وُصُولُ
/ ٩١ب/ مَا تَرَىٰ العُوْدَ إِنْ جَفَا فِيْهِ طِيْبٌ فِي مَقَامٍ أَذَالَهُ التَّبْذِيْلُ

وقال أيضًا من قصيدة أولها: [من البسيط]

إِيْهِ حَدِيْثَكَ عَنْ سُكَّانِ نَعْمَانِ فَمِنْ حَدِيْثِكَ قَدْ هَيَّجْتَ أَشْجَانِي
كَرِّرْ عَلَيَّ أَحَادِيْثًا تُذَكِّرُنِي أَمَامَ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي القُرْبِ يَنْآنِي
نَجْلُ النَّصَارَىٰ إِلَىٰ التَّوْحِيْدِ يُرْشِدُنِي لأَنَّهُ مَا لَهُ فِي الحُسْنِ مِنْ ثَانِي
فَاعْجَبْ لِمَنْ دِيْنُهُ التَّوْحِيْدُ كَيْفَ غَدَا يَضِلُّ لَوْلاَ هُدَاهُ حُبُّ نَصْرَانِي
دَقِيْقُ خَصْرٍ فَلَيْسَ الطَّرْفُ يُدْرِكُهُ مِنْ رِقَّةٍ قَدْ حَكَىٰ دِيْنِي وَإِيْمَانِي
لَمْ أَنْسَهُ إِذْ أَتَانِي لاَبِسًا حُلَلَ السَّوَادِ حَامِلَ إِنْجِيْلٍ وَصُلْبَانِ
يَتْلُو زُبُوراً فَلَوْ دَاوُوْدُ يَسْمَعُهَا مُلَحَّنًا، قَالَ: هَذَا بَعْضُ أَلْحَانِي
غَدَا يُقَرِّبُ قُرْبَانًا، فَقُلْتُ لَهُ: مَا كُنْتُ بَائِعَ تَقْرِيْبٍ بِقُرْبَانِ

وَقَامَ يَسْعَىٰ بِكَأْسِ الخَمْرِ فِيْ يَدِهِ ... عَلَىٰ النَّدَامَىٰ فَحَيَّاهُمْ وَحَيَّانِيْ
فَقُلْتُ: دَعْنِيَ فَإِنِّيَ قَدْ سَكِرْتُ هَوَىً ... حَاشَاكَ يُجْمَعُ لِيْ مَا بَيْنَ سُكْرَانِ
واللهِ إنْ لَمْ تَكُنْ لِيْ رَاحِمًا وَتَدَعْ ... عَنْكَ التَّمَادِيَ فِيْ صَدِّيْ وَهِجْرَانِيْ
/ ٩٢أ/ لأَشْكُوَنَّ الَّذِيْ أَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ ... إِلَىٰ أَمِيْرٍ لَهُ أَخْلَاقُ سُلْطَانِ

وقال يمدح الأمير بدر الدين أيدمر بن عبد الله الوالي: [من الكامل]

فِيْ مِثْلِ حُبِّكَ تُهْتَكُ الأَسْتَارُ ... وَبِمِثْلِ صَدِّكَ تَظْهَرُ الأَسْرَارُ
كَمْ جَهْدَ قَلْبٍ سَاتِرٍ أَسَرَ الهَوَىٰ ... أَبَدًا وَفِيْ سَقَمِيْ لَهُ إِضْمَارُ
يَا عَاذِلِيْ قَلَّ المَلَامَ فَإِنَّ لِيْ ... فِيْ عِشْقِهِ بِعِذَارِهِ أَعْذَارُ
ظَبْيٌ يَرَىٰ أَنَّ الصُّدُوْدَ مَثَابَةٌ ... وَالوَصْلَ يَعْقُبُهُ بِهِ أَوْزَارُ
نَجْلُ النَّصَارَىٰ لَيْسَ لِيْ فِيْ حُبِّهِ ... أَبَدًا عَلَيْهِ فِيْ الوَرَىٰ أَنْصَارُ
قَدْ حَلَّ صَبْرِيْ فِيْ هَوَاهُ صَبَابَةً ... مُذْ شُدَّ فِيْ وَسْطٍ لَهُ زُنَّارُ
أَبَدًا أُوَحِّدُ حُبَّهُ وَأَرَاهُ فِيْ ... تَثْلِيْثِ أَضْدَادِيْ بِهِ فَأُغَارُ
لَا أَرْتَضِيْ فِيْ حُبِّهِ بِمُشَارِكٍ ... وَالشِّرْكُ فِيْ دِيْنِ الصَّبَابَةِ عَارُ
ظَبْيٌ نَفُوْرٌ لَا يَمِيْلُ لِعَاشِقٍ ... وَالظَّبْيُ عَادَتُهُ قِلًى وَنِفَارُ
مَا لِيْ مُجِيْرٌ مِنْ عُقُوْبَةِ صَدِّهِ ... إِلَّا الأَمِيْرُ وَفِيْ حِمَاهُ أُجَارُ
مَوْلَايَ بَدْرُ الدِّيْنِ مَنْ دَانَتْ لَهُ ... مِنْ خَوْفِهِ الأَعْدَاءُ وَالكُفَّارُ
/ ٩٢ب/ نَدْبٌ به للدَّهْرِ أَعْظَمُ رَوْنَقٍ ... وَعَلَىٰ الزَّمَانِ جَلَالَةٌ وَوَقَارُ
لِلْشِعْرِ فِيْكَ طَلَاوَةٌ وَمَلَاحَةٌ ... وَبِمِثْلِ وَصْفِكَ تَحْسُنُ الأَشْعَارُ
يَا أَيُّهَا البَحْرُ الَّذِيْ فِيْ كَفِّهِ ... غَيْثٌ عَلَىٰ آمَالِنَا مِدْرَارُ
لَمَّا قَدِمْتَ اللَّاذِقِيَّةَ أَشْرَقَتْ ... بِضِيَاءِ وَجْهِكَ فِيْ الدُّجَىٰ أَنْوَارُ
نَسَخَ الظَّلَامَ ضِيَاءُ وَجْهِكَ فِيْ الدُّجَىٰ ... طُوْلَ الزَّمَانِ مَعَ النَّهَارِ نَهَارُ
أَثَّرْتَ فِيْ وَجْهِ الزَّمَانِ مَحَاسِنًا ... وَبِمِثْلِ فِعْلِكَ تَحْسُنُ الآثَارُ
أَخْبَارُ جُوْدِكَ دَائِمٌ بَيْنَ الوَرَىٰ ... أَبَدًا بِهَا تُسْتَصْغَرُ الأَخْبَارُ
وَالغَيْثُ أَنْتَ فَمُذْ حَلَلْتَ تَدَافَقَتْ ... بِاللَّاذِقِيَّةِ دَائِمًا أَمْطَارُ
فَتَهَنَّ صَوْمًا أَنْتَ فِيْهِ عِيْدُنَا ... لَمَّا قَدِمْتَ فَحَلَّلَ الإِفْطَارُ

ومنها يمدح الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف: [من الكامل]

حَصَلَتْ عَلَيَّ مِنَ العَزِيْزِ مُحَمَّدٍ نعَمٌ فَسُحبُ نَوَالِهُنَّ غزارُ
وَالله لَوْلاَ أنْتَ لَمْ يَكُ سَيْدِيٌّ لِلْعَبْدِ عِنْدَ مَلِيكِنَا تَذْكَارُ
فَكَسَوتَنِي خلَعَ الفَخَار تكَرُّمًا عِنْدَ المُلُوكِ وَحَبَّذَاكَ فَخَارُ
لاَزَالَتِ الأَفْلاَكُ طَوْعَكَ دَائمًا تَجْرِي بِمَا تَخْتَارُهُ الأَقْدَارُ

/ ١٩٣أ/

حرف الهاء

ذكر من اسمه هاشم

[٨٧٦]

هاشمُ بنُ حبيب، أبو الوليد، الأديبُ الفقيهُ النحويُّ الخطيبُ المقرىءُ الزاهدُ البيغيُّ.

ينسب إلىٰ بيغوىٰ وهي قلعةٌ حصينةٌ من أعمال غَرْناطَة[١].

كان أبو الوليد يتولّىٰ خطابتها. وكان رجلاً من خيار عباد الله الصالحين، وأوليائه الأبرار العاملين، قارئًا للقرآن الكريم، كثير التلاوة له، زاهداً متعبداً متفننًا في كُل فضل فيها بالعلوم الدينية والأدبية، لا يقعد عن شيء منها، بل يقومُ بها أحسن قيام. وكان قد تصدّر لقراءتها وإفادتها، والناس يغشونه ويأتون إليه، ويقرأون عليه، ويستفيدون منه، ويأخذون عنه، فتخرَّج به خلق كثير.

وكان له ـ مع ذلك ـ النصيب الوافر، والحظ الوافي في قرض الشعر، وقال منه قصائد مطوَّلات، ومقاطيع مستحسنات ومات مقتولاً.

/ ٩٣ب/ استُشهد علىٰ أيدي الفرنج في سنة اثنتين وعشرين وستمائة ـ رضي الله عنه ـ.

أنشدني الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأسدي البيغي المقرىء بحلب المحروسة، في سنة ثمان وأربعين وستمائة، قال: أنشدني الشيخ الأستاذ الزاهد أبو الوليد هاشم بن حبيب البيغيُّ لنفسه من قصيدة أولها: [من الكامل]

بَانَ الخَلِيْطُ وَزَوَّدُوْكَ غَرَامَا ... فَأَبَتْ جُفُوْنُكَ أَنْ تَذُوْقَ مَنَامَا

وَحَشَوْا فُؤَادَكَ لَوْعَةً لاَ تَنْقَضِي ... وَنَأَوْا بِصَبْرِكَ ظَاعِنِيْنَ ظَلاَمَا

ومنها:

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (غرناطة).

نَـــادَيْـــتُ دَارَهُـــمُ أَدَارُ أَلَـــمْ تَـــزَلْ أَلْقَـــىٰ بِهَـــا الغِـــزْلَانَ وَالآرَامَـــا
يَـــا مَعْهَـــدَ اللَّـــذَاتِ يَـــا مَلْقَـــىٰ المُنَـــىٰ كُنْـــتَ الشِّفَـــاءَ فَقَـــدْ رَجَعْـــتَ سَقَـــامَـــا
يُبْكِـــيْ حَمَـــامَ الأَيْـــكِ طُـــولُ حَنِيْنِـــهِ وَلَـــرُبَّ مُشْتَـــاقٍ يَهِيْـــجُ حَمَـــامَـــا

وله أشعار كثيرة، إلاّ أنني لم يقع إليّ شيء منها غير [ما] أثبته.

[٨٧٧]

هاشمُ بنُ عبدِ السلامِ بنِ يوسفَ بن عمرِو بنِ مندو، أبو الفضلِ الإربليُّ.

أخبرني أنَّه ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

وكان يكتب الطغرة لمليكها الفقير إلىٰ الله تعالىٰ أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله ـ ونال عنده تمكُّنًا ووجاهةً. وكان قبل اتصاله به مُملقًا جداً فحين اتصل به أثرىٰ وكثرت أمواله، وأقبلت عليه الدنيا، وصار ذا ثروة وافرة، ونعمة واسعة، ولم ينله في حال خدمته سوءٌ، ولا وصله مكروه، علىٰ أنَّ أبا سعيد كوكبُوريَّ بن علي كان كثير المصادرات لأرباب الولايات، ومتصرِّفي الدواوين. وذلك لقوة جَدِّ هاشم وسعادته.

وكان رجلاً عاميًا جاهلاً بكل شيء، كثير الغلط في كتبه التي كان يكتبها، قلَّ أنْ كتب كتابًا إلاّ ويظهرُ فيه لحنٌ وغلط.

وكنت أجتمعُ به بإربل كثيراً، وسافر إلىٰ بغداد حين دخلها التتار ـ خذلهم الله تعالىٰ ـ /٩٤ب/ في سنة أربع وثلاثين وستمائة، ثم لقيته ببغداد في سنة تسع وثلاثين وستمائة؛ وهو يتصرَّفُ لبعض أمرائها. وكان يزعم أنَّه يعمل الشعر.

أنشدني لنفسه بإربل ما كتبه إلىٰ الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن شماس الإربلي ـ رحمه الله تعالىٰ[(١)] ـ: [من البسيط]

شَـــوْقًـــا وَإِنْ دَنَـــتِ الأَحْبَـــابُ وَالـــدَّارُ وَأَضْلُـــعٌ حَشْـــوُهَـــا هَـــمٌّ وَأَفْكَـــارُ

---

(١) ترجم له المؤلف في الجزء الرابع برقم ٤١٦.

وَأَدْمُعٌ مُسْتَهِلَّاتٌ عَلَيْكَ ولِي ... إِلَى لِقَائِكَ آمَالٌ وَأَوْطَارُ
مَا حِيلَتِي يَا عَذُولِي لَا تُلِحَّ فَقَدْ ... تَهَتَّكَتْ فِيهِ أَعْرَاضٌ وَأَسْتَارُ

ومنها:

مَا لِلْعُيُونِ إِذَا مَا أَظْهَرَتْ أَحَدٌ ... غَيْرُ الوَزِيرِ جَلَالِ الدِّينِ سَتَّارُ
مَوْلًى إِذَا أَمْحَلَتْ أَرْضٌ وَحَلَّ بِهَا ... رَبَتْ كَأَنَّ نَدَى كَفَّيْهِ أَمْطَارُ

وأنشدني أيضًا لنفسه ما كتبه إلى الأمير الكبير ركن الدين أبي شجاع / ١٩٥أ/ أحمد بن قرطايا الإربلي - أسعده الله تعالى[(١)] -: [من الكامل]

مَوْلَايَ رُكْنَ الدِّينِ إِنَّ مَطِيَّتِي ... وَقَفَتْ بِبَابِكَ تَبْتَغِي المَقْصُودَا
فَكَشَفْتُ مِنْ خُمُرِ القَرِيحَةِ أَبْتَغِي ... مَدْحًا فَحَلَّتْ عُقْدَةً وَبُنُودَا
مَا زِلْتُ أَطْلُبُ فِي الرِّجَالِ مُحَمَّدًا ... أَوْ أَحْمَدًا نُمْضِي إِلَيْهِ القُودَا
حَتَّى رَأَيْتُ كِلَيْهِمَا فِي وَاحِدٍ ... لَمَّا رَأَيْتُكَ أَحْمَدًا مَحْمُودَا

وكتب إليه أبو المجد أسعد بن إبراهيم الإربلي النشابي الكاتب[(٢)] يُعاتبُه:

[من الطويل]

وَكَيْفَ احْتِيَالِي فِيكَ إِذْ لَمْ يَكُنْ إِلَى ... وِدَادِكَ إِلَّا بِالخُدَاعِ طَرِيقُ
وَلَسْتُ بِخَدَّاعٍ وَلَا إِنْ جَرَى عَلَى ... لِسَانِيَ قَوْلٌ كَانَ فِيهِ خَلُوقُ
وَفِيكَ خِلَالٌ لَا تَلِيقُ صِفَاتُهَا ... وَإِنَّكَ بِالعَتْبِ المُمِضِّ خَلِيقُ
تَوَهَّمُ مَا تَنْوِيهِ وَالخُبْثُ وَالرِّيَا ... بِصَدِّكَ أَنْ يَصْفُو لَدَيْكَ صَدِيقُ
فَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يَتَّقِي مِنْ مَخَافَةٍ ... وَلَا مُحْسِنٌ تَزْكُو لَدَيْهِ حُقُوقُ
/ ٩٥ب/ وَلَا لَكَ فِعْلٌ فِي المَكَارِمِ يُرْتَجَى ... وَلَا لَكَ وَجْهٌ بِالوَفَاءِ طَلِيقُ
وَلَا لَكَ عِلْمٌ يُسْتَفَادُ وَلَا نَدًى ... فَهَذَا الَّذِي تُبْدِيهِ كَيْفَ يَلِيقُ
وَمَا زِلْتُ أُولِيكَ الوِدَادَ وَأَغْتَدِي ... وَقَلْبِي عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ شَفِيقُ
وَهَذَا عِتَابِي وَالعِتَابُ طَرَائِقٌ ... وَمَعْنَى عِتَابِي إِنْ فَهِمْتَ دَقِيقُ

وأنفذها إليه في رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة، فكتب هاشم بن عبد السلام

(١) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ١٠٢.
(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ١٤٧.

جوابها علىٰ رويها ووزنها بهذه الأبيات : [من الطويل]

رُوَيْـدَكَ مَـا سَـادَ الكِـرَامُ أُولُـو النُّهَـىٰ بِهَجْـو ولَا سَـبُّ الـرِّجَـالِ يَلِيْـقُ
ولَا أَنَـا مِمَّـنْ يَجْهَـلُ النَّـاسُ حَـالَتِـي ولَا أَنَـا مِمَّـنْ لَا يُقَـالُ صَـدِيْـقُ
تَعَـرَّضْـتَ بِـيْ فَـاعْـدُدْ لِعِـرْضِـكَ سُتْـرَةً مِـنَ الصَّمْـتِ واحْـذَرْ أَنْ تَلُـوْحَ بُـرُوْقُ
وَقَـدَّرْتَ أَنِّـي جَـاهِـلٌ بِـكَ تَغْتَـدِي وَعِـرْضُـكَ مِـنْ لَـدْغِ الهِجَـاءِ طَلِيْـقُ
وأَوْهَمْـتَ أَنَّ النَّـاسَ غِـرٌّ وَجَـاهِـلٌ بِمَـا أَنْـتَ فِيْـهِ مَـا عَلَيْـكَ طَـرِيْـقُ
/ ١٩٦أ/ وَلَـمْ تَـدْرِ أَنِّـي حَيَّـةٌ لَـكَ كُلَّمَـا تَعَـرَّضَ وَاشٍ أَوْ يَقُـوْلُ صَـدِيْـقُ
مَتَـىٰ اعْتَلَقَـتْ كَفِّـي بِـوِدِّكَ سَـاعَـةً مِـنَ الـدَّهْـرِ أَوْلَـىٰ مِنْـكَ قَـطُّ وُثُـوْقُ
مَتَـىٰ عُلِمَـتْ مِنْـكَ المُصَـافَـاةُ لامْـرِىءٍ يَـوَدُّكَ إِلَّا غَـدْرَةٌ وَعُقُـوْقُ
وَكَـمْ غَـرَّ مَـنْ صَـافَـاكَ لَمْـعُ سَـرَابِـهِ وَكَـمْ مِـنْ سَـرَابٍ غَـرَّ مِنْـهُ بَـرِيْـقُ
إِذَا اسْتَـوَتِ الأَقْـدَامُ فَـالحُكْـمُ بَـاطِـلٌ وَلَا شَـكَّ أَنَّ الحَـقَّ مِنْـكَ زَهُـوْقُ

[٨٧٨]

هاشمُ بنُ محمد بن هاشم بن أحمدَ بنِ عبدِ الواحد بنِ هاشمٍ، أبو طاهرِ بن أبي عبدِ الرحمنِ الأسديُّ.

من أهل حلب وبيت الخطابة والعلم والرواية وأبناء الخطباء أبوه وجدّه وأعمامه. كُلٌّ كان خطيبًا يخطب علىٰ منبر حلب.

وأبو طاهر هذا شاب جميل كيس أحمر اللون طويل من الرجال حافظ للقرآن العزيز، له عناية بقول الشعر، يعمل منه المقطعات. وفيه فضل حسن وأدب جيد إلَّا أنه مبخوس الحظ من أبناء زمانه، ولم يزل شاكيًا منه ومن صروفه عليه.

أخبرني أنه كان مولده بحلب في العشرين من ذي الحجة سنة إثنتين وتسعين / ٩٦ب/ وخمسمائة.

ومما أنشدني لنفسه : [من السريع]

يَـا سَـادَةً مَلَّكْتُهُـمْ مُهْجَتِـي هَـلْ لِـي إِلَـىٰ وَصْلِكُـمْ مِـنْ وُصُـوْلْ
وَهَـلْ لأَيَّـامِـي الَّتِـي مُـذْ خَلَـتْ بِكُـمْ خَلَـتْ مِـنْ عَـوْدَةٍ بِـالمُلُـوْلْ
أَحْبَـابَنَـا لَا وَزَمَـانٍ مَضَـىٰ بِـوَصْلِكُـمْ لَا كُنْـتُ مِمَّـنْ يَحُـوْلْ

بِنْتُمْ وَخَلَّفْتُمْ مُعَنَّاكُمُ | يَنْدُبُ مَغْنَاكُمْ وَيَبْكِي الطُّلُولْ
نَعَمْ وَمَغْنَاكُمْ وَمَأْوَاكُمُ | قَلْبُ مُعَنَّى كَمْ بِكُمْ لاَ يَزُولْ
وَاحَرَبَا جَارُوا وَلاَ ذَنْبَ لِي | وَعَذَّبُوا قَلْبِي الْمُعَنَّى الحَمُولْ
وَمَا دَرَوْا أَنَّهُمُ مُذْ نَأَوْا | عَنْ نَاظِرِيْ فِيْ وَسْطِ قَلْبِي نُزُولْ

ومنها:

يَا مَنْ أَعَارَ الغُصْنَ قَدّاً إِذَا | مَاسَ بِهِ أَذْهَلَ كُلَّ العُقُولْ
كَمْ حُرِّمَ الوَصْلُ كَمَا تَرْجَمَ الـ | ـحُسْنُ عَلَى خَدَّيْكَ أَنْ لاَ وُصُولْ

وأنشدني أيضًا لنفسه يتغزل: [من الخفيف]

يَا بَدِيعَ الجَمَالِ يَا مَنْ إِذَا [مَا] | مَاسَ أَزْرَى بِالذَّابِلِ الخَطَّارِ
/ ٩٧أ/ وَرْدُ خَدَّيْكَ قَدْ كَسَانِي سُقْمًا | إِذْ تَبَدَّى مِنْ تَحْتَ آسِ العِذَارِ
فِيكَ مَعْنًى مِنَ الغَزَالِ وَلَوْلاَ | ذَاكَ مَا كُنْتَ مُولَعًا بِالنِّفَارِ

وأنشدني أيضًا لنفسه يمدح السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ركن الإسلام والمسلمين أبا المظفر يوسف بن محمد بن غازي ـ أدام الله دولته ـ:

[من الكامل]

قَسَمًا بِسِحْرِ فَوَاتِرِ الأَجْفَانِ | وَبِغُصْنِ بَانِ قَوَامِكَ الفَتَّانِ
إِنِّي كَئِيبٌ لاَ أُفِيقُ مِنَ الجَوَى | مُتَمَلْمِلٌ مِنْ خِيفَةِ الهِجْرَانِ
مَنْ لِي بِظَبْيٍ قَدْ أَصَابَ مَقَاتِلِي | يُسْبَى بِسِحْرِ لِحَاظِهِ الثَّقَلاَنِ
هِجْرَانُهُ إِنْ دَامَ مُتُّ بِحَسْرَتِي | وَوِصَالُهُ إِنْ عَادَ لِي أَحْيَانِي
مَلَكَ القُلُوبَ بِلَحْظِهِ وَبِلَفْظِهِ | فَلِذَاكَ قَلْبِي فِي يَدَيْهِ عَانِي

ومنها:

/ ٩٧ب/ أَحْبَابُنَا رَحَلُوا وَوَاصَلَ بَعْدَهُم | وَجْدِي كَمَا جَفَتِ الكَرَى أَجْفَانِي
فَرَضُوا عَلَيَّ سُهَادَ عَيْنِي بَعْدَهُمْ | فَرَضُوا بِذَاكَ وَلَمْ يَبِنْ خُسْرَانِي
لله رِيمٌ رُمْتُ مِنْهُ زَوْرَةً | فَأَبَى وَأَرَّقَ نَاظِرِي وَقَلاَنِي
مُذْ عَايَنَتْ عَيْنَايَ وَرْدَةَ خَدِّهِ الـ | ـقَانِي فَفِي بَحْرِ الهَوَى أَلْقَانِي
إِنْ صَدَّنِي عَجِلاً وَرَدَّ وَسَائِلِي | خَجِلاً وَمِنْ هِجْرَانِهِ أَرْدَانِي

فَــلأَظْفَــرَنَّ بِكُــلِّ مَــا أَمَّلْتُــهُ بِمَــدَائِحِــيْ لِلنَّــاصِــرِ السُّلْطَــانِ

وأنشدني فيه أيضًا لنفسه يمدحُهُ: [من البسيط]

أَلامَ أَلامُ قلــب خَـــانَـــهُ القَــدرُ وَقَــدْ غَـدَا بِصَـلاَحِ الـدِّيْـنِ يَنْتَصِـرُ
وَمَــا لآمَـــال هَــذَا الصَّــبِّ خَـائِبَـةً وَقَلْبُــهُ دُوْنَ كُــلِّ النَّــاسِ مُنْكَسِـرُ
وَجَــوْدُ جُــوْدِكَ قَــدْ عَــمَّ الأَنَـامَ بِـلاَ سُــؤَال [سُـؤْل] وَبِـالآمَـال قَـدْ ظَفِـرُوا(١)
وَقَــدْ تكَــرَّرَ مَطْلُــوبِــي وَإِنَّ لِــيَ النَّــفْــسَ الأَبِيَّــةَ حَتَّــى يَنْفَــدَ العُمُــرُ
فَمَــا لحَظِّــيْ كَحَظِّــي نَـاقِـصٌ أَكَـذَا كُــلُّ المُحِبِّيْــنَ مَـا يُقْضَــى لَهُــمْ وَطَــرُ
حَــاشَــاكَ تُــرْجِــعُ آمَــالَــيْ مُخَيَّبَــةً وَسِعْــرُ شِعْــرِيَ قَــدْ سَـارَتْ بِـه السِّيَــرُ
/ ١٩٨أ/ أَوْ أَنْ يَرُوْحَ حَسُوْدِيَ وَهْوَ مُبْتَسِمٌ جَــذْلاَنُ مِــنْ كَــوْنِ كَسْــرِيْ لَيْــسَ يَنْجَبِــرُ
وَأَنْــتَ أَنْــدَىٰ الــوَرَى كَفًّــا وَأَعْظَمُهُــمْ قَــدْراً وَبِــالعُــرْفِ وَالمَعْــرُوْفِ مُشْتَهِــرُ

وأنشدني أيضًا لنفسه من أبيات طويلة يرثي بها والدته ـ رحمها الله تعالىٰ ـ:

[من الطويل]

نَعَــمْ هَــذِه يَــا صَــاحِ أَطْــلاَلُ عَــزَّة وَآثَــارُ مَــنْ غَــرَّتْ وَصَــدَّتْ وَعَــزَّت
وَمَلْعَــبُ آرَام بِسِحْــر لِحَــاظِهَــا رَنَــتْ وَرَمَــتْ قَلْــبَ المُعَنَّــىٰ فَـأَصْمَـت
أَأَحْبَــابَنَــا زَادَ اشْتِيَــاقِــيْ وَوَحْشَتِــيْ إِلَيْكُــمْ وَأَنْتُــمْ فِــيْ فُــؤَادِيْ وَمُهْجَتِــي
فَمِقْــدَارُ شَــوْقِــيْ لاَ يُحَــدُّ إِلَيْكُــمُ وَلاَ حَسْــرَتِــي تَفْنَــىٰ وَلاَ فَيْــضُ عَبْــرَتِــيْ
وَقَفْتُ عَلَىٰ وَادِيْ الغَضَـا أَسْأَلُ الـرِّضَـا فَلَمْ تُشْفَ رُوْحِيْ بَلْ عَلَىٰ الهُلْك أَشْفَت
أَمَــا وَلَيَــال كَــدَّرَ البَيْــنُ صَفْــوَهَــا وَأَطْنَــبَ فِــيْ تَفْــرِيْقِنَــا وَالتَّشَتُّــت
وَحَمَّلَنِــيْ مَــا لاَ أُطِيْــقُ وَمَــا كَفَــىٰ احْتِمَــالِــيَ لَــهُ حَتَّــىٰ بِفَقْــدِ أَحِبَّتِــي

وأنشدني له أيضًا من قصيدة أوّلها: [من الكامل]

/ ٩٨ب/ سَهْمُ اللِّحَاظِ رَمَىٰ الفُؤَادَ فَأَعْرَضَا وَاخْتَــارَ رَائِشُــهُ البِعَــادَ فَــأَعْــرَضَــا
قَمَــرٌ عَلَــىٰ غُصْــنَ تكَــامَــلَ وَصْفُــهُ فَــاتَ الصِّفَــات فَكَــمْ فُــؤَاد أَمْــرَضَــا
أَحْبَــابَنَــا هَــلْ عِنْــدَكُــمْ هَــذَا رِضًــا أَحْشَــاءُ صَــبٍّ حَشْــوُهَــا جَمْــرُ الغَضَــا

---

(١) الجود: المطر الغزير.

شَـوْقـاً إِلَيْكُـمْ لَـوْ تَحَمَّـلَ بَعْضَـهُ رَضْـوَىٰ لأَهْـوَىٰ صَلْـدُهُ وَتَقَـوَّضَـا
بنْتُـمْ فَكَـمْ فـي عَبْـرَتـي مِـنْ عَبْـرَةٍ لِمُتَيَّـمٍ يَقْضِـي وَنَحْبـاً مَـا قَضَـىٰ
وَنَسِيْتُـمْ لِمُـدَلَّـهٍ مِـنْ بَعْـدِكُـمْ وَلَـهٌ بَـرَاهُ جَـوىً تَـذَكُّـرُ مَـا مَضَـىٰ
صَـبٌّ يَـرَىٰ [أَنَّ] الـوِدَادَ عَلَـىٰ النَّـوَىٰ فَـرْضـاً فَكَيْـفَ يَسُـرُّكُـمْ أَنْ يُـرْفَضَـا
وَحَيَـاتِكُـمْ إِنِّـي أَرَىٰ هِجْـرَانَكُـمْ عَيْـنَ الـرِّضَـا إِذْ كَـانَ عِنْـدَكُـمُ رِضَـا
لاَ كَـانَ حَـادِيْ العِيْـسِ كَـدَّرَ صَـافِيـاً وَأَمَـرَّ حُلْـوَ العَيْـشِ سَـاعَـةَ قَـوَّضَـا

وأنشدني لنفسه: [من السريع]

يهنـى ٱشْتِيَـاقـاً كُـلَّ عَـنْ وَصْفِـهِ كُـلُّ لِسَـانٍ نَـاطِـقٍ بِـالصَّـوَابْ
مُثْـنٍ عَلَـىٰ فَضْلِـكَ يَـا خَيْـرَ مَـنْ قَـدْ وَلِـيَ الحُكْـمَ وَفَصْـلَ الخِطَـابْ

وأشعاره كثيرة، وفيما كتبنا منها فيه مقنع وغنىٰ.

[٨٧٩]
هاشمُ بنُ يحيىٰ بن سالم بن يوسفَ بنِ كاملِ بنِ نصّارٍ، أبو المفاخرِ بنُ أبي الفضلِ التنوخيِّ.

من أهل حلب، وممَّن يقول الشعر بها ويمدح. وكان من الشيعة المغالين في المذهب.

أخبرني أنَّه ولد تقديراً في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بحلب، وتوفي بها ليلة يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الأولىٰ سنة اثنتين وأربعين وستمائة، ودفن بمشهد الدّكة غربي المدينة.

وكانت له نعمة حسنة، وحال جيّدة، ورزق صالح. وكان مع ذلك يسترفدُ وينتجعُ بأشعاره، ولم يكن شعره بذاك إلاّ [أنَّ] معظمه نازل ركيك، خالٍ من المعاني والعُيُون، وهو يشتمل علىٰ مدائح وغيرها، ويدخل في مجلدين.

لقيتُهُ بحلب يوم الإثنين خامس جمادى الأولىٰ سنة أربع وثلاثين وستمائة. واستنشدته فأنشدني لنفسه يمدح الأمير بدر الدين أبا الفضائل لؤلؤ بن عبد الله صاحب الموصل: [من الكامل]

/ ٩٩ب/ المَجْدُ أعْلَىٰ مَا بَنَاهُ البَانيْ ... وَالشُّكْرُ أحْلَىٰ مَا جَنَاهُ الجَانيْ
وَالعِلْمُ فَخْرٌ وَالسَّمَاحَةُ رِفْعَةٌ ... وَالْفَضْلُ بَيْنَ يَدٍ وَبَيْنَ لِسَانِ
وَالجُوْدُ وَالإحْسَانُ خُلَّةُ مَاجِدٍ ... يَعْتَادُهَا فيْ السِّرِّ وَالإعْلاَنِ
وَكَذَا النَّدَىٰ وَالبَاسُ لاَ يَحْوِيْهِمَا ... إلاَّ الهُمَامُ الشَّامِخُ التِّيْجَانِ
وَالغَارَةُ الشَّعْوَاءُ لاَ يَقْوَىٰ بِهَا ... فيْ الحَرْبِ إلاَّ فَارِسُ الفُرْسَانِ
وَنَدَاوَةُ الكَفَّيْنِ لَيْسَ يَنَالُهَا ... إلاَّ امْرُؤٌ رَجَّمَ الدُّنَى بِهَوَانِ
وَالذِّكْرُ بَاقٍ وَالمَدِيْحُ مَدَىٰ المَدَىٰ ... . . . وَالمَالُ شَيْءٌ فَانيْ(١)
وَالنَّشْرُ بَيْنَ الخَافِقَيْنِ عَلاَمَةٌ ... تَسْمُوْ بِصَاحِبِهَا عَلَىٰ كَيْوَانِ
وَتَرَىٰ الجَمِيْعُ خِصَالَ بَدْرِ الدِّيْنِ والـ ... ـدُّنْيَا خَدِيْنِ الجُوْدِ وَالإحْسَانِ
رَبِّ الفَضَائِلِ مَالِكِ الرِّقِّ الَّذي ... دَهْرِيْ إلَيْهِ بِلُطْفِهِ ألجَانيْ
حَاميْ حِمَىٰ الإسْلاَمِ رَافِعِ قَدْرِهِ ... وَمُبِيْدِ أعْدَاهُ بِحَدِّ سِنَانِ
مَلَكَ المَحَامِدَ كُلَّهَا فَصِفَاتُهُ الـ ... ـحُسْنَىٰ وَحَازَ شَجَاعَةَ الشُّجْعَانِ
لَوْ أنَّ رِفْعَةَ قَدْرِهِ تَسْمُوْ بِهِ ... لَسَمَا عَلَىٰ الجَوْزَاءِ وَالسَّرَطَانِ
وَالكَفُّ بَحْرٌ وَالمَدَائِحُ سَاحِلُ ... وَبَنَانُهَا مِنْ جُمْلَةِ الخُلْجَانِ
/ ١٠٠أ/ مُعْزِى بِنُجْحِ الطَّالِبِيْنَ وَفَلِّ جَيْشِ ... المَارِقِيْنَ وَفَكِّ أسْرِ العَانيْ
وَبِنَجْدَةِ المُسْتَصْرِخِيْنَ وَبُغْيَةِ الـ ... ـعَافيْ وَعَيْنِ إعَانَةِ الوَلْهَانِ
وَمُحَاقِ إمْلاَقٍ وَيُسْرَةِ مُعْسِرٍ ... وَجَزِيْلِ إطْعَامٍ وَمَدِّ خُوَانِ
أسَدٌ فُرَافِصَةٌ إذَا عَايَنْتَهُ ... فيْ يَوْمِ مَعْرَكَةٍ وَيَوْمِ طِعَانِ
تَلْقَاهُ كَاللَّيْثِ الهَصُوْرِ إذَا تَصَا ... دَمَتِ الجَحَافِلُ وَالْتَقَىٰ الجَمْعَانِ
آرَاؤُهُ حِفْظُ البِلاَدِ وَرَأيُهُ ... عَيْنُ السَّدَادِ وَدَهْرُهُ يَوْمَانِ
يَحْنُو عَلَىٰ قُصَّادِهِ وَعُفَاتِهِ ... نَفْسيْ الفِدَاءُ لِقَلْبِ مَلْكٍ حَانيْ
فيْ الأرْضِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ وَيَمِيْنُهُ ... فيْ كُلِّ أنْمُلَةٍ لَهَا بَحْرَانِ
صَدَقَاتُهُ أقْصَىٰ البِلاَدِ مُذَاعَةٌ ... وَهُوَ البَعِيْدُ وَبِرُّهُ مُتَدَانيْ
يَا رَبِّ بِالبَيْتِ العَتِيْقِ وَبِالنَّبـ ... ـيِّ المُصْطَفَىٰ وَمُكَلِّمِ الثُّعْبَانِ

---

(١) موضع النقاط كلمة غير واضحة.

وَبِحُرْمَةِ الحَرَمَيْنِ وَالمَدْفُوْنِ فِيْ ... السِّرْدَابِ وَالأَسْتَارِ وَالأَرْكَانِ
وَبِحَقِّ مَا بَيَّنْتَ فِيْ الأَلْوَاحِ وَالتَّـ ... ـوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ وَالقُرآنِ
وَبِحَقِّ طَاهَا وَالحَدِيْدِ وَهَلْ أَتَى ... وَالطُّوْرِ وَالأَعْرَافِ وَالفُرْقَانِ
أَدِمِ البَقَاءَ لِمَالِكِ الرِّقِّ الَّذِيْ ... مَلَكَتْ أَيَادِيْهِ الحِسَانُ عِنَانِيْ
/١٠٠ب/ المَلْكِ بَدْرِ الدِّيْنِ خَيْرِ مُؤَمَّلٍ ... لِلْمُعْتَفِيْنَ وَفَكِّ أَسْرِ العَانِيْ
فَاللهُ يُبْقِيْهِ وَيَحْرُسُ مُلْكَهُ ... وَيَقِيْهِ شَرَّ طَوَارِقِ الحَدَثَانِ
لازَالَ فِيْ عِزٍّ مُقِيْمٍ دَائِمٍ ... أَبَداً عَزِيْزَ المُلْكِ وَالسُّلْطَانِ

وأنشدني لنفسه يصف الشمعة: [من الطويل]

وَمَقْدُوْدَةٍ مِثْلَ القَضِيْبِ جَلِيْدَةٍ ... بِقَدٍّ رَشِيْقٍ كَالرُّدَيْنِيِّ مَقْدُوْدِ
وَلَهْذَمِ نُوْرٍ كَادَ يَطْعَنُ فِيْ الدُّجَى ... بِحَدِّ سِنَانٍ مِنْ سَنَى النَّارِ أُمْلُوْدِ
تَبِيْتُ تُضَاهِيْ مِنْ شُهُوْدِيْ ثَمَانِيًا ... بِمَجْلِسِ شَرْبٍ غَصَّ بِاللَّهْوِ مَشْهُوْدِ
نُحُوْلِيْ وَضُرِّيْ وَاصْفِرَارِيْ وَوَحْدَتِيْ ... وَذُلِّيْ وَدَمْعِيْ وَاحْتِرَاقِيْ وَتَسْهِيْدِيْ

وأنشدني لنفسه يصفها أيضًا: [من الطويل]

تُشَابِهُنِيْ فِيْمَا أُعَانِيْ ضَئِيْلَةٌ ... تَكُرُّ عَلَى جَيْشِ الدُّجَى بِصَدِيْعِ
تَبِيْتُ تُحَاكِيْ مِنْ شُهُوْدِيْ ثَمَانِيًا ... وَتَصْنَعُ فِيْمَا تَلْتَقِيْ كَصَنِيْعِيْ
نُحُوْلِيْ وَصَبْرِيْ وَاصْفِرَارِيْ وَوَحْدَتِيْ ... وَضُرِّيْ وَحَرْقِيْ وَالفَنَا وَدُمُوْعِيْ

/١٠١أ/ وأنشدني أيضًا لنفسه من قصيدة أولها: [من البسيط]

لَوْلاَ فِرَاقُكَ مَا طَلَّ الغَرَامُ دَمِيْ ... وَلاَ هَمَا مِنْ عُيُوْنِيْ صَيِّبُ الدِّيَمِ
وَلاَ حَكَتْ زَفَرَاتِيْ فِيْ تَصَعُّدِهَا ... جَمْرَ الغَضَا حِيْنَ يَبْدُوْ زَائِدَ الضَّرَمِ
وَاهًا لِطَيْفِ خَيَالٍ زَارَ ذَا كَمَدٍ ... فَعَاشَ مِنْ بَعْدِ مَا أَشْفَى عَلَى العَدَمِ
وَعَادَ يُوْسِعُهُ هَجْراً وَيُبْعِدُهُ ... وَكَيْفَ يَطْرُقُ صَبًّا فِيْكَ لَمْ يَنَمِ
يَا دُرَّةَ الخِدْرِ هَا رُوْحِيْ لَدَيْكِ وَجُثْـ ... ـمَانِيْ وَقَلْبِيْ فَفِيْمَا شِئْتِ فَاحْتَكِمِيْ
أَنَامِلٌ وَخُدُوْدٌ قَدْ نَهَبْنَ دَمِيْ ... فَمَرَّ شَطْرَيْنِ بَيْنَ الوَرْدِ وَالعَنَمِ

ومنها في المديح:

مُجَرِّدُ المَالِ جُوْداً مِنْ خَزَائِنِهِ ... وَمُغْمِدُ البِيْضِ فِيْ اللَّبَّاتِ وَاللِّمَمِ

مُبَدِّدٌ مَا جَنَاهُ البَاسُ مِنْ نِعَمٍ وَجَامِعٌ مَا حَوَاهُ النَّاسُ مِنْ كَرَمِ

وأنشدني أيضًا لنفسه يمدح: [من الرجز]

دَعِ المُعَنَّى وَالْهُ عَنْ عَنَائِهِ فَحَسْبُهُ مُعَذَّبًا بِدَائِهِ
/ ١٠١ب/ وَخَلِّ عَنْ عَذْلِ مُحِبٍّ هَائِمٍ لاَ تُسْعِدُ البَيْنَ عَلَى بَلاَئِهِ
أَصْبَحَ مِنْ فَرْطِ جَوَاهُ وَالأَسَى يَعُدُّ كَأْسَ المَوْتِ مِنْ شَقَائِهِ
رَقَّ لَهُ شَامِتُهُ وَرُبَّمَا لاَنَ لَهُ الجَلْمَدُ مِنْ بُكَائِهِ
بَكَى زَمَانًا مَرَّ مِنْ دُمُوعِهِ وَعَادَ يَبْكِي اليَوْمَ مِنْ دِمَائِهِ
بَاحَ بِمَا كَانَ يُجِنُّ مِنْ جَوًى وَأَظْهَرَ المَكْتُومَ مِنْ خَفَائِهِ
لِحُبِّ ظَبْيٍ أَغْيَدٍ جَبِينُهُ يَكْسِفُ نُورَ الشَّمْسِ فِي ضِيَائِهِ
كَأَنَّهُ بَيْنَ الأَنَامِ كَوْكَبٌ يَسْحَبُ ذَيْلَ اللَّيْلِ مِنْ وَرَائِهِ
فَهَلْ رَأَيْتُمْ بَشَرًا مِنْ قَبْلِهِ يَطْلُعُ بَدْرُ التَّمِّ مِنْ قَبَائِهِ

ومنها في المديح:

سَلِّمْ إِلَى اللهِ لِتَضْحَى سَالِمًا فَلاَ مَفَرَّ اليَوْمَ مِنْ قَضَائِهِ
ثُمَّ إِلَى عَلِيٍّ المَلْكِ الَّذِي قَدْ أَصْبَحَ العَالَمُ فِي نَعْمَائِهِ
ذِي الجُودِ سَيْفِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَمَنْ لاَ يَهْتَدِي النَّجْمُ إِلَى اهْتِدَائِهِ

ومنها يقول:

وَرُتْبَةٌ عَلَى الوَرَى سَامِيَةٌ قَدْ فَاقَتِ العَيُّوقَ فِي سَمَائِهِ
/ ١٠٢أ/ زَرَّ عَلَى الأَرْضِينَ جَيْبَهُ وَقَدْ جَلَّلَهَا الفَاضِلُ مِنْ رِدَائِهِ

ومنها قوله:

مَنْ ذَا الَّذِي يُدْرِكُ عَدَّ فَضْلِهِ وَبَعْضَ مَا سُطِّرَ مِنْ آلاَئِهِ
أَوْ جَمْعَ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ بَأْسِهِ وَالدَّهْرُ قَدْ يَعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهِ
دَعُوهُ لِلْهَيْجَاءِ فَهْوَ كُفْؤُهَا وَلَسْتُمُ وَاللهِ مِنْ أَكْفَائِهِ
جَلَّ عَنِ المَدْحِ فَكُلُّ مَادِحٍ إِخَالُهُ يُطْنِبُ فِي هِجَائِهِ
جَمَّعَ شَمْلَ الجُودِ مِنْ شَتِيتِهِ وَضَمَّ مَا فُرِّقَ مِنْ أَجْزَائِهِ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

وَلَيْلَةَ جِئْنَا حَانَةَ الحَيِّ عُصْبَةً … كِرَامًا تُضَاهِي فِي الكِرَامِ الكَوَاكِبَا
وَبِتْنَا نَرَىٰ أَيْدِي السُّقَاةِ مَشَارِقًا … لِشَمْسِ مُدَامٍ وَالشِّفَاهَ مَغَارِبَا
وَيَعْلُو خُدُودَ الشَّرْبِ بَعْدَ غُرُوبِهَا … مِنَ الشَّفَقِ المُحْمَرِّ مُبْدٍ عَجَائِبَا
فَأَوْجُهُهُمْ تَحْكِي بُدُورًا وَقَدْ بَدَتْ … لَنَا بَازِغَاتٍ وَالأَكُفُّ سَحَائِبَا
وَأَغْيَدَ مَمْشُوقِ القَوَامِ مُهَفْهَفٌ … يُجَرِّدُ مِنْ جَفْنَيْهِ سِحْرًا قَوَاضِبَا
يَمِيلُ عَلَىٰ النُّدْمَانِ سُكْرًا وَيَنْثَنِي … مِنَ اللِّينِ مَوْدُودًا وَخِدْنًا وَصَاحِبَا
/١٠٢ب/ غَزَالٌ كَسَتْهُ الكَأْسُ عُجْبًا وَلَمْ يَزَلْ … يُغَازِلُنَا حَتَّىٰ قَضَيْنَا المَآرِبَا
وَقُمْنَا رَكِبْنَا بَعْدَ مَرْكُوبِنَا المُنَىٰ … إِلَىٰ مَا يُقِرُّ العَيْنَ جُرْدًا سَلاَهِبَا

وأنشدني لنفسه من قصيدة أولها: [من الطويل]

أَلَمَّتْ بِنَا وَاللَّيْلُ مُرْخَى الذَّوَائِبِ … هِلاَلِيَّةٌ كَالبَدْرِ بَيْنَ الكَوَاكِبِ

ومنها في المديح:

فَتًى مَهَرَتْ كَفَّاهُ فِي الجُودِ وَالنَّدَىٰ … وَكُلُّ لَبِيبٍ مَاهِرٌ فِي التَّجَارِبِ
يَبِيتُ أُنَاسٌ فِي الخُمُولِ وَهَمُّهُ … لِتَبْدِيدِ مَالٍ أَوْ لِجَمْعِ مَقَانِبِ
لَهُ ثَوْبُ فَخْرٍ يَمْلأُ الأَرْضَ ظِلُّهُ … ثَبُوتٌ ثُبُوتَ الرَّاسِيَاتِ الرَّوَاسِبِ
يَجُرُّ عَلَىٰ ظَهْرِ المَجَرَّةِ ذَيْلَهُ … فَتَعْنُو لَهُ أُمُّ النُّجُومِ الثَّوَاقِبِ
يُحَدِّثُ عَنْ أَخْبَارِهِ بِنَوَادِرٍ … وَيُخْبِرُ عَنْ آلاَئِهِ بِعَجَائِبِ
يُقَصِّرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا كُلُّ حَاذِقٍ … وَيَعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهَا كُلُّ كَاتِبِ

وأنشدني لنفسه يصف النار: [من المنسرح]

/١٠٣أ/ كَأَنَّمَا نَارُنَا وَقَدْ بَرَزَتْ … تُخَالُ فِي حُلَّةٍ مِنَ النُّورِ
سُلاَفَةٌ كَالْحَرِيقِ صَافِيَةٌ … مُشْرِقَةٌ مِنْ وِعَاءِ بِلُّورِ
أَوْ قَصَبَاتٌ مِنَ النُّضَارِ وَقَدْ … ذُرَّ عَلَيْهَا سَحِيقُ كَافُورِ

وأنشدني له فيها أيضًا: [من مخلّع البسيط]

مِلْتُ مِنَ البَرْدِ نَحْوَ خِدْرٍ … أَضْرَمْتُ مِلْءَ المَكَانِ نَارَا
فَارْتَفَعَتْ أَلْسُنٌ عَلَيْهَا … تَرْفَعُ مِنْ وَقْدِهَا شَرَارَا
وَعُدْتُ فِي حَالَتِي سَرِيعًا … لَمَسْتُهَا مَا وَجَدْتُ نَارَا

وأنشدني لنفسه في يوم شديد البرد : [من السريع]

وَيَــــوْمِ قُـــرٍّ رِيْحُـــهُ عَـــاصِــفٌ جَـــارَ عَلَـــى ضَعْفِــي وَإِعْسَـــارِيْ
تَــــوَدُّ عَيْـــنُ الشَّمْـــسِ مِـــنْ بَـــرْدِهِ فِـــيْ الأُفْـــقِ أَنْ تَسْخُـــنَ بِـــالنَّـــارِ

وأنشدني لنفسه في جمع مشاهد الأئمة ـ صلوات الله عليهم وسلامه :

[من الطويل]

/١٠٣ب/ مَشَاهِدُ طُوْسٍ وَالغَرِيِّ وَكَرْبَلا وَطَيْبَــةَ وَالــزَّوْرَا إِلَــى سُــرَّ مَــنْ رَأَى
إِذَا حَــلَّ مِنْهَــا زَائِــرٌ أَيَّ تُــرْبَــةٍ تُنَــادِيْــهِ مِــنْ أَقْطَــارِهَــا سُــرَّ مَــنْ رَأَى

وأنشدني لنفسه : [من الوافر]

إِذَا كُشِــفَ الغِطَــاءُ عَــنِ السَّــرِيْــرِ وَنُــوْدِيَ بِــيْ هَلُــمَّ إِلَــى السَّــرِيْــرِ
وَلاَحَــتْ مِــنْ مُــرَقَّعَتِــيْ سُطُــوْرٌ بِهِــنَّ نَحَــافَــةُ الــدَّنَــفِ الضَّــرِيْــرِ
وَسَــاقَتْنِــيْ عَلَــى مَهَــلٍ رِجَــالٌ وَكَــانَ بِقَعْــرِ مُظْلَمَــةٍ مَصِيْــرِيْ
فَغَفْــوَاً ثُــمَّ عَفْــوَاً ثُــمَّ عَفْــوَاً وَإِحْسَــانَــاً إِلَــى يَــوْمِ المَصِيْــرِ

ذكر من اسمه هبة الله

[٨٨٠]

هبةُ الله بنُ إبراهيمَ بنِ محمد بنِ الحسين بنِ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ الكنديُّ، المعروفُ بابنِ مراجَلَ.

مِنْ أهلِ حماةَ وأشهر بيتٍ بها في الأصالة، يُكنّىٰ أبا القاسم.

كان يتصرف لملوك زمانه في الولايات الرفيعة، ويحترمُ لبيته ومنصبه. وكان والده وزيراً للأمير فخر الدين بن الزعفراني، وخدم للملك المظفر تقي الدين عمر بن شهنشاه بن أيوب ـ صاحب حماة ـ.

وأبو القاسم ـ ولده هذا ـ كان واسع المروءة، كبير النفس، توفي بحماة سابع عشر من رجب سنة سبع عشرة وستمائة عن اثنتين وخمسين سنة. وكان ربّما جاد طبعه بأبيات من الشعر حسنة.

أنشدني ولده الرئيسُ الأجل نجم الدين أبو المعالي محمد بحلب المحروسة في سنة سبع وأربعين وستمائة، قال: أنشدني والدي أبو القاسم لنفسه مبدأ قصيدة:

[من الكامل]

/ ١٠٤ب/ جِسْمٌ كمَا حَكَمَ الغَرَامُ نَحيلُ ... وَمُتَيَّمٌ بَعْدَ الفِرَاقِ عَليلُ

وَمَدَامِعٌ تَجْرِيْ سَحَائِبُهَا دَمًا ... فَلَهَا بِوَجْنَاتِ الخُدُوْدِ مَسِيْلُ

وَأَضَالِعٌ فيهَا لَهِيْبٌ دَائِمٌ ... بَيْنَ الحَنَايَا وَالحَشَا مَشْغُوْلُ

اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَتَضُمُّنَا ... دَارُ الحَبِيْبِ فَنَلْتَقِي وَنَقُوْلُ

[٨٨١]

هبةُ الله بنُ أبي البشرِ بنِ أبي المواهبِ بنِ شراقيٍّ، أبو البركات المصريَ.

كان في دولة الملك الأشرف مظفر الدين شاه أرمن موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب كاتبًا، وله شعر قريب الأمر.

أنشدني أبو الفضل عباس بن بزوان بن طرخان. الموصلي بإربل، قال: أنشدني أبو البركات بن شراقي المصري لنفسه يمدح الملك الأشرف من قصيدة: [من الطويل]

أَمَا أَنْتَ يَا مُوسَى سُلَيْمَانُ حِكْمَةٍ ... وَلكِنَّ لَمْ تُفْجَأْ بِغَيْبَةِ هُدْهُدِ
بِسَاطُكَ فِيْهِ الأُنْسُ لِلإِنْسِ دَائِمٌ ... وَمَا الجِنُّ إِلاَّ حَدُّ عَضْبٍ مُجَرَّدِ
لَكَ الرِّيْحُ تَجْرِي فِي مُرَادِكَ بِالمُنَى ... كَذَا الطَّيْرُ بِالبُشْرَى تَرُوحُ وَتَغْتَدِيْ
وَخَاتَمُكَ الأَعْلَى أَمَانٌ لِخَائِفٍ ... وَمَا فِعْلُ بَلْقِيْسٍ لَدَيْكَ بِمُوصَدِ
/١٠٥أ/ فَكَمْ لَكَ مِنْ عَرْشٍ إِلَى العَرْشِ أُسُّهُ ... وَكَمْ لَكَ مِنْ صَرْحٍ بَهِيْجٍ مُمَرَّدِ
وَكَمْ لَكَ مِنْ جُنْدٍ نَصِيْرٍ وَكَمْ نَدًى ... وَكَمْ مِنَّةٍ فِي اللهِ تُسْدَى وَكَمْ يَدِ
فَسُدْ وَانْمُ وَانْعَمْ وَاعْلُ وَاسْلَمْ وَصُلْ وَصِلْ ... وَمُرْ وَانْهَ وَاسْعَفْ وَاعْفُ وَاقْبَلْ وَمَهِّدِ
وَقُمْ وَاغْزُ أَعْدَاءَ الكِتَابِ بِهِمَّةٍ ... وَقُلْ لِلْكِتَابِ اخْضَعْ إِذَا جُدْتُ وَاسْجُدِ
وَحَطِّمْهُمُ... وَلاَ تَبْغِ عَوْدَهُمْ ... بِمَسْكَنِهِمْ وَانْزِلْ بِعَكٍّ وَشَرِّدِ
فَدِمْيَاطُ قَدْ أَضْحَتْ مُيَسَّرَةً كَمَا ... بِتَيْسِيْرِهِ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ مُؤَيَّدِ

وأنشدني الصاحب الوزير شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب المستوفي الإربلي بها ـ رضي الله عنه ـ قال: أنشدني أبو البركات هبة الله بن شراقي الكاتب المصري لنفسه: [من الطويل]

عَلَى مِثْلِ هَذَا اليَوْمِ كَانَتْ مَطَالِبِيْ ... تُطَالِبُنِي حَتَّى بَلَغْتُ مَآرِبِيْ
فَلِلَّهِ مَا قَدَّمْتُ مِنْ خَيْرِ سَفْرَةٍ ... وَلِلشُّكْرِ مَا أَسْدَتْ إِلَيَّ رَكَائِبِي
/١٠٥ب/ وَلِلأَشْرَفِ السُّلْطَانِ مِنِّي قَصَائِدٌ ... وَقَصْدٌ إِلَى أَبْوَابِهِ غَيْرُ خَائِبِ
هُمَامٌ إِذَا الأَعْدَاءُ رَامَتْ نَوَالَهُ ... فَفِي كُلِّ نَادٍ مِنْهُمُ أَلْفُ نَادِبِ
إِذَا شَاءَ أَنْ يَعْلُو إِلَى العَرْشِ رِفْعَةً ... تَدَانَتْ لَهُ الأَفْلاَكُ قَبْلَ الكَوَاكِبِ

[٨٨٢]

هبةُ الله بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن رزين، القاضيَ السَعيدُ، أبو القاسم بنُ أبي الفَضلِ المَصريُّ(١).

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/٢٢٨ ـ ٢٥٧ وفيه: «ولد سنة خمس وأربعين وخمسمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٣١٤ ـ ٣١٦ رقم ٤٢٥. خريدة القصر ـ قسم شعراء مصر ـ=

كان جدّه يلقَّب سناء الملك، وكان فيما ذُكر عنه رجلاً من أهل ديار مصر، وكان له ثروة ومالٌ واسع، ومن وجوه أهلها وكبرائهم، وأرباب النعمة. ومات وخلَّف ولده جعفراً، وكان له مضاربات وقروض وتجارات اكتسب بها أموالاً جمَّة، ولم يكن عنده شيء من العلم ما يشتهر به.

ونشأ له ابنه أبو القاسم هبة الله هذا فتردَّد بمصر إلىٰ الأديب القاضي أبي المحاسن البهنسي النحوي، فقرأ عليه أدبًا ونحواً، وعاشر في مجلسه رجلاً مغربيًا. وكان يتعانى عمل الموشح المغربي والأزجال، فوقفه علىٰ أسرارها، وباحثه / ١٠٦أ/ فيها، وكثَّر حتىٰ انقدح له في عملها ما زاد على المغاربة حُسنًا وإتقانًا، وعانىٰ بعد ذلك فنّ البلاغة والكتابة، ولم يكن خطه بالجيّد فجُعل في جملة كتاب الإنشاء بديوان ملوك مصر، وأجري عليه لذلك رزق كان يتناوله، حضر الدَيون أو لم يحضُر، وأحبّه أهل الدولة لدماثة كانت فيه، وحسن عشرةٍ وتودُّد، فسار له ذكر جميل.

وصنَّف كتبًا منها كتاب «حصائد الشوارد»[١]، وكتاب «مراسلات»[٢]، وكتاب الموشحات» سمّاه: «دار الطراز»[٣]، و«ديوان شعره».

= ١/ ٦٤. معجم الأدباء ٦/ ٢٦٤. النجوم الزاهرة لابن سعيد ص٢٧٣. وفيات الأعيان ٦/ ٦١ ـ ٦٦. التكملة للمنذري ٢/ ٢٣١ رقم ١٢٠٩. العبر ٥/ ٢٩ ـ ٣٠. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٠ ـ ٤٨١ رقم ٢٤٥. المختصر لأبي الفداء ٣/ ١٢٠. البدر السافر: الورقة ٢١٧. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٤. شذرات الذهب ٥/ ٣٥. مسالك الأبصار ١٢/ورقة ٦١. المرقصات ٦٠. مفرّج الكروب ٢/ ١٣٧، ١٤٥، ١٦٠، ٢٣٤، ٣/ ٤٩، ٧٧. المختصر في أخبار البشر ٣/ ١١٤. تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣١. مرآة الجنان ٤/ ١٧ ـ ١٨. ديوان الإسلام ٣/ ١٢٩ رقم ١٢٩٠. المغرب في حلى المغرب ٢٧٣ ـ ٢٨٩. عقد الجمان ١٧/ ورقة ٣٣٥ ـ ٣٣٦. حسن المحاضرة ١/ ٥٦٥. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١٨. بدائع الزهور ج١/ ق١/ ٢٥٧. معجم المؤلفين ١٣/ ١٣٥. كشف الظنون ٦٩٦. هدية العارفين ٢/ ٥٠٦.

طبع ديوانه بحيدرآباد ـ الدكن ١٩٥٨، ثم طبع بمصر ـ القاهرة عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م بتحقيق محمد إبراهيم نصر وعليه اعتمدت.

وللدكتور عبد العزيز الأهواني دراسة عنه، ط القاهرة ١٩٦٢. وفي الجزء الأول من ديوانه مقدمة مفصلة عن حياته.

(١) في الوافي: «مصايد الشوارد». وفي مقدمة ديوانه: «مساعد الشوارد».
(٢) لعله كتاب: «فصوص الفصول وعقود العقول» نسخته المخطوطة في دار الكتب بالقاهرة.
(٣) طبع بتحقيق جودة الركابي في دمشق سنة ١٩٤٩. وأعيد طبعه بعد ذلك.

أخبرني الصاحب الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي العُقيليُّ بحلب ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: أخبرني أبو محمد عبد العظيم بن أبي الأصبع العدواني الشاعر المصري، قال: أخبرني جلال الدين المكرَّم أبو الحسن موسىٰ بن الحسن بن سناء الملك بالقاهرة، قال /١٠٦ب/ دخلت علىٰ القاضي السعيد أبي القاسم هبة الله بن سناء الملك في مرضه الذي مات فيه، فلما رآني بكىٰ وأشار إليَّ فجلستُ وأخذت في تسليته، وقلت له فيما قلتُهُ: لقد رأيت الدنيا ونلت من ملاذّها ما لَم ينله غيرك من أهل بيتك حتىٰ أنك اتخذت لنفسك فراشًا من العنبر، وأنت اليوم فعلىٰ قدم خير. وكان قد تاب قبل موته بسنة، وحسنت حاله، فأشار إلىٰ الدواة، وقال لي: أكتب، وأملىٰ عليَّ[1]: [من السريع]

أَحْسَنَـتِ الـدُّنْيَـا الَّتِـيْ ٱسْتَـرْجَعَـتْ ... منِّـي تلْـكَ الحَـالَـةَ الفَـاخِـرَهْ
مَـا شَغَلَـتْ بَـالِـيْ بتَقْبِيْحِهَـا ... إِذْ فَـرَّغَـتْ قَلْبِـيَ لِـلآخِـرَهْ

قال: فقلت له: أذكر الله، فقال: أنا في ذكره، قال: فما خرجت من عنده إلىٰ الباب حتىٰ مات.

قال ابن أبي الإصبع: وكنت سألت أبا الحسن المُكرَّم عن قوله: اتخذت لنفسك فراشًا من العنبر، فقال: كان قد اتخذ له فراشًا شَرْبًا ببطانة وظهارة، وأذاب العنبر مع المسك والعود /١٠٧أ/ علىٰ النار، وطلىٰ البطانة والظِّهارة به، ثم اتخذ العنبر تماثيل وجعلها عليها شبيهًا بالنقش، وكان ينام فيه.

وكانت وفاته يوم الأربعاء الرابع من رمضان سنة ثمانٍ وستمائة.

وكان مولده ـ فيما بلغني ـ في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

أنشدني أبو منصور المُظفَّر بن يوسف بن أبي منصور العصافيري الموصليُّ بها، قال: أنشدني القاضي السعيدُ ابن سناء الملك لنفسه بمصر من موشحاته[2]:

يَـا مَـنْ بَكَيْـتُ عَلَـىٰ الـدِّمَـنْ ... مِـنْ أَجْلِهَـا أَسَفـًا وَحُـزْنَـا

(١) االبيتان في ديوانه ٢/ ٥٥٦.
(٢) لم ترد في ديوانه. ودار الطراز.

وَرَأَيْــــتُ أَحْـــدَاثَ الـــزَّمَـــنْ ... قَـــدِ اشْتَفَـــتْ مِنْهَـــا وَمِنَّـــا
لاَ تَســـأَلِ البُسْتَـــانَ عَـــنْ ... رُمَّـــانِـــهِ وَسَـــلِ المُعَنَّـــى
قَـــدْ صَـــارَ فِـــي نَهْـــدَيْـــكِ ... مَـــا كَـــانَ فِـــي خَـــدَّيْـــكِ
مِـــنْ قَبْـــلِ ذَلِـــكَ جُلَّنَـــارَا

***

أَخْشَـــى عَلَيْـــكِ مِـــنَ العَـــذُوْلِ ... كَمَـــا أُمِنْـــتِ مِـــنَ العَـــوَاذِلْ
/١٠٧ب/ وَكَـــأَنَّ قَلْبِـــي أَنْ يُمِيْـــ ... ـــلَ قَـــوَامَ قَـــدِّكِ فِـــي الغَـــلاَئِـــلْ
فَلَئِـــنْ صَحَـــوْتَ مِـــنَ الشَّمُـــوْ ... لِ فَمَـــا صَحَـــتْ مِنْـــكَ الشَّمَـــائِـــلْ
فَـــالمَـــوْجُ فِـــي رِدْفَيْـــكَ ... وَالمَيْـــلُ فِـــي عِطْفَيْـــكَ
إِخَـــالُ أَنَّهُمَـــا سُكَـــارَى

***

أَنْـــتِ الحَبِيْبَـــةُ لاَ سِـــوَاكَ ... كَمَـــا هَـــوَاكِ هُـــوَ الحَبِيْـــبُ
لاَ أَبْتَغِـــي إِلاَّ رِضَـــاكَ ... وَلَـــوْ تَقَلَّبَـــتِ القُلُـــوْبُ
وَإِذَا دَعَـــا دَاعِـــي هَـــوَاكَ ... وَلَـــمْ يُجِـــبْ فَـــأَنَـــا أُجِيْـــبُ
يَـــا عِشْقَهَـــا لَبَّيْـــكَ ... وَيَـــا حَمَـــامَ الأَيْـــكِ
لَبَّـــى الغَـــرَامُ مَعِـــي مِـــرَارَا

***

قَـــدْ حَـــلَّ بِـــي مَـــا لاَ يُطَـــاقْ ... مِـــنَ الغَـــرَامِ وَلاَ يُحَـــدُّ
وَكِـــلاَهُمَـــا عَـــذْبُ المَـــذَاقْ ... كَـــأَنَّـــهُ سُـــمٌّ وَشَهْـــدُ
يُخْشَـــى عَلَـــيَّ مِـــنَ العِنَـــاقْ ... لَهَـــا فَتَضْحَـــكُ ثُـــمَّ تَشْـــدُو
إِلَيْـــكَ عَنِّـــي إِلَيْـــكْ ... خَلِّنِـــي مِـــنْ يَـــدَيْـــكْ
فبسكـــــر بسكـــــر طـــــرارا

***

/١٠٨أ/ وأنشدني أبو المحاسن يوسف بن عبد العزيز بن إبراهيم المصري

المعروف بابن المُرصّص[١] الشاعر بحلب، قال: أنشدني أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك لنفسه في غلام جميلٍ حضر حومة الشلاق فأصابه حجرٌ فكسرّت أسنانه[٢]:

[من الخفيف]

نَثَرَ الدَّهْرُ عِقْدَ ثَغْرِ حَبِيْبِي ... فَدُمُوْعِي عَلَيْهِ تَحْكِي انْتِثَارَهْ
كُلُّ سِنٍّ كَالأُقْحُوَانَةِ كَانَتْ ... فَغَدَتْ بِالدِّمَاءِ كَالْجُلَّنَارَهْ
كَانَ فِي حَوْمَةِ الشِّلاَقِ وَمَا كَا ... نَ بَعِيْداً فِي جُمْلَةِ النَّظَّارَهْ
فَأَتَتْهُ الأَحْجَارُ شَوْقاً وَزَارَتْـ ... ـهُ فَلاَ مَرْحَباً بِتِلْكَ الزِّيَارَهْ
مَا كَفَتْنَا تِلْكَ المَلاَحَةُ مِنْهُ ... وَأَرَانَا مَلاَحَةً وَشَطَارَهْ
كَيْفَ يَنْسَى الفُؤَادُ حُبَّ حَبِيْبٍ ... حَسَدَتْنِي عَلَيْهِ حَتَّى الحِجَارَهْ

/١٠٨ب/ وقال في صديق له كيِّس[٣]: [من السريع]

لِيْ صَاحِبٌ أَفْدِيْهِ مِنْ صَاحِبِ ... حُلْوُ التَّأَنِّي حَسَنُ الإِحْتِيَالْ
لَوْ شَاءَ مِنْ رِقَّةِ أَلْفَاظِهِ ... أَصْلَحَ مَا بَيْنَ الهُدَى وَالضَّلاَلْ
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رُبَّمَا ... قَادَ إِلَى المَهْجُوْرِ طَيْفَ الخَيَالْ

ومن بديع قوله في صفة الخمر[٤]: [من الطويل]

عَرُوْسُكُمُ يَا أَيُّهَا الشَّرْبُ طَالِقٌ ... وَإِنْ فَتَنَتْ مِنْ حُسْنِهَا كُلَّ مُجْتَلَى
دَفَعْتُ لَهَا مَالِي وَعَقْلِي مُعَجَّلاً ... فَقَالَتْ: وَجَنَّاتُ النَّعِيمِ مُؤَجَّلا

وقال في المجون: [من السريع]

يَا رُبَّ عِلْقٍ قَالَ لِي: مَرَّةً ... يَا هَاجِرِيْ ظُلْماً وَلَمْ أَهْجُرِ![٥]
مُعْتَزِلِيّاً صِرْتَ قُلْتُ: اتَّئِدْ ... وَاعْتُبْ عَلَى مَبْعَرِكَ الأَشْعَرِي

وقال[٦]: [من الطويل]

---

(١) ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٨١.
(٢) من قطعة في ديوانه ٢/ ٣٠٤ قوامها ٨ أبيات.
(٣) الأبيات في ديوانه ٢/ ٤٨٠.
(٤) البيتان في ديوانه ٢/ ٥٧٣.
(٥) العلق: النفيس الذي تعلق النفس به.
(٦) البيتان في ديوانه ٢/ ٤٨١.

/١٠٩أ/ أذمُّ شَبَابًا لَمْ أذُقْ فيه لَذَّةً ... وَلاَ نلْتُ منهُ لاَ حَرَامًا وَلاَ حلاَّ
وأحْمَدُ منْهُ أنَّني لَسْتُ بَاكِيًا ... عَلَيْه كَمَا يَبْكي سِوَايَ إذَا وَلَّى

وقال في غلام مليح ينظرُ في النهر(١): [من مجزوء الكامل]

يَا نَاظِراً بِالنَّهْرِ وَهْـ ... ـوَ بشَطِّهِ يَتَنَزَّهُ
النَّهْرُ كُمٌّ أزْرَقٌ ... وَخَيَالُ وَجْهِكَ طُرْزُهُ

وقال(٢): [من المنسرح]

إنْ لَبِسَ البَدْرُ عِقْدَ أنْجُمِهِ ... فَعِقْدُ ذَا البَدْرِ دُرُّ مَبْسِمِهِ
أوْ كَانَ مسْكُ الغَزَالِ سُرَّتَهُ ... فَمِسْكُ هَذَا الغَزَالِ فِي فَمِهِ

وقال في ابن مروان وابن المليحي: [من السريع]

إنَّ أمِينَ الحُكْمِ فِي مِصْرِنَا ... يَخُونُ حَتَّى فِي مِيَاهِ الرِّجَالْ
وَكُلَّمَا أوْدَعَهُ الدَّنِيُّ فِي ... مَبْعَرِهِ أفْرَغَهُ فِي الغَزَالْ
وَالصَّدْرُ قَدْ هَامَ ضَلاَلاً بِهِ ... مَا يَصْبِرُ النَّاسُ عَلَى ذَا الضَّلاَلْ

/١٠٩ب/ وقال في الحكيم ابن قوقا(٣)، وقد بلغه أنه تاب عن شراب الخمر:

[من الطويل]

سَمِعْتُ حَدِيثًا لَيْتَنِي لاَ سَمِعْتُهُ ... فَعِنْدِيَ مِنْهُ مُقْعِدٌ وَمُقِيمُ
بِأنَّ الحَكِيمَ الآنَ قَدْ هَجَرَ الطِّلا ... وَقَدْ تَابَ مِنْهَا وَالحَكِيمُ حَكِيمُ
وَمَا كُنْتُ أخْشَى أنْ يَتُوبَ لِظَرْفِهِ ... كَمَا لَسْتُ أخْشَى أنَّهُ سَيَصُومْ
أتَهْجُرُ شَمْسَ الرَّاحِ وَهْيَ مُنِيرَةٌ ... وَتَتْرُكُ وَجْهَ البَدْرِ وَهْوَ وَسِيمُ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ عِنْدَ الحَكِيمِ لِكَأْسِهِ ... غَدَتْ وَلَهَا حَقٌّ عَلَيْهِ عَظِيمُ
أنَامَتْ لَهُ مَنْ لاَ يَنَامُ وَرُبَّمَا ... أقَامَتْ لَهُ مَا لاَ يَكَادُ يَقُومْ
وَذَلِكَ إنْعَامٌ قَضَى بِنَعِيمِهِ ... وَمَنْ جَحَدَ الإنْعَامَ فَهْوَ أثِيمُ
فَإنْ قَالَ: إنِّي قَدْ سَقِمْتُ بِشُرْبِهَا ... فَقَدْ يَعْشَقُونَ الجِسْمَ وَهْوَ سَقِيمُ

---

(١) البيتان في ديوانه ٢/ ٥٩١.
(٢) البيتان في ديوانه ٢/ ٤٥١.
(٣) القصيدة في ديوانه ٢/ ٥٧٣: «فوقا».

وَإنْ قَالَ: إنِّي قَدْ سَلِمْتُ فَإنَّهُ ... كَمَا قِيلَ يَوْمًا لِلْدَّيْغِ سَلِيمُ
عَلَى الكَرْبِ مِنْ بَعْدِ الحَكِيمِ كَآبَةٌ ... وَلِلْجَامِ مِنْ بَعْدِ الحَكِيمِ وُجُومُ
وَمِنْ بَعْدِهِ زَوْجُ الخَلَاعَةِ طَالِقٌ ... وَمِنْ بَعْدِهَا أُمُّ السُّرُورِ عَقِيمُ
/ ١١٠أ/ وَطَمَّنَنِي إبْلِيسُ حِينَ عَتَبْتُهُ ... بِأَنْ قَالَ: هَذَا الأَمْرُ لَيْسَ يَدُومُ
فَإنْ تَسْأَلُونِي بِالحَكِيمِ فَإنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ الحَكِيمِ عَلِيمُ
إذَا مَا خَبَا وَجْهُ المصِيفِ فَإنَّنِي ... بِتَحْلِيلِ نَامُوسِ الحَكِيمِ زَعِيمُ
عَلَى أَنَّهُ إنْ قَالَ: قَدْ تَابَ مُخْلِصًا ... وَخَافَ عِقَابَ اللهِ وَهْوَ أَلِيمُ
فَتَوْبَتُهُ مِنْ سُوءِ ظَنٍّ بِرَبِّهِ ... تَعَالَى وَإلَّا فَالْكَرِيمُ كَرِيمُ

وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ـ رضي الله عنه ـ ويُهنّيه بالبُرء من مرضه[1]: [من الكامل]

نَظَرَ الحَبِيبُ إلَيَّ مِنْ طَرْفٍ خَفِي ... فَأَتَى الشِّفَاءُ لِمُدْنَفٍ مِنْ مُدْنَفِ
وَدَنَا يُسَكِّنُ نَارَ قَلْبِي خَدُّهُ ... أَسَمِعْتُمُ نَارًا بِنَارٍ تَنْطَفِي
وَأَرَادَتِ العَبَرَاتُ عَادَةَ جَرْيِهَا ... أَوْ جَرْيِ عَادَتِهَا فَقُلْتُ لَهَا قِفِي
كُفِّي فَقَدْ جَاءَ الحَبِيبُ بِمَا كَفَى ... وَصْلًا وَعَاشِقُهُ المُرَوَّعُ قَدْ كُفِي
/ ١١٠ب/ وَمَلِيَّةٍ بِالحُسْنِ يَسْخَرُ وَجْهُهَا ... بِالبَدْرِ يَهْزَأُ رِيقُهَا بِالقَرْقَفِ
لَا أَرْتَضِي بِالشَّمْسِ تَشْبِيهًا بِهَا ... وَالبَدْرِ لَا بَلْ أَكْتَفِي بِالمُكْتَفِي
الحُسْنُ تُبْرِزُهُ بِغَيْرِ تَصَنُّعٍ ... وَالمِلْحُ يُبْرِزُهَا بِغَيْرِ تَكَلُّفِ
تَتْلُو مَلَاحَتُهَا مَحَاسِنَ وَجْهِهَا ... فَتُرِيكَ مُعْجِزَ آيَةٍ فِي الزُّخْرُفِ
وَتَقُولُ مَنْ هَذَا وَقَدْ سَفَكَتْ دَمِي ... ظُلْمًا وَتَسْأَلُ عَنْ فُؤَادِي وَهْيَ فِي
لَا شَيءَ أَعْجَبُ مِنْ تَلَهُّبِ خَدِّهَا ... بِالمَاءِ إلَّا حُسْنَهَا وَتَعَفُّفِي
أَنَا أَنْتَوِي عَنْهَا لِئَلَّا أَرْتَوِي ... أَتَظُنُّ أَنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَشْتَفِي
لَا سَارَ عِشْقِي لَا أَقَامَ تَصَبُّرِي ... لَا قَلَّ مَعْ نَيْلِ الوِصَالِ تَلَهُّفِي
وَكَذَاكَ قُلْ لِلْبَدْرِ يَا بَدْرَ الدُّجَى ... لَا وَجْهَ إنْ تَبْدُو بِوَجْهٍ أَكْلَفِ
وَكَذَاكَ قُلْ لِلْشَّمْسِ يَا شَمْسَ الضُّحَى ... جَاءَ الأَمَانُ إلَيْكَ مِنْ أَنْ تَكْسُفِي

(١) من قصيدة في ديوانه ٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣ قوامها ٤١ بيتًا.

وَاشْفَعْ بِسَائِرِ بُرْئِهِ ثُمَّ انْظُرُوا ... بِحَمْدِ الصَّلِيْبِ بِهِ وَبِشْرِ المُصْحَفِ
حَاشَاكَ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ ... بِكَ لِلأَعَادِيْ مَالَهُ مِنْ مَصْرَفِ

وقال وهو بالشام يتشوق إلىٰ الديار المصرية(١): [من البسيط]

/ ١١١أ/ يَا مُنْيَةَ القَلْبِ لَوْلاَ أَنْ يُقَالَ سَلاَ ... لَقُلْتُ: مَا كُنْتُ أَعْصِي القَلْبَ لَوْلاَكَ
رَمَيْتِ مِنْ مِصْرَ قَلْبًا بِالشَّآمِ فَمَا ... أَسْرَاكِ سَهْمًا إِلَىٰ أَحْشَاءِ أَسْرَاكَ
أَسْرَفْتَ فِيْ الصَّدِّ إِذْ أَسْرَفْتُ فِيْكَ هَوًى ... فَالعَذْلُ وَالعَدْلُ يَنْهَانِيْ وَيَنْهَاكَ
نَأَيْتَ يَقْظَىٰ وَقَدْ أَلْقَاكَ هَاجِعَةً ... وَفِي الحَقِيْقَةِ أَنِّي لَسْتُ أَلْقَاكَ
كَمْ صَادَ طَيْفُكَ طَرْفِيْ بَعْدَ هَجْعَتِهِ ... فَالْجَفْنُ فَخِّيَ وَالأَهْدَابُ أَشْرَاكِيْ
رُدِّيْ وَدَائِعَ لَثْمٍ جِئْتُ أَطْلُبُهَا ... مَا كَانَ أَوْفَاكَ إِذْ أَوْدَعْتُهَا فَاكَ
نَشْوَانَ لَمْ أَدْرِ مِنْ لَهْوِيْ وَمِنْ طَرَبِيْ ... أَمِنْ مُحَيَّاكَ سُكْرِيْ أَمْ حُمَيَّاكَ
وَإِذْ جَمَالُكَ قَدْ أَوْدَىٰ جَمِيْلُكَ بِيْ ... وَبِالتَّعَطُّفِ قَدْ أَعْلاَكَ عِطْفَاكَ
وَإِذْ مَغَانِيْكَ بِالأَنْوَارِ زَاهِيَةٌ ... حَتَّىٰ لَقَدْ خِلْتُ فِيْ مَغْنَاكَ مَعْنَاكَ
رَحَلْتُ عَنْكُمْ وَقَدْ أُوْلِعْتُ بَعْدَكُمُ ... فَمَا بِذِكْرِكَ أَوْ قَلْبًا بِذِكْرَاكَ
وَمَا أَظُنُّ وَنَارُ القَلْبِ مَسْكَنُكُمْ ... بِأَنَّنِيْ فِيْهِ قَدْ أَكْرَمْتُ مَثْوَاكَ
فَمَا مَرَرْتُ بِرَبْعٍ كَانَ رَبْعَكُمُ ... إِلاَّ ظَنَنْتُ صَدَاهُ أَنَّهُ شَاكِيْ

وقال أيضًا، وكان قد جلس في بستان له / ١١١ب/ واستوحش من بعض أصدقائه(٢): [من الطويل]

جَلَسْتُ بِبُسْتَانِ الجَلِيْسِ وَدَارِهِ ... فَهَيَّجَ لِيْ مِمَّا تَنَاسَيْتُهُ ذِكْرَا
وَسُقِّيْتُ نَجْمَ الكَأْسِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ ... فَلَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ لَيْلِ هَمِّيَ مِنْ مَسْرَىٰ
فَيَا سَاقِيَ الكَأْسِ الَّتِيْ قَدْ شَرِبْتُهَا ... رُوَيْدَكَ إِنَّ القَلْبَ فِيْ أُمَّةٍ أُخْرَىٰ
وَيَا أُفُقُ لَوْ كَانَ الحَبِيْبُ مُضَاجِعِيْ ... لَمَا سَأَلْتُكَ العَيْنُ أَنْ تُطْلِعَ البَدْرَا
وَلَوْ وُصِلَتْ سُوْدُ اللَّيَالِيْ بِشَعْرِهِ ... لَمَا خَشِيَتْ مِنْ غَيْرِ غُرَّتِهِ فَجْرَا

---

(١) من قصيدة في ديوانه ٢/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ قوامها ١٦ بيتًا.
وقد عارض بها قصيدة الشريف الرضي التي قالها في المحرم سنة ٣٩٥هـ والتي مطلعها:
«يا ظبية البان ترعى في خمائله ... ليهنك اليوم إن القلب مرعاك»
(٢) القصيدة في ديوانه ٢/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣ قوامها ١٦ بيتًا.

تَـذَكَّـرْتُ وَرْداً لِلْمَلِيْـحِ مُحَجَّبـاً يَمُـدُّ عَلَيْـهِ ظِـلُّ أَهْـدَابِـهِ سِتْـرَا
فَصِرْتُ أُجَازِيْ القَلْبَ مِنْ أَجْلِ ذِكْرِهِ فَيَقْتُلُنِـيْ ذِكْـراً وَأَقْتُلُـهُ صَبْـرَا
أُقَبِّـلُ ذَاكَ الظِّـلَّ أَحْسَبُـهُ اللُّمَـى وَأَلْثِـمُ ذَاكَ الـزَّهْـرَ أَحْسَبُـهُ الثَّغْـرَا
وَكَمْ لائِمٍ لِـيْ فِـيْ الَّـذِي قَدْ فَعَلْتُـهُ وَكَـمْ قَـائِـلٍ دَعْـهُ لَعَـلَّ لَـهُ عُـذْرَا
لأَجْلِكَ يَا مَنْ أَوْحَشَ العَيْنَ شَخْصُـهُ أَنِسْـتُ بِسُهْـدٍ يَمْنَـعُ العَيْـنَ أَنْ تَكْـرَى
وَقَاسَيْتُ مِنْكَ الغَدْرَ وَالهَجْرَ وَالقِلَى وَأَنْفَقْـتُ فِيْـكَ الشِّعْـرَ وَالعُمْـرَ وَالـدَّهْـرَا
وَأَفْلَسَ طَـرْفِـيْ حِيْـنَ أَنْفَقَ دَمْعَـهُ فَـأَجْـرَى فَمِـيْ دُرّاً يُسَمُّـوْنَـهُ شِعْـرَا
وَفَـارَقْـتُ عِـزّاً بِالشَّـامِ لأَلْتَقِـيْ بِمِصْرَ الَّـذِيْ مِنْ حُسْنِـهِ فَضَّلُـوْا مِصْـرَا
/ ١١٢أ/ لَئِنْ طِبْتُ فِيْ مُسْتَنْزَهٍ لَمْ تَكُنْ بِهِ فَـلا زِلْـتُ أَلْقَـى عِنْـدَكَ الصَّـدَّ وَالهَجْـرَا
وَلَوْ كُنْتَ فِيْ بُصْرَى وَحَسْبُكَ لَمْ أَقُلْ أَيَـا بَصَـرِيْ لا تَنْظُـرَنَّ إِلَـى بُصْـرَى

وقال أيضًا[(١)]: [من الطويل]

تَـرَكْـتُ حَبِيْـبَ القَلْـبِ لا عَـنْ مَـلالَـةٍ وَلَكِـنْ لِـذَنْـبٍ أَوْجَـبَ الأَخْـذَ لِلْتَـرْكِ
أَرَادَ شَـرِيْكـاً فِـيْ المَـوَدَّةِ بَيْنَنَـا وَإِيْمَـانُ قَلْبِـيْ قَـدْ نَهَـانِـيْ عَـنِ الشِّـرْكِ
وَإِنِّـيْ مِنْـهُ فِـيْ عَقَـابِيْـلِ طَـرْبَـةٍ وَتَبْقَـى وَيَمْضِـيْ المِسْكُ رَائِحَـةُ المِسْـكِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وَغَـانِيَـةٍ مِـنْ بَعْـدِ عِشْـرِيْـنَ حِجَّـةً أَقُـوْلُ لَهَـا قَـوْلاً لَـدَيْـهِ ثَـوَابُ
عَلَيْـكِ زَكَـاةٌ فَـاجْعَلِيْهَـا وِصَـالَنَـا فَـإِنَّـكِ فِـيْ العِشْـرِيْـنَ وَهْـوَ نِصَـابُ

وقال في معشوقه مُفضَّل لما حُبس وضُرب[(٢)]: [من الطويل]

فَـدَيْـتُ الَّـذِيْ لَـمْ يَضْـرِبُـوْهُ لِـرِيْبَـةٍ وَلَكِـنْ لِيَبْـدُوْ الـوَرْدُ فِـيْ سَـائِـرِ الغُصْـنِ
وَلَـمْ يُـوْدِعُـوْهُ السِّجْـنَ إِلاَّ مَخَـافَـةً مِـنَ العَيْـنِ أَنْ تَعْـدُوْ عَلَـى ذَلِـكَ الحُسْـنِ
/ ١١٢ب/ وَقَالُوا: كَمَا شَارَكْتَ فِيْ الحُسْنِ يُوْسُفًا فَشَـارِكْـهُ أَيْضًـا فِـيْ الـدُّخُـوْلِ إِلَـى السِّجْـنِ

وقال في الإمام عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهاني لما صنّف كتاب «خَريدة القصر وجريدة العصر» يهجُوهُ: [من السريع]

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى من قطعة في ديوانه ٢/ ٤٢٩ قوامها ٤ أبيات.
(٢) الأبيات في ديوانه ٢/ ٤٥٤ من قطعة قوامها ٤ أبيات.

خَرِيْدَةٌ أُفِّيهِ مِنْ نَتْنِهَا ... كَأَنَّهَا مِنْ رِيْحِ أَنْفَاسِهِ
فَنِصْفُهَا الأَوَّلُ فِي ذَقْنِهِ ... وَنِصْفُهَا الآخِرُ فِي رَاسِهِ

وَبَلَغَ هذان البيتان عماد الدين الكاتب، فجعل يُرَدِّدُهما ويستحسنهما ويقول: والله لقد أحسن وإنْ أساء إليّ في الهجاء.

وقال أيضًا[١]: [من الطويل]

تكَمَّلَ فَضْلِي بَعْدَ عِشْرِيْنَ حِجَّةً ... فَكَيْفَ وَقَدْ جَاوَزْتُهَا بِثَلاَثِ
/١١٣أ/ وَأَفْنَيْتُ عُمْرِيَ فِي مَدَائِحِ مَعْشَرٍ ... كَمَوْتَى وَلَوْ أَنْصَفْتُ كُنَّ مَرَاثِي

وقال أيضًا[٢]: [من مخلَّع البسيط]

قُوْلُوْا لِمَنْ قَالَ: إنَّ هَجْوِيْ ... يَفُوْقُ مَدْحِي بِلاَ امْتِرَاءِ
صَدَقْتَ يَا مَانِعًا ثَوَابِي ... مِنْهُ وَيَا قَاطِعًا رَجَائِي
كَآبَةُ الكِذْبِ فِي مَدِيْحِي ... وَرَوْنَقُ الصِّدْقِ فِي هِجَائِي

وقوله: [من الوافر]

رَأَيْتُ العَاشِقِيْنَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ ... وَآخِرُهُمْ شَقَاءٌ لاَ سَعَادَهْ
فَعُشَّاقُ العَلُوْقِ إِلَى بَغَاءِ ... وَعُشَّاقُ القِحَابِ إِلَى قِيَادَهْ[٣]

وله يذمّ الشمس[٤]: [من السريع]

لاَ كَانَتِ الشَّمْسُ فَكَمْ أَصْدَأَتْ ... صَفْحَةَ خَدٍّ كَالحُسَامِ الصَّقِيْلْ
وَكَمْ وَكَمْ صَدَّتْ بِوَادِي الكَرَى ... طَيْفَ خَيَالٍ جَاءَنِي مِنْ خَلِيْلْ
وَأَعْدَمَتْنِي مِنْ نُجُوْمِ الدُّجَى ... وَمِنْهُ رَوْضًا بَيْنَ ظِلٍّ ظَلِيْلْ
تَكْذِبُ فِي الوَعْدِ وَبُرْهَانُهُ ... أَنَّ سَرَابَ القَفْرِ مِنْهَا سَلِيْلْ
وَتَحْسَبُ النَّهْرَ حُسَامًا فَتَرْ ... تَاعُ وَتَحْكِي فِيْهِ قَلْبَ الذَّلِيْلْ
/١١٣ب/ إِنَّ صَدِىءَ الطَّرْفِ فَمَا صَقْلُهُ ... إِلاَّ التَّمَلِّي بِالحُمَيَّا جَمِيْلْ

---

(١) البيتان في ديوانه ٢/ ٤٧٤.
(٢) الأبيات في ديوانه ٢/ ٤٧٢.
(٣) العلوق: المرأة التي لا تحب زوجها.
(٤) القطعة في ديوانه ٢/ ٤٨١.

وَهْـــيَ إذَا أبْصَــرَهَــا مُبْصِــرٌ حَــدِيْــدُ طَــرْف رَاحَ عَنْهَــا كَلِيْــلْ
يَــا غُلَّــةَ المَهْمُــوْمِ يَــا جلْــدَةَ الــ ـمَحْمُــومِ يَــا زَفْــرَةَ صَــبٍّ نَحِيــلْ
يَــا قَــرْحَــةَ المَشْــرقِ عنْــدَ الضُّحَــىٰ وَسَلْحَــةَ المَغْــرب عنْــدَ الأَصِيْــلْ
أنْــتِ عَجُــوزٌ لَــمْ تَبَــرَّجْــت لــيْ وَقَــدْ بَــدَا منْــكَ لُعَــابٌ يَسِيْــلْ
وأنْــتَ بِــالشَّيْطَــانِ قُــرْبَــانُــهُ فَكَيْــفَ تَهْــدِيْنَــا سَــوَاءَ السَّبِيْــلْ

وقال أيضًا[1]: [من الوافر]

أمَــا وَالله لَــوْلاَ خَــوْفُ سُخْطِــكْ لَهَــانَ عَلَــىٰ مُحِبِّــك أمْــرُ رَهْطِــكْ
مَلَكْــتِ الخَــافِقَيْــنِ فَتِهْــتِ عُجْبــًا وَلَيْــسَ هُمَــا سِــوَىٰ قَلْبِــيْ وَقُــرْطِــكْ

وهذه فصول من كلامه المنثور ومنه:

«كتبتُ وأنا أحمدُ الله الذي أحمده لأنّي أحمده، وأشهدُ به لأنّي أشهده، وأعترف له بالعبوديّة لأني بالربوبية أعرفه وأصفه، ولا أحيط بشيء منه حين أصفه.

أنعم عليَّ متفضلاً / ١١٤أ/ وتفضل عليَّ منعمًا، وأنقذني من ردًى، وبصَّرني من عمًى، ووفَّقني وخلَقَني لينفعني ونَفَعَني لمَّا خلقني، وأوردني إلىٰ الدنيا علىٰ بر تقدَّمني، ولُطْف سَبَقَني. ووطّأ لي أكنافَ النِّعم، وثنَىٰ لي أعطافَ الهِمم، وعلمني ماً لم أكن أعلم، وكفاني قبل القول أنْ أفحم، وبعد القول أن أندم، وفضَّلني علىٰ كثير، وجعل عنايتَهُ بي ظاهرة التأثير: [من البسيط]

أُثْنِــي عَلَيْــهِ فَــلاَ أنْفَــكُّ مِــنْ خَجَــلٍ مِــنَ القُصُــورِ وَلاَ أُحْصِــي سِــوَىٰ حَسَــنِ

ومن قوله أيضًا في ذكر دولة ورثها:

«دولةٌ ورَّثها الجدُّ السعيدُ، وخولها الدَّهر القهر، ومنحها العصرُ النصرُ، فركعت لها الأمم، وسجدت لها الدول، وزالت بها الغمم، وانزاحت بها العلل، وقام بها مائل الملّة، وضحك بها مقبل القبلة،

---

(١) البيتان في ديوانه ٢/ ٤١٥.

وخطب بفضلها الأخرس، وفطن لها الأبله، ووضحت بها لمن تهين البراهين، ولمن تديل الأدلَّة /١١٤ب/ وتمسَّكت ولكن بالدِّين، واعتصمت ولكن بالله، سلطانُها له من الله سلطان، وأعوانها لها من النصر أعوان، وسيرته الفاضلة قد سارت بها الركبان، ولكن علىٰ العقبان. فالإسلام من طلقائه، والإيمان من عتقائه، والكفر يجاهره ولكن باتقائه، والشِّرك به واقع في شَرَكَ انخفاضه وبعد ارتقائه، وعساكر تجعل الصباح مساءً يوم العرض، وسيوفه تجرُّ في الأجسام البَسْط والأرواح القَبْض، ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء أنْ تقع علىٰ الأرض[1]: [من الطويل]

فَلَوْ رَامَ بُرْجًا فِيْ السَّمَاءِ لَمَا عَصَىٰ ... عَلَيْهِ وَقَرْنًا فِي السَّحَابِ لَمَا نَجَا

فصل في دُعاء:

«خلَّد اللهُ ملكه، وأبَدَ فتكه، وأعَزَّ جنده، وأذَلَّ ندَّه، وزيَّن دولته بالسعود، ومملكته بالصعود، وجعل ضدَّهُ المكتوب، وجدّه المسعود، ونصب مقامَه قبلةً تقابلها ملائكة السماء بالسلام، وملوك الأرض بالسجود ولازال محمَّر الظُّبَى، مخضَّر /١١٥أ/ الرُّبىٰ، جالسًا والأنام في خدمته قيام، ساهر العزائم وملوك الأرض عنها نيام، منصفًا بعدله الكرام من الأيام للئام، سابقًا بسيفه كلام الأعداء فإِنَّ حربه أولها كلام، وإِنَّ الحرب أولها كلام: [من الخفيف]

كُلَّمَا قِيْلَ قَدْ تَنَاهَىٰ أرَانَا ... كَرَمًا مَا اهْتَدتْ إِلَيْهِ الكِرَامُ

فصل في دعاء للوزير:

«مولاي ورئيسي، وزير تسعىٰ الملوك ببابه، وتستضيء بشهابه، وتستسقي بسحابه، وتدفع خطوبها، وتستمد النصر لكتائبها من كتابه. وتستهدي الإِصابة لسامها من صوابه، وتجني فضله صنوانًا

(١) البيتان من قصيدة في ديوانه ٢/ ٥٢ ـ ٥٥ قوامها ٤٠ بيتًا، وتسلسله فيها ٢٠.

وغير صنوان، ومتشابهًا وغير متشابه. قد قدر بعلو القدر وتصدر؛ لأنه الصدر، ووطيء علىٰ وجه الشمس ومفرق البدر، وملك ناصية المجد، وبلغ قاصية الفخر. ومضىٰ له الحكم ولكن علىٰ العصر، ونفذ له الأمر ولكن علىٰ / ١١٥ب/ الدهر، وخشعت له قلوبُ الأنام في السرِّ والجهر: [من البسيط]

فِـيْ الـدَّسْـتِ يَقْعُـدُ وَالأَقْـدَارُ قَـائِمَـةٌ   مَـنْ شَـاءَ يَقْعُـدُ فَلْيَقْعُـدْ كَمَـا قَعَـدَا

فصل آخر في مثله:

«أدام الله أيامه ومدَّ ظلَّها بامتداد ظلِّه، وحلَّل عقدَها بيمين عقده وحلّه، وجمع لها الفضائل كلها بظهوره علىٰ الفضل كلّه، ولازال عزُّه لا يزول، وحالُ سعده لا تحول، وأيام دولته لا تقصُرُ، وأيام أعدائه لا تطول. وأقلام يده العالية للأولياء تصل وعلىٰ الأعداء تصول: [من الطويل]

وَلاَزَالَ يُنْبِـيْ النَّـاسَ فَضْـلُ كَـلاَمِـهِ   بِـأَنَّ كَـلاَمَ العَـالَمِيْـنَ فُضُـولُ

فصل في تقريض رئيس:

«خُلق من صَلْصَال الصَّوْلَة، وحَمَأ الحَمِيَّة، ونُفخت فيه روح الأريحيَّة، وغذته الأنفاسُ الرُّوحانيَّةُ، وربتَه الألطاف / ١١٦أ/ الربانيَّة، فجاء منه بَشَرٌ إلاَّ أنه قمرٌ، وجسدٌ إلاَّ أنه أسَدٌ، وإنسان إلاَّ أنه سُلطان، ومَلك إلاَّ أنه مَلَك: [من الطويل]

وَجَـاءَ يَسُـدُّ النَّـاظِـرِيْـنَ مَـلاَحَـةً   وَجَـاءَ يَسُـوءُ الحَـاسِـدِيْـنَ مَعَـالِيَـا

فصل في تقريض منعم:

«ثقَّلتُ علىٰ كرمه، وأتعبتُ علىٰ متردّدات نعمه، وأنضيتُ في السير إلىٰ هاطلات ديَمه، وشرهتُ عليه والشرَهُ قبيح، وآثرتُ من النُّجْح ولكنَّه المتعب، فكأنَّهُ اليأسُ المريح، وأوفدت عليه مطالبي حتىٰ استحييتُ، وحَملتُ مننَهُ علىٰ عُنقي حتىٰ أعييتُ، وماء الوجه جديد، وماء الحياء بعيد. [منَ الخفيف]

أَخْلَقَتْ وَجْهِيَ المَطَالِبُ مِنْهُ ... كَيْفَ لِي عِنْدَهُ بِوَجْهٍ جَدِيدِ

فصل في أيام سالفة:

/١١٦ب/ «سقى الله داراً قضيتُ فيها اللُّبَانَةَ، واجتليتُ فيها البدرَ زاهراً، واجتنيتُ منها العيش ناضراً، وبليتُ بها جلبابَ الشباب، وأفنيتُ فيها رُضابَ الأحباب. وكانت أوّل أرض مسَّ جِلْدي ترابُها، وخدعني سرْبُها لا سَرابُها، ولما أطَلْتُ علىٰ أطلالِها، وآنستَ طلوع هلالها: [من الطويل]

(ذَكَرْتُ بِهَا وَصْلاً كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ ... وَعَيْشاً كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبَا)[١]

فصل في شكوىٰ فراق:

«وما يندب الخادمُ إلاَّ نفسه، ولا يبكي إلاّ أمسه؛ لأنه قد فارق من مشاهدة سيدنا وبركة قربه، وقرب بركته، وتلقّىٰ وفود الفوائد في وجهته من جهته ما جعلَهُ مغضوضَ الناظر، معضوضَ البنان، مجموعَ هموم القلبِ، منثورَ دموعِ الأجفان، طالبًا من السُلوِّ مَا لا يجدُهُ، وهيهات أنْ يسلوَ عن الماء الظمآنُ: [من الطويل]

فَذَا الجِسْمُ قِسْمٌ بَيْنَ سُقْمٍ وَعَبْرَةٍ ... وَذَا القَلْبُ نَهْبٌ بَيْنَ فِكْرٍ وَأَشْجَانِ

/١١٧أ/ فصل في دعاء:

«أدام الله ظلّ المولىٰ ممدود الرواق بين الآفاق، وأطلع بدور شعوره متضاعفة الإشراق آمنة من لحاق المحاق، وبسط أنامله التي هي مفتاح الأرزاق ومغَالق الإملاق، وخلّد أيامه التي هي أحسن الأيام من محاسن الأخلاق وألطف من معاتبة العشاق، ولا برحت ذات ظلٍ صفيق، وحواشٍ رقاق».

(١) البيت للمتنبي، انظر ديوانه ٣٢٥.

فصل في استنجاد:

«الله الله أن ترقد عني والموت منتبه، أو تغفل أمري والأمر مشتبه، أو تنساني وقد ذكرتني الخطوب، أو تسيِّبني وقد أوثقتني الذنوب، فقد والله حلّ الخطب الحُبا، وسل الحتف الظُّبَا، وبلغ السيل الزُّبَىٰ، وأنا الرجل الذي ضعف احتماله، وقُصّرَ احتياله، ولاحت مقاتله، وعلم قاتله، وقلَّ ناصره، وكثر خاذله، وفات مداراة التلاقي فساده، وأعيت دلالات الخبير مجاهله».

/ ١١٧ب/ فصل في وصف مجلس وحال:

«ولمّا غاب العاذل، وجاد الباخل، وأنس الظبيُ النافر، وسَفَرَ البدرُ السافر، خلعتُ العذار وعذرتُ الإنخلاع، وواصلتُ الوصل، وقاطعتُ الإنقطاع، وهزرتُ الغُصن المثمرَ، ولثمتُ الوجهَ المقمرَ، وأطعتُ عناق العَناق، وبلغت رسائل الأشواق، وأقدمت علىٰ المواضع التي كنت عنها أحجم، وأوردتُ في الموارد التي كنت عليها أحومُ وأُحمحم: [من البسيط]

وَهَـلْ يُبَـاعِـدُ عَـذْبَ المَـاءِ ذُوْ غَصَـصٍ أَوْ يَنْثَنِـي عَـنْ لَـذِيْـذِ الـزَّادِ مَنْهُـوْمُ

فصل في مقال نفسٍ سامية:

«وإنَّ لي يا مولاي نفسًا تواقةً، وهمَّةً ذواقة. لا تقف علىٰ حدّ، ولا تقفو إلَاّ علىٰ جدّ، ولا تصيرُ من الدهر علىٰ حالة واحدة، ولا تضمرُ من الهمِّ إلا جمرةً واقدة؛ ولا تألُو جذبًا لعناني، / ١١٨أ/ وعتبًا علىٰ زماني، واضعًا لآمالي الآماني، فأنا طول الدهر أثور ولا أركد، وأسهر ولا أرقد. وأطلب ولكن أين المطلب، وأغالب الدهرَ علىٰ أنه الأغلب. وأتعلَّق من الأمل بذمام نجم مغرب، وأشتاق إلىٰ نيل الأرب وأين من الأمل عنقاء مُغْرب: [من الطويل]

فَيَـا لَيْـتَ شِعْـرِيْ مَـا الَّـذِيْ فِيْـهِ رَاحَتِـيْ وَمَـا آخِـرُ الأَمْـرِ الَّـذِيْ أَنَـا طَـالِبُـهْ

فصل في تنبيه لمتكبّر:

«يا من ازدراني لمّا رآني، وحقرني لما نظرني، وهرب عنّي لمّا قرُب منّي؛ لا تغرّك أطماري، وأنظر إلىٰ آثاري، ولا أثوابي وعليك بآدابي، ولا أسمالي وتفقد أعمالي، فما بالبزَّة تنال العزَّة، ولا بجدَّة السربال يقبل الإقبال، ولا ببقاء الطيلسان ينطق الإنسان، وينطلق اللسان: [من الكامل]

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفَتَىٰ وَرِدَاؤُهُ   خَلَقٌ وَجَيْبُ قَمِيصِهِ مَرْقُوعُ

فصل في استعطاف:

/١١٨ب/ «وأنا أستعيذ بالله من ذنب يوجبُ عتبَكَ، ويَمْلَحُ عذْبك، ويصرف قلبك، ويجعلك ثاني عِطْفك، ويؤلّف تغيُّرك علىٰ إلْفك: [من السريع]

لَسْتُ عَلَىٰ هَجْرِكَ جَلْدَ القُوَىٰ   وَلاَ عَلَىٰ عَتْبِكَ شَاكِي السِّلاَحْ

فصل في شوق:

«ما ألأم ظَفَرَ الهموم، فإنَّها كثيرة تتساعدُ علىٰ قلب واحد، وما أتعبَ مُعَاتبَ الأيام؛ فإنها تضربُ من مُعاتبته في حديد بارد، وما أعجب بمن مُني بقسوة الأقارب إذا رام الحُنوّ من الأباعد. فيا لله كم تظلمتُ إلىٰ مولاي من أغراض كتابه وصدوده، وكم شكوت له طول ترقُّبي لوصوله وتطلُّعي لوفوده. وبالله لقد نسخ سُوءُ الظنّ بانقطاع أخباره آيةَ الأشواق، ولقد شغلني الوَلَهُ عن إنفاق ذخائر الإملاق، ولقد عدل عندي ساعة فراق كتابه ساعة يوم الفراق».

فصل في ذمٍّ:

/١١٩أ/ «قُوبل جميلي بكلّ قبيح، وسكوتي بكل صريح، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ

سَبِيْلاً﴾(١) ولو تحاكمنا إلىٰ المروءة لافتضح منا من هو أخجل حجة، وأخزىٰ دليلاً، فظفرُ الضعفاء بالأقوياء مفهوم، وفتكُ الجُبناء بالشجعان معلوم، والوفاء في هذه الأيّام معدوم، وصاحبه في سلك الليالي منظوم، وذلك المهين فقد سرت منه عقاربٌ لو شئت لأسريت إليه قبالتها سريات، وظنَّ أنَّه كوىٰ في السرِّكيّة ولو شئت لكويتُهُ في الجهر كَيَّات؛ لكن علمتُ الظفر به هزيمة، والإطراح له غنيمة، والغريزة العزيزة، والشيمة الكريمة، تبعث علىٰ حفظ الصداقة القديمة: [من الكامل]

وَإِذَا بَغَىٰ بَاغٍ عَلَيْكَ بِجَهْلِهِ ... فَٱقْبَلْهُ بِالمَعْرُوْفِ لاَ بِالمُنْكَرِ

فصل في وصف محبوبة:

/ ١١٩ب/ «كيف أسلوها وهي لخلْبي خلاّبة، ولغلبي غلاّبة، وبينها وبين نفسي قرابة، ولم تدع زاوية من قلبي حتىٰ ملأتها صبابة، وما أدلت إلاَّ بالحسن، وما أحست إلاَّ بالدلال، ولا كسفت إلاّ وجوه النساء، ولا كَشفت إلاَّ أحوال الرجال. أمّا الخصرُ فمجدول، وأما الطرف فبالكحل مكحول، وأما القدُّ فلا قصرٌ ولا طول، وأما الخدّ فكالورد إلاَّ أنه لا يحُولُ: [من البسيط]

هِيَ الشِّفَاءُ لِدَائِي لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا ... وَلَيْسَ مِنْهَا شِفَاءُ الدَّاءِ مَبْذُوْلُ

فصل في اعتذارٍ عن هُدنة:

«قامت بيننا حروب، وقامت فيها خطوب الخطوب، وبقيت الدَسْتُ قائمة فلا غالب ولا مغلوب، ونهك القتال إلىٰ أنْ ضعف الطالب والمطلوب، فالتجأنا جميعًا إلىٰ المهادنة وفي النفوس ما فيها، وحسنّا بادي الوجوه وقبح الحقدَ خافيها، وأينعت حسائكُ أنبتتها الصدور، وانعمرت حزازاتٌ لا تهدمها الدُّهُورُ/ ١٢٠أ/

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٤.

فالظواهر سليمة، والبواطن سقيمة، والسيوف مغمدة، ولكنَّها في الأكباد مسلولة، وأيدي الضغائن مبسوطة، وإنْ كانت أيدي الفتك مغلولة: [من الطويل]

وَفِيْنَا وَإِنْ كُنَّا ٱصْطَلَحْنَا تَبَاغُضٌ ... كَمَا طَرَّ أَوْبَارَ الجِرابِ عَلَىٰ البَرّ

فصل في دعاء:

«أدام الله دولته وأدامها ومدَّ مدته وأطالها، وصرف إليه الآمال وأمالها، وأمتعه بشكر النعم التي أنالها، ولازال يستخدم الأفلاك، ويستعبد الأملاك، ويعفر بعرصات جباه الجبابرة، ويفضل بسيرته الفاضلة سير الملوك الغابرة. ويقتطف زهر النصر الأبيض من ورق الحديد الأخضر، ويَسُلُّ علىٰ الأعداء نصل نصرٍ لا يزال رائعَ المخبر رائقَ المنظر، وسهَّل الله للملوك لقاهُ الذي يجمع بين فمه وتراب موطئه، ويتخلص من بحر الهموم إلىٰ جنابه الذي هو كشاطئه، ويحكّم آماله في أمواله، ويهاجر من الهجير إلىٰ ظلّ إقباله:

[من الطويل]

فَمَنْ لَمْ يَنَلْ مِنْهُ الغِنَىٰ فَهْوَ عَاجِزٌ ... وَمَنْ لَمْ يَعِشْ فِيْ ظِلِّهِ فَهْوَ خَائِنُ

فصل في ذكر أحباب رحلُوا:

«فأمّا جيراني فيا ما جاروا لمَّا ساروا، ويا ما عملوا لمَّا احتملوا، ويا ما أمرضوا لما قوَّضوا، ويا ما فعلوا لما رحلوا.

شتَّتوا والله شملَ الدموع، ونثروا نظمَ الظلوع، وأنزلوا علىٰ القُلُوب كيَّاتِ الإكتئاب، وقطروا القلوب إلىٰ أذناب الركاب. وكان الأنس بهم مصقولَ الترائب، والعيشُ بهم مخضرَّ الجوانب، والجذلُ بهم أحمرَ الوجْنة، والرَّبعُ بهم أزهرَ الدِّمْنة، والسرورُ بهم باسمَ المباسم، والأيامُ بهم كلُّها مواسم. وكان الدهر قد غمض عينه عنهم مُدَّة، وعقد بينه وبينهم مودَّة، ثم نكث وغدر عليهم القدر، وختم صفوهم بالكدر، وفرقتهم أيدي سبا، وأذهلهم عن التذكير لعهود

الحمىٰ، والتلفّت إلىٰ أيام الصِّبا، فالدار بعدهم دائرة، وكم دارت عليهم دائرة وبائدة، وكم حلّت بها آبدة، وقد بكىٰ / ١٢١أ/ عليها السُّها والفرقد، وخجل منها الغرابُ الأسود، ومشىٰ عليها الدهر وهو مُقيَّد: [من السريع]

بَانُوا فَبَانَتْ أَسَفًا بَعْدَهُمْ وَإِنَّمَا النَّاسُ نُفُوسُ الدِّيَارْ

[٨٨٣]

هبةُ الله بنُ حاتم بن عبد الجليل بن عبد الجبار بن جعفر بن عليٍّ بنِ سليمانَ بنِ سيّدِ بنِ أبيَ قحافةَ، أبَو القَاسم الأنصَاريُّ(١)

من أهل الديار المصرية.

كانت ولادته سنة خمس وستين وخمسمائة.

سمع الحديث علىٰ البوصيري وابن حمد الأرتاحي، وحدَّث عنهما. وكان كاتبًا في بعض دواوين مصر؛ وفيه فضل وأدب وينظم شعراً لا بأس به.

أنشدني أبو محمد عبد الواحد بن عبد الله بن أبي جرادة الحلبي بها، قال: أنشدني أبو القاسم لنفسه بمصر: [من البسيط]

يَا سَيِّداً إنْ يَغِبْ غَابَتْ مَسَرَّتُهُ وَإنْ لَمَحْنَاهُ عَادَ البِشْرُ وَالفَرَحُ
وُكُلُّ حَالاَتِنَا فِيْ بُعْدِه نَصَبٌ وَكُلُّ أَوْقَاتِنَا فِيْ قُرْبِه مُلَحُ
إِذَا بَقِيْتَ فَثَغْرُ الجُوْدِ مُبْتَسِمٌ لِطَالِبِيْه وَصَدْرُ المَجْدِ مُنْشَرِحُ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/٢٥٨ وفيه: «هبة الله بن حاتم بن عبد الجليل بن عبد الجبار بن حسن سديد الدين...، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وتوفي سنة خمسين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٤٥٨ رقم ٦١٩ وفيه: اسمه «نصر الله».

[٨٨٤]

هبةُ الله بنِ حامد بنِ أحمدَ بنِ أيوبَ بنِ عليٍّ بنِ أيوبَ، أبو منصورٍ النحويُّ اللغويُّ، الملقَّبُ بعميدِ الرؤساءِ(١).

من أهل الحلَّة المزيديّة، بها ولد ونشأ. وكان أهله كتابًا متصرفين يتعرضون لخدمة السلطان، وأصلهمَ من النعمانية، وبقي في الحلَّة مُنذ ولد إلىٰ بضع عشرة سنة. وتعلَّم الخطَّ عند أستاذ كان بالحلة، يقال له خزيمة بن محمد الأسدي، وتأدّب عليه إلىٰ سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ومضىٰ إلىٰ مدينة السلام يطلب العلم والأدب، وله من العُمر عشرون سنة فأقام بها قريبًا من عشر سنينَ زائداً فناقصًا يعاني الفقر والفاقة ويجدُّ ويدأُب في الإشتغال.

وتخصَّص بأبي الحسن علي بن عبد الرحيم بن العَصَّار الرَّقي اللغوي تخصُّصًا عظيمًا، وقرأ عليه كتبًا كثيرة في اللغة وفنون الأدب، وروىٰ عنه جميع ما يرويه. ولقي الإمام أبا محمد عبد الله بن أحمد ابن الخشاب النحوي، وأبا العزّ محمد بن محمد بن الخراساني، وأبا محمد إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الجواليقي / ١٢٢أ/ وابن خُضير الصَيرفي وغيرهم من شيوخ العلم والأدب، وروىٰ عنهم وبرع في علم اللغة، وصار يعدل بشيخه أبي الحسن علي بن العصَّار ويفضل عليه وشاع ذكرُهُ في الآفاق. وكان خطه مليحًا ونسخ لنفسه نحواً من مائة مجلَّد في اللغة وعاد إلىٰ الحلة فاقام بها إلىٰ أنْ مات يوم عيد الفطر سنة عشر وستمائة.

وكان أديبًا بارعًا نحويًا لُغويًا شاعراً شيخ وقته، ومتصدِّر بلده، وعنه أخذ أهل تلك البلاد الأدب وعلم اللغة. وكان قد تزوَّج في الحلّة بامرأة صالحة خيرة من قوم أماثل يعرفون ببيت الدَّرْبي، فبورك له فيها ورزق منها عدَّة بنيِن وبنات ماتوا جميعهم في

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/٢٥٨ ـ ٢٥٩، وفيه: «توفي سنة عشر وستمائة». طبقات النحاة لابن قاضي شهبة/ الورقة ٢٦١ ـ ٢٦٢. معجم الأدباء ٦/ ٢٧٦٤. التكملة للمنذري ٢/ ٢٩٢ رقم ١٣٣١، وفيه وفاته سنة عشر وستمائة أو نحوها. إنباه الرواة ٣/ ٣٥٧. بغية الوعاة ٢/ ٣٢٢. مجمع الآداب ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢ رقم ١٤٣٥، لقبه «عميد الرؤساء». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٣٩٣ رقم ٥٥٠.

حياته، وبقيت منهم بنت واحدة ماتت بعده.

وكان قد وفد علىٰ أبي عبد الله بن شعبان متوسلاً بالخؤولة؛ لأنَّ أُمَّهُ كانت من بني شعبان فواصله بما مبلغه مائة دينار، فقبلها لمكانته عند الناس، وأثرىٰ من بعد فقرٍ، وعاش غنيًا موسراً، وبقي نيّفًا وثمانين سنةً.

وكان شعره شعر الأدباء لينًا سهلاً ومنه قوله يرثي زوجته / ١٢٢ب/ المقدَّم ذكرها من أبيات(١): [من البسيط]

لَـمْ تَـذْهَبِـيْ فَـأَقُـوْلُ الـذَّاهِـبُ امْـرَأَةٌ ... وَإِنَّمَـا ذَهَـبَ المَعْـرُوْفُ وَالكَـرَمُ
بِـيْ مِثْـلُ مَـا بِـكِ إِلاَّ أَنَّ ذَاكَ بِلًـى ... مُغَيِّـرٌ وَجْهَـكِ الحَـالِـيْ وَذَا سَقَـمُ

ومن شعره أيضًا ما كتبه إلىٰ أبي الفتح محمد بن أحمد بن حيا الكاتب الحلّي: [من البسيط]

يَـا أَيُّهـا المَـاجِـدُ المُـوفِـيْ عَلَـىٰ شَـرَفٍ ... مِـنَ العَـلاَءِ تَطَـاطَـا دُوْنَـهُ الـرُّتَـبُ
ضَمِنْـتَ لِـيْ وَضَمِيْـنُ الشَّـيءِ غَـارِمُـهُ ... قَضَـاءَ دَيْنِـيْ وَدَيْنِـيْ ثَـابِـتٌ يَجِـبُ
وَأَنْـتَ ذُوْ الفَضْـلِ لاَ مَـنٌّ يُنَكِّـدُهُ ... وَالقَـوْلُ لاَ يَعْتَـرِيْـهِ الـزُّوْرُ وَالكَـذِبُ
مَـا فَـاتَ طَـالِـبَ عُـرْفٍ مِنْـكَ مَطْلَبُـهُ ... إِلاَّ وَأَعْيَـا عَلَيْـهِ ذَلِـكَ الطَّلَـبُ
وَكَيْـفَ يَبْخَـلُ بِـالنَّـزْرِ القَلِيْـلِ فَتًـى ... كَثِيْـرُهُ بِـأَكُـفِّ النَّـاسِ يُنْتَهَـبُ
فَـاعْجَـبْ لِهَـذَا وَأَكْثِـرْ مِـنْ تَـدَبُّـرِهِ ... إِنْ كُنْـتَ لَـمْ تَـدْرِ قَبْـلَ اليَـوْمِ مَـا العَجَبُ

وله أشعار غير ما ذكرته، إلاَّ أنّه لم يصل إليّ منها شيء عند توريقي هذا الكتاب.

[٨٨٥]

هبةُ الله بنُ أبي الحسن بن أبي الخيرِ بنِ بُطْرسَ بنِ بلُوطسَ بنِ بيمكَ، أبو البركات النَصرانيُّ.

من أهل الديار المصرية.

كان يخدم الملك الأشرف مظفَّر الدين شاه أرمن أبا الفتح موسىٰ بن أبي بكر بن

(١) البيتان في الوافي ٢٧/ ٢٥٩.

أيوب في دولته متصرّفًا، فعرض عليه الإسلام، فأبىٰ فاعتقله فخرج من السجن وقصد إربل فولّاه سلطانها الفقير إلىٰ الله أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ الإشراف بديوان الارتفاع الخاص.

وكان له تقدُّمٌ في وضع الحسابات الديوانية والأحكام الخراجية، ويقول الشعر الحسن المطبوع علىٰ سبيل الإنبساط والمداعبات، ولم يزل مقيمًا بإربل إلىٰ أنْ توفي عصر يوم الإثنين ثامن عشر ذي القعدة سنة إحدىٰ وعشرين وستمائة.

وقد ذكره الوزير الصاحب العالم أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ في تأريخه الذي ألّفه لإربل، وقال: سألتُ أبا البركات بن بيمك عن مولده، فقال: ولدتُ في دمنهور الوحش(١) سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

ورد إربل /١٢٣ب/ بعد أن اعتُقل مُدَّة طويلة. وكان يلي بعض أعمال الملك الأشرف... بن أبي بكر بن أيوب، فنقم عليه، وأخذ ماله، فورد إربل والتحق بالملك المعظم أبي سعيد كوكبوري بن علي لما كان في بلاد العجم سنة إحدىٰ عشرة وستمائة، ووصل إلىٰ إربل فتوصَّل إلىٰ أن صار له إشراف الديوان بالقلعة، يكتُبُ حسنًا. وزعم بعض المصريين، أنَّ بيمك امرأةٌ نسبوا إليها.

وأنشدني، قال: أنشدني أبو البركات بن بيمك لنفسه: [من الوافر]

دَعيْنـــي وَالسُّـــرَىٰ وَمَجَـــالَ عيْســـيْ ... لَعَلِّـــيْ مُـــدْرِكٌ مَـــا فـــيْ النُّفُـــوْسِ
فَلَـــمْ يَـــكُ بَـــالغًـــا أَمْـــرًا نَفِيْسًـــا ... فتًـــى مَـــا لَـــمْ يُغَـــرِّرْ بِـــالنَّفِيْـــسِ
وَخَـــلِّ لِكُـــلِّ ذِيْ عَـــزْمٍ ضَعِيْـــفٍ ... مُعَـــاقَـــرَةَ المَـــوَاطِـــنِ وَالجُلُـــوْسِ

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن وهرام بن بكران البوازيجي الإربليُّ بها ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني /١٢٤أ/ أبو البركات هبة الله بن أبي الحسن بن بيمك النصراني لنفسه، وقد ورد عليه كتاب من بعض أصدقائه:

[من الوافر]

وَقَفْـــتُ عَلَـــىٰ الكِتَـــابِ فَهِمْـــتُ شَـــوْقًـــا ... كَـــأَنِّـــي قَـــدْ شَـــرِبْـــتُ مِـــنَ السُّـــلَافَـــهْ

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (دمنهور).

وَبِتُّ سَمِيرَ شَخْصِكَ مِنْهُ مَولًى ... بِقَلْبِي أَنْتَ مَعْ بُعْدِ المَسَافَهْ
فَرُحْتُ يَهُزُّ أَعْطَافِي سُرُورٌ ... كَأَنِّي قَدْ مَلَكْتُ بِهِ الخِلاَفَهْ
وَقَاكَ اللهُ مِنْ غِيَرِ اللَّيَالِي ... وَمِنْ ثَوْبِ الحَوَادِث كُلَّ آفَهْ
فَكُلُّ حَدِيْثِ أَهْلِ الوُدِّ عِنْدِي ... سِوَاكَ إِذَا سَمِعْتُ بِهِ خُرَافَهْ

وأنشدني أيضًا من لفظه، قال: أنشدني أبو البركات هبة الله بن أبي الحسن بن أبي الخير بن بُطرُس المصري لنفسه بإربل: [من الكامل]

/ ١٢٤ب/ لَوْ كَانَ يُدْرِكُ بِالتَّرَكُّضِ سَائِرٌ ... مَا فَاتَهُ فِي يَوْمِهِ أَوْ أَمْسِهِ
يَحْوِي هِلاَلُ التَّمِّ وَصْلاً لَمْ يَزَلْ ... أَبَداً يُحَاوِلُهُ بِدَارَةِ شَمْسِهِ
لَكِنَّهُ لَمَّا تَوَغَّلَ فِي السُّرَى ... لَقِيَ الكُسُوفَ مِنَ الرَّدَى فِي نَفْسِهِ
وَالسَّعْيُ إِذْ لَمْ تُعْطَ فِيهِ سَعَادَةً ... مُتَحَرِّكٌ أَبَداً يَعُوْدُ بِنَحْسِهِ

[٨٨٦]

هبةُ الله بنُ أبي سعيد بن أبي الكرمِ بن أبي سعيد بن أبي الخيرِ بنِ أبي اليُمنِ، أبو البركاتِ النصرانيُّ، المعروفُ بابنِ ستُّوتَهْ.

من أهل مصر.

كان ذا نظم ونثر وخطٍّ مليح حسن، ومعرفة جيدة بالحساب، ولديه فضل وأدب يتصرف في الأعمال الديوانيَّة، وأقام بحلب مُدَّةً، واتَّصل بخدمة الأمير مبارز الدين يوسف بن ختلخ الحلبي. ثم انتقل عنه وخدم لبعض الوُلاة بكفرطاب، ومات في عاشر رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة.

أنشدني الأجل نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم ابن المولىٰ الكاتب المنشىء بديوان حلب بها ـ أسعده الله تعالىٰ ـ لفظًا، قال: / ١٢٥أ/ أنشدني أبو البركات بن أبي سعيد بن أبي الكرم المصريُّ لنفسه ما كتبه إلىٰ الوزير أبي الحسن علي بن يوسف القفطي يستعفي من عمل التصرف: [من الخفيف]

أَنَا أَشْكُو إِلَى مَعَالِيْكَ حَالِي ... وَوُقُوعِي مَا بَيْنَ شَيْبٍ وَشَيْنِ
لَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ أُلاَقِي ... رَوَعَاتِ الحِسَابِ فِي الدَّارَيْنِ

ذَاكَ فِيْــــهِ عَيْــبٌ يُخَـــافُ وَهَــذَا		فِيْـهِ جَـوْرٌ فَـالْـوَيْـلُ مِـنْ هَـذَيْـنِ

[٨٨٧]

هبةُ الله بنُ عبد الرحمـٰن بن محمد بنِ محمودِ بنِ الشيرازيِّ، يكنّىٰ أبَا الفضلِ[١].

من أهل مدينة السلام.

شيخٌ لقيتُه بها بمجلس الشيخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن النجار البغدادي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وذكر لنا أنه دخل البلاد الخراسانيَّة، وتجوَّلها. وكان تاجراً.

ولد بالنيل[٢] وسألناهُ عن ولادته، فقال: إنَّ له من العمر سبعين سنة. وكان سؤالنا له والاجتماع به يوم الخميس ثاني رمضان سنة تسعٍ وثلاثين وستمائة، فيدل أنَّ مولده في سنة سبعين وخمسمائة.

يعاني قول / ١٢٥ب/ الشعر، وله في نظمه طبع صالح، وقريحةٌ ما بها بأسٌ يتشيَّع.

أنشدنا من قوله ـ وكان قد سُجن ـ ما كتبه إلىٰ أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ـ رضوان الله عليه ـ يتألم من السجن ويشكو إليه حاله، وما يلقىٰ من المحبوسين ومن المقام بينهم: [من الوافر]

خَلِيْلِـــيْ إِنَّنِـــيْ أُوْلِيْـــكَ نُصْحـــاً		وَصَـــايَـــا لِلْكُهُـــوْلِ وَلِلْشَبَـــابِ
إِذَا مَـــا شِئْـــتَ أَنْ تُـــدْعَـــىٰ رَشِيـــداً		وَتُـــرْمَـــقَ بِـــالسَّـــدَادِ وَبِـــالصَّـــوَابِ
تَجَنَّـــبْ مَـــا ٱسْتَطَعـــتَ وَكُنْـــتَ حَيًّـــا		لِـــوَاوَاتٍ ثَـــلاثٍ فِـــيْ كِتَـــابِ
فَـــوَاوُ وَصِيَّـــةٍ لاَ خَيْـــرَ فِيْهَـــا		فَتُلْقَـــىٰ فِـــيْ السُّجُـــوْنِ وَفِـــيْ السِّبَـــابِ

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ وفيه: «توفي سنة أربعين وستمائة». ذيل تأريخ بغداد لابن النجار.
(٢) النيل: بليدة في سواد الكوفة، قرب حلة بني مزيد، يخترقها نهر يتخلّج من الفرات العظمى. انظر: معجم البلدان/ مادة (النيل).

وَوَاوُ وَكَالَةٍ وُكِّلْتَ فِيهَا   بِسُوءِ الظَّنِّ مِنْ كُلِّ الصِّحَابِ

وَإِنْ رُمْتَ الثَّوَابَ وَحُسْنَ فِعْلٍ   فَمَا فِيهَا لَعَمْرُكَ مِنْ ثَوَابِ

تَصَبَّرْ وَاعْتَبِرْ إِنْ كُنْتَ طَبًّا   بِمَا قَدْ حَلَّ بِي وَلِسُوءِ مَا بِي

نَصَحْتُ فَمَا رَأَيْتُ النُّصْحَ يُجْدِي   وَمَنْ قَدْ خَانَ مَمْنُوعُ الجَوَابِ

أَرَى حَبْسِي وَبَالاً لَيْسَ فِيهِ   سِوَى إِثْمٍ تَضَاعَفَ فِي الرِّقَابِ

/١٢٦أ/ أَيَا مَوْلَايَ دَعْوَةَ مُسْتَغِيثٍ   إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ مِنَ العَذَابِ

وَمِنْ سِجْنٍ تَجَمَّعَ فِيهِ حَوْلِي   أُنَاسٌ فِي التَّهَارُشِ كَالْكِلَابِ

فَإِنْ عَاشَرْتُهُمْ دَنَّسْتُ عِرْضِي   وَإِنْ جَانَبْتُهُمْ بَزُّوا ثِيَابِي

وَنَحْنُ بِجَمْعِنَا فِي قَعْرِ لَحْدٍ   مَوَاتٌ فَاتَنَا طَعْمُ التُّرَابِ

إِذَا اشْتَدَّ الهَجِيرُ بِهِ عَلَيْنَا   يَسِيلُ صَدِيدُنَا سَيْلَ السَّحَابِ

وَإِنْ جَرَتِ النَّسِيمُ تَجُرُّ فِيهَا   رَوَائِحَ فِي المَعَاطِسِ كَالحِرَابِ

وَقَدْ تَغْدُو النُّفُوسُ بِهَا سُكَارَى   يَمِيلُ بِهَا وَلَا سُكْرُ الشَّرَابِ

تَعَجَّلَ مَا تَأَجَّلَ مِنْ عَذَابٍ   فَكَيْفَ وَمَا أَتَى يَوْمُ الحِسَابِ ؟

فَبِتُّ مُعَاتِبًا دَهْرًا رَمَتْنِي   نَوَائِبُهُ وَمَا يُجْدِي عِتَابِي

أَقُولُ لَهُ وَدَمْعُ العَيْنِ يَجْرِي   كَمَا وَهَتِ العُقُودُ مِنَ الكِعَابِ

أَتَقْصِدُنِي وَقَدْ أَلْجَأْتُ ظَهْرِي   وَلُذْتُ بِظِلِّ مَمْنُوعِ الجَنَابِ

عَنَيْتُ النَّاصِرَ المَنْصُورَ عَضُدِي   خَلِيفَةَ أَحْمَدٍ كَأَبِي تُرَابِ

إِمَامًا يَمْلَأُ المِحْرَابَ زُهْدًا   وَفِي يَوْمِ الكَرِيهَةِ لَيْثُ غَابِ

فَأَوْجَسَ خِيفَةً دَهْرِي وَطَابَتْ   مَذَاقَتُهُ وَكَانَ كَطَعْمِ صَابِ

/١٢٦ب/ وَقَالُوا وَقَدْ لَجَأْتُ إِلَى جَنَابٍ   تَلِينُ لِبَأْسِهِ كُلُّ الصِّعَابِ

فَيَا خَيْرَ البَرِيَّةِ لَا أُحَاشِي   وَيَا خَيْرَ الأَنَامِ وَلَا أُحَابِي

بِمَنْ أَدْنَى النَّبِيَّ بِقَابِ قَوْسٍ   وَأَظْهَرَ دِينَهُ بَعْدَ احْتِجَابِ

وَطَهَّرَ أَهْلَهُ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ   وَأَنْتَ مِنَ السُّلَالَةِ وَاللُّبَابِ

أَغِثْنِي إِنَّنِي بِكَ مُسْتَجِيرٌ   لِتُنْقِذَنِي مِنَ الظُّلْمِ العُجَابِ

فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ شَرَحْتُ مَا بِي   وَمَا عِنْدَ الرَّعِيَّةِ مِنْ شِغَابِ

بَقِيتَ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِي سُرُورٍ   وَدُمْتَ لَهَا عَلَى مَرِّ الحِقَابِ

وَمَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ بِأَيْكٍ ... وَمَا حَجَّ الحَجِيجُ عَلَىٰ الرِّكَابِ

وأنشدني أيضًا ما كتبه إلىٰ الوزير مُؤيد الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن بَرْز القمي ـ وكان يومئذ يتقلَّدُ الوزارة للإمام أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد / ١٢٧أ/ رضوان اللهً عليه ـ ويتظلم إليه من القاضي شهاب الدين أبي المناقب محمود بن أحمد بن بختيار الزنجاني الحاكم بمدينة السلام ـ وكان ينبز بابن عُرس لقصر كان في رقبته: [من الخفيف]

يَا وَزِيْرَ الإِمَامِ فِيْ الحَلِّ وَالعَقْـ ... ـدِ لَقَدْ ضَاعَ فِيْ اخْتِيَارِكَ حِسِّي
مُسِخَ النَّاسُ فِيْ زَمَانِكَ فَأراً ... فَتَوَلَّىٰ عَلَيْهِمُ إِبْنُ عِرْسِ
جَدُّهُ قُنْفُذٌ وَعِرْسٌ أَبُوهُ ... لَيْتَ شِعْرِيْ فَبَزْرُهُ أَيُّ جِنْسِ
قَالَ قَوْمٌ لَمَّا رَأَوْهُ بِدَسْتِ ... نَافِذَ الحُكْمِ فِيْ القَضَا وَالدَّرْسِ
وَخَرَاجُ البِلَادِ يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ... بَعْدَ مَا كَانَ لَا يَرَىٰ نَقْشَ فَلْسِ
مِثْلُ هَذَا يَكُوْنُ حَاكِمَ بَغْدَادَ ... وَعَارٌ يَكُوْنُ هَذَا بِبَرْسِ(١)
/ ١٢٧ب/ أَنْقِذُوا الشَّرْعَ مِنْ يَدَيْهِ فَقَدْ أَصْـ ... ـبَحَ مِنْ سُوْءِ فِعْلِهِ فِيْ رَمْسِ
فَرِحَ القَائِلُوْنَ بِالأَبِ وَالإِبْـ ... ـنِ وَمُوْسَى وَمَنْ يَرَىٰ لِلْشَّمْسِ
فَرِحُوْا إِذْ رَأَوْهُ لِلشَّرْعِ قَدْ ... مَاتَ فَهُمْ مِنْ عَزَائِنَا فِيْ عُرْسِ
يَا إِمَامَ الهُدَىٰ وَيَا حُجَّةَ اللّـ ... ـهِ وَمَنْ حُبُّهُ مُخَالِطُ نَفْسِيْ
مَا أَرَىٰ نَاصِحًا لَكَ اليَوْمَ فِيْ النَّا ... سِ فَيُنْهِيْ إِلَيْكَ مِنْ غَيْرِ لَبْسِ
أَنَّ هَذَا ابْنَ عِرْسَ قَدْ فَرَسَ المَا ... لَ وَلَا فَرْسَةُ الأَسُوْدِ الشُّرْسِ
قَدْ حَوَىٰ جِلْدُهُ ثَلَاثِيْنَ أَلْفًا ... فَخُذُوهَا مِنْهُ بِأَهْوَنِ لَمْسِ
وَاجْعَلُوا يَوْمَهُ الَّذِيْ هُوَ فِيْهِ ... مِثْلَ مَا كَانَ مُدْبِراً بِالأَمْسِ
وَإِذَا رُمْتُمُ زِيَادَةَ مَالٍ ... فَاجْعَلُوا جُلَّ صَحْبِهِ فِيْ الحَبْسِ
مِنْ وَكِيْلٍ وَمُحْضِرٍ وَغُلَامٍ ... قَلَعُوا النَّاسَ مِثْلَ قَلْعِ الضِّرْسِ
مِنْ لِمَالِ الأَيْتَامِ يَحْنُو عَلَيْهِ ... أَذْهَبُوْهُ مَا بَيْنَ أَكْلٍ وَلُبْسِ

---

(١) بَرْس: قرية صغيرة بنواحي بغداد.

[٨٨٨]

هبةُ الله بنُ عليِّ بنِ عيسىٰ بنِ المقلَّدِ بنِ علويٍّ، أبو المعالي بنُ أبي القاسمِ النيليُّ.

كانت ولادته بالنيل ثالث عشر صفر من سنة أربع وستين وخمسمائة، وعاش /١٢٨أ/ إلىٰ قريب سنة عشرين وستمائة.

كان عالمًا فاضلاً يترامىٰ إلىٰ علوم الحكمة وأصنافها، وله معرفة باختلاف المذاهب والأديان وأقاويل الحكماء وارباب المقالات. وأنشأ رسالةً نظمًا ونثراً سمّاها «القاصمة القاصلة والفاصمة الفاصلة»، وصنع رسالةً أخرىٰ وسمّاها بـ «المذهبة الكاسفة لمذاهب الفلاسفة»، عملها رداً علىٰ فلاسفة يُونان وأصحاب المنطق وإبطال أقوالهم، وكشف ما ستروُهُ من العقول، وقال أشعاراً في المواعظ والزهد والاعتبار وما يجري مجرىٰ هذه الفنون.

أنشدني الصاحبُ الوزير شرفُ الدين أبو البركات المستوفي الإربلي بها ـ رضي الله عنه ـ قال: أنشدني أبو المعالي النيلي لنفسه: [من السريع]

يَـــا رَبَّ هَـــذِيْ القُـــدْرَة القَـــاهِــرَهْ ... وَالحِكْمَـــةِ البَـــالِغَـــةِ البَـــاهِــرَهْ
يَـــا رَبَّ ذَا اللَّيْـــلِ الَّـــذِيْ قَـــدْ سَجَـــا ... ورَبَّ هَـــذِيْ الأنْجُـــمِ الـــزَّاهِــرَهْ
يَـــا مُنْشِـــيءَ الخَلْـــقِ كَمَـــا شَـــاءَهُ ... ويَـــا مُعِيْـــدَ الـــرِّمَـــمِ النَّـــاخِــرَهْ
/١٢٨ب/ أَسْـــأَلُـــكَ الأَمْـــنَ غَـــدَاةَ اللِّقَـــا ... إذْ تَجْمَـــعُ العَـــالَـــمَ بِـــالسَّـــاهِــرَهْ
وَالعَفْـــوَ عَنِّـــي وَجَمِيْـــلَ الـــرِّضَـــا ... فِـــيْ هَـــذِهِ الـــدُّنْيَـــا وَفِـــيْ الآخِـــرَهْ

وأنشدني، قال: أنشدني هبة الله بن علي النيلي لنفسه في الإنقطاع إلىٰ الله عزَّ وجل: [من الوافر]

إلَهِـــي لَيْـــسَ لِـــيْ جَلَـــدٌ فَـــأقْـــوَىٰ ... عَلَـــىٰ نَـــارِ الجَحِيْـــمِ وَلاَ أُطِيْـــقُ
وَإلاَّ تَعْـــفُ عَنِّـــي أوْ تُجِـــرْنِـــي ... فَـــإنِّـــي فِـــيْ بِحَـــارِ رَدًى غَـــرِيْـــقُ

وقوله في الإعتبار والتسليم لله تعالىٰ: [من الرمل]

لَيْـــسَ بِـــالـــدَّائِـــمِ بُـــؤْسٌ وَتَـــرَحْ ... لاَ وَلاَ يَبْقَـــىٰ نَعِيْـــمٌ وَفَـــرَحْ

كَــمْ رَأَيْنَــا مِــنْ ظَــلاَمٍ شَــامِــلٍ ... عَــقَّ عُقْبَــاهُ ضِيَــاءٌ فَــوَضَــحْ
وَضِيَــاءً ظَــاهِــراً مُشْتَهَــراً ... جَــاءَهُ جِنْــحُ ظَــلاَمٍ فَجَنَــحْ
هِــيَ دُنْيَــا لاَ نُبَــالِــي هَــاجِيــاً ... ذَمَّهَــا أَوْ مَــادِحــاً يَــوْمَ مَــدَحْ
فَثِقُــوا بِــاللهِ فَــالْحُكْــمُ لَــهُ ... وَلَــهُ مَــا عَــابَ مِنْهَــا وَصَلَــحْ
/١٢٩أ/ وَكِلُــوا الأَمْــرَ إِلَيْــهِ تَسْلَمُــوا ... فَمَــنِ ٱسْتَسْلَــمَ حَقّــاً يَسْتَــرِحْ
أَيُّهَــا المُــذْنِــبُ حِــرْصــاً نَفْسَــهُ ... يَجْمَــعُ المَــالَ بِتَقْــدِيْــرٍ وَشُــحْ
كَــمْ وَكَــمْ هَــذَا التَّعَنِّــي غَلَطــاً ... وَالتَّمَنِّــي لأُمُــورٍ لاَ تَصِــحْ
فَــاقْتَصِــدْ وَاسْــعَ بِــرِفْــقٍ وَاتَّئِــدْ ... وَاسْتَمِــعْ قَــوْلَ صَــدُوْقٍ قَــدْ نَصَــحْ
فَلَــكَ البُلْغَــةُ فَــاسْــأَلْهَــا وَإِنْ ... شِئْــتَ فَــاسْــأَلْــهُ سُــؤَالَ المُقْتَــرِحْ
وَلَــهُ الشُّكْــرُ فَمَــنْ شَــاءَ إِذاً ... مَنَــعَ الفَضْــلَ وَمَــنْ شَــاءَ مَنَــحْ

وقال أيضًا في التجلد والإصطبار، وكان قد مرض: [من الكامل]

أَلَــمٌ أَلَــمَّ وَعَــارِضٌ عَــرَضَــتْ بِــهِ ... أَسْبَــابُ حَــظٍّ فِــي الحَضِيْــضِ مُقِيْــمِ
يَــا وَيْحَهَــا أَنَّــى رَأَتْنِــي سَــالِمــاً ... وَمَتَــى ٱسْتَقَمْــتُ وَكُنْــتُ غَيْــرَ سَقِيْــمِ
فَلْيَجْهَــدِ الــدَّهْــرُ المُعَــانِــدُ جُهْــدَهُ ... أَبَــداً وَلَــوْ بَلَغَــتْ إِلَــى الحُلْقُــومِ

وهذا الذي وقع إليَّ من أشعاره.

[٨٨٩]

/١٢٩ب/ هبةُ الله بنُ محمدِ بنِ شكرٍ، أبو البركاتِ المصريُّ، المعروفُ بابنِ العَصَّار.

شاعر عصرنا ومجيدُه، مالك عنان القريض كيف ما شاء يقودُهُ، رائق الشعر مصقولُه، يُبدع فيما ينشئه ويقوله، أحكم الناس لوشي الكلام رقمًا، وأتقنهم لجواهر الألفاظ والمعاني نظمًا.

سمعتُ الصاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ يُثني عليه ويصف فضله ويقرِّظُهُ، ثم أنشدني له، قال: أنشدني أبو البركات لنفسه يصف عوَّاداً: [من المتقارب]

. . . فِــي وَقْتِــهِ وَآيَتُــهُ ... إِنْ شَــدَا. . . أَوْ ضَــرَبْ

يُمِيتُ الهُمُومَ وَيُحْيي النُّفُوسَ ... وَيُبْقِي السُّرُورَ وَيَنْفِي الكُرَبْ
تَقُولُ أَعَاجِمُ أَوْتَارِه ... أَقَاوِيلَ تُخْرِسُ فُصْحَ العَرَبْ
فَتَحْرِيكُهَا سَكَنَاتُ الأَسَىٰ ... وَتَسْكِينُهَا حَرَكَاتُ الطَّرَبْ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني أبو البركات ابن العصّار قوله: [من الرجز]

/ ١٢٠أ/ فَلاَ تَرَىٰ فِي النَّاسِ إلاَّ شَاكِراً ... لِجُوْدِه شُكْرَ الرِّيَاضِ لِلْمَطَرْ
أَلْسُنُهُمْ صَلَّتْ بِآيِ جُوْدِه ... فِي قُبَلِ الأَفْوَاهِ يَتْلُوْهَا سُوَرْ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني أبو البركات بن شكر، وكتبها إلي: [من الوافر]

أنا اتفقت كُنانا فالمعالي ... قَدِ ٱخْتَلَفَتْ وَأَنْتَ أَجَلُّ قَدْرَا
فَإِنَّ مُحَمَّداً مَنْ لَمْ يُكَنَّىٰ ... بِكنْيَتِه جَمِيعُ النَّاسِ طُرَّا

قال: فكتبت إليه جوابها علىٰ الوزن والروي: [من الوافر]

إِنَ ٱخْتَلَفَتْ كَمَا قُلْتَ المَعَالِيْ ... فَإِنَّكَ رَبُّهَا المَشْهُورُ قَدْرَا
إِذَا النُّعْمَىٰ حَبَاكَ بِهَا ٱبْنُ شُكْرٍ ... فَكَيْفَ تُطِيْقُ أَنْ تُوْلِيْه شُكْرَا

وأنشدني أبو الفتح محمد بن بدل بن أبي المعمَّر بن إسماعيل التبريزي بإربل ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

/ ١٣٠ب/ قال: أنشدني أبو البركات هبة الله بن محمد بن شكر المصري بإربل لنفسه، ما كتبه إلىٰ بعض الرؤساء. وكان قد حُمَّ وأبلَّ من الحُمّىٰ وأحسن في قوله:

[من البسيط]

شِفَاكَ لِلنَّاسِ أَحيا مَيِّتَ الأَمَلِ ... مِنْ بَعْدِ مَا بَاتَتِ العَلْيَا عَلَىٰ وَجَلِ
قَالَتْ: مَعَاذِيرُهَا الحُمَّىٰ فَقَدْ قَصَدَتْ ... فَخْراً بِجِسْمِكَ حَاشَاهُ مِنَ العِلَلِ
هَبْنِي عكَاشَةَ فِي ذَنْبٍ أَتَيْتُ بِه ... وَخَاتَمُ الجُوْدِ هَذَا خَاتَمُ الرُّسُلِ
رَامَتْ فَخَاراً كَمَا رَامَ النَّجَاةَ وَقَدْ ... تُنَالُ قَاصِيَةُ الأَغْرَاضِ بِالحِيَلِ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني أبو البركات بن شكر، له في غلام مليح الصورة ذي ذؤابة طويلة راكب فرس أشقر: [من المتقارب]

/ ١٣١أ/ وَأَسْمَرَ فِي جَفْنِه أَبْيَضٌ ... لِرَوْضَةِ وَجْنَتِه حَارِسُ
يُنَبِّهُ مِنَّا عُيُونَ الهَوَىٰ ... لَعِشْقَتِه طَرْفُهُ النَّاعِسُ

غَـــدَا رَاكِبــاً لَــوْنَ خَــدٍّ لَــهُ بنِيْــرَانــه يَهْتَــدِيْ القَــابِــسُ
يَجُــرُّ ذُؤَابَتَــهُ خَلْفَــهُ كَمَــا جَــرَّ ذَابِلَــهُ الفَــارِسُ

وأنشدني أبو المجد أسعد بن إبراهيم الكاتب النُشَّابيُّ الإربلي بها، قال: أنشدني أبو البركات بن شكر المصري لنفسه في غلام جميل كان واقفاً في خدمة الملك الأشرف موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ فجازت الشمسُ عليه فاستتر منها، فأنشد ابن العصّار المصري مُرتجلاً: [من البسيط]

/١٣١ب/ وغُصْنِ بَانٍ قُلُوْبُ النَّاسِ قَاطِبَةً مِنْــهُ عَلَــى خَطَــرٍ إنْ مَــاسَ أوْ خَطَــرَا
بَــدَا فَــأبْــدَا أَعْــلاهُ لَنَــا قَمَــراً فِيْــهِ مِــنَ الحُسْــنِ مَــا لِلْعَقْــلِ قَــدْ قَمـرَا
هُــوَ الغَــزَالُ وَلَكِــنْ قَــدْ عَجِبْــتُ لَــهُ مِــنَ الغَــزَالَــةِ مُــذْ زَارَتْــهُ إذْ نَفَــرَا(١)
وَظَــلَّ مُحْتَجِبــاً عَنْهَــا وَمُسْتَتِــراً مِنْهَــا وَنُــوْرَاهُمَــا لِلْنَّــاسِ قَــدْ ظَهَــرَا
فَقُلْــتُ: حَسْبُــكَ لا يُخْشَــىٰ اجْتِمَــاعُكُمَــا فَــالشَّمْــسُ لا يَنْبَغِــيْ أنْ تُــدْرِكَ: القَمَــرَا

[٨٩٠]

هبةُ الله بنُ محمد المجدي.

الذي يغلبُ علىٰ الظنِّ أنَّ هذا الشاعر من أهل الديار المصرية.

صار إليَّ من شعره هذه القصيدة يمدحُ بها بعض الرؤساء: [من البسيط]

هَبُــوا المُعَنَّــىٰ بلَيْلَــى مَــنْ يُعَــانِيْــهِ تَلَطُّفــاً بلَطِيْــفٍ مِــنْ مَعَــانِيْــهِ
وَلا تَلُــوْمُــوْهُ فِــيْ وَجْــدٍ يُكَــابِــدُهُ فَفِــيْ تَحَلِّيْــهِ مَــنْ يَهْــوَىٰ تَحَلِّيْــهِ
دَعُــوْهُ يَــرْوِيْ حَــدِيْثــاً عَــنْ شَمَــائِلِهَــا فَكُــلُّ ذِيْ ظَمَــأٍ يَــرْوِيْــهِ يُــرْوِيْــهِ
كَــمْ مِــنْ مَشُــوْقٍ يُنَــادِيْ فِــيْ رَكَــائِبِهَــا بخَــاطِــرٍ ضَــلَّ فِــيْ تَشْــدِيْــهِ شَــادِيْــهِ
بمَــا بجَفْنَيْــكَ مِــنْ أَمْــنٍ وَمِــنْ وَجَــلٍ سَــرِّيْ الصَّبَــابَــةَ عَــنْ قَلْبِــيْ يُسَــرِّيْــهِ
بِــأسْهُــمٍ سَلَبَــتْ بَعْــضَ الأَنَــامِ قُــوَىً غُضِّــيْ عَــنِ البَعْــضِ هَــذَا الطَّــرْفَ غُضِّيْــهِ
/١٣٢أ/ وَكُــلُّ قَفْــرِ فُــؤَادٍ مُــوْحِــشٍ سُــدَفٌ مَتَــىٰ تَحُلِّيْــهِ يَــا لَيْلَــىٰ تُحَلِّيْــهِ
وَمَــا لِمَــنْ شَفَّــهُ دَاءُ الغَــرَامِ سِــوَىً وَصْــلٍ يُعَــافِيْــهِ أوْ هَجْــرٍ يُعَفِّيْــهِ

---

(١) الغزالة: الشمس.

وَأَهْيَفَ خَاطَرَتْ بِالصَّبِّ خَطْرَتُهُ ... تُثْنِي الغُصُوْنُ عَلَيْهِ فِي تَثَنِّيْهِ
سَقَتْ غَوَادِيْ حَيَاهُ غُصْنَ قَامَتِهِ ... خَمْراً فَمَا فِيْهِ مِنْ سُكْرٍ فَمِنْ فِيْهِ
وَقَامَ يَجْلُو حُمَيَّا ثَغْرِهِ فَغَدَا ... كَأَنَّمَا كَأْسُهُ بِالنُّوْرِ كَاسِيْهِ
أَعَارَ لِلَّيْلِ سِرْبَالَ النَّهَارِ كَمَا ... أَعَارَهُ اللَّيْلُ فَرْعًا مِنْ دَيَاجِيْهِ
جَلَّ الَّذِيْ فِيْ قُلُوبِ الخَلْقِ صَوَّرَهُ ... أَفْدِيْهِ مِنْ مُفْرَدٍ فِي الحُسْنِ أَفْدِيْهِ
فَلَيْسَ خَاطِبُهُ يَوْمًا يُخَاطِبُهُ ... فِيْمَا يَرُوْمُ وَلَا حَاوِيْهِ حَاوِيْهِ
سَرَىٰ إِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ سِحْرُ بَابِلِهِ ... يَصِيْدُ بِاللَّحْظِ مَهْمَا رَامَ رَاجِيْهِ
وَكُلَّمَا مَاتَ سُكْرًا عَنْ لَوَاحِظِهِ ... يَعْتَادُهُ وَيُحَيِّيْهِ فَيُحْيِيْهِ
يَا غَارِسَ الوَرْدِ فَوْقَ الخَدِّ يُتْحِفُهُ ... مَهْلًا فَجَانِيْهِ بِالتَّسْهِيْدِ جَانِيْهِ
أَفْتَاكَ حُسْنُكَ يَا فَتَّاكُ فِيْ دَمِهِ ... فَمَنْ لِحُسْنِكَ بِالإِحْسَانِ يُفْتِيْهِ
يَا مَنْزِلًا قَصُرَ الأَيَّامُ مِنْ زَمَنِيْ ... عَهْدًا بِطُوْلِ نَوَاحِيْ فِيْ نَوَاحِيْهِ
وَأَنْتَ يَا سَعْدُ إِيْهِ عَنْ مُحَاوَرَتِيْ ... فِي الصَّبْرِ عَنْهُ وَفِيْ وَجْدِيْ بِهِ إِيْهِ
/ ١٣٢ب/ كَيْفَ السَّبِيْلُ إِلَىٰ الصَّبْرِ الجَمِيْلِ بِهِ ... وَالوَجْدُ فِيْ مُهْجَتِيْ يَا وَيْكَ يَأْوِيْهِ
هَذَا فُؤَادِيْ وَهَذَا الوَجْدُ سَاكِنُهُ ... يَا مَيَّ سَالِيْهِ بِيْ إِنْ كُنْتُ سَالِيْهِ

[٨٩١]

هبةُ الله بنُ محمد بن هبة الله بن منصور بن أبي سعد بن الحسنَ بن منصورَ، أبو الكرمِ القصَّابُ، الشيرازيُّ الأصلَ، المَوْصليُّ المولد والمنشأ.

المعروفُ بابنِ الدانشِ مَنْدو، ومعنىٰ هذا اللفظة وتفسيرها إمام القوم وخطيبهم.

شاب قد وخطه الشيب، ضعيف العينين. شاهدته بحلب في أواخر شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة؛ وأخبرني أنَّه وُلد سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالموصل، وذكر لي أنَّه حفظ الكتاب العزيز، وقرأ طرفًا من العربيَّة علىٰ الأديب أبي العباس أحمد بن الحسين بن أحمد بن الخباز النحوي الموصلي.

وجاش خاطرُهُ بالقريض ونظم منه أشياءَ حسانًا في فنون متعددةٍ وأغراضٍ يستطرفها ذوو الآداب تصدرُ عن طبع حسن وقريحةٍ مطاوعة.

أنشدني لنفسه ما قاله / ١٣٣أ/ علىٰ لسان المسجد الجامع العتيق بالموصل :

[من الطويل]

شَكَا جَامِعُ الحَدْبَا العَتِيْقُ لِرَبِّهِ ... وَقَالَ إلَهِي مَنْ بِثَأْرِي آخِذُ
وَمَنْ لِي مُجِيْرٌ مِنْ يَدَيْ شَرِّ مَعْشَرٍ ... بُلِيْتُ بِهِمْ دَهْرِي وَمَنْ لِيَ نَاقِذُ
أُنَاسٌ هُمُ شِبْهُ الشَّيَاطِيْنِ حَيْثُ مَا ... اسْتَقَلُّوا وَإِنِّي مِنْهُمُ بِكَ عَائِذُ
إذَا حَلَّ هَذَا فَهْوَ بِالدُّهْنِ عَابِثٌ ... وَإِنْ حَلَّ هَذَا كَانَ لِلْحُصْرِ جَابِذُ(١)
وَكُلٌّ يَقُوْلُ المُلْكُ مَا فِيْهِ أُجْرَةٌ ... خَرَابٌ وَمَا بِي مِنْ أُوْلِي الأَمْرِ لائِذُ
وَمَا فِيْهُمُ إلاَّ لِحَقِّكَ جَاحِدٌ ... وَمَا مِنْهُمُ إلاَّ لأَمْرِكَ نَابِذُ
وَفِي زَمَنِ المَلْكِ الرَّحِيْمِ وَعَدْلِهِ ... أَيَجْمُلُ أَنْ أُعْرَىٰ وَتُكْسَى الجَهَابِذُ

الملك الرحيم هو بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله ـ صاحب الموصل ـ كان يُلقَّب بذلك .

فَلاَ زَالَ ذَا أَمْرٍ مُطَاعٍ وَحُكْمُهُ ... مَدَىٰ الدَّهْرِ فِي أَهْلِ البَسِيْطَةِ نَافِذُ

وأنشدني ما قاله في بني مُهاجر الموصليين : [من السريع]

/ ١٣٣ب/ وَقَائِلٍ مُمْتَحِنٍ عَنْ بَنِي ... مُهَاجِرٍ صَاخَ لَهُ سَمْعِي
أَمْوَالُهُمْ لَمْ يَمْنَعُوا صَرْفَهَا ... فَقُلْتُ : فِيْهَا عِلَّةُ الجَمْعِ
وَالوَزْنُ وَالوَصْفُ وَأَيْدٍ لَهُمْ ... مَا بُنِيَتْ إلاَّ عَلَىٰ الرَّفْعِ
قَالُوا : بِمَاذَا جَرُّهَا ؟ قُلْتُ : بِالنَّصْـ ... ـبِ وَهَذَا سَبَبُ المَنْعِ

وأنشدني لنفسه في الحُمَّى للحبيب وهو معنىً غريب : [من الخفيف]

قَاسَمَتْنِي الحُمَّىٰ عِنَاداً عَلَىٰ حُـ ... ـبِّي لَهُ فَهْيَ دَائِماً تَغْشَاهُ
قُلْتُ : كُفِّي المَزَارَ عَنْهُ فَقَالَتْ : ... أَنَا أَهْوَاهُ مِثْلَ مَا تَهْوَاهُ
قُلْتُ : قَدْ فُزْتِ بِالعِنَاقِ مِنَ الحِـ ... ـبِّ فَبِاللهِ قَبِّلِي مِنْهُ فَاهُ

وأنشدني لنفسه ما قاله علىٰ لسان سُكُرُّجَة النَّرْد : [من المنسرح]

حَلَلْتُ بَيْنَ البُرُوْجِ فِي فَلَكٍ ... حَوَىٰ نُجُوْماً كَالسَّبْعَةِ الشُّهُبِ

---

(١) جابذ : جاذب .

لكِنْ نُجُومِيْ لَهَا الفَخَارُ كَمَا تَحْكُمُ بالغَيْبِ وَهْيَ لَمْ تَغِبِ

وأنشدني له في بني مهاجر : [من الطويل]

/ ١٣٤أ/ يَقُوْلُوْنَ لِيْ إنْ تَهجُ بَيْتَ مُهَاجِرٍ فَإنَّهُمُ لِلْهَجْوِ دُوْنَ الوَرَىٰ أهْلُ
كَمَالُهُمُ نَقْصٌ وَشَمْسُهُمُ دُجًى وَعِزُّهُمُ ذُلٌّ وَتَاجُهُمُ نَعْلُ

وأنشدني لنفسه في المحتسب أبي علي الحسن بن الحسن بن نصر الله بن علوان بن مهاجر : [من السريع]

مَنْ كَانَ يَسْتَوْجِبُ فِيْمَا مَضَىٰ بفعْلِهِ الذَّمَّ مَدَى الدَّهْرِ
فَمُذْ تَوَلَّيْتَ أقَرَّ الوَرَىٰ كُلٌّ لَهُ بالحَمْدِ وَالشُّكْرِ

وأنشدني لنفسه في امرأةٍ علوية ـ يُقال لها بنت الطوراني وكانت فاركًا[1] :

[من البسيط]

قَالُوا: فُلاَنَةُ لَمْ تَثْبُتْ بِمَنْزِلِهَا يَوْمًا وَتُنْسَبُ مِنْ أشْرَافِ عَدْنَانِ
فَقُلْتُ: لَوْ أنَّهَا مَنْسُوبَةٌ ثَبَتَتْ حَقًّا وَلكِنَّهَا مِنْ نَسْلِ طَوْرَانِ

وأنشدني لنفسه ما قاله في حماته : [من الوافر]

/ ١٣٤ب/ وَأعْظَمُ مِنْ مُلِمّاتٍ تَوَالَتْ عَلَيَّ صُرُوْفُهَا بِيَدِ العُدَاةِ
رَجَائِي مِنَ الحَمَاةِ بَيَاضَ وَجْهٍ وَهَلْ وَجْهٌ يُبَيَّضُ بالحَمَاةِ

وأنشدني أيضًا له فيها : [من الخفيف]

لِيْ حَمَاةٌ مَا قُلْتُ فِي الصُّبْحِ هَذا الصُّـ ـبْحُ إلاَّ تَقُوْلُ هَذَا المَسَاءُ
وَإذَا اللَّيْلُ جَنَّ، قُلْتُ: ظَلاَمُ اللَّـ ـيْلِ قَالَتْ: ألَيْسَ هَذَا ضِيَاءُ ؟
رَكِبَتْ مَنْهَجَ الخِلاَفِ فَلاَ نُصْـ ـحًا تَعِي فَهْيَ صَخْرَةٌ صَمَّاءُ
وَهْيَ سِعْلاَةُ فَدْفَدٍ وَهْيَ فِي المَلْـ ـمَسِ تَاللهِ حَيَّةٌ رَقْطَاءُ
هِيَ صِلٌّ سَلِيْمُهَا مَا لَهُ رَا قٍ وَدَاءٌ قَدْ مَلَّ مِنْهُ الإسَاءُ
تَغْتَدِي الفِضَّةُ اللُّجَيْنُ لَدَيْهَا وَهْيَ بَعْدَ ابْيضَاضِهَا سَوْدَاءُ

وأنشدني لنفسه يهجو : [من الطويل]

---

(١) الفارك : المبغضة لزوجها.

مَـــدَدْتُ قَفَـــاهُ ثُـــمَّ إِنِّـــيْ قَصَـــرْتُـــهُ   فَقَـــالَ: بِمَـــاذَا عَـــنْ خُطَـــاكَ تُعَبِّـــرُ
فَقُلْـتُ لَـهُ: قَـدْ جَـاءَ عِنْـدَ أُوْلِـيْ الحِجَـىٰ   بِـــأَنَّ القَفَـــا طَـــوْراً يُمَـــدُّ وَيُقْصَـــرُ

وأنشدني له في محبُوسين، ثم أُخرجا من الحبس: [من الوافر]

/ ١٣٥أ/ لَئِـنْ حَجَبَتْكُمَـا الأَيَّـامُ عَنِّـي   فَلَيْـسَ بِضَـائِـرٍ ذَاكَ الحِجَـابُ
لأَنَّ الشَّمْـسَ تُكْسُـو الأَرْضَ نُـوْراً   وَيَحْجُبُهَـا عَـنَ العَيْـنِ السَّحَـابُ
وَقَـدْ يَفْـرِيْ الحُسَـامُ الصَّلْـتُ هَـامَ الـ   ـعِـدَا قَهْـراً وَيُخْفِيْـهِ القِـرَابُ
وَمَهْمَـا اللَّيْـثُ يَفْـرَقُ مِـنْ سُطَـاهُ الـ   ـوَرَىٰ لَـمْ يَثْنِـهِ خِيْـسٌ وَغَـابُ
وَإِنَّ السِّجْـنَ لِـلأَقْيَـالِ عِـزٌّ   كَمَـا تَعْتَـزُّ بِـالخِـدْرِ الكَعَـابُ
فَشُكْـراً حَيْـثُ كَـانَ بِكُـمْ قَـرِيْبـاً   عَلَـىٰ رُغْـمِ العِـدَا ذَاكَ الإِيَـابُ

وأنشدني لنفسه في رجلٍ، صنّف كتابًا في المسئلة والجواب شعراً يلقَّبُ الموفق محمّد: [من الكامل]

قَـالُـوا: المُـوَفَّـقُ ذُوْ الفُنُـوْنِ مُحَمَّـدٌ   فِـيْ عَصْـرِهِ وَسَمَـا عَلَـىٰ كُـلِّ الـوَرَىٰ
بِمَسَـائِـلٍ تَكْسُـو البَلِيْـدَ بَـلاغَـةً   وَتَـرُوْقُ خُبْـراً لِلْبَلِيْـغِ وَمَخْبَـرَا
نَظْمـاً كَسِلْـكِ الـدُّرِّ إِلاَّ أَنَّـهُ   مِـنْ سِمْطِـهِ فِـيْ العَيْـنِ أَبْهَـىٰ مَنْظَـرَا
لا يَعْتَـرِيْ الـرَّاوِيْ لَـهُ مَلَـلٌ وَلا الأ   لأَيَّـامُ تُخْلِقُـهُ إِذَا مَـا كُـرِّرَا
/ ١٣٥ب/ دَقَّـتْ مَعَـانِـيْ لَفْظِـهِ فَغَـدَا جَلِيْـ   ـدُ الـوَهْـمِ فِـيْ إِدْرَاكِـهِ مُتَحَيِّـرَا
فَلَـهُ عَلَـىٰ نَجْـمِ الثُّـرَيَّـا رُتْبَـةٌ   لَـوْ رَامَهَـا بَـدْرُ السَّمَـاءِ لَقَصَّـرَا
فَلَقَـدْ تَجَـاوَزَ مَـنْ مَضَـىٰ مُتَقَـدِّمـاً   عِلْمـاً وَأَتْعَـبَ مَـنْ أَتَـىٰ مُتَـأَخِّـرَا

وأنشدني لنفسه في حسين بن عمر بن العصّار، حين مات وكان كبير الأنف:

[من المنسرح]

قَـالُـوا: حُسَيْـنُ العَصَّـارُ مَـاتَ وَمَـا   رَأَىٰ لَـهُ فِـيْ حَيَـاتِـهِ فَـرَجَـا
قُلْـتُ: وَأَيُّ اللُّحُـوْدِ وَارَتْـهُ وَالـ   ـلَّحْـدُ أَرَاهُ لأَنْفِـهِ حَـرَجَـا(١)
قَـالُـوا: شَقَقْنَـا لَحْـداً لِجُثَّتِـهِ   ثُـمَّ عَقَـدْنَـا لأَنْفِـهِ أَزَجَـا

---

(١) الحَرَج: المكان الضيّق.

وأنشدني أيضًا لنفسه يهجو قومًا: [من مجزوء الكامل]

إنْ قُلْتُم أنْ لاَ مَعَا ... دَ لكُمْ فَقَوْلُكُمُ عِنَادُ
يَا عُصْبَةً دُوْنَ الوَرَىٰ ... ضَلُّوا وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا
تَاللهِ إنَّكُمُ غَداً ... بالحَوْضِ إنْ تَرِدُوا تُذَادُوْا
/١٣٦أ/ إنْ تُنْكِرُوا قَوْلِي فَإِ ... نَّ النَّارَ يُخْفِيْهَا الزِّنَادُ
أوْ تَزْعُمُوْنَ بجَهْلِكُمْ ... وَالغَيِّ قَدْ عَدِمَ الرَّشَادُ
وَيَقُوْلُ كُلٌّ إنَّنِي ... قُسٌّ وَتُنْكِرُهُ إيَادُ
لَوْلاَكُمْ تَاللّهِ مَا ... عُرِفَ الفُسُوْقُ وَلاَ الفَسَادُ
مَا فِيكُمُ مَا لَيْسَ يُوْ ... جَدُ فِي الأنَامِ وَلاَ يَكَادُ
إلاَّ بِأنْ مَرَامَكُمْ ... مُقَلٌ وفَيْشُهُمُ رُقَادُ(١)

وحدثني، قال: رأيت بيتين مُفردين من الشعر، فأحببت أنْ أضيف إليهما أبياتًا علىٰ نمطهما، وخُبِّرت أنهما ليزيد بن معاوية فقلتُ: [من الخفيف]

رُبَّ بِكْرٍ عَذْرَاءَ فِيْ مِهْرَجَانِ ... ذَاتِ دَلٍّ خَلَعْتُ فِيْهَا عِذَارِيْ
بَاكَرَتْنَا بكَأْسِهَا وَالدُّجَىٰ تَبْـ ... ـكِي عَلَيْهِ كَوَاكِبُ الأَسْحَارِ
فِي رِيَاضٍ تُزْهَىٰ بنَوْرِ أُقَاحٍ ... وَشَقِيْقٍ وَنَرْجِسٍ وَبَهَارِ
/١٣٦ب/ وَنَدِيْمٍ حَلِيْفِ دَنٍّ وَقَارٍ ... رَبِّ مَجْدٍ مُجْدٍ رَبِيْبِ وَقَارِ
قَالَ: أُخْبِرْتُ عَنْ رِجَالٍ لَدَيْهِمْ ... خِبْرَةٌ بِالحَدِيْثِ وَالآثَارِ
أنَّ خَيْرَ البِقَاعِ أرْشَدَكَ اللّـ ... ـهُ مِنَ الغَيِّ حَانَةُ الخَمَّارِ
وَلَصَوْتُ الأذَانِ أنْغَمُ صَوْتٍ ... مِنْهُ فِي الأُذْنِ نَغْمَةُ الأوْتَارِ
قُمْ فَمَاذَا عَلَيْكَ عَارٌ إذَا كُنْـ ... ـتَ تَكْسُو بِالرَّاحِ كَأْسًا عَارِيْ
قُلْتُ إيهًا لِمَنْ أحَلَّ الَّذِيْ حُـ ... ـرِّمَ بِئْسَ المَثْوَىٰ وَدَارُ البَوَارِ
فَانْثَنَىٰ مُعْرِضًا وَقَالَ أُنَاسٌ ... مِنْ صِحَابِ النَّبِيِّ وَسْطَ النَّهَارِ
(شَرِبُوْهَا بِجَرَّةٍ وَشَوَوا رَأْ ... سَ بَعِيْرٍ فِي مَنْزِلِ الأنْصَارِيْ)

(١) الفيش: رأس الذكر.

(وَاسْتَخَفُّوا بِهَا فَحَرَّمَهُ اللّـ ـهُ عَلَيْهِمْ عُقُوبَةَ الإِحْتِقَارِ)

هذان البيتان اللذان ضمَّنهما شعرهُ[١]:

شربُوها . .

واستخفُّوا . .

وَلَعَمْرِيْ لَوْ أكْرَمَ القَوْمُ مثْوَا هَا رَجَوْنَا بالرَّاحِ عُقْبَى الدَّارِ
فَاسْقِنِيْهَا فَدَتْكَ نَفْسِي إِذَا كَا نَ مَآبِيْ غَداً إِلَى غَفَّارِ

وله قصائد مطولة جيدة المقاطع والمخالص والإبتداءات، امتدح بها الأكابر.

[٨٩٢]

/١٣٧أ/ هبةُ الله بنُ أبي المجدِ الكاتبُ، أبو القاسم المصريُّ.

صاحبُ ديوان الإِنشاء.

وكان ذا فضل وعلم وبراعة وفصاحة وأدب وشعر، وله رسائل مستجادةً وكتابة مرضية. وكان من خواصّ الملك المنصور ناصرّ الدين أبي المعالي محمد بن عمر بن شهنشاه ـ صاحب حماة ـ وذوي الحظوة عنده.

وكان مع ذلك شاعراً مقصّداً كُتَّابيَّ الشعر؛ وهو القائل في الملك المنصور ـ صاحب حماة ـ: [من مجزوء الرجز]

فَاقَتْ بِحُسْنِ المَنْظَرِ عَلَى ضِيَاءِ القَمَرِ
وَقَامَةٍ كَأَنَّهَا قَامَةُ غُصْنٍ نَضِرِ
وَوَرْدِ خَدٍّ يُجْتَنَى يَانِعُهُ بِالنَّظَرِ
طَافَتْ بِكَأْسٍ قَرْقَفٍ مِثْلِ لُمَاهَا العَطِرِ
فَأسْكَرَتْ لِحَاظُهَا مَنْ قَبْلِ شُرْبِ المُسْكِرِ
يَسْعَى بِهَا فِي رَوْضَةٍ أَزْهَارُهَا كَالزُّهُرِ
فَمِنْ بَهَارٍ أَصْفَرٍ وَمِنْ شَقِيْقٍ أحْمَرِ

---

(١) لم أجدهما في ديوانه.

/ ١٣٧ب/ كَأَنَّهَا جَوَاهِرٌ عَلَىٰ بِسَاطٍ أَخْضَرِ
نَمَّتْ بِسِرِّ نَشْرِهَا رِيحٌ كَنَشْرِ العَنْبَرِ
أَوْ كَثَنَا المَنْصُورِ ذِي الـ ـجُودِ الكَرِيمِ العُنْصُرِ
مَلْكٌ بَرَاهُ اللهُ إِقْـ ـدَامًا لِكُلِّ عَسْكَرِ
وَمِنْ نَدَىٰ كَفَّيْهِ إِيْـ ـسَارٌ لِكُلِّ مُعْسِرِ
مُفَرِّقُ الطُّغْيَانِ عَنْ صَلِيبِهِ المُكَسَّرِ
وَمَنْ حَمَىٰ الدِّيْنَ الَّذِي بِأَمْرِهِ لَمْ يُذْعَرِ
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ الوَرَىٰ قَدْ رُوِّعُوا بِالحَذَرِ
طَبَّقَهَا عَدْلاً وَأَمْنًا كَالسَّحَابِ المُمْطِرِ
وَعُرِفَ العُرْفُ بِهِ وَزَالَ كُلُّ مُنْكَرِ
فَقَدْرُهُ قَدِ ارْتَقَىٰ فَوْقَ السُّهَا وَالمُشْتَرِيْ
وَوَارِثُ المُلْكِ بِحَـ ـقٍّ ثَابِتٍ لَمْ يُنْكَرِ
يَا مُشْتَرِيْ الحَمْدِ الثَّمِيْـ ـنِ أَنْتَ خَيْرُ مُشْتَرِيْ
أَنْتَ الَّذِي سِيْرَتُهُ مَحَتْ جَمِيْعَ السِّيَرِ
/ ١٣٨أ/ يُزْرِيْ نَدًى وَسَطْوَةً بِحَاتِمٍ وَعَنْتَرِ
يَا نَاصِرًا لِلدِّيْنِ وَالـ ـدُّنْيَا وَغَيْثَ المُقْتِرِ
يَا نِعْمَةَ اللهِ عَلَىٰ فَقِيْرِنَا وَالمُوْسِرِ
أَحْيَيْتَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا وَالمَدْحِ كُلَّ مُقْبَرِ
بِعَزْمَةٍ مِثْلِ القَضَا ءِ الحَاكِمِ المُقْتَدِرِ
فَجُنْدُكَ الأَمْلَاكُ رَيْـ ـحَانِيَّةُ المُعَسْكَرِ

ومنها:

يَا مَلِكًا بِعَزْمِهِ فَاقَ عَلَىٰ الإِسْكَنْدَرِ
إِهْنَ بِمُلْكٍ دَائِمٍ فِي ظِلِّ عَيْشٍ خَضِرِ
لَازِلْتَ يَا مَوْلَىٰ الوَرَىٰ مُؤَيَّدًا بِالظَّفَرِ
فِي نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ وَدَوْلَةٍ لَمْ تُقْهَرِ

[٨٩٣]

هبةُ الله بنُ يُوسفَ بن خُمْرْتاشَ، أبو الفتوحِ البغداديُّ[١].

كان مولعًا بكتب الحكَمة والإطلاع علىٰ أقاويلِ الأوائل. وكان فيه أدب، وينظم شعراً. وكانت ولادته في يوم الجمعة / ١٣٨ب/ سابع رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وتوفي سادس عشر جمادى الآخرة سنة ستٍّ وستمائة.

ومن الشعر الذي يُعزىٰ إليه ما قاله في نعل النبي ﷺ: [من الوافر]

بِوُدِّيْ تُرْبُ ذَاكَ النَّعْلِ أَنِّي ... جَعَلْتُ سَحيقَهُ فِي وَسْطِ جَفْنِي
وَأَذْخُرُ منْهُ طِيْبًا عنْدَ مَوْتِي ... يُذَرُّ عَلَيَّ فِي كَفَنِي وَقُطْنِي
أُعَفِّرُ فَوْقَ مَوْطِيءِ أَخْمَصَيْهِ ... بِخَدِّيَ فِعْلَ شِيْعِيٍّ وَسُنِّي
رجَاءَ أَنْ يَكُونَ غَداً شَفِيْعِي ... وَحَسْبِي ذَاكَ منْهُ حُسْنُ ظَنِّي

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠. التكملة للمنذري ٢/ ١٥٥ رقم ١٠٦٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص١٩٥ رقم ٢٧٦ وفيه: «توفي سنة خمس وستمائة».

ذكر من اسمه هلال

[٨٩٤]

هلالُ بنُ حبيب بن هلال بن جابر بن عليِّ بن هبة الله بن سابورَ بن نعمانَ بنِ هردسَّ بنِ حوشَب، أبو البدرِ النصرانيُّ.

من أهل هيت(١)، زعم أنه من أولاد الأخطل الشاعر(٢).

رأيتُهُ متطببًا بمدينة السلام، يغشى كبراءَها وأعيانها، ويقول الأشعار، وله طبع في نظمها.

أنشدني لنفسه ببغداد في سنة اثنتين وعشرين وستمائة ـ من لفظه وحفظه إملاءً ـ من قصيدة أوّلها: [من الكامل]

أسُعَادُ هَلْ لَكِ فِي الهَوَى أَنْ تُسْعِدِي ... صَبًّا أَصَبْتِ القَلْبَ مِنْهُ بِمَوْعِدِ
لا تَحْرِمِي الإِحْسَانَ يَا حَسْنَاءُ مَنْ ... يَهْوَى هَوَاكِ فَتَحَرَّمِي وَتَوَدَّدِي(٣)
وَذَرِي المُتَيَّمَ أَنْ يَفُوزَ بِنَظْرَةٍ ... يُحْيَى بِهَا فَالحُسْنُ غَيْرُ مُخَلَّدِ
وَإِذَا قَدَرْتِ عَلَى الجَمِيلِ فَبَادِرِي ... لا تَتْرُكِي فِعْلَ الجَمِيلِ إِلَى غَدِ
فَالدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى أَحْوَالِهِ ... طَوْراً يَضِلُّ بِنَا وَطَوْراً يَهْتَدِي
كَمْ قَدْ أَبَادَ مِنَ الأُلَى وَذَوِي العُلاَ ... مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ أَصْيَدِ
/١٣٩ب/ أَيْنَ المُلُوكُ ذَوُو المَمَالِكِ وَالأُلَى ... شَادُوا الثُّغُورَ بِجَنْدَلٍ وَبِقَرْمَدِ
جَمَعُوا وَلَمْ يَنْفَعْهُمُ مَا جَمَّعُوا ... مِنْ جَوْهَرٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ عَسْجَدِ
لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُمُ سِوَى حُسْنِ الثَّنَا ... وَالخَيْرُ ذُخْرٌ صَالِحٌ لَمْ يَنْفَدِ

---

(١) هيت: بلدة على الفرات، فوق الأنبار، على جهة البرية في غربي الفرات. انظر: معجم البلدان/ مادة (هيت).
(٢) الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك، ولد سنة ١٩هـ وتوفي سنة ٩٠هـ، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع.
(٣) تحرَّمي: تمنعي.

ومنها:

وَإِذَا الفَتَىٰ شَهِدَتْ لَهُ آرَاؤُهُ ... ظَنَّ المَنِيَّةَ لِلْرِجَالِ بِمَرْصَدِ
فَلْيَقْتَفِي أَثَرَ الكِرَامِ وَسَعْيَهُمْ ... وَلِيَتَّقِي شَرَّ اللِّئَامِ الحُسَّدِ

[٨٩٥]

هلالُ بنُ أبي الفضل بن هلال بن بختيارَ بن الحسن بن محمد بنِ عبدِ القادرِ بنِ كرمٍ أبو النَجمِ الحلاويُّ الجَبُّليُّ(١).

وجَبُّل ـ بفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة ـ من تحت قريةٌ من قرىٰ مدينة السلام(٢).

شيخ قصير؛ رأيته بحلب المحروسة يوم الخميس سادس عشر جُمادىٰ الأولىٰ سنة أربع وثلاثين وستمائة، ظاهر الشيب، غير أنَّه يستُرهُ بالخضاب بادي الحُرْف، قد أثَّر الفقر عليه والإملاق. يرتزق الناسَ بشعره، ويقنعُ منهم بالشيء النزر الطفيف.

أخبرني /١٤٠أ/ أنَّه ولد بجبُّل سادس عشر رجب سنة ثمان وستين وخمسمائة. ونشأ ببغداد، وذكر لي أنَّه يرجع في نسبه إلىٰ سعد بن معاذ الأنصاريِّ ـ رضي الله عنه ـ وأنَّ له نسبًا متصلاً إليه.

قدم بلاد الشام، وتوطن حلب يمدح أكابرها والمقدّمين بها من ذوي النعم، ولم يزل بها إلىٰ أنْ توفي بعلَّة الإسهال يوم الثلاثاء ثامن رجب آخر النهار، ودفن يوم الأربعاء ظاهر البلد بمقبرة باب الجنان، وذلك في سنة ستٍّ وثلاثين وستمائة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

ومما أنشدني لنفسه وقد أمره الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنْ يعمل علىٰ وزن هذا البيت وهو:

قِفِي نَتَشَاكَىٰ لَوْعَةَ البَيْنِ يَا عَلْوَى ... .

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٧ وفيه: «الملقب زَرْبُول الأدب».

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (جبيل)، وفيه: أنها «بليدة على جانب دجلة من الجانب الشرقي بين النعمانية وواسط».

فأنشأ أبو النجم هذه الأبيات : [من الطويل]

سَقَىٰ العَارِضُ الوَسْمِيُّ دُونَ رُبى حَزْوَىٰ ... وَحَيَّا نَشَاصِيُّ الحَيَا مَعْهَداً أَقْوَىٰ
دِيَارُ عَهِدْنَاهَا مَتَىٰ لَمْ يُرَوِّهَا الـ ... ـحَيَا فَدُمُوعُ العَاشِقِيْنَ لَهَا أَرْوَىٰ
وَقَفْتُ بِهَا أَشْكُو الغَرَامَ وَمَا الَّذِيْ ... عَلَىٰ وَامِقٍ يُجْدِي إِلَىٰ طَلَلٍ شَكْوَىٰ
/ ١٤٠ب/ رَعَى اللهُ ذَيَّاكَ الزَّمَانَ وَعَيْشَنَا ... مَعَ الخَفِرَاتِ البِيْضِ نَقْطَعُهُ لَهْوَا
وَظَبْيَةِ أُنْسٍ لاَ تُصَادُ وَلَحْظُهَا ... بِقَنْصِ الأُسُوْدِ الشُّوْسِ بِالغُنْجِ مَا أَغْوَىٰ
تَمِيْسُ بِقَدٍّ يُخْجِلُ الغُصْنَ لِيْنُهُ ... وَوَجْهٍ كَضَوْءِ الشَّمْسِ يُشْرِقُ بَلْ أَضْوَىٰ
يُرَنِّحُهَا سُكْرُ الصِّبَا فَتَخَالُهَا ... إِذَا مَا تَثَنَّتْ فِي غَلاَئِلِهَا نَشْوَىٰ
أَلاَ إِنَّ قَتْلَ العَاشِقِيْنَ مُحَرَّمٌ ... فَمَنْ فِي دَمِي أَعْطَىٰ لَوَاحِظَهَا فَتْوَى
خُذُوا بِدَمِي أَلْحَاظَهَا فَبِخَدِّهَا ... إِذَا أَنْكَرَتْ لِي شَاهِدٌ يُثْبِتُ الدَّعْوَىٰ
وَقَدْ حَمَّلَتْنِي فِي الهَوَىٰ بِصُدُوْدِهَا ... مِنَ الوَجْدِ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلَهُ رَضْوَىٰ
وَلَمَّا دُعِيْنَا لِلْوَدَاعِ وَبَيْنَنَا ... مُنَاجَاةُ سِرٍّ وَالْهَوَىٰ يُعْلِنُ النَّجْوَىٰ
أَشَارَتْ بِكَفٍّ مِنْ دَمِي فِيْهِ شَاهِدٌ ... عَلَىٰ مِعْصَمٍ مِنْ لِيْنِهِ كَادَ أَنْ يُلْوَىٰ
فَلِلَّهِ مَا أَحْلَىٰ الهَوَىٰ وَأَمَرَّهُ ... وَفِي الحُبِّ مَا أَشْقَىٰ وَأَنْعَمَ مَنْ يَهْوَىٰ
أَلاَ إِنَّ دَاءَ الحُبِّ فِيْنَا دَوَاؤُهُ ... عَزِيْزٌ وَإِنْ هَانَتْ مُعَالَجَةُ الأَدْوَا
وَأَغْيَدَ مَمْشُوْقِ القَوَامِ مُهَفْهَفٍ ... أَغَنَّ غَضِيْضِ الطَّرْفِ طَاوِيْ الحَشَا أَحْوَىٰ
مِنَ التُّرْكِ لِمَا لاَ تُدَانِي صِفَاتُهُ ... سُعَادٌ وَلاَ تَسْمُو إِلَىٰ حُسْنِهِ أَرْوَىٰ
أَحَقُّ عَلَىٰ قَلْبِي مَتَىٰ أَدْعُ بِاسْمِهِ ... وَأَكْرَمُ عِنْدِيْ مِنْ سُلَيْمَىٰ وَمَنْ عَلْوَىٰ
/ ١٤١أ/ جَفَا فَجَفَا أَجْفَانَ عَيْنَي رُقَادُهَا ... عَلَىٰ عِلْمِهِ أَنِّي عَلَىٰ البَيْنِ لاَ أَقْوَىٰ
وَأَنِّي وَإِنْ جَارَ الزَّمَانُ وَرَاعَنِي ... بِأَحْدَاثِ خَطْبٍ فِي فُؤَادِيْ لَهَا مَثْوَىٰ
لَمُسْتَظْهِرٌ بِالظَّاهِرِ المَلِكِ الَّذِيْ ... حَدِيْثُ النَّدَىٰ وَالجُوْدِ عَنْ كَفِّهِ يُرْوَىٰ

وأنشدني أيضًا لنفسه يمدح الملك الأشرف شاه أرمن مظفر الدين أبا الفتح موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وكان أوّلاً في خدمته : [من الكامل]

رُدُّوا الرُّقَادَ إِلَىٰ الجُفُوْنِ وَعُوْدُوا ... وَلِمَنْ بَرَتْهُ يَدُ الصَّبَابَةِ عُوْدُوا(١)

(١) عودوا : ارجعوا.

فَلَقَدْ أَذَابَ البَيْنُ جِسْمَ مُحِبِّكُمْ فَكَأَنَّهُ مِمَّا يُكَابِدُ عُودُ(١)
لَمْ يُلْهِهِ عَنْ ذِكْرِكُمْ وَهَوَاكُمُ نَايٌ وَلاَ شَغَلَ الصَّبَابَةَ عُودُ(٢)
وَكَأَنَّ عَرْفَ رِيَاحِ أَرْضِكُمُ لَهُ مِسْكٌ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ وَعُودُ(٣)
أَلِفَ الضَّنَى فَحَيَاتُهُ فِي حُبِّكُمْ مَرَّ الزَّمَانِ مَطَامِعٌ وَوُعُودُ(٤)
أَتُرَى يَعُودُ الدَّهْرُ أَوْ يَخْضَرُّ لِي بِوِصَالِكُمْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ عُودُ(٥)
/ ١٤١ب/ أَوْ يَرْجِعُ العَيْشُ الَّذِي سَلَفَتْ لَنَا أَوْقَاتُهُ بِالوَصْلِ وَهْيَ سُعُودُ
فَتَرَفَّقُوا بِمُتَيَّمٍ أَضْنَاهُ مُذْ فَارَقْتُمُوهُ الهَمُّ وَالتَّسْهِيدُ
أَصْفَاكُمُ مَحْضَ الوِدَادِ فَحَظُّهُ مِنْ حُبِّكُمْ أَبَداً جَفاً وَصُدُودُ
فَسَقَى زَمَانَ وِصَالِكُمْ مُثْعَنْجِرٌ غَدَقٌ لَهُ فِي الخَافِقَيْنِ مُدُودُ
كَسَمَاحِ كَفِّ الأَشْرَفِ المَلِكِ الَّذِي دَانَتْ لِدَوْلَتِهِ المُلُوكُ الصِّيدُ
شَاه أرمن السُّلْطَانِ سَيْفِ اللهِ فِي قَمْعِ الطُّغَاةِ فَظِلُّهُ المَمْدُودُ
بِالسَّعْدِ سَرَّ اللهُ فِيهِ فَسَعْيُهُ فِي نَصْرِ دِينِ مُحَمَّدٍ مَحْمُودُ
يَسْرِي بِجَيْشٍ خَيْلُهُ لِنِعَالِهَا بِخُدُودِ أَجْوَازِ الفَلاَ تَخْدِيدُ
كَالفُتْخِ غَادِيَةً وَفِي صَهَوَاتِهَا أُسْدٌ وَكُلٌّ أَغْلَبٌ صِنْدِيدُ(٦)
أَلِفُوا مُكَافَحَةَ الكُمَاةِ كَأَنَّمَا لَهُمُ القُلُوبُ عَلَى الحَدِيدِ حَدِيدُ
فَبُطُونُ عِقْبَانِ الفَلاَ وَوُحُوشِهَا بِسُيُوفِهِمْ لِلدَّارِعِينَ لُحُودُ
جَيْشٌ كَأَمْوَاجِ البِحَارِ حَدِيدُهُ وَبِهِ تَضِيقُ عَلَى عِدَاهُ البِيدُ
لَجِبٌ بِوَجْهِ الشَّمْسِ مِنْهُ وَسَمْعِهَا كَلَفٌ وَوَقْرٌ عِثْيَرٌ وَبُنُودُ
فَالبِيضُ تُومِضُ وَالصَّهِيلُ كَأَنَّمَا تَحْتَ العَجَاجِ بَوَارِقٌ وَرُعُودُ
/ ١٤٢أ/ يَسْرِي بِهَا مِنْ آلِ شَاذِي مَالِكٌ غَدَتِ المُلُوكُ لَدَيْهِ وَهْيَ عَبِيدُ
الأَشْرَفُ ابْنُ العَادِلِ المَلِكِ الَّذِي لِي مِنْ فَضَائِلِهِ غِنًى مَوْجُودُ

---

(١) عود: نحيف، ضعيف.
(٢) عود: آلة الطرب.
(٣) عود: نوع من الطيب.
(٤) وعود: جمع وعد.
(٥) عود: عود الشجر.
(٦) الفُتخ: جمع أفتخ: الأسد العريض الكف.

بِشْرٌ بَوَاعِثُهُ تُنَقِّحُ خَاطِرِي ... وَنَدًى يَجُودُ قَرِيحَتِي فَتُجِيدُ
ذَلَّتْ حُمَاةُ الشِّرْكِ مِنْ سَطَوَاتِهِ ... وَبِهِ يَعِزُّ الدِّينُ وَالتَّوْحِيدُ
فَكَأَنَّمَا الأَفْلاَكُ طَوْعُ مُرَادِهِ ... وَلَهُ مَلاَئِكَةُ السَّمَاءِ جُنُودُ
فَالعِزُّ حَيْثُ سُيُوفُهُ مَشْهُورَةٌ ... وَالنَّصْرُ حَيْثُ لِوَاؤُهُ مَعْقُودُ
وَلَهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مَنَاقِبٌ ... تَسْمُو بِأَنْ يُحْصَى لَهُنَّ عَدِيدُ
فَبِفَتْحِ وَانَ وَيَوْمِ بَاشَزَّا وَفِي ... بِقِعَاءِ مَنْيِحَ فَتْكُهُ مَشْهُودُ
إِذْ عَزَّ وَالرُّومِيُّ قَالَ قَرِينُهُ ... فِي الذُّلِّ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدُ
وَبِزَابِ إِرْبِلَ إِذْ غَدَتْ مِنْ بَأْسِهِ ... تَتَغَلَّبُ الأَقْيَالُ وَهْيَ أُسُودُ
وَلَهُ عَلَى دِمْيَاطَ آيَاتٌ لَهَا ... أَضْحَتْ مُلُوكُ الشِّرْكِ وَهْيَ سُجُودُ
لَمَّا عَلاَ فِرْعَوْنُ كَيْدِهِمُ سَطَا ... مُوسَى بِعَزْمٍ لِلطُّغَاةِ يَكِيدُ
لَبِسُوا الحَدِيدَ فَذَابَ مِنْ سَطَوَاتِهِ ... فَانْصَبَّ فِي الأَقْدَامِ فَهْوَ قُيُودُ
مَلِكٌ يَرَى قُصَّادُهُ مِنْهُ الغِنَى ... وَيَعِزُّ مَادِحُهُ بِهِ وَيَسُودُ
/١٤٢ب/ كَمْ قَاصِدٍ يَغْشَاهُ وَهْوَ مُؤَمِّلٌ ... فَيَعُودُ وَهْوَ مُؤَمَّلٌ مَقْصُودُ
وَيَؤُمُّهُ ذُو فَاقَةٍ وَخَصَاصَةٍ ... فَيَؤُوبُ وَهْوَ عَلَى الغِنَى مَحْسُودُ
يَا نُوقُ دُونَكِ وَالجَزِيرَةَ وَالغِنَى ... لاَ تَسْأَمِي حَيْثُ المَزَارُ بَعِيدُ
فَلَدَى ابْنِ سَيْفِ الدِّينِ يُلْتَمَسُ الغِنَى ... وَالفَضْلُ جَمٌّ عِنْدَهُ وَالجُودُ
وَعَلَيَّ عَهْدٌ لاَ يَرُوعُكِ بَعْدَهَا ... أَبَدًا ذَمِيلٌ فِي السُّرَى وَوَخِيدُ(١)
إِنِّي وَقَدْ أَدْنَيْتَنَا مِنْ مَالِكٍ ... لِنَزِيلِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِيدُ
فَكَأَنَّ هَذَا الدَّهْرَ شَخْصٌ لُبْسُهُ ... مِنْ وَشْيِ أَنْعُمِهِ الجِسَامِ بُرُودُ
وَبِجِيدِهِ مِنْ دُرِّ حُسْنِ صِفَاتِهِ ... حَلْيٌ يَزِينُ قَلاَئِدٌ وَعُقُودُ
مَوْلاَيَ يَا مَلِكَ المُلُوكِ وَشَمْسَهَا ... يَا مَنْ بِمَا تَحْوِي يَدَاهُ تَجُودُ
أَنَا عَبْدُ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَكْنَافُهَا ... يَأْوِي إِلَيْهَا خَائِفٌ وَطَرِيدُ
قَدْ كَانَ غُصْنِي يَانِعًا مِنْ قُرْبِهَا ... حَتَّى بَعُدْتُ وَجَفَّ مِنِّي العُودُ
بِضْعٌ وَعَشْرُ سِنِينَ سَاءَتْ حَالَتِي ... فِيهِنَّ إِذْ أَنَا عَنْ حِمَاكَ بَعِيدُ

(١) الذميل والوخيد: ضربان من السير.

وَإِذَا سَلِمْتَ فَإِنَّنِي مُتَحَقِّقٌ ... أَنَّ الَّذِي قَدْ فَاتَنِي سَيَعُودُ

وقال أيضًا / ١٤٣أ/ يُهنّي الأمير بدر الدين أيدُمُر الوالي بالحجّ: [من الرجز]

قُدُومُ جَدٍّ بِالسُّعُودِ نَيِّرُ ... سَمَا بِهِ المُلْكُ وَسُرَّ البَشَرُ
قُدُومُ إِقْبَالٍ بِهِ كُلُّ الوَرَىٰ ... مُغْتَبِطٌ مُبْتَهِجٌ مُسْتَبْشِرُ
قُدُومُ مَنْ لِطَائِرِ اليُمْنِ لَهُ ... قَوَادِمٌ بِالنَّصْرِ فِيهِ تُنْشَرُ
صَبْحَةُ عِيدٍ فِيهِ جَاءَتْ عَجَبًا ... وَافَىٰ بِهَا فِي مُنْتَهَاهُ صَفَرُ
سَرَّ قُلُوبَ الخَلْقِ بَدْرُ الدِّينِ إِذْ ... بَدَا كَبَدْرٍ طَالِعٍ أَيْدُمُرُ
سَيِّدُ جَمْعِ الأُمَرَاءِ فِي الوَرَىٰ ... وَإِنْ نَهَوْا فِي مُلْكِهِمْ أَوْ أَمَرُوا
دَعَا بِهِ اللهُ فَلَبَّىٰ طَائِعًا ... يَذُلُّ مَا عَنْهُ المُلُوكُ تَقْصُرُ
بِكُلِّ عَوْدٍ شَدْقَمِيٍّ وَجَدِيْـ ... ـلِيٍّ يَجُوبُ البَرَّ وَهْوَ أَقْفَرُ
وَكُلِّ طِرْفٍ سَابِحٍ يُرَىٰ إِذَا ... دَجَا قَتَامُ النَّقْعِ وَهْوَ أَشْقَرُ
يُقِلُّ آسَادَ شَرًى مِنْ بِيضِهَا ... وَسُمْرِهَا أَنْيَابُهَا وَالظُّفُرُ
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ فِي وَغًى كَأَنَّهُ ... فِي البَأْسِ لَيْثٌ وَاللِّقَاءِ نَمِرُ
شُوْسٌ إِذَا مَا البِيضُ فِي أَكُفِّهِمْ ... صَلَّتْ عَلَىٰ هَامِ الكُمَاةِ كَبَّرُوا
/ ١٤٣ب/ يُطْرِبُهُمْ رَنِينُ أَسْيَافِهِمُ ... لَا النَّايُ فِي نَغْمَتِهِ وَالوَتَرُ
بِعَزْمِ بَدْرِ الدِّينِ تَسْطُو فِي العِدَا ... وَالنَّقْعُ دَاجٍ وَالعَجَاجُ أَكْدَرُ
هَذَا وَكَمْ إِحْسَانُهُ بَثَّ مِنَ الـ ... ـمَعْرُوفِ عُرْفًا لَا يَكَادُ يُحْصَرُ
مِنْ رِيِّ ظَمْآنٍ وَشِبْعِ جَائِعٍ ... وَكُسْوَةٍ لِكُلِّ عَارٍ يُذْكَرُ
وَرَدْفِ ذِي عِيٍّ وَرِفْدِ عَايِزٍ ... يَدَاهُ عَنْ إِنْفَاقِهِ تُقَصِّرُ
وَبَعْدَ قَطْعِ البِيدِ وَالعِيسُ بِهَا ... مِنَ الوَجِيفِ وَالوَجَىٰ تَضَجَّرُ
أَحَلَّ غَمْرَ البِرِّ إِذْ أَحْرَمَ فِي ... دِيَارِ قَوْمٍ قَدْ عَفَاهَا الضَّرَرُ
فِي عَرَفَاتٍ عَرَفَتْ مَعْرُوفَهُ ... عُجْمُ الوَرَىٰ وَعُرْبُهُ وَالحَضَرُ
أُجِيبَ إِذْ لَبَّىٰ وَسُرَّ الجَبَلُ الـ ... ـمَيْمُونُ فِي وِقْفَتِهِ وَالمَشْعَرُ
رَمَىٰ الجِمَارَ فِي مِنًى وَبِالمُنَىٰ ... أَيَّدَهُ المُهَيْمِنُ المُقْتَدِرُ
سَعَىٰ وَطَافَ ثُمَّ مَاءَ زَمْزَمٍ ... أَفَاضَ وَهْوَ الطَّاهِرُ المُطَهَّرُ
سُرَّتْ بِهِ الكَعْبَةُ ثُمَّ الحَرَمُ الأَ ... مِينُ ثُمَّ حِجْرُهُ وَالحَجَرُ

وَالعُـرْوَةُ الـوُثْقَـىٰ بـه اسْتَمْسَـكَ والـ ـعُمْـرَةَ فَهْـوَ النَـاسِـكُ المُعْتَمِـرُ
وَزارَ قَبْـرَ المُصْطَفَـىٰ وَإنَّـهُ أَجَـلُّ ذُخْـرٍ فـي المَعَـادِ يُـذْخَـرُ
/١٤٤أ/ وَعـادَ يَبْغـي حَلَبًا وَالنَّصْـرُ فـي لِـوائِـهِ وَنَشْـرُهُ مُسَطَّـرُ
حَـجَّ وَعَـادَ فـي غَـزاة إذْ رَأىٰ الأَ عْـرَابَ قَـدْ تَجَمَّعُـوا وَكَثَّـرُوا
لِنَهْـبِ وَفْـدِ اللهِ جَـاءُوا فَحَمَـىٰ الإِ سْـلامَ هَـذَا الأَرْوَعُ الغَضَنْفَـرُ
وَكَـمْ سَقَـىٰ الطُّغَـاةَ فـي هَـدِيَّـةٍ مِـنْ كَـأْسِ مَنُـونٍ وَالمِـزَاجُ عِثْيَـرُ
أَبْـرَزَ بِـالأَبْـرَقِ وَالقَـاعِ مِـنَ الـ ـكُمَـاةِ أُسْـداً لُبْسُهَـا السَّنَـوَّرُ(١)
وَأَرْغَـمَ العُـرْبَ وَشَـتَّ شَمْلَهُـمْ وَعَـادَ وَهْـوَ بِـالعِـدَا مُظَفَّـرُ
وَالمَلِـكُ الظَّـاهِـرُ مَـازَالَ بِـهِ عَلَـىٰ العِـدَا فـي اللَّـزَبَـاتِ يَظْهَـرُ
وَالآنَ مُلْـكُ المَلِـكِ العَـزِيْـزِ بِـالأَ مِيْـرِ فـي جَـلالِـهِ لا يُنْكَـرُ
فَـدَامَ فـي الإِقْبَـالِ وَالتَّـأْيِيْـدِ مَـا تَـرَنَّـمَ الـوُرْقُ وَمَـاسَ الشَّجَـرُ

وقال يمدحه: [من الكامل]

نَفَـسٌ تَصَـاعَـدَ مِـنْ فُـؤادٍ عَـانـي لَمَّـا تَغَنَّـىٰ الـوُرْقُ فـي الأَغْصَـانِ
فَـأَثَـارَ وَجْـدِيْ وَالغَـرَامَ وَزَادَنـي وَلَهـاً وَأَشْجَـانـاً عَلَـىٰ أَشْجَـانِ
فَـأَرِقْـتُ عِنْـدَ تَـذَكُّـرِي دَهْـراً مَضَـىٰ فَلَـذِيْـذُ نَـوْمـي قَـدْ جَفَـا أَجْفَـانـي
يَـا سَـادَةً حَكَـمَ الـزَّمَـانُ بِبُعْـدِهِـمْ جَـوْراً عَلَـيَّ وَعَنْهُـمُ أَقْصَـانـي
/١٤٤ب/ أَنَّىٰ لِقَلْبِيْ مِنْ جَوَىً تَذْكَارُكُمْ فَـرَجٌ وَشَـوْقـي آخِـذٌ بِعِنَـانـي
إنْ غِبْتُـمُ عَـنْ نَـاظِـرِيْ فَخَيَـالُكُـمْ مِـنْ لُـبِّ قَلْبـي فـي أَعَـزِّ مَكَـانِ
لا تَقْتُلُـوْا بِـالصَّـدِّ صَبّـاً عَنْكُـمُ لَـمْ يَـدْرِ كَيْـفَ طَـرَائِـقُ الهِجْـرَانِ
فَسَقَـىٰ زَمَـانَ وِصَـالِكُـمْ مِـنْ وَابِـلٍ مُثْعَنْجِـرٍ غَـدَقِ الحَيَـا هَتَّـانِ
كَسَمَـاحِ بَـدْرِ الـدِّيْـنِ أَيْـدُمُـرَ الَّـذِيْ عَـنْ طَـوْلِـهِ يَتَقَـاصَـرُ الثَّقَـلانِ
الـوَاهِـبِ الـرِّفْـدَ الجَـزِيْـلَ فَجُـوْدُهُ جَـمٌّ لِقَـاصٍ فـي الأَنَـامِ وَدَانـي
مَلِـكٌ بَنَـىٰ بِـالجُـوْدِ مَجْـداً شَـامِخـاً تَعْلُـوْ قَـوَاعِـدُهُ عَلَـىٰ كَيْـوَانِ
بَحْـرٌ تُجَـاوِرُهُ الفُـرَاتُ وَإنَّمَـا فـي الجُـوْدِ وَالمَعْـرُوْفِ يَخْتَلِفَـانِ

(١) السنور: الدروع.

هَذِي تَجُوْدُ بِمَائِهَا وَأُكُفُّ ذَا … مُنْهَلَّةٌ بِالتِّبْرِ وَالعِقْيَانِ
أَلِفَ السَّمَاحَةَ وَالنَّدَىٰ فَالمَالُ وَالـ … ـمَاءُ المُبَاحُ بِكَفِّهِ سِيَّانِ
غَيْثٌ إِذَا عَامُ البَرِيَّةِ مُجْدِبٌ … لَيْثٌ وَنَارُ الحَرْبِ فِيْ الهَيَجَانِ
وَمُنَكِّسُ الأَبْطَالِ فِيْ يَوْمِ الوَغَى … بِحُسَامِهِ مِنْ كُلِّ ظَهْرِ حِصَانِ
القَائِدُ الأُسْدَ الضَّرَاغِمَ خِيسُهَا … بِيْضُ الظُّبَا وَذَوَابِلُ المُرَّانِ
مِنْ كُلِّ أَهْرَتَ فِيْ الكَرِيْهَةِ لَمْ يَزَلْ … دَامِي المُهَنَّدِ مِنْ دَمِ الأَقْرَانِ
/١٤٥أ/ فَبِعَزْمِ بَدْرِ الدِّيْنِ تَفْتِكُ فِيْ العِدَا … قَسْرًا وَيَعْمَلُ حَدُّ كُلِّ سِنَانِ
يَا أَوْحَدًا فِيْ فَضْلِهِ خُذْ مِدْحَةً … كَالدُّرِّ يُنْظَمُ فِيْ صُدُوْرِ حِسَانِ
جَاءَتْكَ تَشْفَعُ فِيْ أَبِيْهَا إِنَّهُ … فِيْ أَمْرِهِ كَالْوَالِهِ الحَيْرَانِ
مِنْ بَعْدِ بِضْعِ سِنِيْنَ وَافَىٰ قَاصِدًا … يَبْغِيْ نَدَاكَ الغَمْرَ مِنْ حَرَّانَ
وَأَقَامَ شَهْرًا كَامِلًا مُتَنَظِّرًا … لِقُدُوْمِكَ المَيْمُوْنِ يَوْمَ تَهَانِي
وَجَلَا عَلَىٰ يَوْمِ الهَنَاءِ قَصِيْدَةً … مَوْسُوْمَةً كَالدُّرِّ وَالمَرْجَانِ
وَأَتَىٰ بِثَانِيَةٍ وَثَالِثَةٍ بِهَا … جَمَعَ الَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ
وَجَمِيْعُ صُنْعِكَ فِيْ الطَّرِيْقِ وَمَكَّةٍ … فِيْ الشِّعْرِ مَرْصُوْفٌ كَنَظْمِ جُمَانِ
فَارْسُمْ وَعِشْ وَاسْلَمْ لِمَدْحٍ جَاءَ فِيْ … مُتَوَسِّطِ الأَيَّامِ فِيْ شَعْبَانِ

وقال أيضًا يمدحه: [من البسيط]

حَيَّا فَأَحْيَا خَيَالٌ مِنْكَ فِيْ السَّحَرِ … وَالطَّرْفُ فِيْ سِنَةٍ مِنْ سَهْوَةِ السَّهَرِ
فَضَنَّ حَتَّىٰ بِتَسْلِيْمٍ وَعَادَ كَمَا … يَعُوْدُ فَاقِدُ مَوْجُوْدٍ عَلَىٰ الأَثَرِ
فَيَا لَهَا زَوْرَةً سُرَّ الكَئِيْبُ بِهَا … لَكِنَّ أَطْوَلَهَا كَاللَّمْحِ بِالبَصَرِ
سَرَىٰ فَسَرَّىٰ كَلَمْعِ البَرْقِ وَاضْطَرَمَتْ … نَارِيْ فَلَيْتَ الخَيَالَ الزَّوْرَ لَمْ يَزُرِ
/١٤٥ب/ أَثَارَ وَجْدِيْ وَأَشْوَاقِيْ وَأَذْكَرَنِيْ … عَيْشًا تَصَرَّمَ بَيْنَ الضَّالِ وَالسَّمُرِ
إِنِّيْ أَكَادُ إِذَا جَنَّ الدُّجَىٰ أَسَفًا … أَقْضِيْ مِنَ الوَجْدِ لَوْلَا نَسْمَةُ السَّحَرِ
وَغَادَةٍ مِنْ ظِبَاءِ الإِنْسِ ظَلْتُ بِهَا … مُوَلَّهَ القَلْبِ بَيْنَ الهَمِّ وَالفِكَرِ
كَأَنَّ غُرَّتَهَا مِنْ تَحْتِ طُرَّتِهَا … شَمْسٌ بَدَتْ فِيْ دُجَى لَيْلٍ مِنَ الشَّعَرِ
فَالوَرْدُ مِنْ خَدِّهَا وَالمِسْكُ تَنْشَقُهُ … بِالشَّهْدِ مُمْتَزِجٌ مِنْ رِيْقِهَا الخَصِرِ
تُرْكِيَّةُ الأَصْلِ خَاقَانِيَّةٌ شَهَرَتْ … فِيْ حَتْفِ نَاظِرِهَا سَيْفًا مِنَ النَّظَرِ

مَنْ لِي وَإِنْ كَانَتِ الأَحْدَاقُ نَاهِبَةً ... بَرْدَ قَلْبٍ سَبَتْهُ أَعْيُنُ الخَزَرِ
هَلْ مُسْعِدٌ يَا ولاةَ الحُبِّ لِي فَلَقَدْ ... تَزَايَدَ الوَجْدُ لَمَّا عَزَّ مُصْطَبَرِي
جَفَا الكَرَى إِذْ جَفَتْ جَفْنِي وَأَنْحَلَنِي ... بِعَادُهَا وَتَقَضَّى بِالمُنَى عُمُرِي
وَاضَيْعَةَ العُمْرِ فِيمَا قَدْ بُلِيتُ بِهِ ... يَمْضِي الزَّمَانُ وَلاَ أَقْضِي بِهِ وَطَرِي
فَجَادَ عَصْرَ الصِّبَا مُثْعَنْجِرٌ غَدَقٌ ... كَجُوْدِ رَاحَةِ بَدْرِ الدِّيْنِ أَيْدُمُرَ
أَسْمَى البَرِيَّةِ مَجْداً سَيِّدا الأُمَرا ذِي الطَّـ ... ـوْلِ فِي العُجْمِ وَالأَعْرَابِ وَالحَضَرِ
مَلْكٌ بِأَنْعُمِهِ الغُرِّ الجِسَامِ عَلَى ... حَوَادِثِ الدَّهْرِ وَالإِمْلاَقِ مُنْتَصِرِ
أَجَابَ لَمَّا دَعَاهُ اللهُ مُبْتَدِراً ... بِبَذْلِ نَفْسٍ وَمَخْزُوْنٍ وَمُدَّخَرِ
/١٤٦أ/ وَسَارَ وَالنِّيبُ فِي البَيْدَاءِ مُعْنِقَةٌ ... تَفْلِي الفَلاَةَ وَتَطْوِي شُقَّةَ السَّفَرِ
كَمْ حَجَّةٍ كُتِبَتْ فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ ... لَهُ بِصُنْعِ جَزِيْلِ الأَجْرِ مُعْتَبَرِ
مِنْ رِيِّ ذِي ظَمَأٍ مَعْ شِبْعِ ذِي سَغَبٍ ... مَعْ وَصْلِ مُنْقَطِعٍ مَعْ جَبْرِ مُنْكَسِرِ
حَتَّى قَضَى مَا عَلَيْهِ اللهُ أَوْجَبَهُ ... فَرْضاً وَمَا سَنَّ فِيْنَا سَيِّدُ البَشَرِ
وَزَارَ مِنْ بَعْدِ تَكْمِيْلِ المَنَاسِكِ قَبْـ ... ـرَ المُصْطَفَى آمِناً مِنْ سَوْرَةِ الخَطَرِ
وَأَتْبَعَ الحَجَّ فَضْلاً فِي هَدِيَّةِ ... بِالغَزَاةِ لَمَّا رَأَى الأَعْرَابَ فِي كُثُرِ
جَاؤُوا يُرِيْدُوْنَ وَفْدَ اللهِ كَسْبَهُمُ ... فَرَدَّهُمْ عُدَّةُ الإِسْلاَمِ فِي خُسُرِ
فِي القَاعِ وَالأَبْرَقِ التَامَّتْ جُمُوْعُهُمُ ... مِنْ كُلِّ ذِي طَمَعٍ مُسْتَلْئِمٍ أَشِرِ
فَأَبْرَزَ الأَسْدَ بَدْرُ الدِّيْنِ ضَارِيَةً ... بِعَزْمِ أَرْوَعَ لاَ يُعْزَى إِلَى خَوَرِ
وَغَادَرَ القَوْمَ صَرْعَى فِي الفَلاَةِ عَلَى ... الرَّمْضَاءِ مَا بَيْنَ مَطْعُوْنٍ وَمُنْعَفِرِ
هَذَا الغَضَنْفَرُ بَدْرُ الدِّيْنِ سَيْفُ بَنِي ... أَيُّوْبَ وَالخُلَفَاءِ الغُرِّ مِنْ مُضَرِ
الطَّاعِنُ الأَلْفَ يَوْمَ الحَرْبِ مِنْ فَرَقٍ ... وَالوَاهِبُ الأَلْفَ يَوْمَ السِّلْمِ مِنْ بَدَرِ
لاَ تَخْتَصِرْ فِي الأَمَانِي يَا مُؤَمِّلَهُ ... فَإِنَّهُ فِي العَطَايَا غَيْرُ مُخْتَصِرِ
يَلْقَاكَ بِالمَالِ طَلْقَ الوَجْهِ مُعْتَذِراً ... أَفْدِيهِ مِنْ جَائِدٍ بِالمَالِ مُعْتَذِرِ
/١٤٦ب/ القَائِدُ الخَيْلَ كَالعِقْبَانِ صَائِلَةً ... فِي كُلِّ نَقْعٍ بِنَارِ الحَرْبِ مُسْتَعِرِ
شِبْهَ السَّلاَهِبِ تَسْرِي بِالكُمَاةِ إِلَى ... حَتْفِ العِدَا فَهْيَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ
تُقِلُّ شُوْساً لَهَا البِيْضُ القَوَاضِبُ وَالـ ... ـخَطِّيُّ عِنْدَ اللِّقَا كَالنَّابِ وَالظُّفُرِ
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِقْدَامٍ تُشَبِّهُهُ ... فِي البَأْسِ بِاللَّيْثِ وَالإِقْدَامِ بِالنَّمِرِ

تَسْرِي وَهِمَّةُ بَدْرِ الدِّيْنِ يَقْدُمُهَا ... فِيْ كُلِّ حَرْبٍ عَلاَ فِيْ النَّقْعِ مِن كَدَرِ
حَامِيْ الشَّرِيْعَةِ وَالإِسْلاَمِ نَاصِرُهَا ... بِالأَسْمَرِ اللَّدْنِ وَالصَّمْصَامَةِ الذَّكَرِ
كَهْفُ العُفَاةِ مَلاَذُ القَاصِدِيْنَ هُوَ الـ ... ـبَحْرُ الخِضَمُّ وَبَاقِيْ الخَلْقِ كَالغُدُرِ
فَدَامَ فِيْ العِزِّ وَالإِقْبَالِ مَا طَلَعَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ وَغَنَّى الوُرْقُ فِيْ الشَّجَرِ

وقال أيضًا يمدحه: [من المنسرح]

بَيْنَ هِضَابِ العُذَيْبِ وَالكُثُبِ ... ضَاعَ فُؤَادِيْ يَا صَاحِ عَنْ كَثَبِ
إِخْتَلَسَتْهُ لَوَاحِظُ البَدَوِيْـ ... ـاتِ فَآهاً مِنْ أَعْيُنِ العَرَبِ
عُيُوْنُ عِيْنٍ تَغْتَالُ أُسْدَ شَرًى ... قَسْراً وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ
أَيُّ جَمَالٍ تَحْتَ البَرَاقِعِ فِيْ ... قِبَابِ ذَاكَ الخَلِيْطِ وَالنُّقُبِ
وَاهٍ عَلَى قَلْبِ عَاشِقٍ بَيْنَ ... الجِدِّ يَوْمَ العُذَيْبِ وَاللَّعِبِ
/١٤٧أ/ فِيْ أَسْرِ أَحْوَى أَغَنَّ غَادَرَنِي ... حِلْفَ الضَّنَى بِالصُّدُوْدِ وَالوَصَبِ
تَرْشُقُ مِنْ جَفْنِهِ لَوَاحِظُهُ ... بِأَسْهُمٍ رِيْشُهَا مِنَ الهُدُبِ
يَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ كَأَنَّ بِهِ ... قَدْ مُزِجَ الشَّهْدُ فِيْهِ بِابْنَةِ العِنَبِ
قُلْ لِلَدِيْغِ الهَوَى شِفَاؤُكَ فِيْ ... ذَاكَ الرُّضَابِ المَعْسُوْلِ وَالشَّنَبِ
وَيَا سَلِيْمَ الفُؤَادِ تِرْيَاقُكَ الـ ... ـفَارُوْقُ فِيْ رَشْفِ ذَلِكَ الشَّنَبِ
جَفَا الكَرَى إِذْ جَفَا جُفُوْنِيْ ... فَالمُهْجَةُ بَيْنَ السَّعِيْرِ وَاللَّهَبِ
فَجَادَ عَهْدَ اجْتِمَاعِنَا غَدِقٌ ... مَا بَيْنَ مُثْعَنْجِرٍ وَمُنْسَكِبِ
كَجُوْدِ رُكْنِ الأَمِيْرِ ذِيْ الطَّوْلِ بَدْ ... رِ الدِّيْنِ مُحْيِيْ عِصَابَةِ الأَدَبِ
الوَاهِبِ الرِّفْدَ لِلْعُفَاةِ إِذَا ... سِوَاهُ لَمْ يُنْتَجَعْ وَلَمْ يَهَبِ
أَيْدُمُرَ النَّدْبِ سَيِّدِ الأُمَرَا ... ءِ المُشْتَرِيْ حَمْدَ كُلِّ مُكْتَسِبِ
مَلْكٌ بَنَى بِالسَّمَاحِ مَجْدَ عُلاً ... يَسْمُو بُرُوْجَ الكَوَاكِبِ الشُّهُبِ
بَحْرٌ يَدَاهُ عَلَى المُلِمِّ بِهِ ... مَا تَأْتَلِيْ مِنْ نَدَاهُ كَالسُّحُبِ
إِنْ ضَنَّ بِالصُّفْرِ غَيْرُهُ فَلَهُ ... جُوْدُ يَدٍ بِاللُّجَيْنِ وَالذَّهَبِ
مُبِيْدُ أَعْدَاءِ دَوْلَةِ المَلِكِ الـ ... ـعَزِيْزِ قَسْراً مُكَشِّفُ الكُرَبِ
/١٤٧ب/ كَمْ قَدْ سَقَى كُلَّ فَارِسٍ بَطَلٍ ... كَأْسَ الرَّدَى بِالقَوَاطِعِ القُضُبِ
القَائِدُ الصَّافِنَاتِ تَقْدُمُهَا ... الآسَادُ فِيْ كُلِّ جَحْفَلٍ لَجِبِ

كُلُّ هِزَبْرٍ مِنْ فَوْقِ سَلْهَبَةٍ ... لَمْ يَبْغِ غَيْرَ الأرْوَاحِ مِنْ سَلَبِ
قَدْ شَمَّرُوا لِلِّقَا وَقَدْ لَبِسُوا الـ ... ـقُلُوبَ فَوْقَ الدُّرُوعِ وَاليَلَبِ
ضَرَاغِمٌ خِيسُهَا بِهِمَّةِ بَدْ ... رِ الدِّيْنِ قُضْبٌ مَعَ القَنَا السُّلُبِ
مُعِزُّ دِيْنِ الإسْلامِ نَاصِرُهُ ... مُذِلُّ دِيْنِ الطُّغْيَانِ وَالصُّلُبِ
لَمْ يُنْجِ يَوْمَ النِّزَالِ جَمْعَ بَنِي الأ ... صْفَرِ مِنْ بَأْسِهِ سِوَى الهَرَبِ
بِهِ ثُغُورُ التَّوْحِيْدِ فِي طَرَبٍ ... مَدَى اللَّيَالِي وَالشِّرْكُ فِي حَرَبِ
يَا رُبَّ فَضْلٍ عَنِ المِلمِّ بِهِ ... سَمَاحُ كَفَّيْهِ غَيْرُ مُحْتَجِبِ
خُذْ بِنْتَ فِكْرٍ لَهَا بِمَدْحِكَ فِي ... مَوَاقِفِ الشِّعْرِ أشْرَفُ الرُّتَبِ
جَاءَتْ تُهَنِّي بِكَ المَوَاسِمَ والأ ... عْوَامَ جَمْعًا فِي مُنْتَهَى رَجَبِ
وَشَهْرُ شَعْبَانَ مُقْبِلٌ وَلَكَ الـ ... ـهَنَا لَهُ فِي السِّنِيْنَ وَالحِقَبِ
فَجُدْ بِرَسْمِي فَلِي أُصَيْبِيَةٌ ... بِأرْضِ حَرَّانَ شَوْقُهُمْ أرَبِي
أرُوْمُ رُؤْيَاهُمُ فَعِشْ وَابْقَ مَا ... غَرَّدَ وُرْقٌ فِي مُوْرِقِ الغَرَبِ

/١٤٨أ/ وقال يرثي ولده مظفّر الدين محموداً: [من الكامل]

أَمَدُ البَقَاءِ لَدَى البَرِيَّةِ فَانِي ... وَالمَوْتُ مَحْتُومٌ عَلَى الإنْسَانِ
وَالمَرْءُ يَنْظُرُ مَا تُقَدِّمُ نَفْسُهُ ... مِنْ صَالِحِ الأعْمَالِ فِي المِيْزَانِ
فَعَلَيْكَ بِالفِعْلِ الجَمِيْلِ فَإنَّهُ ... ذُخْرٌ يُبَدِّلُ خَوْفَنَا بِأمَانِ
وَاعْلَمْ بِأنَّ الخَيْرَ أفْضَلُ صَاحِبٍ ... يُنْجِي مُصَاحِبَهُ مِنَ النِّيْرَانِ
وَأخُو السَّعَادَةِ مَنْ أتَى فِي بَعْثِهِ ... مُتَرَدِّداً بِمَحَاسِنَ الإحْسَانِ
وَاصْنَعْ مِنَ المَعْرُوفِ ذُخْراً فِي غَدٍ ... تَلْقَاهُ عِنْدَ الوَاحِدِ المَنَّانِ
فَيَدُ المَنُوْنِ تَمُدُّهَا فِيْنَا إلَى ... التَّفْرِيْقِ بَيْنَ الأهْلِ وَالإخْوَانِ
وَلَرُبَّ خَطْبٍ جَاءَنَا بِمُلِمَّةٍ ... أبْكَتْ عُيُوْنَ ذَوِي النُّهَى الأعْيَانِ
وَافَتْ بِفَقْدِ مُظَفَّرِ الدِّيْنِ الَّذِي ... أضْحَى سَلِيْبَ طَوَارِقِ الحَدَثَانِ
تَبْكِي المَوَاكِبُ وَالجُيُوشُ لِفَقْدِهِ ... إذْ كَانَ كَوْكَبَ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ
تَبْكِي الجِيَادُ الصَّافِنَاتُ مُصَابَهُ ... وَالسَّابِرِيُّ وَمَتْنُ كُلِّ حِصَانِ
وَافَجْعَةً فُجِعَ الأنَامُ بِأرْوَعٍ ... غَرِقَتْ بِرَائِدِ فَضْلِهِ الثَّقَلانِ
/١٤٨ب/ بَكَتِ المَمَالِكُ والحُصُوْنُ وَمَنْ بِهَا ... حُزْناً عَلَيْهِ وَسَائِرُ البُلْدَانِ

وَالسَّمْهَرِيَّةُ كُلُّ أَسْمَرَ ذَابِلٍ ... وَمُهَنَّدٍ صَافِي الحَدِيدِ يَمَانِي
لِمُصَابِ مَحْمُودَ الأَمِيرِ مُظَفَّرِ الـ ... ـدِّينِ العَزَاءُ وَدَائِمُ الأَحْزَانِ
رُكْنٌ وَثِيقٌ هَدَّمَتْهُ يَدُ القَضَا ... فَقَضَى فَآهٍ لِهَادِمِ الأَرْكَانِ
يَبْكِيهِ كُلُّ تَجَمُّعٍ بِمَسَرَّةٍ ... فِي كُلِّ قَصْرٍ شَامِخِ البُنْيَانِ
أَسَفًا عَلَى تَنْغِيصِهِ وَشَبَابِهِ ... أَسَفًا أَذَابَ حُشَاشَتِي وَشَجَانِي
فَعَلَى صِبَاهُ بِكُلِّ قَلْبٍ حَسْرَةٌ ... . عَلَى ثَهْلانَ
فَاللهُ عَنْ طَيْبِ الحَيَاةِ يُثِيبُهُ ... عِوَضًا جِنَانَ الخُلْدِ مَعْ رِضْوَانِ
وَعَنِ انْقِطَاعِ مَعَاشِرِ الأَتْرَابِ فِي الـ ... ـفِرْدَوْسِ بَيْنَ الحُورِ وَالوِلْدَانِ
وَسَقَتْ غَوَادِي المُزْنِ تُرْبَ ضَرِيحِهِ ... مِنْ كُلِّ وَابِلٍ وَاكِفٍ هَتَّانِ
وَكَفَى المُهَيْمِنُ سَيِّدَ الأُمَرَاءِ بَدْ ... رَ الدِّينِ سَوْرَةَ كُلِّ خَطْبٍ ثَانِي
وَلِوُلْدِهِ الأَنْجَابِ أَطْوَادِ العُلا ... أُسْدِ الشَّرَى فِي كُلِّ يَوْمِ طِعَانِ
وَأَدَامَ عِزَّ المُلْكِ أَيْدُمُرَ الَّذِي ... لِفَخَارِهِ شَرَفٌ عَلَى كَيْوَانِ
فَلِدَوْلَةِ المَلِكِ العَزِيزِ بِعَزْمِهِ ... نَصْرٌ عَلَى الأَعْدَاءِ وَالطُّغْيَانِ
/١٤٩أ/ دَانَتْ لَهُ الأَيَّامُ [ما] وَنَتِ الصَّبَا ... وَتَغَنَّتِ الأَطْيَارُ فِي الأَغْصَانِ

وقال يمدح الرئيس صفي الدين إسماعيل بن أبي القاسم الحلبي: [من الكامل]

وَافَتْكَ فِي غَسَقِ الظَّلامِ شَمُولُ ... صَهْبَاءُ مَاءُ مِزَاجِهَا مَشْمُولُ
صَفْرَاءُ صَافِيَةٌ كَأَنَّ شُعَاعَهَا ... فِي الكَأْسِ فِي جُنْحِ الدُّجَى قِنْدِيلُ
فَاسْتَجْلِهَا بَيْنَ الحِسَانِ فَإِنَّهَا ... تُهْدِي المَسَرَّةَ وَالهُمُومَ تُزِيلُ
مِنْ كَفِّ أَهْيَفَ كَالقَضِيبِ يُمِيدُهُ ... مِنْ لِينِهِ سُكْرُ الصِّبَا فَيَمِيلُ
رَيَّانُ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ كَأَنَّهُ ... فِي اللِّينِ غُصْنُ البَانَةِ المَطْلُولُ
ظَبْيٌ عَلَى قَنَصِ الأُسُودِ يُعِينُهُ ... طَرْفٌ بِصَنْعَةِ بَابِلٍ مَكْحُولُ
يَحْكِي الغَزَالَ تَلَفُّتًا فَكَأَنَّهُ ... رَشَأٌ غَضِيضُ المُقْلَتَيْنِ كَحِيلُ
وَغَرِيرَةٍ غَارَتْ بِعَقْلِي إِذْ حَدَا ... حَادٍ بِظَعْنِهِمُ وَجَدَّ رَحِيلُ
وَسَنَى وَقَدْ نَفَتِ الكَرَى عَنْ نَاظِرِي ... فَالنَّوْمُ إِذْ كَثُرَ السُّهَادُ قَلِيلُ
فَتَّانَةٍ نَصَبَتْ حَبَائِلَ طَرْفِهَا ... فَالقَلْبُ فِي أَشْرَاكِهَا مَحْبُولُ
/١٤٩ب/ يَا لَلرِّجَالِ وَكَيْفَ مِنْ أَسْرِ الهَوَى ... يَفْتَكُّ ذَا كَلَفٍ أَخٌ وَخَلِيلُ

إنْ تَطْلُبُوا قَوَدِيْ فَكُلُّ مُتَيَّمِ   دَنِفٍ بِسَيْفِ لِحَاظِهَا مَقْتُوْلُ
فَدَمِيْ إذَا مَا أنْكَرَتْ أجْفَانُهَا   قَتْلِيْ عَلَىٰ الخَدِّ الأَسِيْلِ يَسِيْلُ
صَدَّتْ فَقُلْتُ: دَعِيْ الصُّدُوْدَ فَأَعْرَضَتْ   وَمَدَامِعِيْ تَنْهَلُّ وَهْيَ تَقُوْلُ:
وَصْلُ الحِسَانِ عَلَىٰ المُقِلِّ مُحَرَّمٌ   وَالمَالُ فِيْ كِلْتَيْ يَدَيْكَ قَلِيْلُ
فَأَجَبْتُ بِالخَيْرِ أبْشِرِيْ وَلَكِ الغِنَىٰ   إذْ لِيْ إلَىٰ البَحْرِ الخِضَمِّ وُصُوْلُ
فَهْوَ الذَّخِيْرَةُ سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ ذُوْ الـ   ـجَدْوَىٰ صَفِيُّ الدِّيْنِ إسْمَاعِيْلُ
البَاذِلُ الرِّفْدَ الجَزِيْلَ فَمَجْدُهُ   سَامٍ عَلَىٰ الفَلَكِ الأثِيْرِ أثِيْلُ
ذُوْ البَأْسِ وَالحِلْمِ الأمِيْرُ الأرْوَعُ الـ   ـمِقْدَامُ إذْ خَيْلُ الجِلَادِ تَجُوْلُ
حَلَبٌ تَدِيْنُ لَهَا بِشِدَّةِ بَأْسِهِ الآ   فَاقُ جَمْعًا عَرْضُهَا وَالطُّوْلُ
يُرْدِيْ أعَادِيْهَا بِكُلِّ مُقَدَّمٍ   يَسْطُوْ عَلَىٰ أُسْدِ الشَّرَىٰ وَيَصُوْلُ
لِمُقَدَّمِيْ حَلَبَ الكِرَامِ بِفَتْكِهِمْ   بَأْسٌ لِغُلْبِ الدَّارِعِيْنَ يَهُوْلُ
أُسْدُ العَرِيْنِ هُمُ نَوَاجِذُهَا إذَا اقْتَـ   ـحَمُوْا العَجَاجَ قَوَاضِبٌ وَنُصُوْلُ
حَلَبٌ تَسُوْدُ عَلَىٰ البِلَادِ بِأَهْلِهَا   جَمْعًا وَكُلٌّ بَارِعٌ بُهْلُوْلُ
/١٥٠أ/ وَرَئِيْسُهَا يَسْمُو صَفِيُّ الدِّيْنِ إسْـ   ـمَاعِيْلُ أهْلَ زَمَانِهِ وَيَطُوْلُ
فَلِدَوْلَةِ المَلِكِ العَزِيْزِ عَلَىٰ العِدَا   هُوَ سَيْفُ نَصْرٍ مُصْلَتٌ مَسْلُوْلُ
هَذَا ابْنُ قَاسِمَ صَارِمٌ بِيَدَيْ غِيَا   ثِ الدِّيْنِ مَاضِيْ المَضْرَبَيْنِ صَقِيْلُ
مِنْ مَعْشَرٍ لَهُمُ الرِّئَاسَةُ لَمْ تَزَلْ   وَهُمْ شَبَابٌ فِتْيَةٌ وَكُهُوْلُ
فَخَرُوا كَفَخْرِ المَلْكِ فِيْ حَلَبٍ بِإسْـ   ـمَاعِيْلَ نَجْلِ القَوْمِ فَهْوَ جَمِيْلُ
بَدْرٌ يَسِيْرُ بِعُصْبَةٍ حَلَبِيَّةٍ   كَنُجُوْمِ سَعْدٍ مَا لَهُنَّ أُفُوْلُ
أيَّامُهُ زُهْرٌ لَهَا أضْحَىٰ صَفِـ   ـيُّ الدِّيْنِ وَهْوَ التَّاجُ وَالإكْلِيْلُ
فَلْيَهْنَ قَاصِدُهُ بِأَنَّ سَمَاحَهُ   غَمْرٌ وَأَمَّا ظِلُّهُ فَظَلِيْلُ
كَمْ قَاصِدٍ يَغْشَاهُ وَهْوَ مُؤَمِّلٌ   فَيَعُوْدُ وَهْوَ مُمَوَّلٌ مَأْمُوْلُ
وَلَكَمْ يُلَمُّ بِهِ مَسُوْدٌ سَائِلٌ   فَيَؤُوْبُ وَهْوَ السَّيِّدُ المَسْؤُوْلُ
غَيْثٌ يُعِيْدُ الجَدْبَ خِصْبًا مُمْرِعًا   يُغْنِيْ العُفَاةَ الوَافِدِيْنَ هَطُوْلُ
فِيْ الخَافِقَيْنِ مَدِيْحُهُ يَدْعُو إلَىٰ   إرْفَادِهِ وَلِصُوْتِهِ تَرْتِيْلُ
هَنَّاهُ قَوْمٌ بِالرِّئَاسَةِ بَلْ بِهِ   تُهْنَىٰ وَيَهْنَىٰ المَلْكُ وَهْوَ جَلِيْلُ

كَـفْءٌ بـأَسْبَـابِ الـولايَـةِ كُلِّهَـا ... قَيْـلٌ بمَـا قَـالَ الكِـرَامُ قَـؤُولُ(١)
/ ١٥٠ب/ دَامَـتْ لَـهُ الأَيَّـامُ مَـا سَـرَتِ الصَّبَـا ... وبَـدَا لِـلْـوُرْقِ فـي الغُصُـونِ هَـدِيْـلُ

قال من قصيدة يمدح بها الملك الصالح ناصر الدين أبا الفتح محمود بن محمد بن داود بن سلمان بن أرتق الأرتقي ـ صاحب آمد ـ: [من الكامل]

يَـا عَـاذِلِـي رِفْقـاً بِصَـبٍّ صَبْـرُهُ ... فِـي الحُـبِّ يَنْقُـصُ وَالغَـرَامُ يَـزِيْـدُ
فَتَنَتْـهُ مِـنْ تِلْـكَ الخُـدُودِ كَـوَاعِـبٌ ... تَسْبِـي بِـأَلْحَـاظِ الـرَّبَـارِبِ غَيْـدُ
تَحْكِـي الشُّمُـوسَ وُجُـوهُهُـنَّ يُقِلُّهَـا ... بَيْـنَ المَضَـارِبِ كَـالغُصُـونِ قُـدُودُ
وَأَنْشُـدْ هُنَـالِـكَ قَلْـبَ كُـلِّ مُتَيَّـمٍ ... صَـبٍّ سَبَتْـهُ بَـرَاقِـعٌ وَعُقُـودُ
وَاحْـذَرْ بِـذَاكَ المُنْحَنَـى وَقِبَـابِـهِ ... فَفَـرَائِـسُ الغِـزْلاَنِ فِيْـهِ أُسُـودُ
فَهُنَـاكَ تَـأْسِـرُ كُـلَّ مُـرْسَـلِ طَـرْفِـهِ ... بَيْـنَ الخِيَـامِ نَـوَاظِـرٌ وَخُـدُودُ
وَأَغَـنَّ مُعْتَـدِلِ القَـوَامِ يُمِيْلُـهُ ... مِـنْ لِيْنِـهِ سُكْـرُ الصِّبَـا فَيَمِيْـدُ
يَنْضُـو سُيُـوفـاً مِـنْ فُتُـورِ لَـوَاحِـظٍ ... فَلَهَـا قُلُـوبُ العَـاشِقِيْـنَ غُمُـودُ
/ ١٥١أ/ إِنْ أَنْكَـرَتْ أَجْفَـانُـهُ قَتْلِـي فَلِـي ... فِـي وَجْنَتَيْـهِ بِمَـا ادَّعَيْـتُ شُهُـودُ
وَدَوَاءُ مَـنْ لَسَبَـتْ عَقَـارِبُ صُـدْغِـهِ ... شَهْـدٌ بِفِيْـهِ لُـؤْلُـؤٌ مَنْضُـودُ
فَلَـهُ مِـنَ الغُصْـنِ الـرَّطِيْـبِ قَـوَامُـهُ ... وَمِـنَ الغَـزَالِ عُيُـونُـهُ وَالجِيْـدُ
رَشَـأٌ يَحَـارُ لِحُسْنِـهِ ذُو فِكْـرَةٍ ... أَرِبٌ وَيَخْضَـعُ فِـي هَـوَاهُ جَلِيْـدُ
يُبْـرِي سَلِيْـمَ هَـوَاهُ مِـنْ آلاَمِـهِ ... بَـرَدٌ ثَـوَى فِـي ثَغْـرِهِ وَبَـرُودُ
تَسْبِـي لَـوَاحِظُـهُ العُقُـولَ كَـأَنَّمَـا ... هَـارُوتُ فِـي أَجْنَـادِهِ مَعْـدُودُ
مَلَكَـتْ مَـلاَحَتُـهُ القُلُـوبَ فَكُـلُّ إِنْـ ... ـسَـانٍ بِقَيْـدِ جَمَـالِـهِ مَصْفُـودُ
فَكَـأَنَّ فِـي جَفْنَيْـهِ كُفَّـةَ حَـابِـلٍ ... وَبِهَـا قُلُـوبَ العَـاشِقِيْـنَ يَصِيْـدُ
أَوْ صَـارِمـاً عَضْبـاً نَضَـاهُ الصَّـالِـحُ الْـ ... ـمَلِـكُ الجَـوَادُ أَخُـو النَّـدَى مَحْمُـودُ
الـوَاهِـبُ الـرِّفْـدَ الجَـزِيْـلَ وَمَـنْ بِـهِ ... يَضْحَـى شَقِـيُّ الفَقْـرِ وَهْـوَ سَعِيْـدُ
يَـا نُـوقُ دُونَـكِ آمِـداً لاَ تَسْـأَمِـي ... طُـولَ المَسِيْـرِ إِذِ المَـزَارُ بَعِيْـدُ
وَتَيَقَّنِـي مِـنْ نَـاصِـرِ الـدِّيْـنِ الغِنَـى ... فَـالفَضْـلُ جَـمٌّ عِنْـدَهُ وَالجُـودُ

(١) القَيل: الملك.

وَعَلَيَّ عَهْدٌ لا يَرُوْعُكَ بَعْدَهَا / أَبَداً ذَمِيلٌ فِي السُّرَىٰ وَوَئِيدُ
مَلِكٌ يَرَىٰ قُصَّادُهُ مِنْهُ الغِنَىٰ / وَيَعِزُّ مَادِحُهُ بِهِ وَيَسُوْدُ
/١٥١ب/ كَمْ قَاصِدٍ يَغْشَاهُ وَهْوَ مُؤَمِّلٌ / فَيَعُوْدُ وَهْوَ مُؤَمَّلٌ مَقْصُوْدُ
وَيَؤُمُّهُ ذُوْ فَاقَةٍ وَخَصَاصَةٍ / فَيَؤُوْبُ وَهْوَ عَلَىٰ الغِنَىٰ مَحْسُوْدُ
مَا العَيْشُ إِلاَّ آمِدٌ وَالأَوْسَلُ الـ / ـفَيَّاحُ لا رَمْلُ الحِمَىٰ وَزَرُوْدُ
وَالرِّفْدُ إِلاَّ مَا بِهِ ابْنُ مُحَمَّدٍ / مَحْمُوْدُ رَبُّ المَكْرُمَاتِ يَجُوْدُ
مَلِكٌ مُجَانِبُهُ وَطَالِبُ فَضْلِهِ / هَذَا الشَّقِيُّ بِهِ وَذَا مَسْعُوْدُ
يَخْشَىٰ ذَوُو التِّيْجَانِ شِدَّةَ بَأْسِهِ / وَيَخَافُ سَطْوَتَهُ المُلُوكُ الصِّيْدُ
فَكَأَنَّمَا الأَفْلاَكُ طَوْعَ مُرَادِهِ / وَلَهُ مَلائِكَةُ السَّمَاءِ جُنُوْدُ
فَالعِزُّ حَيْثُ سُيُوْفُهُ مَشْهُورَةٌ / وَالنَّصْرُ حَيْثُ لِوَاؤُهُ مَعْقُوْدُ
شَهْمٌ يَذِلُّ لَدَيْهِ كُلُّ غَضَنْفَرٍ / وَيَخَافُ سَطْوَتَهُ الأُسُوْدُ السُّوْدُ
شَهِدَتْ عِدَاهُ بِفَضْلِهِ وَالفَضْلُ مَا / بَيْنَ الأَنَامِ بِهِ يُقِرُّ حَسُوْدُ
القَائِدُ الخَيْلَ العِتَاقَ حُمَاتُهَا / غُلْبٌ إِذَا ثَارَ القَتَامُ أُسُوْدُ
كُلٌّ إِذَا اقْتَحَمَ العَجَاجَ وَصَالَ فِي / يَوْمِ الكَرِيْهَةِ أَغْلَبٌ صِنْدِيْدُ
أَلِفُوا مُكَافَحَةَ الكُمَاةِ كَأَنَّمَا / لَهُمُ القُلُوْبُ عَلَىٰ الحَدِيْدِ حَدِيْدُ
فَبُطُوْنُ عِقْبَانِ الفَلاَ وَوُحُوْشُهَا / بِسُيُوفِهِمْ لِلدَّارِعِيْنَ لُحُوْدُ
/١٥٢أ/ جَيْشٌ كَأَمْوَاجِ البِحَارِ حَدِيْدُهُ / وَبِهِ تَضِيْقُ عَلَىٰ عِدَاهُ البِيْدُ
لَجِبٌ بِوَجْهِ الشَّمْسِ مِنْهُ وَسَمْعِهَا / كَلَفٌ وَوَقْرٌ عِثْيَرٌ وَبُنُوْدُ
فَالبِيْضُ تُوْمِضُ وَالصَّهِيْلُ كَأَنَّمَا / تَحْتَ العَجَاجِ بَوَارِقٌ وَرُعُوْدُ
يَسْرِي بِهَا مِنْ آلِ أُرْتُقَ مَاجِدٌ / غَدَتِ المُلُوْكُ لَدَيْهِ وَهْيَ عَبِيْدُ
مَلِكٌ يَذِلُّ لِعُظْمِ شِدَّةِ بَأْسِهِ / لَوْ عَايَنَاهُ تُبَّعٌ وَثَمُوْدُ
فَاقَ ابْنُ دَاوُدَ المُلُوْكَ جَلاَلَةً / فَلَهُ الفَخَارُ وَفَضْلُهُ المَشْهُوْدُ
لا غَرْوَ إِنْ فَضَلَ المُلُوْكَ وَقَدْ سَمَا / مِنْ قَبْلُ آبَاءٌ لَهُ وَجُدُوْدُ
مَنْ ذَا يَرُوْمُ فَخَارَهُ وَلَهُ العُلا / دُوْنَ البَرِيَّةِ طَارِفٌ وَتَلِيْدُ
ذَلَّتْ جُيُوْشُ المُشْرِكِيْنَ لِبَأْسِهِ / قَسْراً وَعَزَّ الدِّيْنُ وَالتَّوْحِيْدُ
يَخْشَىٰ مُلُوْكُ الأَرْضِ شِدَّةَ بَأْسِهِ / فَهُمُ لَدَيْهِ رُكَّعٌ وَسُجُوْدُ

عَمَّ البِلاَدَ بِعَدْلِه فَالشَّاءُ فِي ... أَيَّامِهِ فِي مَوْرِدٍ وَالسِّيْدُ(١)
بَحْرٌ يَسُحُّ عَلَى العُفَاةِ سَحَابُهُ ... وَيَلَذُّ لِلْوُرَّادِ مِنْهُ وُرُوْدُ
فَالعِزُّ يَطْلُبُ كُلَّ رَاجٍ وَالغِنَى ... فَكِلاَهُمَا فِي رَبْعِهِ مَوْجُوْدُ
يُخْشَى وَيُرْجَى فِي الأَنَامِ فَجُوْدُهُ ... غَمْرٌ وَأَمَّا بَطْشُهُ فَشَدِيْدُ
/ ١٥٢ب/ فَحَيَاةُ رَاجِيْهِ وَمَوْتُ عَدُوِّهِ ... مِنْهُ وُعُوْدٌ نُجَّزٌ وَوَعِيْدُ
يَا مَالِكاً فَاقَ المُلُوْكَ فَضَائِلاً ... غُرّاً فَمَا يُحْصَى لَهُنَّ عَدِيْدُ
يَا أَوْحَداً فِي العِلْمِ يُفْحِمُ لَفْظُهُ ... قُسّاً فَسَحْبَانٌ لَدَيْهِ بَلِيْدُ(٢)
يَا أَفْصَحَ الفُصَحَاءِ حَتَّى جَرْوَلٌ ... يَضْحَى لَدَيْهِ مُبَلَّداً وَلَبِيْدُ
العَبْدُ مُعْتَذِرٌ مِنَ التَّقْصِيرِ يَا ... مَلِكاً عُلاَهُ عَلَى السِّمَاكِ مَشِيْدُ
وَجَدِيْرٌ أَنْ فِي بَحْرِ حِلْمِكَ وَالنَّدَى ... وَالعِلْمُ يَغْرِفُ شَاعِرٌ وَقَصِيْدُ
فَاسْتَجْلِهَا بِكْراً أَتَتْكَ يَزِيْنُهَا ... مِنْ مَدْحِ مَجْدِكَ حِلْيَةٌ وَبُرُوْدُ
وَاجْبُرْ بِجُوْدِكَ كَسْرَ نَاظِمِهَا فَمَا ... بَيْنَ الأَنَامِ سِوَاكَ لِي مَقْصُوْدُ
وَاسْلَمْ وَدُمْ مَا لاَحَ صُبْحٌ أَوْ بَدَا ... لِلْوُرْقِ فَوْقَ أَرَاكَةٍ تَغْرِيْدُ

وقال أيضًا يمدحه وهي موشحة مخمَّسة:

يَا صَاحِ أَصْبَحَ حَبْلُ الوَصْلِ مَبْتُوْتَا ... فِي حُبِّ رِيْمٍ يَرُدُّ البَدْرَ مَبْهُوْتَا
أَقُوْلُ إِذْ مَرَّ بِي كَالظَّبْيِ مَلْفُوْقَا ... رُدَّ الفُؤَادَ لِيَحْيَى الصَّبُّ حُيِّيْتَا
وَاعْدِلْ فَفِي مُهَجِ العُشَّاقِ وُلِّيْتَا

***

/ ١٥٣أ/ وَارْحَمْ فَفِي الحُبِّ قَدْ أَضْحَيْتَ مُقْتَدِرَا ... صَبّاً غَدَا فِيْكَ بَعْدَ الصَّوْنِ مُشْتَهِرَا
مُتَيَّماً بِكَ أَضْحَى صَفْوُهُ كَدِرَا ... يَا أَسْمَراً صِرْتُ فِي حُبِّي لَهُ سَمَرَا
حُوْشِيْتَ مِمَّا يُعَانِي الصَّبُّ حُوْشِيْتَا

***

يَا بَدْرَ تَمٍّ لَهُ زِرُّ القَبَا فَلَكُ ... سِحْرٌ بِجَفْنِكَ يَسْبِي النَّاسَ أَمْ شَرَكُ

---

(١) السيد: الذئب.
(٢) يقصد: قُسّ بن ساعدة الأيادي، وسحبان وائل وكانا من خطباء العرب.

كَـمْ فِيكَ أَضْحَى مَصُونٌ وَهْوَ مُنْهَتِكُ أَفِتْنَـةٌ أَنْـتَ لِلْعُشَّـاقِ أَمْ هَلَـكُ
أَمْ فِـي الجِنَـانِ مَـعَ الـوِلْـدَانِ أُنْشِيْتَـا

***

أَمَـا لِصَبِّـكَ مِـنْ غَـيِّ الهَـوَى رَشَـدُ وَلاَ لِصَـدِّكَ يَـا كُـلَّ المُنَـى أَمَـدُ
فَكَـمْ لِقَتْـلِ البَـرَايَـا أَنْـتَ مُعْتَمِـدُ فَنِلْـتَ بِـالصَّـدِّ صَبّـًا مَـا لَـهُ قَـوَدُ
لَـوْ شِيـتَ أَحْيَيْتَـهُ بِـالـوَصْـلِ لَـوْ شِيْتَـا

***

هَـوَاكَ أَقْصَـاهُ أَدْنَـى عَـنْ أَقَـارِبِـهِ وَمَـا سِـوَاكَ إِلَـى البَلْـوَى بِجَـاذِبِـهِ
بَـلْ أَنْتَ فِـي الحُـبِّ يَـا أَقْصَـى مَـآرِبِـهِ حَلَـوْتَ فِـي قَلْبِـهِ لِمَّـا حَلَلْـتَ بِـهِ
وَبِـالمَـلاَحَـةِ دُونَ النَّـاسِ حُلِّيْتَـا

***

النَّفْـسُ أَضْحَـتْ إِلَـى رُؤْيَـاكَ تَـائِقَـةً وَالعَيْـنُ أَمْسَـتْ بِمَـاءِ الجَفْـنِ غَـارِقَـةً
إِنْ كُنْـتَ تُصْغِـي إِلَـى شَكْـوَايَ آوِنَـةً فَـارْحَـمْ عَلَـى البَيْـنِ وَالتَّبْـرِيحِ قَلْـبَ فَتًـى
/١٥٣ب/ فَتَنْتَـهُ بِـالجَفَـا وَالصَّـدِّ تَفْتِيْتَـا

***

يَشْتَـاقُ رُؤْيَـاكَ لاَ زُوْرٌ بِـهِ وَرِيَـا كَـأَنَّـهُ النَّبْـتُ ظَمْـآنٌ وَأَنْـتَ حَيَـا
أَضْحَـى مَـرِيضًـا وَأَدْوَاءُ الغَـرَامِ عَيَـا مُغْـرًى بِحُبِّـكَ يَـرْجُـو الـوَصْـلَ مِنْـكَ فَيَـا
مَـوْلاَيَ لِـمْ بِـالجَفَـا وَالصَّـدِّ أُغْـرِيْتَـا

***

أَصْفَـاكَ فِـي الحُـبِّ إِخْـلاَصَ الـوُدَادِ وَلَـنْ يُـرِيـدُ غَيْـرَكَ مِـنْ هَـذَا الأَنَـامِ سَكَـنْ
قَـالُـوا: شُغِفْـتَ بِـهِ حَقّـًا، فَقُلْـتُ: إِذَنْ لَـمْ يُلْهِـهِ عَنْـكَ مَخْلُـوقٌ فَـأَنْـتَ بِمَـنْ
عَـنِ المُحِـبِّ فَـدَتْـكَ النَّفْـسُ أُلْهِيْتَـا

***

فَـإِنَّـهُ فِـي الهَـوَى صَـبٌّ وَمَـا شُفِيَـا قَـدْ ذَابَ حَتَّـى عَـنِ العُـوَّادِ قَـدْ خَفِيَـا
مَـارَامَ غَيْـرَكَ مَحْبُـوبًـا وَقَـدْ جُفِيَـا وَلاَ تَنَـاسَـاكَ يَـوْمًـا فِـي الـزَّمَـانِ فَيَـا
للهِ كَيْـفَ عُهُـودَ الصَّـبِّ أُنْسِيْتَـا!

فـرَاوَدْتُ قَلْبـي عَنْـكَ الصَّبْـرَ فَـاعْتَـذَرَا وَالْـلاَّئمَـانَ قَـد اَشتَطَّـا وَقَـد زَجَـرَا
أقُـوْلُ وَاللَّـوْمُ والتَّـأنيْـبُ قَـدْ كَثُـرَا يَـا عَـاذلـيَّ رُوَيْـداً فَـالمُحـبُّ يَـرَىٰ
عَـذْلَ العَـوَاذل إسْـرَافـاً وَتَعْنيْتَـا

***

وَشَـادن أغْيَـد ذي وَاضـح بَهـج جَفَـا وَقَلْبـيْ بـه فـيْ مَسْلَـك حَـرج
/ ١٥٤أ/ أَقُـول إذْ مَـرَّ بـيْ فَـيْ مَنْدَلَ أرِج مَـنْ لـيْ بـوَصْـلَ غَـزَال أحْـوَرٍ غَنـجٍ
يُعَلِّـمُ السِّحْـرَ مِـنْ جَفْنَيْـه هَـارُوْتَـا

***

مُهَفْهَـفُ القَـدِّ سَهْـلُ الخَـد ذُوْ تَـرَف أضْحَيْـتُ وَالقَلْـبُ فـي حُبِّـه ذُوْ كَلَـف
إذَا غَـدَا بَيْـنَ مَيَّـال وَمُنْعَطَـفٍ أخْشَـىٰ عَلَـىٰ خَصْـرَه يَنْبَـتُّ مَـنْ هَيَـفً
ليْنـاً وَفـيْ حُبِّـه أضْحَيْـتُ مَبْتُـوتَـا

***

لمَّـا أُصيْـبَ فُـؤَادي مَـنْ يُعَـذِّبُـهُ بـأسْهُـم نُقشَـتْ مـنْ قَـوْس حَـاجبـه
وَأصْبَـحَ القَلْـبُ فـيْ أشْـرَاك سَـالبـه أصْغَيْـتُ ذَاكـرَهُ سَمْعـيْ وَتَهْـتُ بـه
عُجبـاً وَأضْحَـىٰ لقَلْبـيْ ذكْـرُهُ قُـوْتَـا

***

رَنَـا فَـأصْمَـىٰ فُـؤَاديْ سَهْـمُ مُقْلَـه فَهَـا دَمـيْ شَـاهـدٌ مـنْ فَـوْق وَجْنَتـه
ظَبْـيٌ إذَا مَـا تَبـدَّا نُـوْرُ طَلْعَتـه يُـريْـكَ مـنْ خَـدِّه وَرْداً وَقَـامَتـه
غُصْنـاً وَمَـنْ ثَغْـره دُرّاً وَسَنُّـوتَـا

***

بَـدْرٌ وَزرٌّ قَبَـاهُ بُـرْجُ هَـالَتـه ظَبْـيٌ مـنَ التُّـرْك لَـوْلاَ حُسْـنُ خلْقَتـه
تَسْتَقْـرضُ الشَّمْـسُ نـوعـاً مـنْ مـلاَحَته ظَبْـيٌ مَـنَ التُّـرْكَ لَـوْلا حُسْـنُ غُـرَّتـه
لَـمْ يَعْـرف النَّـاسُ نَـاسُـوْتـاً وَلاَهُـوْتَـا

***

/ ١٥٤ب/ مُهَـذَّبُ الخَلْـقِ وَالأَعْـرَاقِ وَالشِّيَـمِ كَـمْ غَـالَ بَيْـنَ القِبَـابِ البِيْـضِ وَالخِيَـمِ

أَسْـدٌ يُعَظِّمُهَـا الـرَّائـي عَـن القِيَـم كَـأَنَّ فـي جَفْنِـه سَيْفـاً غَـدَا. . .
الصَّالِحِ المَلْكَ يَـوْمَ الـرَّوْعِ مَصْلُوتـا

***

مَلْـكٌ يَفُـوْقُ مُلُـوْكَ الأَرْض قَـاطِبَـةً كَـمْ أَخْجَلَـتْ كَفُّـهُ بِـالجُـوْد غَـادِيَـةً
مِـنْ فَضْلِـه أَضْحَـت الأَحْـوَالُ حَـالِيَـةً الـوَاهِـبُ البَـدْرَات الغُـرِّ ضَـاحِيَـةً
جُـوْداً يُضَمِّنُهَـا دُرّاً وَيَـاقُـوْتَـا

***

لاَ تَـرْضَ بِـالدُّوْن فِي الـدُّنْيَا الـدَّنِيَة بَـلْ عَـن الأَكَـارِم لـيْ أَمَّـا لِمثْلـيَ سَـلْ
أُوْلَيْكَ نُصْحـاً فَسَـرْ مِـنْ قَبْل قَـوْلِكَ هَـلْ وَالْمُـمْ بِـأَمَدَ يَـا رَاجِـيْ الغَنَـاء تَنَـلْ
الـرِّفْـدَ الجَـزِيْـلَ وَمَـا أَمَّلْتَ مَـوْقُـوْتَـا

***

جُـدَّ المَسِيْـرَ فَمَـنْ رَامَ المَغَـانـمَ جَـدْ وَاحْطُـطْ. . . فَـالعَيْـشُ فِيْـه رَغَـدْ
وَاطْلُـبْ فَمَـنْ طَلَـبَ العَلْيَـا وَجَـدَّ وَجَـدْ وَاقْصـدْ بِهَـا نَـاصِـرَ الـدِّيْـنِ الجَـوَاد فَقَـدْ
يَحْـوِيْ الغِنَـىٰ مَـنْ غَـدَا يَطْـوِيْ السَّبَـارِيْنَـا

***

هَـذَا ابْـنُ دَاوُدَ رَاجِـيْ فَضْلِـه غَنِمَـا فَـاقَ المُلُـوْكَ جَمِيْعـاً وَالـوَرَىٰ كَـرَمَـا
أَوْفَـاهُـمُ وَأَعَـزُّ العَـالَمِيْـنَ حِمَـىٰ حَـازَ العُـلاَ فَسَـوَاهُ فِـي البَـرِيَّـة مَـا
/ ١٥٥أ/ غَدَا بِكُلِّ لِسَان الفَضْل مَنْعُوْتَا

***

جُيُـوْشُـهُ حَيْـثُ تَسْـرِيْ فِـيْ مَـوَاكِبِهَـا تَكْسُـو المَمَـالِـكَ رُعْبـاً فِـيْ مَـرَاتِبِهَـا
فَـاقْصـدْ إِلَـىٰ آخـذ الـدُّنْيَـا وَوَاهِبِهَـا مَلْـكٌ مَـوَاهِبُـهُ تَغْشَـىٰ الـوَرَىٰ وَبِهَـا
قَـدْ سَيَّـرَ المَـدْحَ فِـيْ الـدُّنْيَـا لَهَـا صِيتَـا

***

هَـذَا هُـوَ البَحْـرُ حَـدِّثْ عَـنْ عَجَـائِبِـه قَـدْ عَـمَّ كُـلَّ البَـرَايَـا مِـنْ مَـوَاهِبِـه
يَـرَىٰ الثَّنَـا فِـيْ الـوَرَىٰ أَوْ فِـيْ مَكَـاسِبِـه قَـدْ جَمَّـعَ الفَضْـلَ فِـيْ الـدُّنْيَـا وَشَـادَ بِـه
مَجْـداً وَشَتَّـتَ جَمْـعَ المَـالِ تَشْتِيْتَـا

إِلَىٰ حمَىٰ الصَّالح السُّلْطَان جُدَّ وَمِلْ وَبِالقَرِيْض عُلاَهُ وَالمدائح صِلْ
وَإِنْ سُئِلْتَ فَقُلْ فِيْ مَدْحِهِ وَأَطِلْ القَائِدُ الخَيْلَ تَحْمِلُ فِيْ آلـ . . .
نزَالِ أُسْداً لَدَىٰ الهَيْجَا أَمَارِيْتَا

***

فَالنَّصْرُ مِنْهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ وَلَهُمْ يَرُوْعُ آخِرُهُمْ فِيْ الرَّوْعِ أَوَّلَهُمْ
فَمَنْ رَآهُمْ لَدَىٰ الهَيْجَا تَهَوَّلَهُمْ يُخَالُ فَوْقَ السَّعَالِيْ مِنْ تَأَمَّلَهُمْ
إِذَا هُمُ اقْتَحَمُوا نَقْعاً عَفَارِيْتَا

***

يَا طَالِبَ الرِّفْدِ اقْصِدْ فِيْ مَسِيْرِكَ ذَا دِيَارَ بَكْرٍ لِتَنْجُوْ مِنْ شَقاً وَأَذَىٰ
/ ١٥٥ب/ وَفِيْ أُمُوْرِكَ سَهْمُ الخَطْبِ إِنْ نَفَذَا بِالصَّالِحِ المَلْكِ السُّلْطَانِ لُذْ فَإِذَا
وَافَيْتَ مَغْنَاهُ بِالأَمْوَالِ أُغْنِيْتَا

***

حَلَلْتَ مَغْنًى بِهِ كَمْ وَافِدٍ غَنِمَا وَكَمْ شَقِيٍّ بِهِ بَعْدَ الشَّقَا نَعِمَا
مُعَظَّمَ القَدْرِ بَيْنَ النَّاسِ مُحْتَرَمَا وَبِتَّ جَارَ أَعَزِّ العَالَمِيْنَ حِمَىٰ
مُنَعَّمَ البَالِ وَالإِحْسَانَ أُوْلِيْتَا

***

لُذْ بِابْنِ دَاوُوْدَ إِذْ صَرْفُ الزَّمَانِ نَزَلْ وَإِنْ عَرَا الخَطْبُ فِيْمَا تَبْتَغِيْهِ وَجَلْ
وَنَادِهِ فِيْ الَّذِيْ تَرْجُوْ لَدَيْهِ تَنَلْ يَا قَاتِلَ المَحْلِ بِالجَدْوَىٰ كَمَا قَتَلْ
النَّبِيُّ دَاوُوْدَ يَوْمَ الرَّوْعِ جَالُوْتَا

***

بِكَ السَّعَادَةُ قَدْ بَانَتْ عَلاَئِمُهَا وَدَوْلَةُ المَجْدِ قَدْ قَامَتْ دَعَائِمُهَا
لِمِدْحَةِ مَدْحُكَ السَّامِيْ تَمَائِمُهَا فَاسْتَجْلِ بِكْراً يُجِيْدُ الشِّعْرَ نَاظِمُهَا
وَحَيِّهَا بِنَدَىٰ كَفَّيْكَ حُيِّيْتَا

***

قَصِيْدَةً يَا أَجَلَّ الخَلْقِ شَاعِرَةً غَدَتْ بِمَدْحِكَ فِيْ الآفَاقِ سَائِرَةً

كَـالـدُّرِّ وَافَـتْ إِلَـى نُعْمَـاكَ نَـاضِـرَةً بَقِيْـتَ مَـادَامَـتِ الأَفْـلاَكُ دَائِـرَةً

فِـيْ رِفْعَـةٍ وَمِـنَ الأَسْـوَاءِ وُقِّيْتَـا

***

[٨٩٦]

هلالُ بنُ محفوظِ بنِ هلالٍ، أبوالنجمِ الرّسعَنيُّ، المعروفُ بابنِ السَّراجِ[١].

كان فقيهًا حنبلي المذهب قارئًا للقرآن العزيز من أهل الزهد والورع والدين والخير، تفقه ببغداد علىٰ المذهب الأحمدي، وسمع من الكاتبة شُهْدَة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج الإبري، وعاد إلىٰ بلده، وحدّث عنها. سمع منه هناك جماعة من الطلبة والمجتازين، وتوفي في شعبان سنة عشر وستمائة، ولم يكن قول الشعر من شأنه.

أنشدني الشيخ أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف المحدث الرسعني الفقيه الحنبلي بالموصل في سنة إحدىٰ وثلاثين وستمائة ـ من لفظه وحفظه ـ قال: أنشدني أبو النجم هلال بن محفوظ الرَّسعَني لنفسه، وقد ندبه الأمير عماد الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن المشطور الكردي المهراني، أنْ يجعل نظره في وقف بناهُ برأس عين[٢]، فامتنع وأبىٰ وطلب /١٥٦ب/ منه الاستعفاء والإقالة، وكتب هذه الأبيات إليه، وأنشدنيها، وهي من قيله: [من الوافر]

أَقِلْنِـي أَيُّهَـا القَمَـرُ المُنِيْـرُ فَلَسْـتُ كَمَـا يَظُـنُّ بِـيَ الأَمِيْـرُ
تَعَـاظَمَـتِ الأَمَـانَـةُ فِـيْ أَدَاهَـا أَتَحْسَـبُ أَنَّـهُ أَمْـرٌ يَسِيْـرُ
سَمَـاوَاتٌ وَأَرْضٌ مَـعْ جِبَـالٍ وَأُحْـدٌ قَـدْ أَبَـىٰ وَأَبَـىٰ ثَبِيْـرُ
إِذَا عَجَـزَتْ جِبَـالُ الأَرْضِ عَنْهَـا فَكَيْـفَ يُطِيْقُهَـا رَجُـلٌ كَبِيْـرُ

---

(١) الجَزَري، والرسعني نسبة إلى رأس العين.
ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ٢٩٠ رقم ١٣٢٤. الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٦٨. شذرات الذهب ٥/ ٤٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٣٩٣ رقم ٥٥١.

(٢) رأس عين: وهو رأس عين الخابور، مدينة كبيرة من مدن الجزيرة، بين حرّان ودنيسر. انظر: معجم البلدان/ مادة (رأس).

/ ١٥٧أ/ ## ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

[٨٩٧]

هارونُ بنُ الحسينِ بنِ كُرْجي بنِ هَارُونَ(١).

ذكره الصاحبُ الوزير شرف الدين أبو البركات المستوفي - رضي الله عنه في تأريخه، وقال: إربلي المولد والمنشأ؛ خدين لا يطمعُ الغدرُ في وفائه، وقرين لا يحل الدهر عقد إخائه، ومصاحب استوىٰ في الصحبة مغيبه ومشهده، ومخالطٌ اعتدل في الخُلطَة مصدرُه وموردُهُ؛ فهو مأمونةٌ مكائدُه وغوائلُهُ، محمودةٌ أواخرُهُ وأوائلُهُ، عذبت أخلاقه رقَّة وصفاءً، ومُلىء وجهُهُ بشراً وحياءً، له أدب نفس كالزهر النضير، ووثيقة رأي محكمة التدبير، وإشفاقٌ علىٰ معاشره وصديقه، تجاوز إشفاق الأخ علىٰ شقيقه، ونصيحة للمستشير بآرائه، يستشفُ المغيّب من ورائه.

وكان شيخنا أبو المظفَّر المبارك بن طاهر الخزاعي البغدادي - رحمه الله تعالىٰ - يُسمَّيه شيخ / ١٥٧ب/ الجماعة، لما عنده من العقل والحزم، وجودة التصرُّف، وكثيراً كان يصفه وفيه يقول: [من البسيط]

شَيْخُ الجَمَاعَةِ مَخْدُوْمٌ وَمَشْكُوْرُ ... ورَبْعُهُ بِبَنِي الحَاجَاتِ مَعْمُوْرُ

وقال فيه أيضًا: [من البسيط]

شَيْخُ الجَمَاعَةَ بَدْرُ الدِّيْنِ هَارُونُ ... بالخَيْرِ وَالبِرِّ وَالإِحْسَانِ مَعْجُوْنُ

ذُوْ الفَهْمِ يَعْرِفُهُ وَالغَمْرُ يَجْهَلُهُ ... كَالدُّرِّ وَالدُّرُّ فِيْ الأَصْدَافِ مَكْنُوْنُ

ثم قال: وعنده دينٌ لا يهديه إلىٰ غير الصدق سبيلُهُ، ويقينٌ لا يميل به عن سواء الحق دليلُهُ، حنفيُّ المذهب، مائل [إلى] التشيع غيرُ مغال فيه، مواظبٌ علىٰ الصلوات الخمس، وصيام كل خميس. كنّاهُ شيخنا أبو المظفَّر ابن طاهرٍ الخُزاعي بأبي الرأي.

---

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ٢٣٢ رقم ١٢١٢. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص٣١٤ رقم ٤٢٤، وفيهما: «هارون بن الحسين بن كرج بن هارون».

وكان من أولاد الأمراء الأجناد، وذوي العُدَّة والعتاد. وكان أبوه ـ رحمه الله ـ وأدركته، من المشهورين بإربل في زمن الحاجب أبي منصور سرفتكين ابن عبد الله ـ متوليها ـ يقوم مقامه إذا غابَ عنها، ولا يتخلف عنه إذا عاد إليها.

أولد خمسة من البنين لم يكن / ١٥٨أ/ فيهم أبرع منه ولداً ولا أكثر سؤدداً. وكان ربّما قرض البيتين والأبيات من الشعر، سلامة طبع جُبل عليها، وصحة خاطرٍ هداه الظرف إليها، وأنا ذاكر جميع ما وقفني عليه من ذلك عن آخره.

وكانت وفاته بعد عشاء الآخرة من الليلة المسفرة عن الأحد الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وستمائة بإربل، فأسكنه الله فسيح جنانه، وأورده موارد غفرانه، في نعيم غير منقطع أمدُه، وثواب لا يُحصىٰ عددُهُ.

وكان مولده بإربل في شهر رمضان سنة ستين وخمسمائة؛ وسمع الحديث علىٰ أبي المعالي نصر الله بن سلامة الهيتي، وأبي المعالي صاعد بن علي بن عمر الواسطي الواعظ، وأبي المظفر المبارك بن طاهر بن المبارك الخزاعي البغدادي وغيرهم.

ومن شعره ما أنشدني الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي الإربلي بها ـ رحمة الله عليه ـ في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني أبو الرأي هارونَ بن الحسين لنفسه: [من البسيط]

/١٥٨ب/ يَ مُوْقدَ النَّار في قَلْبي وَفي كَبدي ... هَلاَّ رَحِمْتَ قَتِيلَ الهَمِّ وَالكَمَدِ
هَلاَّ عَطَفْتَ عَلَىٰ صَبٍّ أَسِيرِ هَوًى ... مُغْرًى بِحُبِّكَ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعُدِ
يَفْنَىٰ الزَّمَانُ وَلاَ تفْنَىٰ صَبَابَتُهُ ... مُخَيَّراً فِيكَ بَيْنَ الشَّوْقِ وَالسُّهُدِ
كُنْ كَيْفَ مَا شِئْتَ لاَ صَبْرٌ وَلاَ جَلَدٌ ... لَمْ يُبْقِ هَجْرُكَ لاَ صَبْرِي وَلاَ جَلَدِي

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني هارون بن الحسين لنفسه: [من الطويل]

يَنَامُ خَلِيُّ القَلْبِ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ ... مِنَ الشَّوْقِ مَا تُطْوَى عَلَيْهِ أَضَالعِي
لَقَدْ لاَمَنِي الوَاشُونَ فِيمَنْ أُحِبُّهُ ... وَلَكِنَّ دُونَ العَذْلِ سُدَّتْ مَسَامِعِي
كَتَمْتُ الهَوَىٰ خَوفَ الوُشَاةِ وَلَوْمِهِمْ ... فَنَمَّتْ عَلَيْهِ جَارِيَاتُ مَدَامِعِي

وأنشدني، قال: أنشدني أبو الرأي قوله في صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة:

[من الكامل]

يَـا لائمـي فـي حُبِّـه ومُعَنِّفـي ... مَهْـلاً فَمَـا ذُقْـتَ الَّـذي قَـدْ ذُقْتُـهُ
وَاللهِ لَـوْ عَلِـقَ الفُـؤادُ مـنَ الـوَرَىٰ ... بِهَـوَىٰ حَبِيـبٍ غَيْـرِهِ مَـزَّقْتُـهُ
/ ١٥٩أ/ قَـالَ العَـوَاذِلُ خَلِّـه فَـأجَبْتُهُمْ ... لَـوْ كُنْـتُ أَصْبِـرُ عَـنْ هَـوَاهُ تَـرَكْتُـهُ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو الرأي لنفسه: [من السريع]

يَـا غَـافِـلاً عَنِّـي بلَـذاتـه ... إشْـرَبْ وَطِـبْ دَامَ لَـكَ العُمْـرُ
وَارْحَـمْ فَتًـى لا يَـرْتَقـي دَمْعُـهُ ... قَـدْ خَـانَـهُ وَصْلُـكَ وَالـدَّهْـرُ

وأنشدني، قال: أنشدني من شعره: [من الكامل]

يَـا تَـائهـاً بـالحُسْـنِ صِلْنـي ... فَقَـدِ ٱشْتَفَـىٰ الهجْـرَانُ مِنِّـي
إرْجِـعْ إلَـىٰ طِيْـبِ الـرِّضَـا ... فَـإلَـىٰ مَتَـىٰ هَـذَا التَّجَنِّـي
يَـا لائمـي فـي حُبِّـه ... وَمُعَـارِضـي فـي كُـلِّ فَـنِّ
دَعْنـي أمُـوتُ بحُبِّـه ... يَـا لائمـي بـالله دَعْنـي
لَـوْ كَـانَ عنْـدَكَ بَعْـضُ مَـا ... أُخْفِيْـهِ مِـنْ أَلَـمٍ وحُـزْنِ
لَعَـذَرْتَنـي فِيْمَـا لَقِيْـتُ مـ ... ـنَ الغَـرَامِ وَلَـمْ تَلُمْنـي

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

/ ١٥٩ب/ هُنِّيـتَ بـالخِـلِّ الجَـدِيْـدِ ... يَـا نَـاقِضـاً أبـداً عُهُـوْدي
حَتَّـى مَ أرْغَـبُ فـي الـوِصَـا ... لِ وَأنْـتَ تَـرْغَـبُ فـي الصُّـدُوْدِ
وَاللهِ لَـوْلاَ أنْ يُقَـا ... لَ أُعِيْـرَ سُلْـوَانَ الجَـدِيْـدِ
لأتَـاكَ مِنِّـي مَـا يَلِيْـ ... ـنُ لِـوَقْعِـه صُلْـبُ الحَـدِيْـدِ
يَـا أيُّهَـا القَمَـرُ الَّـذي ... تَنْمَـىٰ بِـرُؤْيَتِـه سُعُـوْدي
إرْجِـعْ إلَـىٰ حُسْـنِ الـرِّضَـا ... فَقَـدِ ٱشْتَفَـىٰ مِنِّـي حَسُـوْدي
وَاقْبَـلْ وَصَـايَـا الله فـي ... حُسْـنِ الـرِّعَـايَـةِ لِلْعَبِيْـدِ

[٨٩٨]

هـذابُ بـنُ محمـد بـنِ الحسـن بـن عبـد الكـريـم بـن هـذّاب، أبو المفاخرِ الأسعَرديُّ الكاتبُ، المَعروفُ بابنِ العَالمةَ.

كان ذا أدب وكتابة وفضلٍ وشعرٍ.

أنشدني الشيخ الحافظ أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن عمروك البكري ـ من لفظه ـ بحلب بخانكاه القصر في ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني أبو المفاخر هذّاب بن محمد بن الحسن الكاتب الأسعردي لنفسه: [من السريع]

/ ١٦٠أ/ جَـوَاهِـرُ العَـالَـمِ مَكْنُـوْنَـةٌ يُبْـرِزُهَـا مِـنْ بَحْـرِهِ الغَـائِـصُ
وَالطَّيْـرُ لاَ يَحْظَـىٰ بِغِـرِّيْـدِهَـا فِـيْ النَّـاسِ إلاَّ الـرَّجُـلُ القَـانِـصُ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو المفاخر لنفسه يصف الشبَّابة: [من المتقارب]

وَسَـاجِعَـةٍ مِـنْ بَنَـاتِ النَّبَـاتِ لَهَـا نَغَـمٌ لَسْـتَ تَعْلَـمُ مَـاهِـيْ
مُصَـوِّتَـةٍ تَسْتَفِـزُّ العُقُـوْلَ وَلكِـنَّ أوْكَـارَهَـا فِـيْ الشِّفَـاهِ

[٨٩٩]

هُرَيرُ بن المُعَمَّر بن سنانَ بن غُفيلةَ بن شبانةَ؛ أحدُ بني قُديمةَ بنِ نباتةَ بنِ عامرِ بنَ ربيعةَ بنِ عقَيلٍ العُقَيْلِيّ.

أخبرني الصاحبُ الوزير شرف الدين أبو البركات المستوفي بإربل ـ من لفظه رحمه الله تعالىٰ ـ قال: كان بين هرير وبين عيسىٰ بن المُفدّىٰ صفاءٌ ومودّة لا يشوبُهُ ريب من مفاوضةٍ بالمال والأنفس. ثم ضرب الدَّهر ضربانَهُ، فاحتربوا لأمور بينهم ومنافساتٍ.

وكانوا علىٰ زمان صفائهم ووِدادهم، يقول هُرير الأشعار في عيسىٰ بن المفدّىٰ؛ وقتل يوم ثاج، قتله / ١٦٠ب/ عيسىٰ بن المفدّىٰ. وكان حَسبَهُ دارعًا فاعترضه وهو يطرد الخيل، فنظمه برمح علىٰ الفريضة، فبرز من الفريضة الأخرىٰ؛ فلمّا علم أنّه قد قتله أسف عليه أسفًا شديداً، وبلغ ذلك أخا هُرير مرغمًا فأقسم لا يأخُذُ عن كلّ طرفٍ

منه إلاَّ قتيلاً. ثم التقوا بعد ذلك بالجيش وكان قتل هُرير سنة ستٍّ أو سبع وستمائة. وكان من قبيلةَ قد بلغوا من العزّ والمنعة ما لم تبلغه قبيلة من قبائل العرب حتىٰ بلغوا أربعمائة فارس تركبُ الخيل.

ثم أنشد من شعر هرير هذا: [من الطويل]

أَقُــوْلُ وَقَــدْ حَنَّـتْ بِجُـوْدَةَ نَـاقَـتِـي ... وَلَـمْ يَـدْرِ وِرْدُ المـاءِ... مَـا حَنِيْنُهَـا
تَحِـنُّ عَلَـىٰ عِيْسَـىٰ وَقَـدْ شَطَّـتِ النَّـوَىٰ ... بِعِيْسَــىٰ وَبَيَـاتِ البَـوَادِيْ تَبِيْنُهَـا
فَيَـا لَيْـتَ عِيْسَـىٰ يَنْظُـرُ اليَـوْمَ أَوْ يَـرَىٰ ... دُمُــوْعَ امْـرِىءٍ بِـالمَـاءِ جَـادَ مَعِيْنُهَـا
مَضَـىٰ زَمَـنٌ عَيْنِـي تُعِيْـنُ عَلَـىٰ البُكَـا ... وَذَا العَـامَ عَـادَتْ تَبْتَغِـي مَـنْ يُعِيْنُهَـا

وأنشدني أيضًا من شعره يقول: [من الطويل]

/ ١٦١أ/ عَـزِيْـزٌ عَلَيْنَـا مِـنْ عُقَيْـلٍ ظَعَـائِنٌ ... غَـدَوْنَ مِـنَ الـدَّهْنَـا بِغَيْـرِ بُعُـوْلِ
جَـرَرْنَ ذُيُــوْلاً لِلْقَطِيْعَــةِ عِنْـدَنَـا ... عَلَـىٰ الغَـدْرِ لا عَـادَتْ لِجَـرٍّ ذُيُـوْلِ

[٩٠٠]

هُمامُ بنُ راجي الله بن سرايا بنِ أبي الفتوحِ ناصر المصريّ.

كانت ولادته في أوآخر سنة تسع وخمسين وخمسمائة[١].

---

(١) في هامش الأصل: «وفاته في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة». ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٨٢ وفيه: «همام بن راجي الله بن ناصر بن داود، أبو العزمات الفقيه الشافعي المصري». التكملة للمنذري ٣/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ رقم ٢٤٥٧. وفيه: «سألته عن مولده، فقال: في ذي القعدة أو ذي الحجة سنة تسع وخمسين وخمسمائة بـ (وَنَا) من صعيد مصر الأدنى». سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦١ رقم ٢٢٤. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٤١٧ ـ ٤١٨ رقم ٦٢٨، وفيه: «إمام الجامع الصالحي الذي بظاهر القاهرة وخطيبه هو وأولاده، قدم القاهرة، وقرأ العربية على العلامة ابن بَرّي، وارتحل إلى العراق فسمع بها من أبي سعد عبد الواحد بن علي بن حمويه، وعبد المنعم بن كليب، وتفقه على الإمامين المُجير محمود بن المبارك الواسطي، وأبي القاسم يحيى بن فضلان، وقرأ بمصر الأصول على أبي المنصور ظافر بن الحسين. وصنّف، ودرس، وأفتى، وقال الشعر الجيّد، وأمَّ بالجامع المذكور إلى حين وفاته، وله كتب في الأصول، والخلاف، والمذهب. روى عنه: المحب بن النجار، والزكي المنذري، والرفيع الأبرقوهي، وابنه أبو المعالي. توفي بالشارع بظاهر القاهرة». طبقات السبكي ٥/ ١٦٤ ـ ١٦٥ وفيه كنيته «أبي الغنائم». حسن المحاضرة ١/ ١٩٢. نهاية الأرب ٢٩/ ١٩١ ـ ١٩٢. طبقات الإسنوي ٢/ ١٤٥. ديوان الإسلام ٤/ ٣٤٧ رقم ٢١٤١. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ رقم ٣٩٥. الأعلام ٨/ ٩٣. معجم المؤلفين ١٣/ ١٥٢.

كان شاعراً فاضلاً، امتدح الملك الكامل ناصر الدين أبا المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب ـ صاحب الديار المصرية ـ.

أنشدني الشيخ الأمين العدل أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبي بحلب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني همام بن راجي الله لنفسه:

[من الطويل]

أَرَىٰ الدَّهْرَ فِي كُلِّ الأُمُورِ مُعَانِدِيْ ... وَمَا فِيهِ لِيْ عَيْبٌ وَلَا لِيْ لَهُ ذَنْبُ
إِذَا طَمَحَتْ نَفْسِيْ لِشَيْءٍ أَنَالُهُ ... فَإِنَّ الذَّلُولَ السَّهْلَ لِيْ مُرْتَقَىً صَعْبُ
إِلَىٰ كَمْ أُقَاسِيْ ضِيْقَ عَيْشِيْ وَمَكْسَبِيْ ... كَأَنَّ زَمَانِيْ قَدْ غَدَا وَهْوَ لِيْ حَرْبُ
وَقَدْ قَلَّ فِيْ الدُّنْيَا صَدِيْقٌ مُسَاعِدٌ ... إِذَا قَلَّ مَطْلُوبِيْ وَإِنْ أَعْضَلَ الخَطْبُ
وَمِنْ عَجَبِ الدُّنْيَا بِأَنِّيْ خَامِلٌ ... وَقَدْ ضَاقَ عَنْ عِلْمِيَ بِهَا الشَّرْقُ وَالغَرْبُ
/ ١٦١ب/ وَمِنْ نَكَدِ الأَيَّامِ أَنِّي إِمَامُهَا ... وَيَحْكُمُ فِيْ رِزْقِيْ وَفِيْ مُهْجَتِيْ كَلْبُ
وَأُمْنَعُ مِنْ حَقِّيْ وَيُوقَفُ رَاتِبِيْ ... وَلِيْ مَسْجِدٌ جَارِيهِ فِيْ وَقْفِهِ نَهْبُ
وَقَدْ حَارَ قُسٌّ فِيْ بُلُوغِ بَلَاغَتِيْ ... وَفِيْ وَصْفِ تَصْنِيْفِيْ وَتَابِعَهُ وَهْبُ
وَلَوْ كُنْتُ أَرْضَىٰ الشِّعْرَ عِنْدِيْ صِنَاعَةً ... لَمَا كَانَ مَذْكُوراً زُهَيْرٌ وَلَا كَعْبُ
وَمَا لِيَ مَرْكُوبٌ وَلَا لِيَ مُؤْنَةٌ ... وَلَا لِيَ مَلْبُوسٌ غَلِيظٌ وَلَا شُرْبُ
وَلَكِنَّمَا أَلْقَىٰ إِذَا مَا شَكَوْتُهُ ... إِلَىٰ الكَامِلِ السُّلْطَانِ لَمْ يَبْقَ لِيْ عَتْبُ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني همام لنفسه: [من الطويل]

وَكَيْفَ يَلَذُّ العَيْشُ فِيْ مِصْرَ سَاعَةً ... وَلَا حَظَّ لِيْ فِيْهَا وَلَسْتُ مُعَظَّمَا
وَأَغْيَظُ مَا لَاقَيْتُ فِيْهَا بِأَنَّنِيْ ... أَرَىٰ كُلَّ ذِيْ نَقْصٍ عَلَيَّ تَقَدَّمَا

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

دَعِ الفَضْلَ لَا تَعْبَأْ بِهِ فِيْ زَمَانِنَا ... فَإِنَّ كَمَالَ الفَضْلِ لِلْمَرْءِ عَائِبُ
يُقَدَّمُ فِيهِ الطَّرْدُ غَيْرَ مُلَائِمٍ ... وَيُطْرَدُ فِيهِ مُشْبِهٌ وَمُنَاسِبُ

وأنشدني، قال: أنشدني من شعره: [من الوافر]

قَلَوْنِيْ إِذْ نَشَأْتُ بِهِمْ وَحِيْداً ... وَمَا لِيْ فِيْ البَرِيَّةِ مَنْ يُوَازِيْ
فَدَعْ قَوْلَ المُخَرِّقِ وَاطَّرِحْهُ ... فَلَيْسَ بِلَا حَقِيْ ابْنُ خَطِيبِ رَازِيْ

أَذْئِبٌ لِلْسِّبَاعِ يَكُونُ قَرْنًا وَعُصْفُورٌ يَطِيرُ مَعَ البَوَازِيْ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

قَالُوا: نَرَاكَ قَلِيْلَ الحَظِّ فِيْ بَلَدٍ وَأَنْتَ بِالفَضْلِ مَعْنَاهُ وَنَاظِرُهُ

[٩٠١]

الهيثمُ بنُ جعفرٍ، أبو المتوكلِ الأشبيليُّ.

الأديبُ الفاضلُ الشاعر من المجيدين في علم الأدب ونظم الشعر بقطرِهِ، يفوق أهل زمانه؛ فضلاً وفهمًا وفصاحةً ورجاحة.

ومن شعره ما قاله علىٰ لسان غيره: [من البسيط]

بِأَرْضِ رَنَّةَ أَوْطَانِيْ وَأَوْطَارِيْ وَلِيْ هَوًى فِيْهُمُ عَارٌ مِنَ العَارِ
سَمِيُّ يَحْيَىٰ وَلَكِنْ فِيْ لَوَاحِظِهِ عَصَا الكَلِيْمِ فَمَاذَا صُنْعُ سَحَّارِ

وقوله وهو أوَّل شعر قاله في المكتب: [من الخفيف]

/١٦٢ب/ هَلْ تَبَدَّىٰ فِيْ النَّاسِ وَجْدٌ كَوَجْدِيْ بِهِلَالِ المِلَاحِ يَحْيَى بنِ رُشْدِ
لَاحَ عُذْرِيْ لِلَّاهِيْ للهِ مَا بِيْ مِنْ غَزَالٍ يَشُبُّ وَجْدًا بِوَجْدِ
بَدْرُ تَمٍّ بَدَا، فَقُلْتُ: تَعَالَىٰ جَلَّ رَبٌّ أَهْدَاكَ يَا بَدْرَ سَعْدِ

أراد بقوله «اللاهي» من اللهو.

/ ١٦٣أ/

حرف الـواو

[٩٠٢]

وثَّابُ بنُ أبي الثريّا بنِ عبدِ الرحمنِ الأزديُّ المالكيُّ.

من أهل ديار مصر.

كانت ولادته في سنة خمسٍ وستين وخمسمائة بالقاهرة المعزيّة.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبيّ بحلب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني وثاب بن أبي الثريا بن عبد الرحمن الأزدي لنفسه: [من الخفيف]

يَـا ديَـارَ الأَحْبَـاب مِـنْ أَرْض نجْـد ... إسْـألـيْ سَـاكنيْـك لـمْ زَادَ وَجْـديْ
أَلـرِيْـحِ وَجَـدْتُهَـا مِـنْ حَبِيْبِـيْ ... أَمْ لِقُـرْب الـدِّيَـار مِـنْ بَعْـد بُعْـد

[٩٠٣]

وَزيرُ الجَبَليُّ.

رأيتُ من شعره هذه القصيدة يمدح بها بدر الدين أيدمر الوالي الحلبي، ويهنئه بأخذ اللاذقية: [من الكامل]

زَهَـت البـلادُ وَأشْـرَقَـتْ أنْـوَارُهَـا ... وَتَـرَنَّمَـتْ بسُـرُوْرهَـا أطْيَـارُهَـا
وَالأَرْضُ مُشْـرِقَـةٌ بنَبْـع نَبَـاتهَـا ... قَـدْ فُتِّحـتْ بـريَـاضهَـا أزْهَـارُهَـا
/ ١٦٣ب/ وَكَـذَا الرَّعَـايَـا أصْبَحَتْ فيْ نعْمَـة ... مِـنْ حَيْـثُ قَـدْ رَخُصَـتْ لَهَـا أسْعَـارُهَـا
لمَّـا قَـدمْـتَ وَكَـانَ سَعْـدُكَ قَـادمَـاً ... يَـا مَـالـكَ الـدُّنْيَـا وَيَـا جَبَّـارَهَـا
يَـا مَـالـكَ التُّـرْك الَّـذي سَجَـدَتْ لَـهُ ... كُـلُّ المُلُـوْك كبَـارُهَـا وَصغَـارُهَـا
وَلعُظْـم هَيْبَتِـكَ الجبَـالُ تَـزَعْـزَعَـتْ ... والْكُفْـرُ منْـكَ تَهَـدَّمَـتْ أَعْمَـارُهَـا
كَـمْ بِـالمَـريقـبِ مِـنْ جَـوَارٍ خُـرَّدٍ ... هَلَكَـتْ غَـدَاةَ قَصَـدْتَهُـمْ نُصَّـارُهَـا

وهي قصيدة أطولُ من هذه، ومن حقّها أنْ تطرّح ولا يثبت منها شيء لرداءة ألفاظها وسخافتها.

[٩٠٤]

وسوانُ بنُ منصور بن وسوانَ بن ملكيشوا بن قحطانَ، أبو يعقوبَ الكرديُّ الهذبانيُّ، المعروفُ بالَمثقف[١].

من أهل إربل.

كان جنديًا في خدمة الأمير زين الدين أبي منصور يوسف بن علي بن بكتكين ـ صاحب إربل ـ ثم فارق خدمتَهُ وتوجَّه إلىٰ البلاد الشامية، ولحق الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ / ١٦٤أ/ فخدم مع أخيه الملك العادل أبي بكر.

ثم خدم الملك الأوحد نجم الدين أبا الفتح أيوب، وسار معه إلىٰ خلاَط، وتوفي الملك الأوحد سنة تسع وستمائة، وبقي بعده. وخُبِّرتُ أنَّه قُتل بتُنَيْنير[٢] قتَله مماليكه في سنة ثلاث عشرة وستمائة وأخذوا وقتلوا.

وكان فارسًا شُجاعًا مقدامًا شاعراً أكثر أشعاره في الحروب والشجاعة والإقدام.

وقد ذكره العماد أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهانيّ في كتابه ذيل الخريدة، وقال: لقيتُ أبا يعقوب بمصر سنة ستٍّ وسبعين وخمسمائة؛ وهو شابٌّ جنديّ. . . خاطره هنديٌّ. هذا آخر كلامه.

أنشدني الأمير أبو العباس أحمد بن الخضر بن سلاَّر الكردي الهذباني الإربلي بها ـ من لفظه وحفظه ـ قال: أنشدني أبو يعقوب وسوان بن منصور بن وسوان بن ملَكيشوا بن قحطان الكردي الهذباني الإربلي لنفسه: [من الوافر]

/ ١٦٤ب/ سَلِي عَنِّي الصَّوَارِمَ وَالرِّمَاحَا ... وَخَيْلاً تَسْبِقُ الهُوْجَ الرِّيَاحَا
وَأُسْداً خِيسُهَا سُمْرُ العَوَالِي ... إِذَا مَا الأُسْدُ حَاوَلَتِ الكِفَاحَا
فَإِنِّي ثَابِتٌ عَقْلاً وَلُبّاً ... إِذَا مَا صَائِحٌ فِي الحَرْبِ صَاحَا

---

(١) ورد ذكره في تاريخ إربل ١/ ٧٢.
(٢) تنينير: اسم بلدتين من أعمال الخابور عليا وسفلى. انظر: معجم البلدان/ مادة (تنينير).

وَأُورِدُ مُهْجَتِي لُجَجَ المَنَايَا ... إذَا مَاجَتْ وَلَمْ أَخَفِ الجِرَاحَا
وَكَمْ لَيْلٍ سَهِرْتُ وَبِتُّ فِيهِ ... أُرَاعِي النَّجْمَ أَرْتَقِبُ الصَّبَاحَا
وَكَمْ فِي فَدْفَدٍ فَرَسِي وَنِضْوِي ... بِقَائِلَةِ الهَجِيرِ غَدَا وَرَاحَا
لِعَيْنِكَ فِي العَجَاجَةِ مَا أُلَاقِي ... وَأَثْبُتُ فِي الكَرِيهَةِ لَا بَرَاحَا
فَلَوْ عَايَنْتَنِي عَايَنْتَ كَبْشًا ... وَلَمْ تُطِقِ الكِبَاشُ لَهُ نِطَاحَا
يَدُقُّ السَّمْهَرِيَّةَ فِي صُدُورٍ ... وَلَا يَثْنِي لَهَا قَدَمًا وَرَاحَا
فَدَيْتُكَ أَنْتَ لَا خَوْدٌ رَدَاحٌ ... سَبَتْ بِجَمَالِهَا الخَوْدَ الرَّدَاحَا
فَدَيْتُكَ لَا تَظُنِّي أَنَّ قَلْبِي ... تَسَلَّى عَنْكَ يَوْمًا وَاسْتَرَاحَا
وَلَا يَصْبُو لِغَيْرِكَ حِينَ هَبَّتْ ... صَبَا نَجْدٍ وَنَشْرُ الرَّنْدِ فَاحَا
إذَا مَا الشَّمْسُ مِنْ شَرْقٍ تَبَدَّتْ ... كَوَجْهِكَ لِي وَبَدْرُ التَّمِّ لَاحَا

وقال أيضًا: [من البسيط]

/ ١٦٥أ/ لَوْلَا الوُشَاةُ وَلَوْلَا كَثْرَةُ الرُّقَبَا ... لَزُرْتُكُمْ كُلَّمَا هَبَّتْ نَسِيمُ صَبَا
وَكُنْتُ أَقْضِي بِكُمْ مِنْ قَبْلِ مُؤْلِمَةٍ ... تُلِمُّ بِي بَعْدَ بُعْدِي عَنْكُمُ أَرَبَا
مَا كُنْتُ أَعْهَدُ مِنْكُمْ ذَا الجَفَاءَ وَقَدْ ... جَفَوْتُمُونِي وَلَمْ أَعْرِفْ لِذَا سَبَبَا

وقال من قصيدة طويلة في تاج الملوك أبي سعيد بوري بن أيوب بن شاذي:

[من البسيط]

بَدْرٌ مِنَ التُّرْكِ بَدْرُ التَّمِّ يَعْشَقُهُ ... وَكُلَّمَا تَمَّ حُسْنًا فَهْوَ مَاحِقُهُ
مِنْ قَوْسِهِ يَوْمَ حَرْبٍ قَوْسُ حَاجِبِهِ ... وَهُدْبُ أَجْفَانِهِ المَرْضَى يُغَالِقُهُ
يَصِيدُ كُلَّ هِزَبْرٍ وَهْوَ رَامِقُهُ ... بِعَيْنِهِ وَهْوَ مَا بِالعَيْنِ رَامِقُهُ
الوَرْدُ مِنْ خَدِّهِ وَالدُّرُّ مِنْ فَمِهِ ... وَالخَمْرُ مِنْ رِيقِهِ المَعْسُولِ رَائِقُهُ
عِذَارُهُ تَمَّ عُذْرِي فِيهِ حِينَ بَدَا ... بَنَفْسَجًا تَحْتَهُ تُزْهَى شَقَائِقُهُ
قَوَامُهُ كَقَوَامِ الرُّمْحِ مُعْتَدِلٌ ... يَقُومُ مُعْتَدِلًا شَيْخٌ يُعَانِقُهُ
أَنَا المُعَنَّى بِهِ فِي الوُدِّ صَادِقُهُ ... وَأَيْنَ مِثْلِي مَنْ فِي الوُدِّ صَادِقُهُ
العِزُّ عِنْدِيَ مِنْ يَوْمٍ أُوَاصِلُهُ ... وَالذُّلُّ عِنْدِيَ مِنْ يَوْمٍ أُفَارِقُهُ
/ ١٦٥ب/ يَلْقَى عَدُوُّ ابْنِ أَيُّوبٍ وَحَاسِدُهُ ... مِنْ بَأْسِهِ مِثْلَ مَا يَلْقَاهُ عَاشِقُهُ

وله ما قاله علىٰ لسان سكين : [من مخلع البسيط]

يَا حَامِلِي أَنْتَ فِي أَمَانٍ مِنْ نَكَدِ الدَّهْرِ وَالأَعَادِي
إِلَّا مِنَ الحُبِّ فَهْوَ أَمْضَىٰ مِنِّي إِذَا حَلَّ فِي الفُؤَادِ

ومما قاله علىٰ لسان مروحة : [من المتقارب]

نَسِيمِي دَوَاءٌ لِكَرْبِ الفَتَىٰ وداءُ الهَوَىٰ مَا لَهُ مِنْ دَوَاءِ
لَهُ فِي التَّرَوُّحِ بِي رَاحَةٌ وَكَيْفَ يُدَاوَىٰ الهَوَىٰ بِالهَوَاءِ

وقال من قصيدة : [من الطويل]

وَأَمْسَىٰ بَيَاضُ العِزِّ بِالذُّلِّ أَسْوَداً وَأَصْبَحَ ضَوْءُ الصُّبْحِ كَاللَّيْلِ مُظْلِمَا

قال العماد أبو حامد محمد بن محمد الكاتب الأصبهاني، قد حافظ في هذا البيت علىٰ خمس مُطابقات.

فَأَيُّ قُلُوبٍ تَأْمَنُ الخَوْفَ بَعْدَهُ وَأَيُّ عُيُونٍ بَعْدَهُ تَأْمَنُ العَمَىٰ

وقال أيضًا : [من المتقارب]

/ ١٦٦أ/ إِذَا المَرْءُ ضَاقَ بِهِ ذَرْعُهُ وَسُدَّتْ لَدَيْهِ وُجُوهُ الطَّلَبْ
وعَزَّ المُسَاعِدُ فِي دَهْرِهِ فَلَا ذُو إِخَاءٍ وَلَا ذُو نَسَبْ
وَأَصْبَحَ مِنْ فَرَجٍ آيِسًا وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ حُلُولِ العَطَبْ
أَتَاهُ القَضَاءُ بِلُطْفِ الإِلٰهِ فَفَرَّجَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبْ

وقال أيضًا : [من المديد]

كُنْ بِلُطْفِ اللهِ ذَا ثِقَةٍ وَارْضَ بِالجَارِي مِنَ القَسَمِ
وَاصْطَبِرْ لِلأَمْرِ تَكْرَهُهُ فَلَعَلَّ البُرْءَ فِي السَّقَمِ

وله في الصبر : [من المجتث]

إِصْبِرْ إِذَا اشْتَدَّ أَمْرٌ فَالصَّبْرُ لَا شَكَّ مُرُّ
وَدَارِ دَهْرَكَ مَادَا مَتِ اللَّيَالِي تَمُرُّ
فَرُبَّمَا سَاءَ لَيْلٌ فِي صُبْحِهِ مَا يَسُرُّ

وقوله فيه أيضًا: [من الوافر]

تَلَــقَّ الحَــادِثَــاتِ بِحُسْــنِ صَبْــرٍ ... وَلاَ تَجْــزَعْ لِحَــادِثَــةِ الخُطُــوْبِ
فَكَــمْ للهِ مِــنْ لُطْــفٍ خَفِــيٍّ ... يَجِــيءُ بِعَــاجِــلِ الفَــرَجِ القَــرِيْــبِ

/ ١٦٦ب/ وقال أيضًا: [من الخفيف]

قَــالَ فِــيْ الثَّعْلَــبِ الحَكِيْــمُ مَقَــالاً ... صَــدَّقَتْــهُ العُقُــوْلُ وَالأَلْبَــابُ
أَنَــا أَعْــدَىٰ مِــنَ الكِــلاَبِ وَلٰكِــنْ ... خَيْــرُ مَــالِــيْ أَنْ لاَ تَــرَانِــيْ الكِــلاَبُ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

دَعُــوْهُ يُخَــرِّقُ أَثْــوَابَــهُ ... وَيَبْكِــيْ وَيَنْــدُبُ أَحْبَــابَــهُ
وَقَــدْ ضَــرَبَ الشَّــوْقُ فِــيْ قَلْبِــهِ ... خِيَــامــاً وَقَــدْ مَــدَّ أَطْنَــابَــهُ
وَأَقْبَــلَ يَطْلُــبُ وَصْــلَ الحَبِيْــبِ ... فَصَــدَّ وَأَغْلَــقَ أَبْــوَابَــهُ

وقوله في الزهد: [من الوافر]

إِلَهِــيْ إِنْ تُــؤَاخِــذْنِــيْ بِعَــدْلٍ ... وَإِنْ تَغْفِــرْ إِسَــاَتِــيْ فَفَضْــلُ
فَــإِنْ أَكُ لِلْــرِضَــا يَــا رَبِّ أَهْــلاً ... وَإِلاَّ أَنْــتَ لِــلإِحْسَــانِ أَهْــلُ

وقال في مثله: [من الوافر]

إِلَهِــيْ أَثْقَلَــتْ ظَهْــرِيْ ذُنُــوْبِــيْ ... وَهَــا أَنَــا قَــدْ مَــلأَتُ بِهَــا كِتَــابِــيْ
وَمَــا عُــذْرِيْ إِلَيْــكَ سِــوَىٰ أتِّكَــالِــيْ ... عَلَيْــكَ وَأَنْــتَ حَسْبِــيْ فِــيْ حِسَــابِــيْ

وقوله فيه: [من الوافر]

/ ١٦٧أ/ إِلَهِي لَيْسَ لِيْ فِيْ الحَشْرِ ذُخْرٌ ... أَفُــوْزُ بِــهِ سِــوَىٰ الظَّــنِّ الجَمِيْــلِ
عَجَــزْتُ عَــنِ المَــرَاكِــبِ إِذْ أَرَدْتُــا ... لِـعُبُــوْرَ فَجِئْــتُ فِــيْ سُفُــنِ السَّبِيْــلِ

وقال أيضًا: [من الرمل]

كَيْــفَ آنَسْــتَ البُــرِيْــقَ المُــوْمِضَــا ... أَتُــرَاهُ عَــنَّ مِــنْ نَحْــوِ الغَضَــا(١)
لاَحَ كَــالهِنْــدِيِّ طَــوْراً مُغْمَــداً ... بِيَــدِ القَيْــنِ وَطَــوْراً مُنْتَضَــىٰ
يَــا أُثَيْــلاَتِ اللِّــوَىٰ كَــمْ عَبْــرَةٍ ... مَــرَّ فِــيْ وَادِيْــكِ حَتَّــىٰ رُوِّضَــا

---

(١) البريق: موضع.

خَبِّـرِي هَـلْ طِيْـبُ أَيَّـامِـكِ لِـيْ عَـائِـدٌ أَمْ فَـائِـتٌ مَـا قَـدْ مَضَـى
وَغَـزَالٍ صَـادَ قَلْبِـي بِـالحِمَـى وَحَمَـى عَـنْ مُقْلَتِـيَّ الغُمُضَـا
أَمْـرَضَـتْ أَجْفَـانُـهُ إِذَا مَـرِضَـتْ بِـأَبِـيْ الجَفْـنَ المَـرِيْـضَ المُمْـرِضَـا
كُلَّمَـا سَـدَّدَ سَهْمَـا لَحْظُـهُ نَصَـبَ الحـبُّ فُـؤَادِيْ غَـرَضَـا
مَـا عَلَيْـهِ فِـيْ الهَـوَى لَـوْ أَنَّـهُ قَبْـلَ أَنْ يُـرْسِـلَ سَهْمًـا إِنْتَضَـى
مَـنْ مُجِيْـرِي مِـنْ تَجَنِّيْـهِ وَقَـدْ جَـارَ فِـيْ حُكْـمِ الهَـوَى لَمَّـا قَضَـى

وقال في الشمعة: [من السريع]

وَشَمْعَـةٍ تَبْكِـي عَلَـى نَفْسِهَـا بِـأَدْمُـعٍ مِـنْ نَفْسِهَـا تَجْـرِي
/ ١٦٧ب/ تَنْفَـعُ بِـالنُّـوْرِ وَلَكِنَّهَـا فِـيْ نَفْعِهَـا لِلْخَلْـقِ فِـيْ ضُـرٍّ
كَـمَـوْدُوْدَةٍ لِلْقَـزِّ تَبْنِـي وَلَا تَبْقَـى وَتَنْضَـرُّ وَلَا تَـدْرِي

وقوله في البرد: [من الطويل]

وَعَـذْرَاءَ مِـنْ غُـرِّ السَّحَـائِـبِ أَقْبَلَـتْ مُعَـارِضَـةً ثُـمَّ اسْتَهَلَّـتْ عَـزَالِيْهَـا
فَـأَلْقَـتْ عَلَـى الأَرْضِيْـنَ فَـذًّا وَتَـوْأَمًـا مِـنَ الـدُّرِّ بَـادِيْهَـا سَـوَاءٌ وَتَـالِيْهَـا
كَغَيْـرَانَـةٍ حَطَّـتْ خِمَـاراً وَقَطَّعَـتْ لِفَـرْطِ تَجَنِّيْهَـا سُمُـوْطَ لآلِيْهَـا

وقال أيضًا: [من الوافر]

إِذَا مَـا اشْتَـدَّ مَكْـرُوْهٌ بِعَبْـدٍ فَثَـمَّ يَكُـوْنُ إِدْرَاكُ النَّجَـاحِ
كَـذَاكَ اللَّيْـلُ أَظْلَـمُ مَـا تَـرَاهُ إِذَا مَـا حَـانَ إِقْبَـالُ الصَّبَـاحِ

وقوله في الزهد: [من البسيط]

مَـالِـي سَكَنْـتُ إِلَـى الـدُّنْيَـا وَزِيْنَتِهَـا وَقَـدْ عَلِمْـتُ يَقِيْنـاً أَنَّهَـا نُغَـصُ
وُعُـوْدُهَـا كَـذِبٌ وَجِـدُّهَـا لَعِـبٌ وَرَوْحُهَـا نَصَـبٌ وَعَـذْبُهَـا نُغُـصُ
كَيْـفَ التَّخَلُّـصُ مِـنْ أَشْـرَاكِ زِيْنَتِهَـا وَالحِـرْصُ يَـزْدَادُ بِـيْ وَالعُمْـرُ يُنْتَقَـصُ

وقال أيضًا / ١٦٨أ/ يمدح الملك المنصور ناصر الدين أبا المعالي محمد بن عمر بن شهنشاه بن أيوب صاحب حماة ـ: [من البسيط]

كَـمْ يَسْتُـرُ الصَّـبُّ مَـاذَا الـدَّمْـعُ يُظْهِـرُهُ وَذِيْ الصَّبَـابَـةِ تَطْـوِيْـهِ وَتَنْشُـرُهُ
وَالحُـبُّ أَطْيَبُـهُ مَـا بَـاحَ صَـاحِبُـهُ بِمَـا يُكَتِّـمُ وَالمَحْبُـوْبُ يَهْجِـرُهُ

وَفِيْ الْبُكَاءِ شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْ قَلَقٍ … إِذَا شَفَىٰ النَّفْسَ مِنْ دَمْعٍ يُحَدِّرُهُ
يَا لَلْبُدُوْرِ مِنَ الْبَدْرِ الَّذِيْ نَظَرَتْ … نَوَاظِرُ السِّحْرِ صَبًّا بَاتَ يَسْحَرُهُ
مُتَيَّمًا ظَلَّ يَمْشِيْ فِيْ ضَلاَلَتِهِ … بَعْدَ الْهُدَىٰ فِيْ هَوَىً مَنْ لَيْسَ يَعْذِرُهُ
يَشْكُوْ إِلَىٰ قَمَرِ الظَّلْمَاءِ مِنْ قَمَرٍ … فُؤَادُهُ لَمْ يَزَلْ بِاللَّحْظِ يَقْمِرُهُ
سَقِيْمِ خَصْرٍ حَوَىٰ جِسْمِيَ السَّقَامَ بِهِ … وَقَدْ حَوَىٰ الْقَلْبُ مَا يَحْوِيْهِ مِئْزَرُهُ
وَبَيَّضَ الْعَيْنَ مِنْ عَيْنَيْهِ أَسْوَدُهَا … وَصَفَّرَ الْخَدَّ مِنْ خَدَّيْهِ أَحْمَرُهُ
فَوَجْهُهُ مِثْلُ صُبْحٍ بِتُّ أَرْقُبُهُ … وَشَعْرُهُ مِثْلُ لَيْلٍ بِتُّ أَسْهَرُهُ
أَهْوَىٰ رِضَاهُ وَيَهْوَىٰ السَّخْطَ لِيْ وَأَنَا … فِيْ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ يَنْسَانِيْ وَأَذْكُرُهُ
وَكَيْفَ يُخْذَلُ يَوْمًا جَيْشُ مُصْطَبَرِيْ … بِالصَّدِّ وَالْمَلِكُ الْمَنْصُوْرُ يَنْصُرُهُ
/ ١٦٨ب/ وَنَاصِرُ الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا فَتَىٰ عُمَرٍ … مُحَمَّدٌ لِصُرُوْفِ الدَّهْرِ أَذْخَرُهُ
الْوَاهِبُ الْمَلْكَ مُلْكًا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ … وَالْغَالِبُ الْمَلِكَ الْقَهَّارَ يَقْهَرُهُ
وَكَاسِرٌ عَسْكَرَ الإِفْرَنْجِ يَوْمَ وَغًى … وَجَابِرٌ عَسْكَرَ الإِسْلاَمِ عَسْكَرُهُ
أَهْلَ الشِّامِ إِذَا مَا غَاضَ نَهْرُكُمُ … فَكَفُّهُ أَبَداً تَزْدَادُ أَنْهُرُهُ
وَهْوَ الَّذِيْ أَيُّ أَرْضٍ حَلَّهَا فَبِهَا … أَيَّامُهُ الْغُرُّ أَعْيَادٌ وَأَشْهُرُهُ
عِشْنَا بِهِ بَعْدَ مَوْتٍ كَانَ نَازَلَنَا … وَالْيَوْمَ مَكْسُوْرُنَا بِالْجُوْدِ يَجْبُرُهُ
وَصَارَ بَعْدَ كَسَادِ الشِّعْرِ مِنْهُ لَنَا … سُوْقٌ وَصَارَ عَلَىٰ الْغَالِيْ تَخَيُّرُهُ
مَنْ كَانَ قَيْسٌ وَمَنْ قُسٌّ وَمَنْ هَرِمٌ … مَنْ حَاتِمُ الْجُوْدِ مَنْ فِيْ الرَّوْعِ عَنْتَرُهُ
دَعْ ذِكْرَ مَنْ مَا رَأَيْنَاهُمْ بِأَعْيُنِنَا … هُمْ سَمَاعٌ وَهَذَا الْيَوْمَ نَنْظُرُهُ
وَكُلُّ عِلْمٍ جَلِيْلٍ فَهْوَ يَعْلَمُهُ … وَكُلُّ خُبْرٍ دَقِيْقٍ فَهْوَ يَخْبُرُهُ
وَكُلُّ مَنْ جَدَّ فِيْ أَمْرٍ يُعَانِدُهُ … بِجِدِّهِ وَهْوَ عَالِيْ الْجَدِّ يَعْقِرُهُ
كَمْ جَامِعٍ جَامِعٌ فِيْهِ الْخَطِيْبُ لَهُ … وَكَمْ سَمَا بِاسْمِهِ الْمَشْهُوْرِ مِنْبَرُهُ
أَضْحَتْ حَمَاةُ بِهِ مِثْلَ السَّمَاءِ سَمَتْ … وَسُوْرُهَا لاَ أَرَىٰ قَصْراً مُسَوِّرُهُ
وَالشَّمْسُ مِنْ وَجْهِهِ لِلشَّمْسِ تُخْجِلُهَا … وَالْبَدْرُ مِنْ وَجْهِهِ لِلْبَدْرِ يَبْهَرُهُ
/ ١٦٩أ/ بَحْرٌ مُحِيْطٌ لِمَنْ نَاوَاهُ مُهْلِكُهُ … مِنَ الأَنَامِ وَمِنْ صَافَاهُ جَوْهَرُهُ
مَاضِيْ الْعَزِيْمَةِ لاَ عَزْمٌ يُقَلْقِلُهُ … صَافِيْ السَّرِيْرَةِ لاَ غِشٌّ يُكَدِّرُهُ
إِذَا بَدَا مُقْبِلاً فِيْ الدِّرْعِ تَحْسَبُهُ … صُبْحًا بَدَا يَهْزِمُ الظَّلْمَاءَ مُسْفِرُهُ

يَخُوضُ مَوْجَ بِحَارِ المَوْتِ جَحْفَلُهُ وَجَحْفَلُ المَوْتِ لاَ تَنْخَاضُ أَبْحُرُهُ
وَيُورِدُ الخَيْلَ مَا تَهْوَىٰ وَيُصْدِرُهَا وَتُورِدُ الخَيْلُ مَا تَهْوَىٰ وَتُصْدِرُهُ
وَالخَيْرُ يُوجِدُهُ والشَّرُ يُعْدِمُهُ وَالجَوْرُ يَدْحَضُهُ وَالعَدْلُ يَنْشُرُهُ[1]

/ ١٦٩ب/[2].

(١) بعد هذا بياض بمقدار ثمانية أسطر تتلوها صفحة فارغة.
(٢) هذه الصفحة بياض في الأصل.

/١٧٠أ/

حرف اليـاء

ذكر من اسمه ياقوت

[٩٠٥]

ياقُوتُ بنُ عبدِ الله، أبو عبدِ الله، الروميُّ الأصلِ، البغداديُّ المنشأ، الحمويُّ المَولد(١).

أخبر عن نفسه بما ذكر في كتابه «معجم الأُدباء» ما هذا معناهُ ولفظهُ: أَنَّه حُمل إلىٰ مدينة السلام طفلاً عُمُرُهُ خمس سنين أو ستّ، وملكه رجل تاجر من حماة، يُعرف بعسكر بن أبي نصر بن إبراهيم الحموي. ونشأ في حجره وعلَّمه الكتابة واتخذه مأخذ الولد؛ إلاَّ أنَّه كان قليل الرَغبة في العلم أُميًا لا يعرف الخطَّ ولا شيئًا من العلوم. وكانت همته في طلبَ المعاش والدنيا، فعلَّمه الخطَّ وظهر منه شفقةٌ عليه، وحبَّبَ العلم إليه مُنذ كان في المكتب؛ فما يعلم أنَّه مُنذ كان عمرُه سبع سنين إلىٰ أن توفي ما خلت يده من كتاب يستفيد منه أو يُطالعُهُ، أو يكتب منه شيئًا أو ينسخُهُ.

ثم سافر في بضائع مولاه برّاً وبحراً إلىٰ كيش أربع مرات، وإلىٰ /١٧٠ب/ مصر عدَّة مرار، وإلىٰ دمشق نوبًا لا تحصىٰ، إذ كان في حكم مولاهُ وبَعده. وغاضب مولاه

---

(١) ترجمته في: تأريخ إربل ١/٣١٩ ـ ٣٢٤ رقم ٢٢٣. العبر ٥/١٠٦. مرآة الجنان ٤/٥٩ ـ ٦٣. لسان الميزان ٦/٢٣٩. شذرات الذهب ٥/١٢١ ـ ١٢٢. الجامع المختصر لابن الساعي ٩/٣٠٧. التكملة للمنذري ٣/٢٤٩ ـ ٢٥٠ رقم ٢٢٥٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٢٦٦ ـ ٢٧٠ رقم ٣٨٠. سير أعلام النبلاء ٢٢/٣١٢ ـ ٣١٣ رقم ١٨٨. العبر ٥/١٠٦ ـ ١٠٧. النجوم الزاهرة ٦/١٨٧. إنباه الرواة ٤/٧٤ ـ ٩٢ رقم ٨٤٠. العسجد المسبوك ٢/٤٣٩. المستفاد من ذيل تأريخ بغداد ٢٥٣ ـ ٢٥٤ رقم ١٩٦. الفلاكة والمفكوكين للدلجي ٩٢ ـ ٩٣. ديوان الإسلام ٤/٣٨٧ ـ ٣٨٨ رقم ٢١٩٣. معجم المؤلفين ١٣/١٨٧. كشف الظنون ٦٤. هدية العارفين ٢/٥١٣. الأعلام ٨/١٣١. وفيات الأعيان ٦/١٢٧ ـ ١٤٣. تكملة بروكلمان ١/٨٨٠. تأريخ الأدب الجغرافي لكراتشكوفسكي ١/٣٣٥. أعلام التأريخ والجغرافيا عند العرب للدكتور صلاح الدين المنجد ١/٦١ وما بعدها. مقدمة الجزء الخامس من معجم البلدان ـ طبعة وستنفيلد. مقدمة معجم الشعراء في معجم البلدان لكامل سلمان الجبوري.

في سنة ست وتسعين وخمسمائة وأعتقه. فكانت حرفته النسخ، فكتب بيده في مدَّة سبع سنين ثلاثمائة مجلد.

ثم عاود صلح مولاه، وسافر إلىٰ أن [توفي] مولاه في سنة ستٍّ وستمائة. وانفرد بنفسه وسافر إلىٰ بلاد خراسان؛ ثم رجع إلىٰ ديار مصر والشام، ولقي مشايخها وعُلماءَها، وشاهد أدباءَها وفضلاءَها، وجالس صدورها وكبراءَها، وأخذ عنهم الآداب الكثيرة، واستفاد منهم الفوائد الغزيرة.

ثم نزل حلب وسكنها إلىٰ أنْ توفي بها في العشرين من شهر رمضان سنة ستٍّ وعشرين وستمائة. وكان مولده ـ فيما ذكره ـ سنة أربع أو خمسٍ وسبعين وخمسمائة لا زيادة علىٰ ذلك.

وألَّف كتبًا منها؛ كتاب «مُعجم البُلدان» أجاد تأليفَهُ، وكتاب «مُعجم أئمة الأدب» لم يقصّر في جمعه، وكتاب «مُعجم الشعراء»، وكتاب «ضَرورات الشعر»، وكتاب / ١٧١أ/ «مختصر تاريخ بغداد» لأبي بكر الخطيب البغدادي، وكتاب «منتخب كتاب الأغاني»، وكتاب في «النسب»، وكتاب «الأبنية»، وكتاب «مختصر مُعجم البلدان» علىٰ غير ذلك الترتيب الذي رتبه، وإلىٰ غير ذلك من التأليفات.

وكان ضنينًا بما يجمعُهُ لا يُحبّ إطلاع أحد علىٰ ما يُؤلّف، شديد الحرص عليه، لا يفيدُ لمخلوق فائدة البتَّة. وكان ربَّما سُئَل عن شيءٍ وهو به عارف لم يجب عنه شُحًّا وجفاءَ طبعٍ هكذا كانت شيمته مع الناس. وخلَّف كتبًا وأوصىٰ أنْ توقف ببغداد بدرب دينار بمسجد الشريف الزيدي.

شاهدتُهُ بالموصل؛ وهو كهل أشقرُ أحمرُ اللون، أزرق العينين. وكانت بينه وبين أخي صداقة وأنس تام، واقتضيته شيئًا من شعره، فأجاب إلىٰ ذلك وجعل يُماطلُني ويعدُني هكذا مُدَّةً من الزمان. ثم سافر إلىٰ بلاد الشام، فما عُدتُ رأيتُه بعد ذلك.

أنشدني الصاحب الوزير / ١٧١ب/ شرف الدين أبو البركات المستوفي الإربلي بها ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني أبو عبد الله ياقوت لنفسه في غلام يرمي بالنشاب: [من الطويل]

وَظَبْـيٍ لَـهُ خَصْـرٌ كَصَبْـرِي نَحَـافَـةً ... وَرِدْفٌ كَـوَجْـدِي فِـي مَحَبَّتِـهِ عُظْمَـا
إِذَا مَـا رَمَـىٰ العُشَّـاقَ عَـنْ قَـوْسِ حَـاجِبٍ ... بِـأَلْـفِ رَمَـىٰ القِـرْطَـاسَ عَـنْ قَـوْسِـهِ سَهْمَا
يَحِـنُّ إِلَيْـهِ القَـوْسُ فِـي حَـالِ نَـزْعِـهِ ... وَيَنْـزِعُ مِـنْ هَـوْلِ الفِـرَاقِ إِذَا يُـرْمَـىٰ

وأنشدني، قال: أنشدني ياقوت لنفسه: [من المتقارب]

وَظَبْـيٍ مِـنَ التُّـرْكِ ذِي نَخْـوَةٍ ... عَلَـىٰ الصَّـبِّ يَعْجِـزُ عَنْهَـا الأَسَـدْ
إِذَا رُمْـتَ مِنْـهُ وِصَـالاً أَبَـىٰ ... وَصَـالَ بِجَيْـشٍ قَـوِيِّ العُـدَدْ
بِسَيْـفِ اللِّحَـاظِ وَرُمْـحِ القَـوَامِ ... وَلَمْـعِ الخُـدُودِ وَلُبْـسِ الـزَّرَدْ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه، وكتب به إِلىٰ بعض الأكابر وقد دخل إليه مرَّة، وأراد الإستئذان عليه ثانيًا: [من السريع]

/ ١٧٢أ/ العَيْـنُ مِنِّـي لَـمْ تَـزَلْ فِـي أَذًى ... مِـنْ نَظَـرِي لِلْهَمَـلِ المَـاشِيَـهْ
وَأَجْمَـعَ النَّـاسُ عَلَـىٰ أَنَّهَـا ... إِذَا رَأَتْكُـمْ رَأَتِ العَـافِيَـهْ
بِـالنَّظْـرَةِ الأُوْلَىٰ انْجَلَـىٰ دَاؤُهَـا ... فَلْتَجْلُهَـا نَظْـرَتُـكَ الثَّـانِيَـهْ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه ما كتبه إِلىٰ صديق له: [من البسيط]

اللهُ بَيْنِـي وَبَيْـنَ البَيْـنِ كَـمْ رَشَقَـتْ ... صُـرُوفُـهُ بِسِهَـامِ البَيْـنِ إِحْسَـانِـي
إِنْ جَـاءَ بِـالقُـرْبِ يَـوْمًـا مِـنْ أَحِبَّتِنَـا ... مِـنْ غَيْـرِ قَصْـدٍ فَقَصْـدٌ مِنْـهُ أَقْصَـانِـي

وأنشدني الشيخ الحافظ المفيدُ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن النجار البغدادي بها ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في سنة تسع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله في غلام تركي علىٰ عينه وقاية سوداء قد رمدتْ[1]:

[من الكامل]

/ ١٧٢ب/ وَمُوَلَّـدٍ لِلتُّـرْكِ تَحْسَـبُ وَجْهَـهُ ... بَـدْرًا يُضِـيءُ سَنَـاهُ بِـالإِشْـرَاقِ
أَرْخَـىٰ عَلَـىٰ عَيْنَيْـهِ فَضْـلَ وِقَـايَـةٍ ... لِيَـرُدَّ فِتْنَتَهَـا عَـنِ العُشَّـاقِ
تَـاللهِ لَـوْ أَنَّ السَّـوَابِـغَ دُوْنَهَـا ... نَفَـذَتْ فَهَـلْ بِـوِقَـايَـةٍ مِـنْ وَاقِ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني ياقوت لنفسه: [من الطويل]

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٣٨. شذرات الذهب ٥/ ١٢٢.

بنَفْسِـي ظَبْـيٌ مَـرَّ بِـيْ فـيْ القَـلاَقـلِ فَخَلَّفَنِـي حلْـفَ البَـلاَ وَالبـلاَبـلِ
تَنَـاهَبَـهُ الـرَّاؤُوْنَ مِـنْ حُسْـنِ وَجْهِـهِ فَمَـا نَـاظِـرٌ إِلاَّ بِـهِ بِـالبَـلاَبِـلِ
رَشَـاً مِـنْ بَنِـيْ الأَتْـرَاكِ إِمَّـا نَسَبْتَـهُ كَنسْبَـةِ عيْنَيْـهِ إِلَـىٰ سَحْـرِ بَـابلِ
تَـزَايَـدَ وَجْـديْ مِـنْ تَنَـاقُـص وُدِّه وَفَـرْطِ غَـرَامـيَ مِـنْ غَـرِيْـمٍ مُمَـاطِـلِ
يُـوَسِّـعُ عُـذْرِي فَيْـهِ ضِيْـقٌ بِجَفْنِـهِ وَيُـوْهِـي قُـوَىٰ صَبْـرِي بِحُسْـنِ الشَّمَـائِـلِ
يُضَحِّيْ الـوَرَىٰ بِـالبُدْنِ فِيْ عِيْدِ نَحْرِهِـمْ وَأَضْحَـىٰ يُضَحِّـيْ بِـالْكَمِـيِّ الحُـلاَحِـلِ

ونقلتُ من خطه قوله ما كتبه إلىٰ بعض أصدقائه: [من السريع]

عُبَيْـدُكَ الـدَّاعِـيْ أَتَـىٰ قَـاصِـداً إِلَـىٰ قَضَـاءِ الفَـرْضِ وَالنَّفْـلِ
/ ١٧٣أ/ مِـنْ خَـدْمَـةٍ يَخْـدُمُـهُ كُـلُّ مَـنْ يَمْشِـي بِحَـزْنِ الأَرْضِ أَوْ سَهْـلِ
وَرَامَ تَقْبِيْـلَ يَـدَيْـكَ الَّتِـيْ بِهَـا عَـرَفْنَـا صُـوْرَةَ العَـدْلِ
وَيَنْثَنِـيْ بَعْـدَ الثَّنَـا وَالـدُّعَـا مُسْتَحْقِبـاً مِـنْ فَضْلِـكَ الجَـزْلِ
فِـيْ مَـوْطِـنِ التَّـوْحِيْـدِ مَكْنُـوْنُـهُ طَـوْراً وَطَـوْراً مَـوْضِـعِ الكُحْـلِ
فَحَـالُ مَـنْ دُوْنَكُـمْ أَسْـوَدٌ فِـيْ لَـوْنِـهِ وَالقَـوْلِ وَالفِعْـلِ
فَهَـا أَنَـا مُـذْ ذَاكَ فِـيْ حَيْـرَةٍ مُـدَلَّـهُ التَّمْيِيْـزِ وَالعَقْـلِ
غَيْظـاً يُمِيْـتُ القَلْـبَ تَـذْكَـارُهُ مِـنْ فِعْـلِ هَـذَا الأَسْـوَدِ النَّـذْلِ
لَـمْ يَحْجُبُـوا وَفْـدَ العَطَـايَـا فَلِـمْ يُحْجَـبُ مَـنْ يَـرْغَـبُ فِـيْ الفَضْـلِ
فَظَلْـتُ فِيْـهِ مُفْكِـراً وَاجِمـاً حَتَّـىٰ انْجَلَـىٰ عَنِّـي عَمَـىٰ الجَهْـلِ
لَمَّـا بَـدَا لِـيْ أَنَّ أَوْصَـافَـهُ مَـأْخُـوْذَةٌ مِـنْ صِفَـةِ القُفْـلِ
وَقَـالَ لِـيْ القَلْـبُ: إِذَا كُنْـتَ مِـنْ أَهْـلِ الحِجَـىٰ وَالفَهْـمِ وَالنُّبْـلِ
فَـلاَ تُـرِعْ لأُبْـدَّ لِلْمُجْتَنِـيْ شَهْـدَ العُـلاَ مِـنْ إِبَـرِ النَّحْـلِ

وقوله وهو مقيم بمرو من بلاد خراسان: [من الكامل]

/ ١٧٣ب/ أَضْحَـىٰ يُضَيِّقُ فُسْحَـةَ الأَمَـلِ مَـا مَـرَّ مِـنْ عُمْـرِيْ بِـلاَ نَفْـعِ
مَـا عَـنَّ لِـيْ غَـرَضٌ فَـأَقْصِـدُهُ إِلاَّ انْتَحَـاهُ الـدَّهْـرُ بِـالمَنْـعِ
يُـدْنِـيْ لَـيَ الآمَـالَ يَهْـزَأُ بِـيْ حَتَّـىٰ أَمُـدَّ لأَخْـذِهَـا ضَبْعِـي
وَلَـتْ تَقُـوْلُ: أَمَـا عَقَلْـتَ أَمَـا تَـاللهِ أَشْعَـبَ الطَّبْـعِ
يَـا قَلْـبُ ضَـاقَ العُمْـرُ عَـنْ أَمَـلٍ وَأَتَـاكَ شَيْـبُ الـرَّأْسِ بِـالـرَّدْعِ

فَارْجُ الإِلَهَ وَتُبْ عَلَيْهِ عَسَى ... يُعْطِيكَ فِي الأُخْرَىٰ بِلاَ مَنْعِ

وقال فيمن تورّع بوعد، ثم لم يف به: [من البسيط]

يَا سَيِّداً بَذَّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ قَدَمٍ ... حِلْماً وَعِلْماً وَآبَاءً وَأَجْدَادَا
مَاذَا دَعَاكَ إِلَىٰ وَعْدٍ تُصَيِّرُهُ ... بِالخُلْفِ وَالمَطْلِ وَالتَّسْوِيفِ إِبْعَادَا
لاَ تَعْجَلَنَّ بِقَوْلٍ ثُمَّ تُخْلِفُهُ ... فَيُثْمِرَ المَطْلُ بَعْدَ الوُدِّ أَحْقَادَا
فَالوَعْدُ بَذْرٌ وَلُطْفُ القَوْلِ مَنْبَتُهُ ... وَلَيْسَ يُجْدِي إِذَا لَمْ تَلْقَ حَصَّادَا

وقال في الغزال: [من البسيط]

/ ١٧٤أ/ يَا طَلْعَةَ البَدْرِ إِلاَّ أَنَّهُ بَشَرٌ ... لَوْ لَمْ يَكُنْ بَشَراً مَا رَاقَ مَعْنَاهُ
البَدْرُ قَدْ شَانَهُ فِي وَجْهِهِ كَلَفٌ ... وَجَلَّ حِبِّي عَنْ عَيْبٍ وَحَاشَاهُ
قَالُوا: أَمَا قَلْبُهُ قَدْ قُدَّ مِنْ حَجَرٍ ... فَقُلْتُ: ذَاكَ بِهِ قَدْ تَمَّ مَعْنَاهُ
لَوْلاَهُ مَا بِتُّ طُولَ اللَّيْلِ مُرْتَقِباً ... أَرْعَىٰ النُّجُومَ سَقِيمَ القَلْبِ لَوْلاَهُ

وقوله مما كتبه إلىٰ صديق: [من الطويل]

نَكِرْتُ الوَرَىٰ حَتَّىٰ نَكِرْتُ أَبَا نَصْرٍ ... وَأَيُّ أَخٍ مَا غَيَّرَتْهُ يَدُ الدَّهْرِ
لَئِنْ غَيَّرَتْهُ الحَادِثَاتُ فَطَالَمَا ... بَقِيتُ وَإِيَّاهُ لَكَالْمَاءِ وَالخَمْرِ
وَإِنْ قَصُرَتْ أَيَّامُ صَفْوٍ وُدَادِنَا ... فَمَا فِي لَيَالِي حَادِثِ الدَّهْرِ مِنْ قَصْرٍ(١)
فَلاَ تَأْتِيَنْ هَجْرَ الصَّدِيقِ تَعَمُّداً ... فَفِي صَرْفِ هَذَا الدَّهْرِ مَا شِئْتَ مِنْ هَجْرِ

وكتب إليه أيضًا: [من الطويل]

تَبَاعَدْتُمُ لاَ أَبْعَدَ اللهُ دَارَكُمْ ... وَأَوْحَشْتُمُ لاَ أَوْحَشَ اللهُ مِنْكُمُ
لَئِنْ كُنْتُمُ عَنْ أَرْضِ مِصْرَ رَحَلْتُمُ ... فَإِنَّكُمُ فِي مُهْجَتِي قَدْ نَزَلْتُمُ
هَنِيئاً عَلَىٰ رُغْمِي لِدَارٍ حَلَلْتُمُ ... وَبُؤْساً لِرَبْعٍ عَنْ مَغَانِيهِ بِنْتُمُ
/ ١٧٤ب/ فَلَوْ قِيلَ لِي مَاذَا تَمَنَّىٰ مِنَ الدُّنَىٰ ... لَكَانَ مُنَايَ أَنْتُمُ لاَ عُدِمْتُمُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

زَارَنِي البَدْرُ بَعْدَ طُولِ مِطَالٍ ... وَصُدُودٍ أَطَالَهُ وَتَجَنِّي

---

(١) قَصْر: قصور.

وَنَفَى بِالنِّفَارِ نَوْمِي عِنَاداً ... وَأَرَانِي بِعِزِّهِ الذُّلَّ مِنِّي
فَتَرَشَّفْتُ مِنْ ثَنَايَاهُ خَمْراً ... لَمْ يَنَلْ طِيبَهَا غُرُورُ التَّمَنِّي
لَمْ يَزَلْ دَأْبَهُ الصُّدُودُ إِلَىٰ أَنْ ... عَلَّمَ الجَفْنَ أَنْ يُهَاجِرَ جَفْنِي

وكتب إلىٰ صديق له بهراة: [من الوافر]

أَمَوْلَايَ جَمَالَ الدِّينِ يَا مَنْ ... لَهُ خُلُقٌ عَلَىٰ الصَّهْبَاءِ يُزْرِي
أَتَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ فَدَتْكَ نَفْسِي ... مَلِيكِي فِي عَلَانِيَتِي وَسِرِّي
وَلَا تَرْضَىٰ بِمِثْلِي فِي إِيَابِي ... عَلَىٰ الأَمْلَاكِ عَبْداً طَوْعَ أَمْرِي
وَلَسْتُ بِلَائِمٍ لَكَ مَعْ فِعَالٍ ... لأَنَّكَ جُرْتَ لَمَّا جَارَ دَهْرِي

وقوله في التغزل[١]: [من الطويل]

/ ١٧٥أ/ يُضَاعِفُ نَارِيْ فِيهِ بَارِدُ ظَلْمِهِ ... وَيُضْعِفُ مَا أَلْقَاهُ بَارِدُ ظُلْمِهِ
أَيَا مَلِكَ الحُسْنِ الَّذِيْ انْقَادَتِ الوَرَىٰ ... إِلَيْهِ فَمَا يَأْبَىٰ امْرُؤٌ فَصْلَ حُكْمِهِ
يُسَالِمُ سِلْماً دَائِباً رَبَّ حَرْبِهِ ... وَيُؤْذِنُ حَرْباً مِنْهُ طَالِبَ سِلْمِهِ
مُحِبُّكَ قِدْماً كَانَ يَلْقَاكَ مُحْسِناً ... فَوَقِّعْ لَهُ يُجْرَىٰ عَلَىٰ حُسْنِ رَسْمِهِ

وقوله وقد بلغ خمسًا وأربعين سنة: [من الطويل]

يَقُولُ أُنَاسٌ لَمْ تَصَابَيْتَ بَعْدَمَا ... بَدَا فِي نَوَاحِي عَارِضَيْكَ مَشِيبُ
فَقُلْتُ: يُدَاوَىٰ كُلُّ دَاءٍ بِضِدِّهِ ... وَهَذَا التَّصَابِي لِلْمَشِيبِ طَبِيبُ

[٩٠٦]

ياقوتُ بنُ عبد الله أبو الدُّرِّ الروميُّ العزِّيُّ[٢].

عتيقُ الملك الظاهر عزِّ الدين أبي الفتحِ مسعود بن أرسلانَ شاه بنِ مسعودِ بنِ مودودِ ابن زنكي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ سلطانَ الموصل ومليكها.

قدم الموصل طفلاً ونشأ بها، ومال إلىٰ الاشتغال بالعلم حتىٰ لقبه الناس بالعالم؛ لأنَّه تعلق من العلم بسبب قويّ. وكان صهر الأمير أمين الدين ياقوت / ١٧٥ب/ ابن

---

(١) تأريخ إربل ١/٣٢٣.
(٢) ترجم له المؤلف سابقًا في الجزء الثالث برقم ٢٧٤ باسم (عبد الرحمن بن عبد الله).

عبد الله الكاتب الخطّاط الموصليّ ـ صاحب الخط الحسن ـ علىٰ إبنته ـ رضي الله عنه ـ.

وأبو الدُّر كان شابًا أشقر أبيض اللون، مشرَّبًا بحمرة، جميلاً ذا منظر ورواء، ثابت العقل، وافر الفضل؛ فيه فهم وفطانة، وحياء ورزانة. اجتمع فيه العلم والدين، وحسن السيرة واليقين، والعفاف والنزاهة، والمروءة والنباهة، ولم يُعرف له مُنذ نشأ صَبْوَة، وكتب الخط الرائق الذي فاق به علىٰ أقرانه؛ لأنّه كتب علىٰ حميد، وجوّد عليه، وتخرَّج به، واقتبس منه أدبًا وعلمًا؛ وله فكر خارق في حل التراجم، وحسن عبارة في الإنشاء. وهو من الكتاب الأفراد في الكتابة، وله أشعارٌ ورسائل.

سألتُهُ عن مولده، فقال: يكون تقديراً في سنة تسعين وخمسمائة. وتوفي يوم الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالموصل. ودفن غربي المدينة بمقبرة الباب العمادي، فوق عين الكبريت بتربةٍ كان حمُوه أنشأها لنفسه ـ رحمه / ١٧٦أ/ الله تعالىٰ ـ.

ومن شعره ما حدثني بالموصل، ومن خطِّه نقلتُ، يقول ياقوت بن عبد الله الأتابكي: الذي حدا الخادم علىٰ عمل هذه الأبيات، وإنْ لم يكن من أرباب الصناعات، أنَّ الصدر الكبير الفاضل القاضي عزّ الدين القيلوي ـ حرس الله مجده ـ لمَّا وصل إلىٰ الموصل ـ خلد الله ملك مالكها ـ نشر من فضائل المجلس العالي العالمي الفاضلي كمال الدين، كمل الله سعادته كما كمل سيادته، وبلّغه في الدارين مناهُ وإرادته، ما يعجز البليغ عن فهمه فضلاً عن أن يوردَهُ، لكن فضائل المجلس كانت تملىٰ علىٰ لسانه وتسعده، فطرب الخادمُ من استنشاق رياها، واشتاق إلىٰ رؤية حاويها عند اجتلاء مُحَيّاها، فسمح عند ذلك الخاطر مع تبلده، بأبيات تخبر المجلس بمحبَّة الخادم له وتعبده.

ثم أنشدني الأبيات وأنفذها إليه وهي: [من البسيط]

حَيَا نَـدَاكَ كَمَـالَ الـدِّيـنِ أَحْيَـانَـا ... وَنَشْـرُ فَضْلِـكَ عَـنْ مَحَيْـاكَ حَيَّـانَـا

/ ١٧٦ب/ وَحُسْنُ أَخْلاَقِكَ اللاَّتِي خُصِصْتَ بِهَا ... أَهْـدَتْ عَلَـىٰ البُعْـدِ لِـيْ رَوْحـاً وَرَيْحَـانَـا

حَـوَيْـتَ يَـا عُمَـرُ المَحْمُـوْدُ سِيْـرَتُـهُ ... خَلْقـاً وَخُلُقـاً وَإِفْضَـالاً وَإِحْسَـانَـا

إنْ كَانَ نَجْلُ هِلالَ فِيْ صِنَاعَتِهِ ... وَنَجْلُ مُقْلَةَ عَيْنَا الدَّهْرِ قَدْ كَانَا
فَأنْتَ مَوْلاَيَ إنْسَانُ الزَّمَانِ وَقَدْ ... غَدَوْتَ فِيْ الخَطِّ لِلْعَيْنَيْنِ إنْسَانَا
قَدْ بَثَّ فَضْلَكَ عِزُّ الدِّيْنِ مُقْتَصِداً ... وَنَثَّ شُكْرَكَ إسْرَاراً وَإعْلاَنَا
فَضَاعَ نَشْرُكَ فِيْ الحَدْبَاءِ وَانْتَشَرَتْ ... آيَاتُ فَضْلِكَ أرْسَالاً وَوُحْدَانَا
أُثْنِي عَلَيْكَ وَآمَالِي مُعَلَّقَةٌ ... بِحُسْنِ عَفْوِكَ تَرْجُو مِنْكَ غُفْرَانَا
وَإنْ تَطَفَّلْتُ فِيْ صِدْقِ الوُدَادِ وَلَمْ ... يَقْضِ التَّلاَقِي لَنَا عَفْواً وَلاَ حَانَا
فَمَا أُلاَمُ عَلَى شَيْءٍ أتَيْتُ بِهِ ... (فَالإذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أحْيَانَا)[1]
يَا أفْضَلَ النَّاسِ فِيْ عِلْمٍ وَفِيْ أدَبٍ ... وَأرْجَحَ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مِيْزَانَا
قَدْ شَرَّفَ اللهُ أرْضاً أنْتَ سَاكِنُهَا ... وَشَرَّفَ النَّاسَ إذْ سَوَّاكَ إنْسَانَا

فأجابَهُ الصاحبُ الإمام كمالُ الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي ـ حرس الله / ١٧٧أ/ معاليه ـ عن هذه الأبيات على الروي والوزن، وأنشدنيها بحلب بمنزله المعمور في سنة خمسٍ وثلاثين وستمائة:

[من البسيط]

يَا مَنْ أبَحْتُ حِمَى قَلْبِي مَوَدَّتَهُ ... وَمَنْ جَعَلْتُ لَهُ أحْشَايَ أوْطَانَا
أرْسَلْتَ نَحْوِيَ أبْيَاتاً طَرِبْتُ بِهَا ... وَالفَضْلُ لِلْمُبْتَدِي بِالفَضْلِ إحْسَانَا
فَرُحْتُ أخْتَالُ عُجْباً مِنْ مَحَاسِنِهَا ... كَشَارِبٍ ظَلَّ بِالصَّهْبَاءِ نَشْوَانَا
رَقَّتْ وَرَاقَتْ فَجَاءَتْ وَهْيَ لاَبِسَةٌ ... مِنَ البَلاَغَةِ وَالتَّرْصِيْعِ ألْوَانَا
حَكَتْ بِمَنْثُورِهَا وَالنَّظْمِ إذْ جُمِعَا ... بِأحْرُفٍ حَسُنَتْ رَوْضاً وَبُسْتَانَا
جَرَّتْ عَلَى جَرْوَلٍ أثْوَابَ زِيْنَتِهَا ... إذْ أصْبَحَتْ وَهْيَ تَكْسُو الحُسْنَ حَسَّانَا
أضْحَتْ تُعَيِّرُ وَجْهَ العَنْبَرِيَّ فَمَا ... بَنُو اللَّقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا
يُمْسِي لَهَا ابْنُ هِلاَلٍ حِيْنَ يَنْظُرُهَا ... يَحْكِي أبَاهُ بِمَا عَانَاهُ نُقْصَانَا
كَذَاكَ أيْضاً لَهُ عَبْدُ الحَمِيْدِ غَدَا ... عَبْداً يَجُرُّ مِنَ التَّقْصِيْرِ أرْدَانَا
أتَتْ وَعَبْدُكَ مَغْمُورٌ بِعِلَّتِهِ ... فَغَادَرَتْهُ صَحِيْحاً خَيْرَ مَا كَانَا

---

(١) عجز بيت لبشار بن برد، وصدره:
«يا قوم أُذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن...........»
انظر: ديوانه ٤/ ١٩٤.

/١٧٧ب/ وَكَيْفَ لاَ تَدْفَعُ الأَسْقَامَ عَنْ جَسَدِي ... وَهْيَ الصَّبَا حَمَلَتْ رَوْحاً وَرَيْحَانَا
فَمَا عَلَى طَيْفِهَا لَوْ عَادَ يَطْرُقُنَا ... فَرُبَّمَا زَارَ أَحْيَاناً فَأَحْيَانَا
فَاسْلَمْ فَأَنْتَ أَمِينُ الدِّينِ أَحْسَنُ مَنْ ... وَشَّى الطُّرُوسَ بِمَنْظُومٍ وَمَنْ زَانَا
وَلاَ تَخَطَّتْ إِلَيْكَ الحَادِثَاتُ وَلاَ ... حَلَّتْ بِرَبْعِكَ يَا أَعْلَى الوَرَى شَانَا

وأنشدني لنفسه، وكتبه لي بخطّه، ما مدح به بدر الدين أبا الفضائل لُؤلؤ بن عبد الله ـ صاحب الموصل ـ من قصيدة أولها: [من الكامل]

حَكَمَ الزَّمَانُ بِكُلِّ مَا تَخْتَارُ ... وَجَرَتْ بِمَا أَمَّلْتَهُ الأَقْدَارُ
وَازْدَانَتِ الدُّنْيَا بِمُلْكِكَ وَاغْتَدَى ... فِي وَصْفِ مَجْدِكَ تُنْظَمُ الأَشْعَارُ
وَغَدَتْ رُبُوعُ السَّعْدِ آهِلَةَ الرُّبَى ... مُخْضَرَّةً قَدْ حَفَّهَا النُّوَّارُ

ومنها يقول:

أَيَّامُ عِزِّكَ كُلُّهُنَّ أَصَائِلُ ... مِنْ حُسْنِهِنَّ وَلَيْلُهَا أَسْحَارُ
أَنْتَ الأَنَامُ جَمِيعُهُمْ وَزَمَانُكَ الأَ ... يَّامُ وَالدُّنْيَا لِمَجْدِكَ دَارُ
/١٧٨أ/ فُتَّ المُلُوكَ وَغَيْرَهُمْ بِمَنَاقِبٍ ... شَهِدَتْ بِهَا الآيَاتُ وَالأَخْبَارُ
أَحْيَيْتَ آلَ المُصْطَفَى بِمَكَارِمٍ ... سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ وَالسُّفَّارُ
وَنَعَشْتَهُمْ بِنَدَى يَدَيْكَ فَأَصْبَحُوا ... تَهْمِي عَلَيْهِمْ دِيمَةٌ مِدْرَارُ
كِلْتَا يَدَيْكَ لَنَا سَحَابٌ هَاطِلٌ ... يُمْنَاكَ يُمْنٌ وَاليَسَارُ يَسَارُ
فَاسْلَمْ لِهَذَا المُلْكِ تَنْظِمُ شَمْلَهُ ... مَا غَرَّدَتْ فِي أَيْكِهَا الأَطْيَارُ
فِي دَوْلَةٍ حَفَّ النَّعِيمُ رُوَاقَهَا ... اللهُ جَارُكَ وَالنَّبِيُّ المُخْتَارُ

وأنشدني لنفسه حين وصل إربل يمدح الوزير الصاحب الكبير العالم المنعم شرف الدين أبا البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب المستوفي ـ رضي الله عنه ـ من غير معرفة تقدَّمت: [من الطويل]

أَيَا ذَاكِراً ظُلْماً مَسَاوِىءَ إِرْبِلٍ ... كَأَنَّ رُوَيْداً قَدْ نَطَقْتَ بِهَا جَهْلاَ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي إِرْبِلٍ مِنْ فَضِيلَةٍ ... سِوَى شَرَفِ الدِّينِ الَّذِي جَمَعَ الفَضْلاَ
/١٧٨ب/ لَتَاهَتْ عَلَى كُلِّ البِلاَدِ لأَنَّهَا ... بِسُكْنَاهُ فِيهَا حَازَتِ المَجْدَ وَالنُّبْلاَ
فَتًى شَغَلَتْهُ المَكْرُمَاتُ فَلَنْ تَرَى ... لِهِمَّتِهِ فِي غَيْرِ مَكْرُمَةٍ شُغْلاَ

مِـنَ النَّفـرِ البِيْـضِ الَّـذِيْـنَ وُجُـوْهُهُـمْ ... بِهَـا يَهْتَـدِي السَّـارُوْنَ فِـيْ قَصْدِهِ السُّبْـلاَ
إِلَـىٰ المَلَـكِ النُّعْمَـانِ تُنْمَـىٰ فُـرُوْعُـهُ ... فَـأَكْـرِمْ بِـهِ فَـرْعًـا وَأَكْـرِمْ بِـهِ أَصْـلاَ
إِذَا قَـالَ بَـذَّ القَـائِلِيْـنَ وَلَـمْ يَـدَعْ ... لِـذِيْ إِرْبَـةٍ فِـيْ القَـوْلِ جِـدًّا وَلاَ هَـزْلاَ
أَبَـا البَـرَكَـاتِ الخَيْـرَ دَعْـوَةَ مُخْلِـصٍ ... يَـوَدُّكَ عَـنْ بُعْـدٍ وَمَـا عَـايَـنَ الشَّكْـلاَ
مَـدَحْتُـكَ لاَ أَرْجُـوْ الجَـوَائِـزَ وَالـرُّشَـىٰ ... وَلَكِـنْ رَأَيْـتُ المَـدْحَ فِـيْ أَهْلِـهِ أَوْلَـىٰ

وأنشدني لنفسه في غُلام مؤذّن: [من الخفيف]

بِـأَبِـيْ شَـادِنٌ يُـؤَذِّنُ لِـلأَجْـ ... ـرِ وَتَسْبِـيْ لِحَـاظُـهُ كُـلَّ مُـوجَـرْ
كُلَّمَـا جَـدَّلَ اللِّحَـاظُ قَتِيْـلاً ... قَـالَ: تِيْهًـا بِقَتْلِـهِ اللهُ أَكْبَـرْ

وأنشدني أيضًا قوله ما كتبه إلىٰ بعض الكبراء: [من البسيط]

كُـلُّ الحَـوَائِـجِ بَعْـدَ اللهِ مَـرْجِعُهَـا ... إِلَيْـكَ يَـا مَـنْ لَـدَيْـهِ النَّفْـعُ وَالضَّـرَرُ
/١٧٩أ/ أَحْيَيْتَ آمَالَنَا مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطَتْ ... كَـالـرَّوْضِ أَحْيَـاهُ لَمَّـا أَنْ ذَوَىٰ المَطَـرُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

سَـلاَمٌ كَنَشْـرِ الـرَّوْضِ بَـاكَـرَهُ الصَّبَـا ... فَضَـوَّعَ مِـنْ رَيَّـاهُ مَـا كَـانَ كَـامِنَـا
عَلَـىٰ الجَـانِـبِ المَحْـرُوْسِ لاَزَالَ عَـالِيًـا ... وَأَصْبَـحَ مِـنْ رَيْـبِ الحَـوَادِثِ آمِنَـا[1]

/١٧٩ب/[2].

---

(١) بعدها بياض بمقدار ١٠ أسطر.
(٢) هذه الصفحة بياض في الأصل.

ذكرُ من اسمه يحيىٰ

[٩٠٧]

يحيىٰ بنُ أحمدَ بن موسىٰ، أبو زكريا الضريرُ المقرىءُ، الموصليُّ الدار والسُّكنىٰ.

وكان من قرية من قُرىٰ العراق تُدعىٰ بَرَفْطا.

هاجر إلىٰ الموصل واستقرّ مقامُهُ بها إلىٰ حين وفاته في شهر رمضان سنة ثماني عشرة وستمائة. ورأيته بها شيخًا طويلاً كهلاً أسمر اللون ساكنًا بالمدرسة العتيقة. وكان شاعراً قارئًا للقرآن العزيز فاضلاً.

وحدّثني الصاحبُ الوزير أبو البركات المستوفي الإربلي بها ـ رضي الله عنه ـ قال: أُخبرتُ عنه أنَّه كان يضرب بالعود، وينادم الأكابر، ويشرب الخمر. ورد إربل غير مرَّة، ولم أستنشده من أشعاره إلىٰ أن ورد في سلخ ذي الحجة سنة عشر وستمائة، فأنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها أتابك نور الدين أبا الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودود ـ صاحب الموصل ـ: [من البسيط]

/ ١٨٠ب/ دينُ الصَّوارمِ والعَسَّالَة الذُّبلِ ... عِزٌّ تَدينُ لَهُ الأَعْنَاقُ فِيْ القُلَلِ

إرْكَبْ عَلَىٰ صَافِنَاتِ العَزْمِ مُتَّخِذاً ... مَوَاطِنًا فِيْ ذُرَىٰ العَلْيَاءِ للنُّقُلِ

ومنها في المديح:

كُلُّ المُلُوْكِ اكْتَسَتْ مِنْ فَخْرِكُمْ حُلَلاً ... كَمَا اكْتَسَىٰ آدَمٌ مِنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ

أَتَىٰ أَخِيْراً وَحَازَ السَّبْقَ قَاطِبَةً ... كَذَلِكَ القَيْلُ نُوْرُ الدِّيْنِ فِيْ المَثَلِ

وقال من قصيدة أولها: [من الكامل]

مَنَحَ القَضِيْبَ رَشَاقَةً وَتَأَوُّدَا ... رَشَأٌ بِوَجْنَتِهِ الضَّلاَلَةُ وَالهُدَىٰ

آلَتْ مَحَاسِنُهُ إلَيَّةَ قَادِرٍ ... لَتُتَيِّمَنَّ مُفَوَّهًا وَمُبَلَّدَا

رَحَلَتْ إلَيْهِ مِنَ الصُّدُوْرِ قُلُوْبُنَا ... فَكَأَنَّهَا بُدْنٌ تَحُثُّ بِهَا الحُدَا

لَمَّا رَأَتْ أَنْوَارَكُنْهِ جَلاَلِهِ ... خَرَّتْ إلَيْهِ مَعَ الجَوَارِحِ سُجَّدَا

وقال يمدح أتابك نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل: [من الطويل]

أَتَعْلَمُ مَا يَلْقَاهُ فِي كُلِّ مَعْلَمٍ ... مُحِبٌّ يُرَوِّي سَاحَةَ الرَّبْعِ بِالدَّمِ
يُثِيرُ لَهُ التَّذْكَارُ نَارَ صَبَابَةٍ ... تَزِيدُ عَلَى حَرِّ الجَحِيمِ المُضَرَّمِ
/ ١٨١أ/ سَرَى طَائِرٌ عَنْ سَانِحٍ عَنْ يَمِينِهِ ... يُبَشِّرُهُ بَعْدَ الفِرَاقِ بِمَقْدَمِ
أَلَا يَا ابْنَةَ الرُّومِيِّ هَلْ لَكِ مَوْعِدٌ ... فَبَعْضُ الأَمَانِي رَاحَةٌ لِلْمُتَيَّمِ
إِذَا كَانَ فِيكِ الغَدْرُ طَبْعًا تَكَلَّفِي ... وِصَالًا وَإِنْ لَمْ تَعْلَمِي فَتَعَلَّمِي
فَبَاتَتْ وَلِي إِخْلَاصُ نِيَّةِ مُؤْمِنٍ ... وَبَانَتْ وَلِي فِيهَا عَقِيدَةُ مُسْلِمِ
فَلَا هِمَّتِي فِيهَا تَهُمُّ بِرِيبَةٍ ... وَلَا نَاظِرِي فِيهَا يَبُوءُ بِمَأْثَمِ
وَأَحْلُمُ عَنْهَا عِفَّةً بَعْدَ قُدْرَةٍ ... كَحِلْمِكَ نُورَ الدِّينِ عَنْ كُلِّ مُجْرِمِ
مَلِيكٌ تَخَافُ الأَرْضُ سَطْوَةَ بَأْسِهِ ... وَيَفْتِكُ بِاللَّيْثِ الهَصُورِ الغَشَمْشَمِ
أَجَارَ فَمَا فَوْقَ البَسِيطَةِ خَائِفٌ ... وَأَغْنَى فَمَا فِي الأَرْضِ خَلْقٌ بِمُعْدِمِ
رَأَيْنَا عِيَانًا مِنْهُ بَعْدَ سَمَاعِنَا الأَ ... حَادِيثَ مَا لَمْ تُوضِحِ العَيْنُ لِلْفَمِ
جَرِيءٌ كَمُوسَى صَامِتٌ مِثْلُ صَالِحٍ ... تَقِيٌّ كَيَحْيَى نَاطِقٌ كَابْنِ مَرْيَمِ
أَيَا مُعْطِيَ الخَيْرَاتِ فِي كُلِّ لَزْبَةٍ ... وَمُخْمِدَ أَنْفَاسِ الجَوَادِ المُطَهَّمِ
وَصَلْتَ فَمَا الغَيْثُ الرَّوِيُّ بِمُمْطِرٍ ... وَصُلْتَ فَمَا اللَّيْثُ الكَمِيُّ بِمُقْدِمِ
خُلِقْتَ لِعَزْمٍ وَاقْتِدَارٍ وَهِمَّةٍ ... وَعَقْلٍ وَذِي رَأْيٍ وَبَأْسٍ مُصَمِّمِ
فَأَنْسَيْتَنَا قُسًّا وَعَمْرًا وَحَاجِبًا ... وَكَعْبًا وَقَيْسَ الرَّأْيِ وَابْنَ مُكَدَّمِ
/ ١٨١ب/ أَيَا خَيْرَ مَنْ يُرْجَى لِكَشْفِ مُلِمَّةٍ ... وَأَكْرَمَ مَسْؤُولٍ وَأَفْضَلَ مُنْعِمِ
تَهَنَّ بِعِيدِ الفِطْرِ مَا نَاحَ طَائِرٌ ... عَلَى فَنَنٍ يَشْدُو بِطِيبِ التَّرَنُّمِ
وَلَا زِلْتَ فِي عِزٍّ مُقِيمٍ وَنِعْمَةٍ ... مَدَى الدَّهْرِ مَا لَاحَتْ طَوَالِعُ أَنْجُمِ
فَدُونَكَهَا عَذْرَاءَ كَالمِسْكِ نَشْرُهَا ... ثَنَى دُونَهَا الطُّلَّابُ سَوْمَ المُقَوَّمِ
وَعِشْ فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ وَسَعَادَةٍ ... مُحَدَّدَةٍ أَرْكَانُهَا لَمْ تُهَدَّمِ

وقال أيضًا يمدحه: [من الكامل]

أَحْيَا الصَّبَابَةَ بَاخِلٌ بِوِصَالِهِ ... وَأَمَاتَ صَبْرَ الصَّبِّ يَوْمَ زِيَالِهِ[1]

---

(١) الزيال: الفراق.

قَمَرٌ يَجُودُ عَلَى الوَرَى بِصُدُودِهِ ... طَبْعاً وَيَبْخَلُ عَامِداً بِوِصَالِهِ
يَهْتَزُّ مِنْ مَرَحِ الشَّبِيبَةِ عِطْفُهُ ... فَالبَانُ يَخْجَلُ مِنْهُ مِنْ تَمْيَالِهِ
مَا سَلَّ سَيْفَ لِحَاظِهِ فِي جَحْفَلٍ ... إلاَّ ٱغْتَنَى عَنْ سَيْفِهِ وَنِبَالِهِ
لبسَ العُيُونَ مِنَ المَلاَحَةِ حُلَّةً ... مَا خَاطَهَا إلاَّ بَدِيعُ جَمَالِهِ
لَوْ كَانَ يُعْدَى خَلْقُهُ مِنْ خُلْقِهِ ... لَمَحَتْ مَحَاسِنُهُ قَبِيحَ فِعَالِهِ
قَمَرٌ بَدَا مِنْ تَحْتِ لَيْلٍ مُظْلِمٍ ... مِنْ فَوْقِ غُصْنٍ فِي كَثِيبِ رِمَالِهِ
أَهْوَى ٱسْتِمَاعَ البَحْرِ خِيفَةَ هَجْرِهِ ... وَأَرَاهُ حُلْواً إذْ خَطَرْتُ بِبَالِهِ
/ ١٨٢أ/ وَيَزِيدُنِي كَلَفاً بِهِ إعْرَاضُهُ ... وَصُدُودُهُ بِوِصَالِهِ وَمِطَالِهِ
يَا فِتْنَةَ العُشَّاقِ رِفْقاً بِامْرِىءٍ ... لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى خَيَالِ خَيَالِهِ
هِيَ صَبْوَةٌ عُذْرِيَّةٌ لاَ يُرْتَجَى ... لِسَلِيمِهَا الإبْلاَلُ مِنْ بَلْبَالِهِ
وَلَقَدْ قَتَلْتُ الدَّهْرَ خُبْراً وَالوَرَى ... وَبَلَغْتُ مَجْداً جَلَّ عَنْ أَشْكَالِهِ
حَتَّى حَلَلْتُ بِرَبْعِ مَلْكٍ مَاجِدٍ ... أَسْمَى نُجُومِ المَجْدِ دُونَ مَنَالِهِ
فِي رَبْعِ نُورِ الدِّينِ وَالمَلْكِ الَّذِي ... فَاقَ المُلُوكَ بِبَأْسِهِ وَنَوَالِهِ
مَلْكٌ تَرَى صِيدَ المُلُوكِ بِبَابِهِ ... حِزْباً لِمَا تَرْجُوهُ مِنْ إفْضَالِهِ
التَّارِكُ الأبْطَالَ فِي يَوْمِ الوَغَى ... صَرْعَى إذَا ٱشْتَبَكَ الوَغَى بِمَجَالِهِ
حَبْرٌ يُحَيِّرُ الحَبْرَ حُسْنُ جِدَالِهِ ... بَحْرٌ يُنِيلُ النَّيْلَ قَبْلَ سُؤَالِهِ
[مَا أَمَّهُ ذُو عُسْرَةٍ إلاَّ ٱنْثَنَى ... عَنْهُ يُنَوِّلُ مِنْ كَرَائِمِ مَالِهِ](١)
كَرَمٌ يُبَخِّلُ حَاتِماً وَشَجَاعَةٌ ... تُلْهِي أَبَا الأشْبَالِ عَنْ أَشْبَالِهِ
وَتُرِيهِ أَعْقَابَ الأُمُورِ بَصِيرَةٌ ... شَهِدَ الوَرَى بِجَلاَلِهَا وَجَلاَلِهِ
مَوْلاَيَ نُورَ الدِّينِ يَا مَنْ رَبْعُهُ ... حَرَمٌ يَفُوزُ مُخَيِّمٌ بِظِلاَلِهِ
حُزْتَ الصِّفَاتِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى ... وَالعَدْلِ حَتَّى فُقْتَ عِنْدَ كَمَالِهِ
أَمِنَ الغَنِيُّ بِكَ ٱنْتِقَاصَ غَنَائِهِ ... وَأَجَرْتَ ذَا الأقْدَارِ مِنْ إقْلاَلِهِ
/ ١٨٢ب/ وَغَدَا الرَّعَايَا فِي حِمَاكَ بِغِبْطَةٍ ... لاَ يَرْهَبُونَ الدَّهْرَ مَعْ أَهْوَالِهِ
يَا أَيُّهَا المَلْكُ الَّذِي فَاقَ الوَرَى ... وَالدَّهْرُ طَوْعَ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وَفَتًى تَنَقَّلَ فِي العُلاَ حَتَّىٰ غَدَتْ وَحْشُ الفَلاَ وَالطَّيْرُ بَعْضَ عِيَالِهِ
وَغَدَا الوَرَىٰ أَضْيَافَهُ فِيمَرهم فِي سِلْمِهِ أَوْلاَكَ يَوْمَ نِزَالِهِ
أَنْتَ الَّذِي أَغْنَيْتَنِي وَحَمَيْتَنِي مِنْ صَرْفِ دَهْرٍ كُنْتُ مِنْ أَقْتَالِهِ(١)
فَلْيَشْكُرَنَّكَ عَبْدُكَ القِنُّ الَّذِي إِفْضَالُ طَوْلِكَ مُخْبِرٌ عَنْ حَالِهِ
فَتَهَنَّ بِالعِيدِ الَّذِي وَافَاكَ يَا خَيْرَ الوَرَىٰ بِالسَّعْدِ مِنْ إِقْبَالِهِ
وَاسْلَمْ وَدُمْ فِي نِعْمَةٍ وَسَعَادَةٍ مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ بِأَعْلَىٰ ضَالِهِ

[٩٠٨]

يحيىٰ بنُ أحمدَ، بنِ يوسفَ بنِ أحمدَ، أبو زكريا الواعظُ الحَسَني(٢).

من أهل غرناطة.

ذكر الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي في تاريخه ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وقال: ورد إربل وعقد بها مجالس الوعظ. وكان له من العامة قبول عظيم. وكان يجيء الناسَ أكثرَ مجالسه ويتكفَّفهم.

وصله الفقير إلىٰ رحمة الله تعالىٰ أبو سعيد كوكبُوري / ١٨٣أ/ بن علي [بن] بكتكين بصلة، وأراد السفر فأمر العامة أنْ يطلبوا من السلطان أن يقيم عندهم فأجابهم إلىٰ ذلك في خامس جمادى الآخرة من سنة تسع عشرة وستمائة.

ثم قال: أنشدني لنفسه من قصيدة طويلة التزم في أثنائها الإتيان بكلمات منثورة ذكرها لي، تبين إنها كتبت بلون غير المداد، يقول فيها(٣): [من البسيط]

يَا دَوْحَةَ البَانِ مِنْ شَرْقِيِّ كَاظِمَةٍ سَقَاكِ مِنْ عَبَرَاتِ السُّحْبِ هَتَّانُ
لِسَاكِنِيكِ عَلَيْنَا خِدْمَةٌ وَلَنَا عَلَيْهِمُ بِالوَفَا عَهْدٌ وَأَيْمَانُ
كَمْ أَعْذُلُ القَلْبَ فِي تَذْكَارِهِ لَهُمُ دَنَوا فَلَمَّا دَنَا وَصْلِي بِهِمْ بَانُوا

---

(١) أقتاله: أعدائه.

(٢) توفي بعد سنة ٦١٩هـ. في الأصل: «الخشني» وقد صوّبناه من تأريخ إربل.
ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧، ومنه نقل ابن الشعّار الترجمة بحذافيرها.

(٣) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٣٢٦.

هُمْ عَلَّمُونِيْ الهَوَىٰ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ ... حَتَّىٰ إِذَا وَلَجُوا بَابَ الهَوَىٰ خَانُوا
هُمُ الَّذِيْنَ بِسِحْرِ اللَّحْظِ قَدْ سَفَكُوا ... دَمَ الهُمَامِ وَشَرْعُ الحُبِّ إِذْعَانُ
فَإِنْ وَضَعْتُ يَدِيْ بِالصَّدْرِ أَكْتُمُ مَا ... بِالقَلْبِ غَادَرَهُ صَبْرٌ وَكِتْمَانُ

[٩٠٩]

يحيىٰ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدٍ، أبو ترابِ بنِ أبي إسحاقَ البَزّازُ البغداديُّ(١).

من أهل الكرخ(٢).

ذكره الشيخ /١٨٣ب/ أبو عبد الله محمد بن سعيد الدُّبيثي، وقال: سكن اللَّوزيّة من محال الجانب الشرقي، وتفقه علىٰ مذهب الشافعي ـ رضي الله عنه ـ علىٰ أبي الحسن بن الخَلّ، وسمع منه ومن أبي الفرج عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكَرُوخي، وأبي بكر محمد بن عبيد الله بن الزَّاغُوني، وأبي الوقت(٣) السجزي وغيرهم، وروىٰ عنهم.

وسافر إلىٰ الشام، وأقام بدمشق مدَّة، وحدّث بها وعاد إلىٰ بغداد وأقام بها إلىٰ أن توفي يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان سنة أربع عشرة وستمائة. كتبنا عنه بعد عوده من الشام. وكان سماعه صحيحًا، ويفهم ما يقرأ عليه.

قال وسألته عن مولده، فقال: في السادس والعشرين(٤) من شعبان سنة ستٍّ وعشرين وخمسمائة؛ هذا آخر كلامه.

أنشدني أبو الفتح محمد بن بدل بن أبي المُعمّر التبريزي بإربل ـ رحمه الله

---

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ٤٠٦ رقم ١٥٤٨ وفيه: «توفي في الثالث عشر من شعبان سنة أربع عشرة وستمائة ببغداد». تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠) رقم ٢٦١. التقييد لابن نقطة/ الورقة ١٢٥ ـ ١٢٦. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٦٣ ـ ٦٤ رقم ٤٧. طبقات الإسنوي/ الورقة ١٤٨. العقد المذهب لابن الملقن/ الورقة ١٦٩.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (كرخ بغداد).

(٣) في التكملة: «أبي الوقت عبد الأول بن عيسى».

(٤) في التكملة: «السادس عشر».

تعالى ـ في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني أبو تراب لنفسه: [من الوافر]

/ ١٨٤أ/ أَحِنُّ إِلَيْكَ مِنْ فَرْطِ ٱشْتِيَاقِي لِكَيْ أَلْقَاكَ مِنْ قَبْلِ التَّلَاقِي
عَدُوُّكَ هَالِكٌ يَهْوِي سَرِيعًا إِلَى النِّيرَانِ لَمْ يَنْفَعْهُ رَاقِي
وَمَنْ يَهْوَاكَ يُكْفَ وَلَا يُبَالِي وَمَنْ يَشْنَاكَ يَهْلِكُ وَهْوَ بَاقِي
إِذَا جِئْنَا عِطَاشَى يَوْمَ نَشْرٍ لِتَسْقِيَنَا فَأَنْتَ هُنَاكَ سَاقِي

[٩١٠]

يحيىٰ بنُ إسحاقَ، الأميرُ، أبو زكريا الميُورقيُّ[١].

صاحب مَيُورْقَةَ[٢] ووِدَّان[٣].

كان مشهوراً بالبأس والشجاعة بطلاً من الأبطال، مقدامًا في الحروب جواداً سخيًا أديبًا بليغًا شاعراً فصيحًا. لم يقع إليَّ من شعره غيرُ بيت مُفردٍ من قصيدة وهو:

[من الخفيف]

حَفِيَتْ خَيْلُنَا وَعَزَّ عَلَيْنَا فَجَعَلْنَا لَهَا الخُدُوْدَ نِعَالاَ

[٩١١]

يحيىٰ بنُ أسعدَ بن يحيىٰ بن موسىٰ، أبو المُفضَّل ـ المذكور أبوه في أوّل الكتاب فِي حرف الهَمزة[٤] ـ السنجاريُّ الأصلِ، الفارقيُّ المولِد، الدنيسريُّ الدار.

ذكره أبو حفص عمر بن الخضر بن اللِّمش التُركي في كتابه «حلية السريين من

---

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢١ رقم ٢٦٧١، وفيه: «يحيى بن إسحاق بن حَمُّو الصنهاجي الميورقي، توفي في أواخر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بالبرية من نظر تلمسان». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص١٧٥ ـ ١٧٦ رقم ٢١٥. الغصون اليانعة ١٥١. المعجب ٢٧٣، ٢٧٥، ٣١٤، ٣١٧. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٩ رقم ٢٣٤. الأعلام ٩/ ١٦٥.

(٢) ميورقة: جزيرة في شرقي الأندلس. انظر: معجم البلدان/ مادة (ميورقة).

(٣) ودّان: مدينة بإفريقية في جنوبيها، بينها وبين زويلة عشرة أيام من جهة أفريقية. انظر: معجم البلدان/ مادة (ودان).

(٤) ترجم المؤلف لوالده (أسعد بن يحيى بن موسى...) في الجزء الأول برقم ١٤٦.

خواص الدُنيسريين»[١]. وقال: من أهل القرآن، قرأه بالقرآت علىٰ أبي سعد[٢] سعد الله بن غنائم النحوي الحموي[٣] بها، وقرأ علىٰ شيخنا أبي الحسن النيلي[٤] بدُنيسر جملةً من كتب القراءات، وله عناية بالتجويد، وحسن الأداء في القراءة.

وهو سامي الهمَّة في التشاغُل بعلومٍ منها: الفقه والنحو والطب وغيرها.

وله في النظم والنثر والترتيب والإنشاء تصرُّف.

ثم قال: أنشدني لنفسه إملاءً بدنيسر موعظةً: [من الكامل]

وَاخَجْلَتِي يَوْمَ الحِسَابِ وَقَوْلُه ... مَا كُنْتَ تَصْنَعُ وَالزَّمَانُ مُوَسَّعُ
أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكَ الطَّوِيْلَ وَنَسْتُرُ السِّـ ... ـتْرَ الجَمِيْلَ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَرْجِعُ
/ ١٨٥أ/ أَوَلَمْ تَكُنْ لَكَ فِي القُرُوْنِ مِنَ الأُلَىٰ ... عِبَرٌ أَمَا فِي ذِكْرِهِمْ مَا يُقْنِعُ
أَوَ لَمْ تَكُنْ [لَكَ] أَعْيُنٌ فَتَرَىٰ بِهَا ... أَوَ لَمْ يَكُنْ لَكَ لِلْمَوَاعِظِ مَسْمَعُ
مَاذَا أَقُوْلُ وَلِي ذُنُوْبٌ نَكَّسَتْ ... رَأْسِي حَيَاءً فَهْوَ لاَ يَتَرَفَّعُ
وَاحَسْرَتَا لَوْ كَانَ يُغْنِي حَسْرَةٌ ... وَاوَيْلَتَا لَوْ أَنَّ وَيْلاً يَنْفَعُ
ضَيَّعْتُ أَيَّامِي لِغَيْرِ إِفَادَةٍ ... تُرْجَىٰ فَقَلْبِي بِالهُمُومِ مُرَوَّعُ
وَجَوَانِحِي مِنْ حَرِّ شَوْقِي فِي لَظًى ... وَجْدٌ بِهِ تُحْنَىٰ عَلَيْهِ الأَضْلُعُ
مَا لِيَ سِوَى الظَّنِّ الجَمِيْلِ وَسِيْلَةٌ ... فَهْوَ الجَوَادُ وَجُوْدُهُ لاَ يُمْنَعُ

قال: وأنشدني لنفسه متغزلاً: [من الكامل]

يُخْفِي الهَوَىٰ وَدُمُوْعُهُ تُبْدِيْهِ ... صَبٌّ صَبَابَةُ وَجْدِهِ تُضْنِيْهِ
وَتُمِيْتُهُ أَشْوَاقُهُ فَإِذَا بَدَا ... مِنْ نَحْوِ رَامَةَ بَارِقٌ يُحْيِيْهِ
وَإِذَا النَّسِيْمُ سَرَىٰ إِلَيْهِ بِنَشْرِكُمْ ... نَشَرَ الَّذِي مِنْ حُبِّكُمْ يَطْوِيْهِ
فَتَرُدُّهُ زَفَرَاتُهُ مِنْ حَرِّهَا ... عَنْهُ وَبَاعَثُ شَوْقِهِ يُدْنِيْهِ
يُغْرِيْهِ عَاذِلُهُ وَأَيْنَ سُلُوُّهُ ... مِنْهُ وَطَوْعُ غَرَامِهِ نَاهِيْهِ

(١) ط٢/ ١٨٩ ـ ١٩٢، ونقل عنه الترجمة كاملة.
(٢) في بغية الوعاة «علي أبي سعيد» وهو تصحيف.
(٣) انظر: ترجمته في بغية الوعاة ١/ ٥٨٠.
(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الدبّاس النيلي، ترجمته في تأريخ دنيسر ص٣٢.

/ ١٨٥ب/ فَهْوَ السَّلِيْمُ بِوَجْدِه فَلِذَا إِذَا ... هَبَّ النَّسِيْمُ كَأَنَّهُ رَاقِيْهِ[١]
رَقَّ العَذُوْلُ لِحَالِهِ مِنْ سُقْمِهِ ... وَبَكَى وَحَسْبُكَ عَاذِلٌ يَبْكِيْهِ
آس إِذَا هَبَّ النَّسِيْمُ مِنَ الحِمَى ... هَيْهَاتَ عَزَّ مِنَ الأَسَى آسِيْهِ
وَمُهَفْهَفٍ عَبَثَ الصِّبَا بِقَوَامِهِ ... مَا فِيْهِ مِنْ عَيْبٍ لِمُسْتَجْلِيْهِ
سَكِرَتْ لَوَاحِظُهُ بِخَمْرِ السِّحْرِ مِنْ ... فَتَرَاتِهَا وَدَلالُهُ سَاقِيْهِ
سَلَّتْ سُيُوْفَ التِّيْهِ مِنْ إِعْرَاضِهِ ... لَحَظَاتُهُ فَمُحِبُّهُ فِيْ التِّيْهِ
يَا بَدْرُ إِنْ طَالَ المِطَالُ فَعُدْ عَلَى ... بُعْدِ البِعَادِ تَحِيَّةً تُحْيِيْهِ
أَيْنَ المَفَرُّ وَلا مَفَرَّ لِعَاشِقٍ ... حَكَمَتْ عَلَيْهِ يَدُ السَّقَامِ وَفِيْهِ

قال: وأنشدني لنفسه إملاءً: [من الخفيف]

أَيُّ شَيءٍ أَحْلَى مِنَ الحُبِّ جَهْرَا ... لَذَّةُ العِشْقِ أَنْ تُهَتِّكَ سِتْرَا
رَحِمَ اللهُ مَنْ وَشَى بِيْ فَإِنِّيْ ... أَسْتَلِذُّ الهَوَى وَإِنْ كَانَ مُرَّا
لَيْتَ شِعْرِيْ مَاذَا تَقُوْلُ وُشَاتِيْ ... أَنَا مُغْرًى بِحُبِّهِمْ أَنَا مُغْرَى
وَإِذَا مَا الحَبِيْبُ كَانَ عَلَى الحُـ ... ـبِّ مُعِيْنًا لَمْ تَخْشَ زَيْداً وَعَمْرَا
/ ١٨٦أ/ وَحَيَاةِ الهَوَى وَحَقِّ زَمَانِ الـ ... ـوَصْلِ وَالجَارِيَاتِ يُسْراً وَعُسْرَا
لَوْ أَطَقْتُ المَزِيْدَ فِيْ الحُبِّ لازْدَدْ ... تُ وَلَكِنَّنِيْ تَحَمَّلْتُ وِقْرَا
يَا مُنَى النَّفْسِ يَا نِهَايَةَ آمَا ... لِي بِمَنْ قَدْ كَسَا جُفُوْنَكَ سِحْرَا
بِالَّذِيْ صَانَ ذَا الجَمَالَ عَنِ الرِّيْـ ... ـبَةِ بِالطَّائِفِيْنَ شُعْثًا وَغُبْرَا
لا تَدَعْ مُهْجَتِيْ تَذُوْبُ مِنَ الشَّوْ ... قِ غَرَامًا فَأَنْتَ بِالحَالِ أَدْرَى
فَفُؤَادِيْ مِنَ التَّهَاجُرِ مَفْؤُوْ ... دٌ وَعَيْنَايَ بَعْدَ بُعْدِكَ سَهْرَى
لَسْتُ مَنْ يَسْتَطِيْعُ صَبْراً عَلَى البَـ ... ـيْنِ وَمَنْ ذَا يُطِيْقُ لِلْبَيْنِ صَبْرَا

قال: وأنشدني أيضًا لنفسه: [من مجزوء الطويل]

أَلَذُّ الهَوَى مَا ذَلَّ فِيْهِ عَزِيْزُهُ ... وَأَقْتَلُهُ لِلْعَاشِقِيْنَ غَرِيْزُهُ[٢]
وَأَفْتَكُهُ طَرْفٌ كَحِيْلٌ إِذَا رَنَا ... تُبَلْبِلُ أَلْبَابَ البَرَايَا رُمُوْزُهُ

---

(١) السليم: الملدوغ.
(٢) الغريزة: الطبيعة والسجية.

قال: وأنشدني لنفسه إرتجالاً: [من مجزوء الوافر]

فَــدَيْتُــكَ كُــفَّ عَــنْ ظُلْمِــي ... فَفِــي الأَيَّــامِ مُعْتَبَــرُ
جَنَــىٰ طَــرْفِــي عَلَــىٰ قَلْبِــي ... فَكَــانَ جَــزَاءَهُ السَّهَــرُ

[٩١٢]

/١٨٦ب/ يحيىٰ بنُ إسماعيلَ بن موسىٰ بنِ إبراهيمَ بنِ منصورِ بن العاصِ، أبوَ زكريّا الموصليُّ.

المذكورُ والدُه في الجزء الأول من الكتاب(١).

أخبرني أنه ولد في الليلة المسفرة عن صباح يوم الجمعة سَلْخَ جمادى الآخرة سنة ستمائة بالموصل؛ وهو شاب ذو نوادر ومضحاكات ومفكاهةٍ ومداعباتٍ وأزجالٍ وموشحات، وأشعار في الزكالش هزليات.

غلب عليه نوعُ المُداعبة والهزل فشهر به، واستمر في نهجه وله معرفةٌ بأحوال الساسانيَّة، وكلام أهل التُلَّاريَّة، ومقالات المنجمين والطرقيّة. وعنده قحةٌ في مخاطباته وقلّة حياءٍ ومصادفة وجرأةٌ في الكلام الرديء الفاحش؛ إلاَّ أنَّ فيه ذكاءً وله طبع في الشعر.

ومما أنشدني لنفسه يمدح بدر الدين لُؤلُؤ بن عبد الله ـ صاحب الموصل ـ ويذكر الخلعة التي جاءته من أمير المؤمنين الإمام المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن محمد، /١٨٧أ/ والسيف والسِّنْجَق(٢)، وأنْ يَخطب له علىٰ المنبر ويضرب الدينار باسمه ومؤازرته ومعاضدته له: [من البسيط]

الحَمْــدُ لله نَــالَ السُّــؤْلَ طَــالِبُــهُ ... وَقَــامَ فِــي المِنْبَــرِ البَــدْرِيِّ خَــاطِبُــهُ
وَأَشْــرَقَــتْ غُــرَّةُ الــدُّنْيَــا وَأَبْتَهَــجَ الــ ... ـمُلْــكُ المُــؤَيَّــدُ وَاهْتَــزَّتْ مَنَــاكِبُــهُ
وَشُــرِّفَ السِّنْجَــقُ المَيْمُــوْنُ حِيْــنَ غَــدَا ... تُلْــوَىٰ عَلَــىٰ مَلِــكِ الــدُّنْيَــا عَصَــائِبُــهُ

---

(١) مرت ترجمته في الجزء الأول برقم ١٦٤، وفيه اسمه (إسماعيل بن موسى بن منصور بن إبراهيم بن العاص).
(٢) السنجق: العلم.

أَبِـي الفَضَـائِـلِ سُلْطَـانِ الـرَّعِيَّـةِ بَـدْ ... رِ الـدِّيْـنِ ذِي الشَّـرَفِ العَـالِـي مَنَـاقِبُـهُ
سَمْعًـا دَعَـوْتَ أَمِيْـرَ المُـؤْمِنِيْـنَ إِلَـىٰ ... حَـقٍّ تَجَلَّـتْ لِـرَائِيْـهِ كَـوَاكِبُـهُ
وَاخْتَـرْتَ أَرْوَعَ صَفَّـى اللهُ جَـوْهَـرَهُ ... يَسْمُـو بِـهِ الـدَّهْـرُ حَقًّـا فَهْـوَ صَاحِبُـهُ
أَلْبَسْتَـهُ حُلَّـةً جَـاءَتْ مِـنَ المَـلأِ الأَ ... عْلَـىٰ تَهَـادَىٰ فَـزَفَّتْهَـا سَحَـائِبُـهُ
وَصَـارِمًـا أَبَـدًا تَعْنُـو الـرِّقَـابُ لَـهُ ... كَـأَنَّمَـا القَـدَرُ الجَـارِي مَضَـارِبُـهُ
قَلَّـدْتَ أَمْـرَ عِبَـادِ اللهِ خَيْـرَهُـمُ ... فَـأَصْبَـحَ المُلْـكُ قَـدْ عَـزَّتْ مَطَـالِبُـهُ
فَـالآنَ قَـرَّتْ عُيُـوْنُ العَـالَمِيْـنَ بِمَـا ... أُوْتُـوا وَأَمَّ سَبِيْـلَ الحَـقِّ رَاكِبُـهُ
يَـا مَعْشَـرَ النَّـاسِ أَوْفُـوا بِـالنُّذُوْرِ فَـذَا الـ ... ـوَقْـتُ الَّـذِي خَطَّـهُ فِـي اللَّـوْحِ كَـاتِبُـهُ
هَـذَا الَّـذِي ظَهَـرَتْ بِـاللهِ آيَتُـهُ ... هَـذَا الَّـذِي تَفْتَـحُ الـدُّنْيَـا كَتَـائِبُـهُ
/ ١٨٧ب/ مَلْـكٌ لَـهُ عَلَـمُ الإِقْبَـالِ مُنْتَشِـرٌ ... وَالسَّعْـدُ رَافِعُـهُ وَاللهُ نَـاصِبُـهُ
يُنْبِئْـكَ عَـنْ أَصْلِـهِ أَفْعَـالُـهُ وَكَـذَا الأَ ... فْعَـالُ تَهْـدِي إِلَـىٰ مَـنْ طَـلَّ نَـاسِبُـهُ
بِيْـضٌ مَنَـاقِبُـهُ صُفْـرٌ مَـوَاهِبُـهُ ... خُضْـرٌ مَـوَاطِئُـهُ حُمْـرٌ قَـوَاضِبُـهُ
هَـذَا الَّـذِي يَخْتِـمُ المُلْـكَ العَقِيْـمَ فَمَـا ... مِـنْ بَعْـدِهِ مَلِـكٌ إِلاَّ عَـوَاقِبُـهُ
هَـذِي البِـدَايَـةُ فَـانْظُـرْ كَيْـفَ تَخْطُبُـهُ الـ ... ـبِـلادُ طُـرًّا وَأَطْـوَارًا تُجَـاذِبُـهُ
فَـلا فَتِـي الفَلَـكُ الـدَّوَّارُ يَخْـدُمُـهُ ... مَـا ذَرَّ شَـارِقُـهُ وَانْحَـطَّ غَـارِبُـهُ

وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

وَمَتَـىٰ شِئْـتَ أَنْ تَنَـالَ مِـنَ المَـوْ ... صِـلِ حَظًّـا فَقُـلْ بِغَيْـرِ مَخَـافَـهْ
إِنَّنِـي شَـاعِـرٌ أَتَيْـتُ مِـنَ الشَّـا ... مِ وَقَصْـدِي مَقَـرُّ دَارِ الخِـلافَـهْ
وَأَظْهِـرِ النَّصْـبَ تَـرْتَفِـعْ وَتَجُـرُّ الـ ... ـمَـالَ مِـنْ جَمْعِهِـمْ بِحَـرْفِ الإِضَـافَـهْ

وأنشدني لنفسه يهجو يوسف بن عبد الكريم الشاعر الموصليّ الملقب بالكُوذين. وكان مشوّه الخلق ضعيف العينين: [من السريع]

/ ١٨٨ب/ قَـالُـوا: نَـرَىٰ الكُـوذِيـنَ دُوْنَ الـوَرَىٰ ... فَـرْدًا بِـلاَ صِيْـتٍ وَلاَ صَـوْتْ
فَقُلْـتُ: كُفُّـوا لَيْتَـهُ لَـمْ يَـزَلْ ... بِشَخْصِـهِ عِنْـدِي إِلَـىٰ الفَـوْتْ
أَقَـلُّ مَـا فِـي وَجْهِـهِ أَنَّـهُ ... يَفْـزَعُ مِنْـهُ....... (١)

(١) موضع النقاط بياض في الأصل.

وأنشدني أيضًا فيه يهجوه: [من البسيط]

تَقَلَّبَ الدَّهْرُ تَقْلِيبًا عَجِبْتُ لَهُ ... حَتَّى لَقَدْ صَارَ فِي الآتهِ عِبَرُ
وَكَانَ عَهْدِي بِالكُوْذِيْنِ مِنْ خَشَبٍ ... نَقِي وَجْهِ يَدُقُّ الثَّوْبَ يَنْقَصِرُ
وَقَدْ غَدَا يُوْسُفُ الكُوْذِيْنُ هَامَتُهُ ... تَدُقُّ وَالوَجْهُ مِنْهُ أَسْوَدٌ حَجَرُ

وأنشدني لنفسه يخاطب بدر الدين لؤلؤ حين قرب الشيطان الشاعر الإربلي[1]؛ ويحيىٰ هذا كان ينعتُ بالنجم: [من البسيط]

قُلْ لِلْمَلِيْكِ الَّذِيْ مَا زَالَ مُعْتَصِمًا ... يُجِيبُ بِالرُّحْبِ وَالإكْرَامِ دَاعِيْهِ
حَاشَا مَقَرَّكَ وَالأَمْلاكُ تَحْرُسُهُ ... أَنْ تُبْعِدَ النَّجْمَ وَالشَّيْطَانَ تُدْنِيْهِ

/١٨٨ب/ وأنشدني لنفسه في حُسين بن عُمر بن العصّار الشيرجي. وكان كبير الأنف جداً: [من الكامل]

قُلْ لِلْحُسَيْنِ الشَّيْرَجِيِّ عَدِمْتَهُ ... قَاضِي الفُسُوْقِ وَحُجَّةِ المُتَمَرِّدِ
شَبَّهْتُ أَنْفَكَ كُرْدُكُوه بِعَيْنِهَا ... وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا جَلِيُّ المَقْصَدِ
إِنَّ المَلاحِدَ أَصْبَحُوا فِي قَلْعَةٍ ... وَرَأَيْتُ أَنْفَكَ قَلْعَةً فِي مُلْحِدِ

وأنشدني لنفسه يخاطب بدر الدين لؤلؤ: [من الطويل]

أَمَوْلايَ بَدْرَ الدِّيْنِ نُعْمَاكَ لَمْ تَكِلْ ... إِلَىٰ رِحْلَةِ وَسْطَ الشِّتَاءِ وَلاَ الصَّيْفِ
مَلَكْتَ وَمِلءُ الأَرْضِ جَدْبٌ وَرَوْعَةٌ ... فَأَطْعَمْتَ مِنْ جُوْعٍ وَآمَنْتَ مِنْ خَوْفِ

وأنشدني له فيه أيضًا يخاطبه: [من الخفيف]

سِرْتُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا أَطْلُبُ الأَمْـ ... ـنَ لِخَوْفِي وَالأَمْنُ بَيْنَ يَدَيْكَا
جِئْتُ مُسْتَنْصِرًا بِحِلْمِكَ مِنْ بَأْ ... سِكَ عَبْدٌ قَدْ فَرَّ مِنْكَ إِلَيْكَا

وأنشدني قوله: [من مجزوء الرجز]

/١٨٩أ/ يَا مَنْ يَخَافُ العُسْرَ أَوْ ... يَخْشَىٰ مِنَ المَكَارِهْ
اقْصِدْ أَبَا الفَتْحِ وَدُرْ ... تَفُزْ بِبَابِ دَارِهْ
فَالأَمْنُ فِي يَمِيْنِهِ ... وَاليُسْرُ فِي يَسَارِهْ

(١) وهو (يوسف بن نفيس بن أبي الفضل المرّلي)، ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٩٤.

وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

وَصَائِمٍ جَاءَنِي وَالكَأْسُ مُتْرَعَةٌ ... وَسْطَ النَّهَارِ تُحَاكِي جَذْوَةَ النَّارِ
فَقَالَ لَمَّا رَآهَا فِي فَمِي: غَرُبَتْ: ... اللهُ أَكْبَرُ هَذَا وَقْتُ إِفْطَارِي

وأنشدني لنفسه يهجو: [من الطويل]

وَقَالُوا: يَرَىٰ مَسْعُودُ شَخْصَكَ مُنْكَراً ... فَأَوْضِحْ لَنَا مَا قَالَهُ بِبَيَانِ
فَقُلْتُ: صَحِيْحٌ ذَاكَ مَازَالَ ظَهْرُهُ ... إِلَيَّ فَيَا للهِ كَيْفَ يَرَانِي

[٩١٣]

يحيىٰ بنُ أبي بكرِ بنِ مكيٍّ، أبو زكريا الكاتبُ التميميُّ.

منْ أهلِ بَجَّانةَ من بلاد المغرب(١).

كان يكتبُ لبعض بني عبد المؤمن المستولين يومئذ علىٰ البلاد المغربية. وكان من الأفاضل في زمانه أدبًا وكتابةً وقولاً للشعر، وحفظًا للأشعار؛ ذا حظٍّ جزيلٍ من علم اللغة والعربيَّة.

حدَّثني /١٨٩ب/ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن يُوسف الفُرَّياني بحلب، قال: اتفق أنْ اجتمع جماعة من غلمان صاحب المغرب وخواصه يرمون بالنُّشاب فبينما هم في ذلك إذْ أقبل الأميرُ حينئذ، ثم قصد القرْطاس فأزاله من مكانه، ووضع يده عوضه، وقال للرماة: أيّكم أصاب يديّ دفعتُ إليه ألفَ دينار فأشار إليه بعض الحاضرين، وقال: أعيذُك أيها الأمير من السُوء، هذا لا يُمكن وإنَّما نجعلُ موضع يد الأمير الهدف ويُرْمىٰ فأزال يدهُ من ذلك فابتدر أحدُ الغلمان ورمىٰ فأصاب الهدف الذي وضع، فدفع إليه الأمير ألف دينار، فقال أبو زكريا بديهًا في ذلك الوقت وكان حاضراً ذلك كلّه، وأنشدناهُ: [من البسيط]

يَا خَامِسَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ عَسَىٰ ... شَكْوَاكَ تُقْبَضُ فِيْ الأَيْدِي وَتُفْتَرَضُ
عَلَّمْتَهَا البَسْطَ لِلْجَدْوَىٰ لِسَائِلِهَا ... حَتَّىٰ مِنَ السَّهْمِ يُضْمِي لَيْسَ يَنْقَبِضُ
لَمْ يَقْصِدِ السَّهْمُ إِلَّا كَيْ يُعَرِّفَنَا ... هَذَا الإِمَامُ الَّذِيْ فِيْ كَفِّهِ الغَرَضُ

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (بجانة).

/ ١٩٠أ/ وأنشدني، قال: أنشدني أبو زكريا أيضًا من شعره: [من الطويل]

بَكَيْتُ فَمَا أَغْنَى البُكَاءُ وَلاَ أَجْدَى ... فَكَيْفَ وَقَدْ أَهْدَى لِيَ البَيْنُ مَا أَهْدَى
وَمَا فُرْقَةُ الأَحْبَابِ إِلاَّ رَزِيَّةٌ ... تُبِيدُ الفَتَى سُقْمًا وَتَقْتُلُهُ وَجْدَا
هُمُ أَوْرَثُوا قَلْبِيَ الصَّبَابَةَ وَالجَوَى ... وَهُمْ أَوْرَثُوا عَيْنِيَ المَدَامِعَ وَالسُّهْدَا
أَيَا هِنْدُ لاَ كَانَ الفِرَاقُ وَيَوْمُهُ ... فَقَدْ طَالَ مَا شَقَّ القُلُوبَ وَمَا هَدَّا
نَسِيرُ وَمَا نَدْرِي لِفُرْقَتِنَا مَدًى ... سِوَى أَنَّ هَذَا البَيْنَ مَا بَيْنَنَا جِدَّا
أَيَا هِنْدُ إِنِّي غَيْرُ رَاضٍ بِسَلْوَةٍ ... وَلاَ نَاقِضٍ وُدًّا وَلاَ نَاقِضٍ عَهْدَا
وَلَوْ كَانَ لِي بُدٌّ عَنِ البُعْدِ وَالنَّوَى ... أَقَمْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ عَنْهُمَا بُدَّا
أَيَا هِنْدُ لَوْ أَبْصَرْتِ شَوْقِي وَلَوْعَتِي ... لَجَدَّدْتِ لِي حُبًّا وَأَسقعتِ لِي وُدَّا
أَعِنْدَكِ أَنِّي فِي بُحُورٍ مِنَ الأَسَى ... غَرِيقٌ وَلَمْ أَبْلُغْ لِغَايَتِهَا حَدَّا
فَهَاتِيكَ حَالِي وَالدِّيَارُ قَرِيبَةٌ ... فَكَيْفَ إِذَا مَا ازْدَدْتُ عَنْ دَارِكُمْ بُعْدَا

[٩١٤]

يحيى بنُ الحسن بن الحسين بن عليِّ بن محمد ـ ويلَقَّبُ البطريقَ ـ ابن نصرَ بن حمدون بَن ثابت بن / ١٩٠ب/ مالك بن ليث بن عامرَ بن غَنم بن فهرَ بَن دلجةَ بَن بشر بن مُعاويةَ بَن بدرَ بنَ ثعلبةَ بنَ حبالَ بن نصرَ بَن سُواةَ بَن سعَد بَن مالك بن ثعلَبَةَ بَن دُودانَ بن أسدَ بن خُزَيمةَ بن مُدركةَ بنَ الياسَ بن مضر بنَ نزار بنِ معدِّ بَنِ عدنانَ، أبوَ الحسينِ، وأبو زكرياَ الأسديُّ[١].

(١) توفي سنة ٦٠٠هـ.
ترجمته في: لسان الميزان ٦/ ٢٤٧. أمل الآمل ٢/ ٣٤٥. أعلام العرب للدجيلي ٢/ ٣٢. روضات الجنات ٤/ ٢٣٢. الطليعة للسماوي ٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩ رقم ٣٣٣. الكنى والألقاب ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧. الثقات العيون ٣٣٧. لؤلؤة البحرين ٢٨٣. مستدرك الوسائل ٢/ ٤٧٦. فقهاء الفيحاء ١/ ١٣٢. مصفى المقال ٥٠١. معجم مؤلفي الشيعة ١١، ١٤٧، موسوعة أعلام الحلة ١/ ٢٥٧. منهج المقال ٥١٣. تأريخ الحلة ٢/ ١٣. تذكرة المتبحرين ٧٣. الأعلام ط٤/ ٨/ ١٤١. تأسيس الشيعة ١٣. هدية العارفين ٢/ ٥٢٢. إيضاح المكنون ١/ ٢١، ٢/ ١٢١. الذريعة ١/ ٨٣، ٣/ ٢٢٢، ٤/ ١٩٨، ٧/ ١٧٥، ٢١/ ٥.

كانت ولادته ومنشأه بالحلّة المزيديّة.

كان عالمًا فقيهًا قدوةً في مذهب الشيعة إمامًا من أئمتهم، سمع الحديث الكثير، وسافر [إلى] البُلدان، وسمع عليه أهلها عدَّة كتبَ من تصنيفه وتصنيف غيره؛ ثم عاد إلىٰ الحلة المزيدية فكانت وفاته بها في سنة إحدىٰ وستمائة.

وقد ذكره الشريف أبو عبد الحميد فخار بن معد بن أحمد بن محمد الحلي الموسوي في مشايخه، وقال: لقي أبو زكريا يحيىٰ بن الحسن بن الحسين بن علي بن البطريق الأسدي الحلي الفقيه العماد الطبري تلميذ أبي علي بن الطوسي، وقرأ عليه ولقي غيره.

وعلت سنُّهُ حتىٰ بلغ ثمانين سنةً، وصنَّف كُتبًا حسنةً، ومضىٰ / ١٩١أ/ إلىٰ واسط، وأقام عشرين سنة، ثم عاد إلىٰ الحلة فمكث بها قليلاً، ثم فارقها وقدم إلىٰ الموصَل، ثم إلىٰ حلب واستوطنها مدّةً ثم رَحل عنها. وكان حسن المذهب، طيب المُعاشرة، هذا آخر كلامه.

صار إليّ من تصنيفه كتاب كبير لقبه بـ«العمدة من صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار علي بن أبي طالب وصيّ المختار وعلىٰ الأئمة من ذريته الأطهار»، وصنف كتابًا آخر وسمه بـ «مُستدرك المختار في مناقب المختار» استخرجه من المسانيد الصحاح المؤلَّفة. تكلَّم علىٰ الأحاديث ومعاني الآيات، وفصَّله فصولاً، وأضاف إلىٰ ذلك مقطعات حسانًا من شعره في مدح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ.

وكان شاعراً أديبًا؛ وهو والد أبي الحسن علي بن يحيىٰ بن الحسن بن البطريق الذي مرَّ شعرُهُ متقدّمًا في مكانه[1].

ومن شعره ما أنشدني الشريف النقيبُ الأجل العالم السيد الأطهر / ١٩١ب/ جمالُ آل رسول الله ﷺ فخر الدين أبو الوفا عبيد الله بن علي بن زيد بن محمد بن عبيد الله الحُسيني الموصليُّ بها ـ رضي الله عنه ـ قال: قرىء علىٰ يحيىٰ بن الحسن الأسدي

(١) ترجمته في الجزء التاسع برقم ٤٤١.

لنفسه، وأنا أسمع في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ:

[من الطويل]

إِذَا حَرَّفُوا نَصّاً عَلَيْكَ مُحَبَّراً ... فَهَلْ حَرَّفُوا مَا فِيْ الكِتَابِ المُنَزَّل
وَإِنِّي سَأُبْدِيْ فِيْكَ مَا نَبَذَ العِدَا ... بِظَهْرٍ مِنَ الوَحْيِ العَزِيْزِ المُرَتَّل
وَمِنْ مُسْنَدِ الآثَارِ عَنْ سَيِّدِ الوَرَىٰ ... نَبِيِّ الهُدَىٰ المَنْعُوْتِ بِالمُتَزَمِّلِ
أَبَا حَسَنٍ إِنِّي إِلَيْكَ مُمَسِّكٌ ... وَبَعْدَ إِلَهِ العَرْشِ أَنْتَ مُعَوَّلِي

وأنشدني أيضًا، قال: أخبرنا لنفسه قراءةً عليه يمدحه ـ صلوات الله عليه ـ:

[من الكامل]

وَإِذَا المَدَائِحُ زَيَّنَتْ فَخْرَ امْرِىءٍ ... كَانَ المَدِيْحُ بِفَخْرِكَ المَمْدُوْحَا
وَإِذَا المَنَاقِبُ زُيِّنَتْ بِمَدَائِحٍ ... جَعَلَتْ مَنَاقِبُكَ المَدِيْحَ مَدِيْحَا
/ ١٩٢أ/ أَنْتَ الَّذِيْ رَدَّ الإِلَهُ بِقَوْلِهِ ... شَاطِيْ الفُرَاتِ عَلَىٰ البَرِيَّةِ يُوْحَىٰ(١)
أَنْتَ الَّذِيْ مُذْ لَمْ نَزَلْ فِيْ فَضْلِهِ ... بِرِسَالَةِ الرُّوْحِ المُؤَيَّدِ يُوْحَىٰ

وأنشدني عنه قوله يمدحه ـ كرّم الله وجهه ـ: [من الوافر]

إِمَامٌ لِلْمُعَانِدِ وَالوَلِيِّ ... وَمَوْلَىٰ لِلْمُوَافِقِ وَالقَلِيِّ
لَهُ فَرْضُ الوَلَاءِ بِيَوْمِ خُمٍّ ... بِوَحْيِ اللهِ فِيْ النَّصِّ الجَلِيِّ
فَحَسْبُكَ مِنْ مُفَاخَرَةٍ قَدِيْماً ... غَدَا نُوْراً عَلَىٰ العَرْشِ العَلِيِّ
وَحَسْبُكَ مِنْ مَنَاقِبِهِ حَدِيْثاً ... وَصِيٌّ لِلنَّبِيِّ الأَبْطَحِيِّ

وأنشدني عنه أيضًا فيه عليه السلام: [من البسيط]

جَاهَدْتُ فِيْكَ بِقَوْلِيْ وَاللِّسَانُ لَهُ ... فَضْلٌ عَلَىٰ السَّيْفِ وَالعَسَّالَةِ الذُّبُلِ
لَوْلَا اللِّسَانُ لَمَا سُلَّ الحُسَامُ وَلَا الْـ ... ـتَقَتْ جُمُوْعُ الوَغَىٰ فِيْ مَعْرَكٍ حَفِلِ
فَالْقَوْلُ تَخْدُمُهُ الأَسْيَافُ إِنْ سَعِدَتْ ... أَرْبَابُهَا وَبِهِمْ شَوْقٌ إِلَىٰ العَمَلِ
بِهِ عَرَفْنَا مَقَادِيْرَ السَّعِيْدِ مِنَ الشَّـ ... ـقِيِّ لَا بِالظُّبَاةِ البِيْضِ وَالأَسَلِ

/ ١٩٢ب/ وأنشدني عنه فيه ـ كرم الله وجهه ـ: [من الكامل]

---

(١) يوح ويوحى: من أسماء الشمس.

تَثْنِي مَقَاصِدُهُ الرَّدَىٰ عَنْ قَصْدِه ... وَمَقَاصِدُ الرَّحْمَانِ غَايَةُ قَصْدِه
أَبداً رِضَا الجَبَّارِ فِي سَطَوَاتِه ... وَكَذَا رِضَا المُخْتَارِ فِي إِفْرَنْدِه
نَهَضَتْ بِهِ رُتَبُ الكَمَالِ بِسُؤْدَدٍ ... أَعْيَا عَلَىٰ مَنْ رَامَ فِيهِ بِجَهْدِه

وأنشدني عنه أيضًا ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: [من الطويل]

مَنَاقِبُ فِي دِينِ عَلَيهَا طُلاَوَةٌ ... وَمِنْهَا لِجِيدِ المَكْرُمَاتِ تَمَائِمُ
قَلاَئِدُ فِي بيتِ الدِّيَانَةِ وَالهُدَىٰ ... وَمِنْهَا لِفَخْرِ المَكْرُمَاتِ مَكَارِمُ

[٩١٥]

يحيىٰ بنُ الحسنِ بن أحمدَ بن مروانَ بنِ عليِّ بنِ سَلاَمَةَ بنِ مروانَ، أبو زكريا الطَنْزيُّ ـ بالنون والزاي ـ.

من طَنْزة، بلدةٌ فوق الجزيرةِ العُمريّة من ديار بكر(١).

وقد أوردت من شعر جدّ أبيه مروان بن علي في كتابي المتقدّم الملقب بـ«تحفة الكبراء المذيل علىٰ معجم الشعراء».

وكانت / ١٩٣أ/ ولادة أبي زكريا ـ هذا ـ في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بطنزة. ونشأ بها وانحدر إلىٰ الموصل، وتفقه بها علىٰ الشيخ أبي المظفَّر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي الفقيه الشافعيّ مُدَّة بالمدرسة الأتابكية العتيقة. وحفظ كتاب التنبيه للإمام أبي إسحاق الشيرازي علىٰ ظهر قلبه. وقرأ شيئًا من مسائل الخلاف والفرائض علىٰ الإمام أبي المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الموصلي، ولازمه مدَّة، وتميَّز فيما قرأ عليه.

وانحدر إلىٰ بغداد وأقام بالمدرسة النظاميَّة يسمع درس الشيخ أبي علي يحيىٰ بن الربيع بن سُليمان بن حرَّاز العدوي الواسطي مدرّس النظامية. ثم انتقل بعد مديدة إلىٰ دار الذهب وسمع بها الدرس من أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن فضلان، وكان المَدرس بها يومئذ. واستدلّ بين يديه ولازم الإشتغال وتمهّر في المسائل الخلافية وعلم المذهب والفرائض.

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (طنزة).

ثم أصعد من بغداد في سنة خمس وستمائة، /١٩٣ب/ وأقام بالموصل مُديدةً يسيرة، ثم توجَّه إلىٰ بلده فولي القضاء والتدريس بها. فكان يقضي ويدرّس ويفتي وبقي علىٰ ذلك مُدَّة. ثم صُرف عن القضاء بسبب تغير وزير كان بديار بكر؛ ثم أعيد عن قريب.

وكان قد فقهتْ نفسُهُ، ورقَّ طبعه، ينظمُ الشعر الرقيق. وكان اجتماعي بالقاضي أبي زكريا بحلب في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وستمائة بالمدرسة النوريّة المعروفة بالنفَّرية.

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

مَـنْ لـيْ بطَيْفـكَ أنْ يكُـوْنَ مُسَـامـرِيْ ... يَـا غَـائبـاً لَـمْ يَخْـلُ منْـهُ خَـاطـرِيْ
لَهْفـيْ عَلَـىٰ ذَاكَ الـزَّمَـان وَطَيْبـه ... أيَّـامَ كُنْـتَ مُصَـاحبـيْ وَمُعَـاشـرِيْ
تَـالله لَـوْ يُـرْجَـىٰ لَـهُ مـنْ عَـوْدَة ... أوْ يُفْتَـدَىٰ لَفَـدَيْتُـهُ بـالنَّـاظـر
هَـلْ أنْـتَ يَـا أمَلـيْ عَلَـىٰ طُـوْل المَـدَىٰ ... أنسيْتَنـيْ أمْ هَـلْ فَـدَيْتُـكَ ذَاكـرِيْ
أقْسَمْـتُ بـالبَيْـت العَتيْـق وَمَـنْ دَعَـا ... بفنَـائـه مـنْ مُحْـرم وَمُجَـاور
إنْ عَـادَ شَمْلـيْ جَـامعـاً بـأحبَّتـيْ ... مـنْ بَعْـد طُـوْل قَطيْعَـة وَتَهَـاجُـر
/١٩٤أ/ قَضَّيْتُ عُمْريْ للأحبَّة شَاكراً ... وَغَفَـرْتُ زَلَّات الـزَّمَـان الغَـادر

وأنشدني أيضًا لنفسه إملاءً: [من الكامل]

إنْ كَـانَ صَـدُّكَ عَـنْ قلًـى وَمَـلاَل ... أوْ كَـانَ عَـنْ تيْـه وَفَـرْط دَلاَل
فَلَقَـدْ علمْـتَ بـأنَّنـيْ رَاض بمَـا ... تَـرْضَـاهُ لـيْ يَـا مُنْتَهَـىٰ آمَـالـيْ
قَسَمـاً بـوَجْهـكَ إنَّـهُ لـيْ كَعْبَـةٌ ... حَجِّـيْ لَهَـا مُتَتَـابـعٌ مُتَـوَالـيْ
لَـوْلاَكَ لَـمْ أخْضَـعْ لـوَاش كَـاشـح ... كَـلاَّ وَلاَ أغْضَبْـتُ فيْـكَ رجَـالـيْ
لكـنَّ حُبَّـكَ قَـدْ تَمَلَّـكَ مُهْجَتـيْ ... كَـرْهـاً فَـلاَ ألْـويْ إلَـىٰ عُـذَّالـيْ
يَا قَـامَـةَ الغُصْـن الـرَّطيْـب وَفَـرْحَـةَ الصَّـ ... ـبِّ الكَئيْـب أمَـا مَلَلْـتَ مطَـالـيْ
هَـبْ أنَّنـيْ رَاض بصَـدِّكَ وَالقلَـىٰ ... لِـمْ لاَ تَجُـوْدُ تكَـرُّمـاً بـوصَـالـيْ
مَـوْلاَيَ أنْـتَ جَعَلْتَنـيْ غَـرَضـاً لمَـا ... أرْمَـىٰ الغَـدَاةَ بـه مـنَ الأقْـوَال
وَتَـرَكْتَنـيْ بيْـنَ الـرِّجَـال يَسُـوْمُنـيْ ... مَـنْ كُنْـتُ لاَ أرْضَـىٰ لحَمْـل نعَـالـيْ

[٩١٦]

يحيىٰ بنُ حُميد بن ظافر بن عليٍّ بن الحُسين بن عليٍّ بن القائد أبي عليٍّ يُعرفُ بمؤيِّدَ الحقِّ بن صالح بنَ عَليٍّ بن سَعد بنَ كريم بن محمد بن الحَسن بن الحَارث بَن عَليٍّ / ١٩٤ب/ بنَ سعدَ بنَ مسعودَ بنَ اليعقوبَ بن حارثَةَ بنَ الأعصم بن غنم بنَ أسدَ بنَ سالم بَن سَعد بن الحَارث بن صَخر بن الحَارثَ بنَ صخَر بَن الحَارثَ بن الخَزرج بن حَارثَةَ بن ثعَلبةَ بن عمروَ بنَ عامر بَنَ حارثةَ بَن امرىء القَيسَ بن ثعلبةَ بن مازنَ بن الأزدَ ـ وهَو غَسّانُ ـ بنُ الغوث بَن مالكَ بنَ زيد بن كهلانَ بن سبأ بنَ يشجبَ بنِ يعربَ بنِ قحطانَ، أبو زكريا بنُ أبي طيٍّ الأزديُّ(١).

من أهل حلب، هكذا كُتب نسبُهُ من خطّ يده.

كانت ولادته في آخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

وتوفي بها يوم الأحد الحادي والعشرين من جمادىٰ الأولىٰ سنة سبع وعشرين وستمائة.

وكان أبوه نجاراً ـ وكذلك جدُّهُ ـ واشتغل أبو زكريا بصنعة النجارة مع أبيه برهةً من الزمان ثم تركها وحفظ القرآن العزيز، وتعلَّم الكتابة، ومال إلىٰ طلب العلم والأدب، ولقي العلماء وجالس الفضلاء؛ فقرأ فقه الإمامية علىٰ أبي جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب السروي المازندراني.

---

(١) ترجمته في: إعلام النبلاء ٤/ ٣٧٨. لسان الميزان ٦/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤ رقم ٩٢٤. الإعلام لابن قاضي شهبة ـ خ. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٤٢١ رقم ٦٣٤. الذريعة ١/ ٣٣٦، ٣/ ٢١٩، ٢٨٧. معجم المؤلفين ١٣/ ١٩٥، ١٩٦ وفيه: «يحيى بن حميدة». كشف الظنون ٢٧، ٢٧٧، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٩٨، ٦٩٣، ٩٩٧، ١٠١٣، ١٠٩٩، ١١٠٤، ١١٥٥، ١٥٢٠، ١٦٢٢، ١٧٢٣. إيضاح المكنون ٢/ ٥٦٨. هدية العارفين ٢/ ٥٢٣. الفاطميون في مصر/ هامش ٢٩٩. علم التأريخ عند المسلمين ٥٨٠. ملحق تأريخ الأدب العربي ١/ ١٧٠. الأعلام ٨/ ١٤٤، وفيه: «يحيى بن حميدة بن ظافر...».
كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثاني ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص١١ ـ ١٣.

/ ١٩٥أ/ وقرأ الخلاف علىٰ أبي الثناء محمود بن طارق الحلبي الفقيه الحنفي.

ثم انتقل إلىٰ تعليم الصبيان وإقراء القرآن الكريم، فلزم ذلك إلىٰ سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ثم جَذبه الوزير نظامُ الدِّين أبو المؤيد محمدبن الحسين َالطغرائي وزير الدولة الظاهريَّة يومئذٍ إلىٰ تعليم ولده، فلزمه إلىٰ سنة ستمائة.

ثم ترفع عن ذلك، ولزم بيته وطلب مشايخ الأدب، فقرأ علىٰ أبي محمد القاسم بن القاسم الواسطي، وأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي الحلبي(١)، وأبي القاسم أحمد بن هبة الله بن الجبراني الحلبي(٢)، وأبي الحرم مكي بن ريَّان النحوي الماكسي وغيرهم.

ثم عمل الشعر وصار أحد شعراء دولة الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب، وارتفعت منزلتُهُ عنده، وولاّهُ نقابة الفتيان في سنة تسع وستمائة؛ فكان نقيب حضرته.

ثـم أحبَّ التصنيـف، وصنَّـف كتبًا فـي التواريخ وتفسير القرآن الكريم والآداب والفقـه / ١٩٥ب/ والأصـول كثيرةً منهـا: التـاريخ الكبير الذي وسمه بـ«معادن الذهب في تـاريخ حـلب» وهـو كتـاب جمـع فيـه أخبـار المـلوك والعـلمـاء، واحتوىٰ علىٰ أخبار الشـام التي لا يُـوجـد مجمـوعـه في كتـاب قـديـم ولا حديث، وابتدأ به من أول الفتوح إلىٰ سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وأوصل فيه الدول وأخبارها القديمة في الإسلام وَالحـديثة؛ وهو كتاب نافعٌ ومفيد، وكتاب «التنبيه علىٰ محاسن التشبيه» أتىٰ فيه بَجميع فنونه وما قال العلماء فيه؛ وهو كتاب حَسَنٌ في بابه، وكتاب في «محاسن الغلمان» يحتوي علىٰ ألف وتسعمائة غلام. جمع فيه من جيد الأشعار اللطيفة المعاني ما لا يوجدُ مجموعًا في كتاب، وقدَّمه للملك الظاهر فأعجب به وأثابه عليه أحسن ثواب، وكتاب «لمح البرهان في تفسير القرآن»، وكتاب «البيان في أسباب نزول القرآن»، وكتاب «غريب القرآن» / ١٩٦أ/ مختصر، وكتاب «المجالس الأربعين في فضائل الأئمة الطاهرين»، وكتاب «خُلاصة الخلاص في آداب الخواص»، وكتاب «حوادث الزمان» تاريخ علىٰ حروف المعجم، وكتاب «تاريخ العلماء»، وكتاب «أسماء الشعراء»، وكتاب «شفاء الغليل في

(١) ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٥٧.
(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ٩١.

ذم الصاحب والخليل»، وكتاب «الحاوي» ذكر فيه رجال الشيعة وعلماءهم وفقهاءهم وشعراءهم وأئمتهم المصنفين في مذاهبهم، وهو مرتب علىٰ حروف الهجاء. وغير ذلك من التصانيف الكثيرة، وبلغت مُصنفاتُهُ أكثر من خمسين مصنّفًا.

وكان هذا الرجل يأخذ نفسهُ بالتصنيف والجمع والتأليف ويختلق أسماءً وألقابًا لكتب فيضعُها ويضيفها إلىٰ نفسه وينتحلها. ولم يكن إلاّ صاحبَ دعاوى ومخاريق وأباطيل ويُوهِمُ أنه قد صنَّف وليس عنده ممّا /١٩٦ب/ ذكر علم ما، ولا وجدتُ شيئًا من مُصنَّفاته إلاّ اليسير.

وحدثني الصاحبُ الإمامُ أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي بحلب ـ أيّده الله تعالَىٰ ـ قال: كان إبن أبي طيّ كذابًا كثير الكذب والتحريف؛ وإنَّ هذه الكتب التي عدّدها وادعاها، وعمل لها فهرستًا، تمويهًا وتوهيمًا لم أقف منها علىٰ شيء؛ إلاّ أنَّه كان يقول قد صنفت الكتاب الفلاني في العلم الفلاني فنسأله إحضاره فيحتج بحجة ما ويغالطنا ويوهم أنه قد فرغ. وكُلّ ما يتلفظ به ويدعيه زور وكذب فإذا صح له ذلك وصدقَ في تصنيفه فيكون قد أغار علىٰ بعض الكتب، فيقدّم فيه أو يؤخر، أو يزيد قليلاً أو يختصر، ويختلق له اسمًا غريبًا وينتحله. هكذا كانت شيمتُهُ. وكان قد جعل التصنيف بضاعته، ورأس ماله وصناعته.

ومن شعره ما أنشدني أبو الفتح نصرُ الله بن أبي العزّ بن أبي طالب الصفَّار الشيباني الدمشقي بها في المحرم سنة /١٩٧أ/ أربعين وستمائة، قال: أنشدني يحيىٰ بن أبي طي الحلبي بها، لنفسه ما كتبه إلىٰ الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف في أوّل قصّة:

[من الوافر]

غيَاثَ الدِّيْنِ يَا مَولَىٰ المَوالِي ... وَغَيْثَ ذَوِي المَفَاقِرِ وَالعِيَالِ
وَمَنْ أصْبَحْتُ مِنْ نُعْمَىٰ يَدَيْهِ ... سَعيْدَ الجَدِّ ذَا جَاهٍ وَمَالِ
أتَىٰ شَهْرُ الصِّيَامِ ولِي عَلَيْهِ ... حُقُوقٌ مِنْ عَطَائِكَ وَالنَّوَالِ
فَخُذْ يَا مُوجِدِي بِيَدَيْ يَدَيْهِ ... بِمَا عَوَّدْتَ مِنْ كَرَمِ الخِلاَلِ
فَلَمْ أذْكُرْكَ شَكّا فِي اهْتِمَامٍ ... يُقَصِّرُ مِنْكَ عَنْ نَظَرٍ لِحَالِي
وَلكِنْ خِفْتُ أنْ تُعْطِي ابْتِدَاءً ... فَتَحْرِمُ مَنْطِقِي شَرَفَ السُّؤَالِ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني أبو زكريا لنفسه: [من السريع]

كَمْ لَيْلَةٍ بِتُّ بِهَا وَحْدِي ... مُلازِمًا بِالهَمِّ وَالوَجْدِ
أُقَلِّبُ الطَّرْفَ بِأَرْجَائِهَا ... وَمَدْمَعِي يَجْرِي عَلَى الخَدِّ
كَأَنَّهَا فِي طُولِهَا إِذْ بَدَتْ ... شَعْرُكَ يَا مَنْ زَادَ فِي الصَّدِّ

/ ١٩٧أ/ وأنشدني، قال: أنشدني يحيى بن أبي طيّ لنفسه: [من الكامل]

صَمَتَ الأَرَاكُ وَلَمْ يَبُحْ بِسَرِيرَةٍ ... فَطَفَى بِبَرْدِ الثَّغْرِ مِنْهُ أُوَارَا
وَالعُودُ بَاحَ بِسِرِّهِ لِوُشَاتِهِ ... فَرَقًا فَأَوْرَدَهُ الكَلامُ النَّارَا

وأنشدني، قال: أنشدني يحيى بن حُميد لنفسه: [من المتقارب]

تَذَكَّرْتُ أَيَّامَنَا بِالحِمَى ... وَطِيبَ زَمَانٍ لَنَا قَدْ مَضَى
وَنَدْمَانُنَا رَشَأِيُّ اللِّحَاظِ ... كَالبَدْرِ وَجْهًا إِذَا مَا أَضَا
إِذَا عَبَّ فِي كَأْسِهِ خِلْتَهُ ... هِلالَ الشُّعَاعِ إِذَا أَوْمَضَا

وأنشدني، قال: أنشدني قوله: [من السريع]

يَا قَمَرًا زَادَ غَرَامِي بِهِ ... لَمَّا بَدَا لَيْلُ عِذَارَيْهِ
قُلْتُ لِعُذَّالِي عَلَيْهِ انْظُرُوا ... وَرْدًا وَرَيْحَانًا بِخَدَّيْهِ
يَحْمِيهُمَا أَنْ يُقْطَفَا صَارِمٌ ... قَدْ سَلَّهُ مِنْ غُنْجِ عَيْنَيْهِ

وأنشدني أبو العباس / ١٩٨أ/ أحمد بن يوسف بن عبد الله المؤدّب الحلبي، قال: أنشدني أبو زكريا بن أبي طيّ من شعره في الشفق: [من الكامل]

وَكَأَنَّمَا شَفَقُ السَّمَاءِ وَقَدْ بَدَا ... فِي صَحْنِ خَدِّ الشَّرْقِ لِلْمُتَأَمِّلِ
خَجَلٌ بَدَا فِي خَدِّ رُومِيٍّ وَقَدْ ... مَنَحَ العِتَابَ عَلَى لِسَانِ المُرْسِلِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه في المعنى بديهة: [من البسيط]

كَأَنَّمَا الشَّفَقُ الشَّرْقِيُّ حِينَ بَدَا ... خَدٌّ لأَغْيَدَ رُومِيٍّ بِهِ خَجَلُ
أَوْ صَفْحَةٌ مِنْ لُجَيْنٍ مُوِّهَتْ ذَهَبًا ... أَوْ دُرَّةٌ مَسَّهَا فِي سَحْرَةٍ بَلَلُ

وحدَّثني الصاحبُ الإمام أبو القاسم بن أبي جرادة، قال: استعار مني يحيى بن أبي طيّ النجار كتاب «الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة» الذي / ١٩٨ب/ ألفتُه

وجمعته في نسب أجدادي وأخبارهم ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ فبقي عنده مُدَّة يطالعه، ثم سيره بعد ذلك إليّ فتصفحتُهُ فوجدتُ في أثنائه ورقةً بخطّ يده متضمنةً هذه الأبيات من شعره.

قال الفقير إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، الراجي رحمة ربّه؛ المبارك بن أبي بكر بن حمدان بن أحمد الموصلي مؤلف هذا المجموع: أعارني هذا الكتاب المذكور الصاحبُ الإمام أبو القاسم ـ فسح الله في أجله ـ فكتبت منه فوائد خطيرةً، ونكتًا جليلة، أودعتها كتابي الذي ذيلته علىٰ معجم الشعراء لأبي عُبيد الله المرزباني، ونقلت الأبيات المذكور من خطّ /١٩٩أ/ ناظمها وقد صدَّرها بهذه الألفاظ المسجوعة وهي: «ولما وقفت علىٰ هذا النسب الأصيل، والحسب النبيل، والفخر الجليل، قلت:

[من الكامل]

نَسَبٌ عَلَيْهِ مِنَ الغَزالَةِ بَهْجَةٌ ... تُغْشِي وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ بَهَاءُ
لا يَحْتَوِيْ إِلاَّ عَلَىٰ مُتَوَطِّدٍ ... شَرَفًا تَخِرُّ لِفَضْلِهِ العُظَمَاءُ
أَوْ أَرْوَعٍ وَسَمَ الزَّمَانَ بَنَانُهُ ... بِفَضَائِلٍ تَعْنُو لَهَا الجَوْزَاءُ
رَبُّ اللِّوَاءِ أُبُو جَرَادَةَ عَامِرٌ ... لَهُمُ بِهِ بَيْنَ الأَنَامِ لِوَاءُ
وَلَهُمْ بِخَاتَمِ مَجْدِهِمْ وَكَمَالِهِمْ ... عُمَرُ الكَمَالِ عَلَىٰ الأَنَامِ عَلاَءُ
بَحْرُ العُلُوْمِ وَأَيْنَ عَذْبُ مَذَاقِ ذَا ... مِنْ طَعْمِ ذَاكَ إِذَا تُمطِّقَ مَاءُ
قَسَمًا أَقُولُ وَإِنْ تَقَدَّمَهُ الأُلَىٰ ... مِنْ قَوْمِهِ وَأَتَىٰ بِهِ الأَجْزَاءُ
فَلَقَدْ سَمَا وَعَلاَ بِكُلِّ فَضِيْلَةٍ ... لاَ يَسْتَطِيْعُ لَحَاقَهَا القُدَمَاءُ
فَالسَّيْفُ مِنْ نَفْسِ الحَدِيْدِ نِجَارُهُ ... وَلَهُ عَلَىٰ جِنْسِ الحَدِيْدِ سَنَاءُ
/١٩٩ب/ وَمُحَمَّدٌ مِنْ نَسْلِ آدَمَ قَدْ أَتَىٰ ... وَلَهُ عَلَيْهِ الفَخْرُ وَالعَلْيَاءُ

ومن شعره أيضًا في أهل البيت ـ صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين ـ:

[من الكامل]

أَنَا فِيْ إِسَارِ غَدَائِرٍ وَنَوَاظِرٍ ... مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ ذِيْ قَوَامٍ نَاضِرِ
رَيَّانَ مِنْ مَرَحِ الصِّبَا فَكَأَنَّمَا ... رُوِيَتْ مَعَاطِفُهُ بِغَيْثٍ بَاكِرِ
خَمْرِيِّ رِيْقٍ لُؤْلُئِيٍّ ضَوَاحِكٍ ... مِسْكِيِّ صُدْغٍ صَارِمِيِّ مَحَاجِرِ
لله لَيْلَتُنَا بِكَاظِمَةٍ وَقَدْ ... سَمَحَتْ بِهِ الأَيَّامُ بَعْدَ تَهَاجُرِ

وَقَــدِ ٱضْطَجَعْنَــا وَالنُّجُــومُ كَــأَنَّهَــا ... فِــي الأُفْــقِ لُــؤْلُــؤُ ثَغْــرِه فِــي نَــاظِــرِيْ
وَالبَــدْرُ سَــارِ فِــيْ السَّمَــاءِ كَــأَنَّــهُ ... مِــنْ وَجْهِــهِ بَــادٍ بِنُــوْرٍ بَــاهِــرِ
وَالشِّعْــرَيَــانِ كَــأَنَّمَــا أَحْــدَاقُهَــا ... أَحْــدَاقُ عَــاذِلِ حُبِّــهِ المُتَكَــاشِــرِ
وَسُهَيْــلُ الــوَقَّــادُ يَخْفُــقُ دَائِبــاً ... خَفَقَــانَ أَحْشَــائِــي عَلَيْــهِ وَخَــاطِــرِيْ
وَاللَّيْــلُ يَــرْفُــلُ فِــيْ فُضُــوْلِ غَــلاَئِــلِ ... رَقَّــتْ كَشَــوْقِــيْ أَوْ كَــدَمْعِــيْ القَــاطِــرِ
وَالــرِّيْــحُ تَنْشُــرُ عَــرْفَهَــا بِنَسِيْمِهَــا ... نَشْــرِيْ مَــدِيْــحَ أَخِــيْ النَّبِــيِّ الطَّــاهِــرِ
/ ٢٠٠أ/ خَيْــرِ الأَنَــامِ وَمَــنْ يَــذِلُّ مَهَــابَــةً ... مِــنْ بَــأْسِــهِ قَلْــبُ الهِــزَبْــرِ الخَــادِرِ
صِنْــوِ النَّبِــيِّ وَصِهْــرِهِ وَوَزِيْــرِهِ ... وَظَهِيْــرِهِ فِــيْ كُــلِّ يَــوْمٍ تَشَــاجُــرِ
وَمُبِيْــرِ عُتْبَــةَ وَالــوَلِيْــدِ وَشَيْبَــةَ ... وَالعَــامِــرِيِّ وَذِيْ الخُمَــارِ الكَــافِــرِ
وَمُــزَعْــزِعِ البَــابِ المُشَيَّــدِ وَقَــالِــعِ الـ ... ـحَجَــرِ الشَّــدِيْــدِ عَــنِ القَلِيْــبِ الــدَّاثِــرِ
وَمُغِيْــضِ تَيَّــارِ الفُــرَاتِ وَقَــدْ طَمَــا ... وَرَمَــى البِــلاَدَ بِكُــلِّ مَــوْجٍ زَاخِــرِ
سَــلْ عَنْــهُ إِنْ أَنْكَــرْتَ سُــوْرَةَ مَــرْيَــمِ ... وَالصَّــفِّ وَالشُّــوْرَىٰ وَسُــورَةِ غَــافِــرِ
وَٱسْــأَلْ حَــدِيْــثَ الشَّمْــسِ عَنْــهُ فَــإِنْ تَجِــدْ ... رُشْــداً وَإِلاَّ سَــلْ حَــدِيْــثَ الطَّــائِــرِ
وَالسَّطْــلُ وَالمِنْــدِيْــلُ فِيْــهِ مُعْجِــزٌ ... وَالجَــانُ أَبْيَــنُ لِلَّبِيْــبِ الخَــابِــرِ
وَحَــدِيْــثُ يَــوْمِ الــدَّوْحِ أَعْظَــمُ مَــوْقِعــاً ... عِنْــدَ اللَّبِيْــبِ وَكُــلِّ طَــبٍّ خَــابِــرِ
إِذْ قَــامَ فِــيْ يَــوْمِ الغَــدِيْــرِ مُحَمَّــدٌ ... وَبِكَفِّــهِ كَــفُّ الإِمَــامِ الطَّــاهِــرِ
مَــنْ كُنْــتُ مَــوْلاَهُ فَــذَا مَــوْلَــى لَــهُ ... فِــيْ كُــلِّ أَمْــرٍ بَــاطِــنٍ أَوْ ظَــاهِــرِ
يَــا رَبِّ وَالِ مَــنَ الأَنَــامِ وَلِيَّــهُ ... وَٱخْــذُلْ لِخَــاذِلِــهِ الأَذَلَّ الصَّــاغِــرِ

وخرج يومًا إلىٰ بستان السلطان الملك الظاهر غياث / ٢٠٠ب/ الدين غازي بن يوسف بن أيوب بحلب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وتَنَوَّقَ في إحسان عمارته، وغرسَ فيه أنوار الغروس. وكان بوَّابه رجلاً اسمه مالك، فمنعه من دخوله، فكتب علىٰ بابه:

[من السريع]

قُــلْ لِغِيَــاثِ الــدِّيْــنِ يَــا مَــالِكــاً ... رَاحَ لأَرْوَاحِ الــوَرَىٰ مَــالِكَــا
بَنَيْــتَ فِــرْدَوْســاً فَلِــمْ أَنْــتَ قَــدْ ... صَيَّــرْتَ فِيْهَــا خَــازِنــاً مَــالِكَــا

وقال في هذا البستان أيضًا: [من الكامل]

إِنْ كُنْــتَ تَــرْغَــبُ فِــيْ النَّعِيْـ ... ـمِ وَفِــيْ مُعَــاقَــرَةِ السُّــرُوْرِ

فَعَلَيْكَ بِالقَصْرِ الغَيَا ... ثِيِّ الأَغَرِّ المُسْتَنِيرِ
قَصْرٌ عَلاَ عَنْ أَنْ يُحِيـ ... ـطَ بِوَصْفِهِ فِكْرُ الخَبِيرِ
فَاقَ الخَوَرْنَقَ حُسْنُهُ ... وَعَلاَ عَلَى حُسْنِ السَّدِيرِ
/٢٠١أ/ فَكَأَنَّهُ فِي الدَّوْحِ فِي الـ ... ـمَيْدَانِ فِي الرَّوْضِ البَهِيرِ
كِسْرَىٰ لَدَىٰ الغِلْمَانِ فِي الإِ ... يْوَانِ فِي بُسُطِ الحَرِيرِ

وقال في قبة الورد في البستان المذكور، وهي قبة بين يديها سطران من شجر الجوز الطّوال، وبين ذينك السطرين نهرٌ تحفّ به روضتان ومن غربيها نهر:

[من السريع]

كَقُبَّةِ الوَرْدِ الَّتِي حُسْنُهَا ... تُقْصُرُ عَنْهُ .... (١)
كَأَنَّهَا وَالدَّوْحُ مِنْ حَوْلِهَا ... تَمِيسُ فِي أَغْصَانِهَا المُلْدِ
مُمَلَّكٌ مِنْ فَوْقِ كُرْسِيِّهِ ... حَفَّتْ بِهِ طَائِفَةُ الجُنْدِ
وَالنَّهْرُ مِنْ غَرْبِيِّهَا سَائِحًا ... كَصَارِمٍ جُرِّدَ مِنْ غِمْدِ

وقال يمدح الإمام علي بن ابي طالب ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ:

[من مجزوء الرجز]

/٢٠١ب/ حُبُّ عَلِيٍّ شَرَفُ ... لِمَنْ بِهِ يَلْتَحِفُ
وَبُغْضُهُ النِّفَاقُ والـ ... ـكُفْرُ الَّذِي يُقْتَرَفُ
مَيِّزْ مُحِبِّيهِ فَهُمْ ... إِذَا الأَنَامُ انْكَشَفُوا
جَوَاهِرٌ خَالِصَةٌ ... وَمَنْ سِوَاهُمْ خَزَفُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

يَا أَبَا جَعْفَرٍ تَجَافَ قَلِيلاً ... كَمْ تَسَامَىٰ بِمَنْخَرٍ مَبْخُوسِ
أَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ كِرَامٍ وَلَكِنْ ... أَنْتَ فِيهِمْ قَوَائِمُ الطَّاوُوسِ

وله يصف فوّارة: [من الكامل]

للهِ لَيْلَتُنَا... وَالبِرْكَةُ الـ ... ـفَيْحَاءُ وَالشَّطُّ

---

(١) موضع النقاط بياض في الأصل.

وَالمَاءُ فيْهَا مُرسَلاً غَدَقًا جَعْداً كَأَنَّ مُتُونَهُ الشَّمْطُ
وَكَأَنَّمَا الفَوَّارُ فِيْهَا رَاقِصٌ قَدْ جَلَّلَتْهُ ذَوَائِبٌ شُمْطُ

وقوله فيها أيضًا: [من مجزوء الرمل]

وَتَرَىٰ الفَوَّارَ يَحْكِيْ فِيْ عُلُوٍّ وَانْحِدَار
غَادَةً قَامَتْ تَثَنَّىٰ لَكَ مِنْ تَحْتِ الإِزَار

[وقال في راجح الحلي الشاعر: [من مجزوء الخفيف]

قِيْلَ لِيْ رَاجِحٌ هَجَا كَ فَلَمْ لاَ تُجِيْبُهُ
قُلْتُ مَنْ كُلُّهُ عُيُوْ بٌ بِمَاذَا أُعِيْبُهُ][(1)]

[٩١٧]

يحيىٰ بنُ خالد بن مُحَمَّد بن نصر بن صغير بن خالد بن داغرَ، أبو جعفر بنِ أبي البقَاء بنِ القَيسَرانيِّ، الكاتبُ المَنشىء[(2)].

من أهل حلب.

كانت ولادته بها في ذي القعدة سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

من بيت مشهور بالرئاسة والجلالة والفضل والكتابة والأدب والشعر، فإنَّ والده كان كاتبًا؛ له الخطّ الرائق المليح يضرب بجودته المثل. واستوزره الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آقسنقر سلطان الشام ـ رضي الله عنه ـ وارتفعت منزلته لديه، وتقدَّم في دولته.

وأبو جعفر من أعيان أهل حلب في الفضل وأماثلهم وصدورهم المقدَّمين، وأفاضلهم وصاحب ديوان الإنشاء، ورأس كتاب الرسائل، وكاتب السرّ والمُعتمد عليه

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) وهو حفيد محمد بن نصر بن صغير القيسراني الشاعر.
ترجمته في: تكملة إكمال الإكمال ٢٤٦. نهر الذهب في تأريخ حلب للغزي ٣/ ١١٤ مط المارونية بحلب. الوافي بالوفيات ـ خ ـ ٢٤/ ١٤٣. وفي شعر ابن القيسراني جمع وتحقيق د. عادل جابر صالح محمد، ترجمة وافية لعقب القيسراني.

في دولة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف ـ خلَّد الله ملكه ـ وقبلَهُ لأبيه الملك العزيز، وجدِّه الملك الظاهر /٢٠٢ب/ ـ رحمهما الله تعالىٰ ـ

وذكر لي أنَّه حفظ القُرآن العزيز، وسمع شيئًا من الحديث علىٰ أبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد البغدادي. وأخذ طرفًا من علم العربية علىٰ الشيخ أبي الحرم مكيّ بن ريان الماكسي النحوي حين ورد حلب، وقال شعراً سهلاً كتابيًا، وترسل ترسلاً فاق به علىٰ كتاب زمانه، واستظهر كثيراً من الأشعار؛ وله يد في حلّ التراجم والغوص علىٰ معانيها وكشف مشكلاتها، والبديهة الحاضرة في إنشاء الرسائل. وربّما أنشأ الرسالة في المعنىٰ المقترح عليه إرتجالاً من غير روية كأنه يحفظُها من قبل وذلك لذكائه المفرط، وفطرته السليمة.

ثم إنَّه من المتمولين وذوي اليسار وأرباب النعم وعنده تواضع وحسن محاضرة وفكاهة.

ومما أنشدني لنفسه من حفظه يهنىء السلطان الملك العزيز غياث الدين محمد بن غازي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ بالصوم: [من الكامل]

/٢٠٣أ/ إسْعَدْ بأَيَّامِ الصِّيَامِ وَشَهْرِهِ ... وَأْبشِرْ بأَنْفَسِ مَغْنَمٍ مِنْ أَجْرِهِ
يَا مَالِكًا شَرُفَتْ بِنَا أَقْدَارُنَا ... لمَّا أَسْتَكَانَتْ بالخُضُوعِ لقَدْرِهِ
لازِلْتَ فِيْهِ حَائِزاً مَا رُمْتَهُ ... مِنْ صُنْعِ أَلْطَافِ الإلَهِ وَبِرِّهِ
تُنْمَىٰ لَكَ الحَسَنَاتُ مِثْلَ هِلاَلِهِ ... وَتَرَىٰ مُحَاقَ السَّيِّئَاتِ كَبَدْرِهِ
وَيَزِيْدُ قَدْرُكَ رِفْعَةً تَسْمُوْ عَلَىٰ الأَ ... قْدَارِ فِيْنَا مِثْلَ لَيْلَةِ قَدْرِهِ
وَخَتَمْتَهُ بِسَعَادَةٍ تُوْفِي بَشَا ... ئِرُهَا عَلَىٰ البُشْرَىٰ بِمَوْسِمِ فِطْرِهِ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ بعض من أهدىٰ إليه تفاحًا، ثم أنفذ له بعد ذلك رُمَّانًا: [من الطويل]

أَيَا مَاجِداً فَاقَ الوَرَىٰ كلَّهُمْ مَجْداً ... وَأَهْدَىٰ إِلَىٰ عَافِيْهِ أَنْفَسَ مَا يُهْدَىٰ
أَرَاكَ تَوَخَّانِي بِبِرِّكَ عَامِداً ... وَتَبْعَثُ لِي مَا يَبْعَثُ الشُّكْرَ وَالحَمْدَا
مَنَحْتَ خُدُوْداً ثُمَّ أَرْسَلْتَ بَعْدَهَا ... نُهُوْداً فَوَاهًا لَوْ بَعَثْتَ لَهَا قَدَّا

إذا كُنْتُ لا أبغي لِرِقِّيَ مَالِكًا سِوَاكَ وَلاَ آلُوكَ فِي طَاعَةٍ جُهْدَا

وأنشدني لنفسه متغزلاً : [من السريع]

/٢٠٣ب/ يَا قَمَراً يَخْتَالُ فِي حُلَّةٍ وُقِيتَ مِنْ عَيْنِي بِعَيْنِ اللهْ
سَيْفٌ بِأَلْحَاظِكَ لَمْ سَلَّهُ عَلَى دَمِ العُشَّاقِ مَنْ سَلَّهْ
وَوَرْدُ خَدَّيْكَ عَلَى فِتْنَتِي أَظُنُّهُ دَلُّكَ قَدْ دَلَّهُ
بَعْثَتَ خَطّاً مِنْكَ مَضْمُونُهُ يَضْرِمُ مِنْ نَارِ الهَوَى شُعْلَهْ
تَلْثُمُ لِيَ الأَرْضَ وَإِنِّي إِلَى لَثْمِ ثَنَايَاكَ لَذُو غُلَّهْ
قَبِّلْ فَمِي تُحْيِي بِهَا مُهْجَتِي فَالأَرْضَ مَا تَصْنَعُ بِالقُبْلَهْ
فَالشَّوْقُ بِي نَحْوَكَ لَوْ بَعْضُهُ حَلَّ بِرَضْوَى لَمْ يُطِقْ حَمْلَهْ
وَوُصْلَةُ الوَحْشَةِ بِي لَمْ تَدَعْ بَيْنَ جُفُونِي وَالكَرَى وُصْلَهْ
فَهَلْ مَزَارٌ مِنْكَ يَدْنُو لَنَا يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالمُنَى ضِلَّهْ
وَاهاً لِيَوْمٍ فِيهِ يُقْضَى لَنَا اجْـ ـتِمَاعُ شَمْلٍ بِكَ وَاهاً لَهْ

وأنشدني لنفسه، وكان الملك العزيز قد توجّه إلىٰ قنسرين، فخرج أبو جعفر بعده قاصداً خدمته، وأمسىٰ عليه المساء فبات بقرية للصاحب كمال الدين /٢٠٤أ/ أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي، وتسمّىٰ القرية قذار، فكتب إليه منها: [من الوافر]

كَمَالَ الدِّينِ يَا مَنْ طَالَ فَرْعاً وَطَابَ أُرُومَةً وَزَكَا نِجَارَا
وَيَا بَحْراً خِضَمّاً لاَ يُفِيدُ الـ ـعُفَاةَ بِدُرِّهِ إِلاَّ كِبَارَا
وَيَا مَوْلًى أَرَى إِنْفَاقَ عُمْرِي إِذَا فَارَقْتُ خِدْمَتَهُ خَسَارَا
مَسِيرِي عَنْ جَنَابِكَ عَاضَ أُنْسِي الـ ـذِي أَدْنَاهُ قُرْبُكَ لِي نِفَارَا
وَغَادَرَ لِي فُؤَاداً مُسْتَهَاماً وَقَلْباً مِنْ فِرَاقِكَ مُسْتَطَارَا
وَأَحْشَاءً مُقَلْقَلَةً وَعَيْناً مُؤَرَّقَةً وَأَنْفَاساً حِرَارَا
وَلَمَّا لَمْ أُطِقْ لِلْبَيْنِ حَمْلاً وَأَضْرَمَ فِي حَشَايَ الشَّوْقُ نَارَا
أَتَيْتُ (قَذَارَ) أَسْتَشْفِي ثَرَاهَا وَأَسْتَجْدِي سُكُوناً وَاصْطِبَارَا
وَآخُذُ عَنْكُمُ أَثَراً فَيُهْدِي إِلَى قَلْبِي هُدُوّاً أَوْ قَرَارَا
فَزَادَتْنِي بِذِكْرَاكُمْ غَرَاماً وَظَلْتُ بِهَا مَسَاءً وَابْتِكَارَا

(أُمُـرُّ عَلَـىٰ الـدِّيَـار ديَـار لَيْلَـىٰ أُقَبِّـلُ ذَا الجـدَارَ وَذَا الجـدَارَا)
/ ٢٠٤ب/ وَأُذْري أَدْمُعـاً لَـو أَنْبَتَتْهَـا جَنَيْـتُ مـنَ القُلُـوْب بهَـا ثمَـارَا
ورُحْـتُ أَرَىٰ بنَفْسـي مـنْ تَنَـائـي مَـزَارُكـمُ فُتُـوْراً وَانْكسَـارَا
أَسيْـرُ هَـوَاكُـمُ وَأَوَدُّ أَنْ لاَ يَفُـكَّ الـدَّهْـرُ لـي منْـهُ إسَـارَا
فَـلاَ أَخلَـتْ مَعَـالمَـكَ اللَّيَـالـي وَلاَ أَقْصَـتْ لَـكَ الأَيَّـامُ دَارَا
وَلاَ زَالَـتْ عـرَاصُـكَ آهـلاَت تَفيْـضُ نَـدًى وَتَـزْدَادُ اخْضـرَارَا

وأنشدني لنفسه فيما يُكتب علىٰ حلقة باب دار : [من الطويل]

عَلَـوْتُ عَلَـىٰ بَـاب عَـلاَ النَّـاسَ ربُّـهُ نَـوَالاً وَإحْسَـانـاً فَحَسْبـي بـذَا فَخـرَا
أَنَـا العُـرْوَةُ الـوُثْقَـىٰ مـنَ الفَقْـر للْـوَرَىٰ فَمَـنْ صَـافَحَتْنـي كَفُّـهُ أَمـنَ الفَقْـرَا

وأنشدني لنفسه ما يكتبُ علىٰ مفتاح : [من الطويل]

إذَا عَـدَّ أَهْـلُ الفَخْـر غُـرَّ مَنَـاقـب سَمَـا كُـلُّ ذي طَـوْل بهَـا مَـنْ يُطَـاولُـهْ
فَخُـرْتُ بـأَنْ صَـافَحْـتُ رَاحَـةَ مَـالـكٍ مَفَـاتيْـحُ أَرْزَاق العبَـاد أَنَـاملُـهُ

وأنشدني أيضًا: / ٢٠٥أ/ لنفسه حين فتح الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ شيزر، وكان صاحبها يومئذ شهاب الدين أبو المحاسن يوسف بن مسعود، عاصيًا عليه فلما وصل إليها لم يمكنه العصيان بها، ونزل وسلَّمها طائعًا. وصارت مضافة إلىٰ مملكة الملك العزيز غياث الدين: [من البسيط]

يَـا مَـالكـاً خَـافَـت الأَمْـلاَكُ سَطْـوَتَـهُ وَعَـمَّ إحْسَـانُـهُ الـدَّانـي مَـعَ القَـاصـيْ
لمَّـا رَأَتْ شَيْـزَرٌ رَايَـات نَصْـركَ فـيْ أَرْجَـائهَـا أَلْقَـت العَـاصـيْ إلَـىٰ العَـاصـيْ

والعاصي هذا المشار إليه اسم نهر يمرّ تحت قلعة شيزر.

وأنشدني، قال: كتب إليّ / ٢٠٥ب/ من ينتمي إلىٰ قول الشعر بهذه الأبيات:

[من البسيط]

مَـا كُـلُّ مَـنْ قَـالَ مَـدْحـاً فيْـكَ يَكْتَسـبُ وَإنْ أَقَـلَّ فَمُـوْدٌ بَعْـضَ مَـا يَجـبُ
مَـا فَـوْقَ فَـوق مَـديْـح المَـادحيْـنَ لَـهُ إنْ لَـمْ أَقُـلْ فيْـكَ قَـالَ الجُـوْدُ وَالحَسَـبُ
مَـوْلاَيَ مَـا البَـدْرُ مُحْتَـاجٌ إلَـىٰ مَـدح كَمَـالُـهُ فـيْ المَعَـالـيْ شَـاهـدٌ عَجَـبُ
فُقْـتَ الكـرَامَ فَـأَنْـتَ الغَيْـثُ إنْ بَخلُـوا وَاللَّيْـثُ إنْ جَبُنُـوا وَالسَّهْـلُ إنْ صَعُبُـوا

وَلَقَّبُوكَ شِهَابَ الدِّيْنِ فَاخْتَصَرُوا ... لَوْ أَنْصَفُوكَ لَقَالُوا السَّبْعَةُ الشُّهُبُ
سَمعتُ عَنْكَ حَدِيْثَ الجُوْدِ يَسْنُدُهُ ... ذَوُوْ الرَّجَاءِ وَلاَ مَيْنٌ وَلاَ كَذِبُ
وَعَاقَنِي عَنْكَ غَيْثٌ لَمْ يَزَلْ كَنَدَىٰ ... يَدَيْكَ يَهْمِي عَلَىٰ الدُّنْيَا وَيَنْسَكِبُ
لَوْلاَهُ مَا فَاتَنِي حَجٌّ إِلَيْكَ وَلاَ الْـ ... ـتِزَامُ ذَيْلِكَ إِنْ نَابَتْنِي النُّوَبُ
وَقَدْ بَعَثْتُ أَخِي عَمْداً لِتُكْرِمَهُ ... فَكُنْ بِهِ مُحْسِناً دَامَتْ بِكَ الرُّتَبُ

قال: فكتبت إليه الجواب عنها بهذه الأبيات علىٰ الوزن والقافية: [من البسيط]

/ ٢٠٦أ/ يَا فَاضِلاً قَدْ سَقَانَا مِنْ بَلاَغَتِهِ ... مُدَامَةً فَبِنَا مِنْ شُرْبِهَا طَرَبُ
وَيَا أَخًا سَمَحَ الدَّهْرُ البَخِيْلُ بِهِ ... وَالفَضْلُ مُذْ كَانَ فِي أَبْنَائِهِ نَسَبُ
قَدْ هَاجَ نَظْمُكَ لِي شَوْقًا إِلَيْكَ غَدَتْ ... بِحَرِّ أَنْفَاسِهِ الأَحْشَاءُ تَلْتَهِبُ
وَشَبَّ فِيَّ غَرَامًا زَادَنِي كَلَفًا ... وَدَدْتُ مِنْهُ بِأَنِّي جَارُكَ الجُنُبُ
فَلَوْ عَرَفْنَا مَكَانًا أَنْتَ فِيْهِ لَزُرْ ... نَاهُ وَلَوْ سَحَبَتْ أَذْيَالَهَا السُّحُبُ
بَلْ لَوْ مَنَحْنَاكَ دُنْيَانَا وَمَا مَلَكَتْ ... أَيْمَانُنَا لَفَعَلْنَا بَعْضَ مَا يَجِبُ
فَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الإِحْسَانِ مَنْزِلَةً ... نَصِيْبُ مَنْ رَامَ فِيْهَا شَأْوَكَ النَّصَبُ

وأملىٰ علي من إنشائه هذه الرسالة، ثم وصلها بشيء من شعره؛ وهي جواب أبيات كتبها إليه الصاحب الإمام كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الحنفي العقيلي ـ أدام الله أيامه ـ:

«يقبّل اليد الشريفة المولويَّة القاضوية الإمامية العالمية المالكية الكمالية أعلاها الله ورفعها /٢٠٦ب/ وأولاها بسطةً وأوسعها، ونظم فيها أشتات المكارم وجمعها. . . وينهي أولاً أشواقه التي هي في كل الأوقات متزيدة، وغرامه الذي قبله منه في نار موصدة، ووحشتَهُ لذلك المحيَّا الذي محاسنه للقلوب مستعبدة، ورغبته إلىٰ الله تعالىٰ في أنْ يجعل أيام الاستسعاد بلقائه غير مستبعدة.

وثانيًا ورود الكتاب الكريم علىٰ يدي مملوك المولىٰ عزّ الدين، فأقبل المملوك عليه، وتناوله من يديه، ووضعه علىٰ عينيه، وهزّ طربًا عطْفيه، ووقف من فحواه علىٰ بديع المقال، ورأىٰ السحر الحلال،

وعرف كيف تتفاوت قيم الرجال، واجتلىٰ تلك العقيلة التي فتنت العقول، وفعلت بالألباب ما لا تفعله الشَّمول، وحكمت لقائلها بالبلاغة علىٰ كل من يقول شعراً، وبالتفصيل علىٰ كل من ينظم درّاً.

وجرأه الحسد علىٰ التعرض للجواب، ولو ساعده التوفيق لكان إقراره بالعجز عن مجاراتها هو /٢٠٧أ/ عين الصواب، ثم أطمعه في التصيُّد من بحرها علمه بأنَّ المولىٰ غريم كريم لا يناقش في الحساب. ويتقن أنَّ الله ـ سبحانه ـ يُؤتي الحكمة من يشاء من عباده، وأنَّه قد أجزل منها إرفاد المولىٰ فلا عار علىٰ أوليائه في استرفاده:

[من الطويل]

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِيْ إِلَيْكَ وَلَمْ يكُنْ ... لِيُعْجِبَنِي لَوْلاَ مُحَبَّتُكَ الفَقْرُ

فظلَّ المملوك منكراً، وقال مقصراً معتذراً ـ ثم اتّبع ذلك بهذه الأبيات ـ:

[من الخفيف]

يَا نَسِيْمَ الصَّبَا أَثَرْتَ غَرَامَا ... فِيْ فُؤَادِيْ فَزِدْتَنِيْ أَسْقَامَا
يَا نَسِيْمَ الصَّبَا لَقَدْ شَفَّ قَلْبِيْ ... مِنْكَ وَجْدٌ عَصَيْتُ فِيْهِ المَلاَمَا
فَتَعَمَّدْ مَسَرَّتِيْ وَأَعِدْ لِيْ ... ذِكْرَ مَوْلَىٰ أَهْدَىٰ إِلَيَّ السَّلاَمَا
خَصَّنِيْ مِنْهُ مُنْعِمًا بِكِتَابٍ ... حِيْنَ وَافَىٰ قَبَّلْتُهُ إِعْظَامَا
فَفَضَضْتُ الخِتَامَ عَنْهُ كَأَنِّيْ ... عَنْ رَحِيْقٍ إِذَا فَضَضْتُ الخِتَامَا
وَلَثَمْتُ النِّقْسَ الَّذِيْ ضَمَّخَتْ بِالْـ ... ـمِسْكِ مِنْهُ الأَنَامِلُ الأَقْلاَمَا[1]
وَتَرَشَّفْتُهُ فَدَارَ عَلَىٰ الأَفْـ ... ـهَامِ مِنْهُ مَا أَطْرَبَ الأَفْهَامَا
/٢٠٧ب/ قَسَمًا مَا خَمِيْلَةٌ جَادَهَا الطَّـ ... ـلُّ فَشَقَّقَتْ أَزْهَارُهَا الأَكْمَامَا
لاَ وَلاَ رَوْضَةٌ بِحَزْنٍ بَكَىٰ المُزْ ... نُ عَلَيْهَا فَأَتْبَعَتْهُ ابْتِسَامَا
لاَ وَلاَ الدُّرُّ نَظَّمَتْهُ عُقُوداً ... فِيْ نُحُورٍ أَيْدٍ تُجِيْدُ النِّظَامَا
عِنْدَ ذِيْ اللُّبِّ مِنْهُ أَحْسَنُ مَرْأًى ... حِيْنَ يَبْدُو لَهُ وَأَسْنَىٰ مَرَامَا
رَقَمَتْهُ كَفُّ الكَمَالِ فَحَازَ الْـ ... ـحُسْنَ فِيْ طَيِّهِ كَمَالاً تَمَامَا

---

(١) النقس: الحبر.

تلْكَ كَفٌّ مَا جَارَت الغَيْثَ فيْ حَلْـ … ـبَةِ جُوْدٍ إلاَّ وَجَاءَتْ أمَامَا
يَا كَمَالَ الدِّيْنِ الَّذيْ عَصَمَ اللّـ … ـهُ به المُسْلميْنَ وَالإسْلاَمَا
يَا أبَا القَاسمِ الَّذيْ قَسَّمَ الإِ … نْعَامَ فيْنَا وَأجْزَلَ الأقْسَامَا
يَا سليْلَ العَديْمِ كَمْ لَكَ عنْديْ … منْ يَدٍ آمَنَتْنيَ الإعْدَامَا
أنَا وَالله فيْ وُدادكَ مُغْرًى … مُغْرَمٌ مَا أفيْقُ منْهُ غَرَامَا
لَوْ تَطَلَّعْتَ فيْ ضَميْريْ وَجَدْتَ الـ … ـحُبَّ قَدْ مَازجَ الحَشَا وَالعظَامَا
غَمَرَتْنيْ نُعْمَاكَ حَتَّى لَقَدْ … غَادَرَتَنيْ أسْتَكْففُ الإنْعَامَا
وَصَفَتْ ليْ أخْلاَقُكَ الغُرُّ حَتَّى … ملْتُ سُكْراً وَعفْتُ [حَتَّى] المُدَامَا
وَحَلَتْ لَيْ منْكَ الشَّمَائلُ حَتَّى … رُحْتُ منْهَا مُتَيَّماً مُسْتَهَامَا
/٢٠٨/ إنْ تَصفْ ليْ منَ التَّألُّم وَالوَحْشَة … وَالشَّوْقَ مَا حَمَاكَ المَنَامَا
فَلَقَدْ هَاجَ لَيْ اشْتيَاقُكَ نيْرا … نَ اشْتيَاقٍ أوْرَتْ بقَلْبيْ ضرَامَا
وَعَزيْزٌ عَلَيَّ أنِّيَ فيْ غَيْـ … ـرِ تَدَانيْكَ أنْفقُ الأيَّامَا
وَلَو اسْطَعْتُ جئْتُكُمْ لاَ عَلَى الأنْعَام … رَكْضاً بَلْ فَوْقَ ظَهْرِ النُّعَامَى(١)
فَابْقَ مَا شئْتَ فيْ اعْتلاَءِ مَدَاهُ … لاَ يُسَامَى وَقَدْرُهُ لَنْ يُسَامَا
تَسْتَرقُّ الأحْرَارَ جُوْداً وَتَحْتَـ … ـلُّ منَ المَجْدِ غَارباً وَسَنَامَا
وَتَمَلَّى مَسَرَّةً بسَليْلَيْـ … ـكَ وَنَجْمَيْ أفْقَيْكَ دُمْتَ وَدَامَا
لتَرَى المَجْدَ مَاجداً وَأخَاهُ الـ … ـنَّجْمَ بَدْراً يُنَوِّرُ الإظْلاَمَا
فَالإمَارَاتُ منْهُمَا شَاهدَاتٌ … لَهُمَا أنْ سَيَعْلُوَان الأنَامَا
وَهُمَا الأزْكيَان أصْلاً وَفَرْعاً … وَهُمَا الأعْدَمَان لُؤْماً وَذَامَا
وَهُمَا سرُّ أسْرَةٍ يَصلُوْنَ اللَّـ … ـيْلَ بالصُّبْحِ سُجَّداً وَقيَامَا
بوُجُوْهٍ مثْلِ المَصَابيْحِ نُوْراً … وَأكُفٍّ بهَا نُبَاريْ الغَمَامَا
وَغَنُوا دَهْرَهُمْ شعَارُهُمُ التَّقْـ … ـوَى وَمَاتُوا مَا اسْتَحْقَبُوا آثَامَا(٢)
فَتَذَكَّرْ فرَاسَتيْ وَارْعَ ليْ حَـ … ـيّاً وَميْتاً بالصّدْقِ فيْهَا ذمَامَا

(١) النعامى: ريح الجنوب.
(٢) غنوا: أقاموا.

/ ٢٠٨ب/ وَاغْتَفِرْ لِيْ إِطَالَةَ عُذْرِهَا أَنـ ـــي بِــذِكْــرَاكَ مَــا أَمَــلُّ الكَــلاَمَــا
وَإِذَا أُبْـــتُ فَــالْقَنِـــي لِتَـــرَىٰ مِنـ ـــيْ حُسَــامــاً قَــدْ قَلَّـــدُوْهُ حُسَــامَــا

وأنشدني لنفسه، وكان قد عزم علىٰ الخروج إلىٰ قريته المعروفة بالتيارة:

[من مجزوء الكامل]

عَـــرِّجْ بِنَـــا نَحْـــوَ التِّيَـــارَهْ نَقْضِـــي بِهَـــا حَـــقَّ الـــزِّيَـــارَهْ
وَنَهُـــزُّ أَغْصَـــانَ السُّـــرُوْ ر بِهَـــا وَنَسْتَجْلِـــي ثِمَـــارَهْ
وَنَشُـــنُّ فِيْهَـــا لِلْخَـــلاَ عَـــةِ غَـــارَةً فِـــي إِثْـــرِ غَـــارَهْ
فَقُلُـــوْبُنَـــا شَـــوْقَـــاً إِلَـــىٰ تِلْـــكَ المَعَـــالِـــمِ مُسْتَطَـــارَهْ
قَـــدْ حَـــلَّ فِيْهَـــا الحُسْـــنُ فَهْـ ـــيَ لِسَيْـــلِ وَادِيْـــهِ قَـــرَارَهْ
وَمَتَـــىٰ حَلَلْـــتَ بِـــدَارِهَـــا فَلَقَـــدْ حَلَلْـــتَ إِذَنْ بِـــدَارَهْ
تُلْهِيْـــكَ أَقْمَـــارٌ تَـــرَىٰ لِـــوُجُـــوْهِهَـــا فِيْهَـــا اسْتِنَـــارَهْ
وَيَشُـــوْقُ طَـــرْفَـــكَ مَنْظَـــرٌ فَـــاقَـــتْ مَحَـــاسِنُـــهُ العِبَـــارَهْ
وَتَسُـــوْفُ مَـــا يُنْسِيْـــكَ طِيْـ ـــبَ شَمِيْـــمِ نَجْـــدٍ وَالعَـــرَارَهْ
/ ٢٠٩أ/ وَهُنَـــاكَ وِرْدُ العَيْـــشِ عَـــذْ بٌ لاَ تَلُـــمُّ بِـــهِ مَـــرَارَهْ
وَالجَـــوُّ أَرْكَـــنُ وَالغَمَـــا مُ عَلَـــىٰ الـــرُّبَـــىٰ مُـــرْخٍ إِزَارَهْ
وَالـــرَّوْضُ أَحْـــوَىٰ وَالـــزَّمَـــا نُ عَلَـــىٰ مَعَـــاطِفِـــهِ نَضَـــارَهْ
وَالطَّيْـــرُ فِـــيْ أَشْجَـــارِهَـــا يُبْـــدِيْ لِمَسْمَعِـــكَ اشْتِجَـــارَهْ
فَـــاغْنَـــمْ بِهَـــا طِيْـــبَ الحَيَـــا ةِ فَـــإِنَّمَـــا هِـــيَ مُسْتَعَـــارَهْ
وَأَدِرْ بِهَـــا رَاحَـــاً تُـــرِيْـ ـــحُ مِـــنَ الهُمُـــوْمِ المُسْتَثَـــارَهْ
صَفْـــرَاءَ تَحْسَبُهَـــا عَلَـــىٰ كَـــفِّ المُـــدِيْـــرِ لَهَـــا شَـــرَارَهْ
وَاجْسُـــرْ عَلَـــىٰ اللَّـــذَّاتِ فَـــالـ ـفَطِـــنُ اللَّبِيْـــبُ أَخُـــو الجَسَـــارَهْ
فَـــالـــدَّهْـــرُ يَعْـــدِلُ تَـــارَةً فِـــيْ أَهْلِـــهِ وَيَجُـــوْرُ تَـــارَهْ

وأنشدني لنفسه يستدعي صديقًا له ينعت بالعفيف أبي طالب بن صفر:

[من الكامل]

قُـــلْ لِلْعَفِيْـــفِ أَخِـــيْ النَّـــدَىٰ رَبِّ القَـــوَافِـــيْ وَالمَـــدَائِـــحْ
يَـــا مَـــاجِـــداً قَـــدْ أَفْحَمَـــتْ أَوْصَـــافُـــهُ مِنَّـــا القَـــرَائِـــحْ

/٢٠٩ب/ يَـا مَـنْ لِسَـانُ الحَمْـدِ فـيْ ... تَيَّـارِ بَحْـرِ نَـدَاهُ سَـابِـحْ
يَـا مَـنْ يَخَـفُّ لِنَقْصِـهِ ... عَـنْ نَظْمِـهِ الحِلْـيُّ رَاجِـحْ
يَـا ذَا الَّـذيْ مَـازَالَ طَـرْ ... فِـيْ بِـالْـوُدَادِ إِلَيْـهِ طَـامِـحْ
وعِنَـانُ قَلْبِـيْ نَحْـوَهُ ... أَبَـداً عَلَـىٰ الأَيَّـامِ جَـامِـحْ
مَـوْلاَيَ لُقِّيْـتَ الأَيَـا ... مِـنَ مِـنْ زَمَـانِـكَ وَالسَّـوَانِـحْ
وَحَمَـاكَ سَعْـدُكَ أَنْ يَلُـ ... ـمَّ بِـكَ الأَشَـائِـمُ وَالبَـوَارِحْ
عِنْـدِيْ وَحَقِّـكَ صَحْـنُ شُشْـ ... ـبُـرْكَ بِصَـافِـيْ الـدُّهْـنِ طَـافِـحْ
وَعَلَيْـهِ مِـنْ سِنْبُـوشَـجٍ ... تَـاجٌ تُكَلِّلُـهُ الشَّـرَائِـحْ
حَسْـبُ اقْتِـرَاحِـكَ طَعْمُـهُ ... وَمَشَمُّـهُ كَـالمِسْـكِ فَـائِـحْ
قَـدْ أَحْكَـمَ الطَّـاهِـيْ صِنَـا ... عَتَـهُ فَـأَفْحَـمَ كُـلَّ مَـادِحْ
وَعِصَـابَـةٌ نُبُـلٌ إِذَا ... عَـايَنْتَهُـمْ غُـرٌّ جَحَـاجِـحْ
تَـرَىٰ مِنْهُـمُ عَيْنَـاكَ فُـرْ ... سَـانَ الصَّحَـائِـفِ والصَّفَـائِـحْ
يَتَـرَقَّبُـوْنَ إِذَا عَـزَمْـ ... ـتَ طُلُـوْعَ بَـدْرٍ مِنْـكَ لاَئِـحْ
فَهَلُـمَّ تُـدْنِ لَهُـمْ مِـنَ الأُ ... نْـسِ المُعَجَّـلِ كُـلَّ نَـازِحْ
/٢١٠أ/ وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ لَهُـمْ إِذَا ... لَـمْ تَـأْتِ أَلْسِنَـةً قَـوَادِحْ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ العفيف أيضًا: [من المجتث]

قُـلْ لِلْعَفِيْـفِ أَبِـيْ طَـا ... لِـبٍ حَلِيْـفِ العَـلاَءِ
يَـا سَيِّـدَ الأُدَبَـاءِ ... وَوَاحِـدَ الفُضَـلاَءِ
يَـا ذَا المَحَـلِّ الَّـذِيْ جَـا ... زَ قُنَّـةَ الجَـوْزَاءِ
غَمَـرْتَنِـيْ بِـأَيَـادٍ ... جَلَّـتْ عَـنِ الإِحْصَـاءِ
لَـوْلاَكُـمُ لَـمْ أَرَ خِـ ... ـلاًّ صَحِيْـحَ عَقْـدِ الإِخَـاءِ
مَلَكْـتَ طَـرْفِـيْ وَسَمْعِـيْ ... سَلَبْـتَ لُبِّـيْ وَرَائِـيْ
بِكَـاعِـبٍ عَـذْرَاءَ ... كَـالْكَـوَاعِـبِ العَـذْرَاءِ(١)
جَـاءَتْ إِلَـيَّ تَهَـادَىٰ ... كَـالغَـادَةِ الحَسْنَـاءِ

(١) في الأصل: «كالكاعب» وما أثبتناه ليستقيم الوزن.

لَهَا سَنًى يُخْجِلُ البَدْ ... رَ فِي دُجَى الظَّلْمَاءِ
تُصْبِي السَّمِيعَ وَتُلْهِي الرَّ ... أْيَ لَهَا وَالرَّائِي
حَلَّتْ بِقَلْبِي مَحَلَّ الشِّـ ... ـفَا عَلَى الإِشْفَاءِ
/٢١٠ب/ وَأَشْبَهَتْ بَيْنَ جَفْنَـ ... ـيَّ لَذَّةَ الإِغْفَاءِ
وَأَرْشَفَتْنِي بَرُوْداً ... عَذْباً عَلَى الإِظْمَاءِ
فَرُحْتُ أَسْحَبُ مِنْهَا ... مَلَابِسَ السَّرَّاءِ
قَرِيرَ عَيْنٍ وَقَلْبٍ ... فَسِيحَ خَطْوِ الرَّجَاءِ
بَقِيتَ لِي يَا أَبَا طَا ... لِبٍ سَعِيدَ البَقَاءِ
فَصَرْتُ مِنْكَ وُدَادِيْ ... عَلَى كَرِيْمِ الوَفَاءِ
حُلْوَ الشَّمَائِلِ عَذْبَ الأَ ... خْلَاقِ مُرَّ الإِبَاءِ
فَأَنْتَ كَهْفُ اعْتِمَادِيْ ... وَأَنْتَ كَنْزُ اقْتِنَائِيْ
وَأَنْتَ سَيْفِي أَسْطُو ... بِهِ عَلَى أَعْدَائِيْ
وَمَنْ يُجَارِيْكَ نَظْماً ... مِنْ سَائِرِ الشُّعَرَاءِ
كَمَنْ يَرُوْمُ بِجَهْلٍ ... مِنْهُ مَنَالَ السَّمَاءِ
وَرُمْتُ نَظْمَ جَوَابٍ ... فَلَمْ أُطِقْ مِنْ عَيَائِيْ
وَقَدْ بَعَثْتُ عَوَاناً ... تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءِ
فِي خُفْيَةٍ وَاسْتِتَارٍ ... مِنْ أَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ
/٢١١أ/ تَكَلَّفُ الخَطْوَ مِنْ خَوْ ... فَهَا عَلَى إِعْيَاءِ
خَرْقَاءُ كَفٍّ وَلَيْنُ الصَّـ ... ـنَاعِ مِنْ خَرْقَاءِ
فَأَوْلِهَا مِنْكَ صَفْحاً ... يَا سَيِّدَ الكُرَمَاءِ
وَلَا تَقُلْ لِي قَدْكَ اتَّـ ... ـئِبْ مِنَ الغُلَوَاءِ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إليه أيضًا جواب شعر ورد عليه منه: [من الخفيف]

عِشْتَ مِنْ طَارِقِ الرَّدَى فِي أَمَانٍ ... وَنَبَتْ عَنْكَ أَسْهُمُ الحَدَثَانِ
وَوَقَاكَ الإِلَهُ فِيكَ فَأَنْتَ الرُّ ... وْحُ وَالرَّوْحُ وَالمُنَى وَالأَمَانِي
وَتَوَلَّاكَ بِالسَّلَامَةِ وَالصِّحَّـ ... ـةِ حَتَّى تَطُولَ عُمْرَ الزَّمَانِ
سَاحِبًا فَضْلَ بُرْدَةِ العَيْشِ تَسْتَنْـ ... ـفِدُ عُمْرَ القِرَانِ وَالأَقْرَانِ

رَافِلاً فِيْ مَلاَبِسِ الفَخْرِ عَالِيْ الذِّ   كْرِ وَالقَدْرِ آهِلَ الأَوْطَانِ
آمِنَ الظَّهْرِ وَالمَفَاصِلِ وَالرِّجْـ   ـلَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ مِنْ ضَرَبَانِ
تَصْرَعُ الأُسْدَ قُوَّةً وَتَفُوْتُ الـ   ـضُّمَّرَ السَّابِحَاتِ فِي الأَرْسَانِ
/٢١١ب/ يَا عَفِيْفَ الدِّيْنِ الَّذِيْ حَلَّ بِالوُ   دِّ مِنَ القَلْبِ فِيْ أَعَزِّ مَكَانِ
وَأَدِيْباً أَطَاعَهُ الشِّعْرُ حَتَّى   زَادَ فِيْهِ حُسْناً عَلَى حَسَّانِ
وَحَوَى العِلْمَ وَالفَصَاحَةَ حَتَّى   سَحَبَا ذَيْلَهُ عَلَى سَحْبَانِ
عَلِمَ اللهُ أَنَّ شَوْقِيْ إِلَى وَجْـ   ـهِكَ مِنْ دُوْنِهِ لَظَى النِّيْرَانِ
وَتَمَادَى أَيَّامُ بُعْدِكَ فِيْ قُرْ   بِكَ شَيْءٌ مَا كَانَ فِيْ حُسْبَانِيْ
وَاصْطِبَارِيْ يَشُحُّ عَنْكَ بِهِ قَلْـ   ـبِيْ وَعَيْنِيْ تَجُوْدُ بِالهَمَلاَنِ
وَسُرُوْرِيْ بِذِيْ اليَتِيْمَةِ قَدْ أَعْـ   ـجَزَ وَصْفِيْ فَكَلَّ عَنْهُ لِسَانِيْ
أَسْفَرَتْ حِيْنَ أَقْبَلَتْ فَاجْتَلَى طَرْ   فِيْ وَسَمْعِيْ مِنْهَا عَرُوْسَ البَيَانِ
وَتَرَشَّفْتُهَا فَبِتُّ كَأَنِّيْ   رُحْتُ مِنْهَا مُعَاقِراً لِلدِّنَانِ
وَتَصَفَّحْتُهَا فَخُيِّلَ لِيْ أَنِّـ   ـيَ مِنْهَا نَزِيْلُ رَوْضِ الجِنَانِ
ثُمَّ كَرَّرْتُهَا وَرَدَّدْتُهَا حَتَّـ   ـى اشْتَفَى خَاطِرِيْ وَقَرَّ جَنَانِيْ
قَسَماً مَا سَوَالِفُ الغِيْدِ زَانَتْـ   ـهَا عُقُوْدُ الجُمَانِ وَالعِقْيَانِ
وَثُغُوْرُ الرِّيَاضِ ضَاحِكَةً غِـ   ـبَّ بُكَاءِ السَّمَاءِ فِيْ نَيْسَانِ
زَارَهَا وَافِدُ الصَّبَا فَتَبَارَتْ   فِيْهِ فُرْسَانُ ضُمَّرِ الضَّيْمَرَانِ(١)
/٢١٢أ/ عِنْدَ أَهْلِ التَّمْيِيْزِ فِيْ الحُسْنِ إِلاَّ   دُوْنَ أَلْفَاظِهَا الحِسَانِ المَعَانِيْ
لاَ تَسُمْنِيْ الجَوَابَ عَنْهَا فَإِقْرَا   رِيْ بِعَجْزِيْ إِلَيْكَ مَدَّ بَنَانِيْ
يَا أَخِيْ يَا عَفِيْفُ إِنَّ اعْتِرَافِيْ   لَكَ فِيْ الشِّعْرِ ظَاهِرُ البُرْهَانِ
لاَ تَقِسْ خَاطِرِيْ بِخَاطِرِكَ الخَطَّـ   ـارِ أَيْنَ الثِّمَادُ وَالرَّافِدَانِ
أَنْتَ رُوْحُ الإِخْوَانِ فِيْ خِفَّةِ الرُّوْ   حِ فَرَفِّهْ خَوَاطِرَ الإِخْوَانِ
وَاعْفِنِيْ مِنْ جَوَابِ شِعْرِكَ إِنَّ الشِّـ   ـعْرَ آبَاهُ مِثْلَ مَا يَأْبَانِيْ
وَابْقَ فِيْنَا وَدُوْنَ قَدْرِكَ أَهْلُ الشِّـ   ـعْرِ حَتَّى حَبِيْبُ وَابْنُ هَانِيْ

(١) الضيمران: الريحان، ولعله المقصود هنا.

وكتب إليه أيضًا عن شعر له إليه وأنشدنيه : [من الخفيف]

يَـا عَفِيـفَ الـدِّيْـنِ الَّـذِيْ جَـلَّ فِـيْ نَظْـ ـــمِ المَعَـانِـيْ وَنَثْـرِهَـا عَـنْ مِثَـال
يَـا صَدِيْقًـا مَـا حَـادَ مُـذْ كَـانَ عَـنْ حُسْـ ـــنِ فَعَـال أَوْ عَـنْ صَـوَاب مُقَـال
قَـدْ لَعَمْـرِيْ أَصْفَيْتَنِـيْ الـوُدَّ وَٱسْتَنْـ ـشَطْـتَ بِـالنُّصْـحِ خَـاطِـرِيْ مِـنْ عِقَـال
وَتَمَلَّكْـتَ رِقَّ حَمْـدِيْ وَمِـنْ شَـأْ نِ المَعَـالِـيْ ٱقْتِنَـاءُ حَمْـدِ المَـوَالِـيْ
بِسُـلَافٍ أَدَارَ فِكْـرُكَ فِـيْ سَمْـ ـعِـيْ مِنْهَـا مَـا دَبَّ فِـيْ أَوْصَـالِـيْ
/ ٢١٢ب/ فَعَلَتْ بِيْ وَأَنْتَ أَدْرَىٰ بِمَا تَفْـ ـعَلُـهُ بِـالعُقُـوْلِ بِنْـتُ الـدَّوَالِـيْ
وَتَـوَهَّمْتُهَـا أَتَتْنِـيْ مِـنَ الجَـ ـنَّـةِ لَمَّـا طَـافَـتْ بِسُكْـرٍ حَـلَال
وَتَلَقَّيْـتُ كُـلَّ مَـا أَعْـرَبَـتْ عَـنْـ ـهُ بِحُسْـنِ القَبُـوْلِ وَالإِقْبَـال
وَتَخَلَّصْـتُ حِيْـنَ وَاجَهَنِـيْ رَأْ يُـكَ بِـالنُّصْـحِ مِـنْ خَبِيْـثِ السَّعَـالِـيْ
وَتَعَـوَّضْـتُ عَنْـهُ عَـوَّضَـكَ اللّـٰ ـهُ بِخَيْـرِ الأَعْـوَاضِ وَالأَبْـدَال
لَا سَقَـىٰ اللهُ صَـوْبُـهُ لَا وَلَا جَـ ـادَ ثَـرًى ضَـمَّ شِبْهَـهُ بِبَـلَال
ثُـمَّ مِـنْ بَعْـدِ ذَاكَ أَطْـرَقَتْنِـيْ بَـا بَ الأَمَـانِـيْ بِـزُخْـرُفِ الأَقْـوَال
يَـا عَفِيْـفَ الـدِّيْـنِ اعْفِنِـيْ مِـنْ أُمُـوْرٍ أَنَـا مِـنْ هَمِّهَـا خَلِـيُّ البَـال
إِنَّ حَظِّـيْ لَـمْ أَحْـظَ مِنْـهُ بِـإِسْعَـا دٍ وَفَـأْلِـيْ بِـوَعْـدِهِ مَـا وَفَـىٰ لِـيْ
لِـيَ دَيْـنٌ عَلَـىٰ الـزَّمَـانِ وَقَـدْ آ نَسَنِـيْ مِنْـهُ بِـالمَطَـالِ المُطَـال
وَبِقَلْبِـيْ مِنْـهُ وَمَـا بُحْـتُ بِـالشَّكْـ ـوَىٰ جِـرَاحٌ بَطِيْئَـةُ الإِنْـدِمَـال
لَا أَرُوْمُ القِصَـاصَ مِنْـهُ وَمَـنْ يَبْـ ـغِـيْ قِصَـاصًـا مِـنْ جَـائِـرٍ مُغْتَـال
وَرَجَـائِـيْ فِـيْ السِّلْـمِ مِنْـهُ فَـإِنْ سَـا لَمَنِـيْ فَهْـوَ مُنْتَهَـىٰ آمَـالِـيْ
يَـا أُخَـيَّ يَـا عَفِيْـفُ حَسْبِـيْ بِـذِكْـرِ ٱسْـ ـمِـكَ رَاحًـا وَرَاحَـةً مِـنْ كَـلَال
/ ٢١٣أ/ عَـدِّ عَـنْ هَـذِهِ المُنَـىٰ إِنَّمَـا العَيْـ ـشُ مَنَـامٌ وَنَحْـنُ طَيْـفُ خَيَـال
لَا عَـدِمْنَـا مِنْـكَ ٱهْتِمَـامًـا بِـهِ جِئْـ ـتَ المَعَـالِـيْ مِـنَ الطَّـرِيْـقِ العَـالِـيْ

وكتب إليه أيضًا جواب أبيات : [من السريع]

مَـا الـدُّرُّ زَانَتْـهُ يَـدَا نَـاظِـمٍ وَالـرَّوْضُ غِـبَّ العَـارِضِ السَّـاكِـب

[وَالــوَشْــيُ مِــنْ كَــفِّ صَنَــاعٍ وَلَا الــ ـمِسْـكُ عَلَـىٰ سَـالِفَتَـيْ كَـاعِـبِ](١)
أَبْهَــىٰ لِعَيْــنِ اليَــوْمِ مِــنْ رَوْضَــةٍ زَخْــرَفَهَــا فِكْــرُ أَبِــي طَــالِــبِ
الأَلْمَعِــــيِّ الأَرْيَحِــــيِّ الَّــــذِي سَــدَّتْ سَجَــايَــاهُ فَــمَ العَــائِــبِ
مَتَــىٰ تَعَــرَّفْنَــا بِمَعْــرُوفِــهِ وَفَضْلِــهِ الــرَّاهِــنِ وَالــرَّاتِــبِ
أَوْدَعَهَــا مِــنْ دُرِّ أَلْفَــاظِــهِ لَآلِئًــا لَــمْ تَــدْنُ مِــنْ ثَــاقِــبِ
يُضِــيءُ فِيهَــا لِلْمَعَــانِــي سَنًــى يُغْشِــي ضِيَــاءَ الكَــوْكَــبِ الثَّــاقِــبِ
وَوَصْــفُ أَشْــوَاقٍ غَــدَا قَلْبُــهُ مِــنْ بَــرْحِهَــا فِــي نَصَــبٍ نَــاصِــبِ
فَــاعْتَلَقَــتْ طَــرْفِــيَ بِمَــا أُبْــدِعَــتْ فِيْهَــا بَنَــانُ النَّــاظِــمِ الكَــاتِــبِ
وَرُحْــتُ مَسْــرُوْرًا بِهَــا بَــاسِطًــا إِلَــىٰ مَجَــانِيْهَــا يَــدَ الــرَّاغِــبِ
إِيْــهِ عَفِيْــفَ الــدِّيْــنِ يَــا مَــنْ بِــهِ عَــزَّ جَنَــابِــي وَاحْتَمَــىٰ جَــانِبِــي
/٢١٣ب/ يَــا ذَا النُّهَــىٰ وَالفَضْــلِ وَالمَنْطِــقِ الــ ـفَصْــلِ الَّــذِي أَعْيَــا عَلَــىٰ الخَــاطِــبِ
كَــمْ لَــكَ عِنْــدِي مِــنْ يَــدٍ شُكْــرُهَــا يُعْجِــزُ حَصْــرَ الحَــافِــظِ الحَــاسِــبِ
أُقْسِــمُ بِــاللهِ يَمِيْــنَ امْــرِئٍ لَا أَفِــكِ القَــوْلِ وَلَا كَــاذِبِ
أَنَّــكَ مِــنْ قَلْبِــي فِــي مَنْــزِلٍ نَــاءٍ عَلَــىٰ المَصْحُــوبِ وَالصَّــاحِــبِ
وَأَنَّــكَ اليَــوْمَ لَأَشْهَــىٰ إِلَــىٰ نَفْسِــي مِــنْ عَــوْدِ الصِّبَــا الــذَّاهِــبِ
وَأَنَّ مَــرْآكَ لَــهُ فِــي الحَشَــا لَــذَّةَ بَــرْدِ المَــاءِ لِلشَّــارِبِ
وَلَــوْ أَطَعْــتُ الشَّــوْقَ مَــا كُنْــتُ عَــنْ جَنَــابِــكَ المُمْــرِعِ بِــالغَــائِــبِ
بَقِيْــتَ مَــا شِئْــتَ البَقَــا آمِنًــا فِــي الــدَّهْــرِ مِــنْ حَــادِثِــهِ الــلَّازِبِ
تُهْــدِي لِــيَ الشِّعْــرَ الَّــذِي نَظْمُــهُ يُــرْخِــصُ سِعْــرَ الــذَّهَــبِ الــذَّائِــبِ
وَتَجْتَنِــي شُكْــرِيَ الَّــذِي نَثْــرُهُ عَلَــىٰ مَعَــالِيْــكَ مِــنَ الــوَاجِــبِ

وكتب إليه أيضًا جواب أبيات: [من السريع]

قُــلْ لِعَفِيْــفِ الــدِّيْــنِ ذِي المَجْــدِ مَلَكْــتَ رِقَّ الشُّكْــرِ وَالحَمْــدِ
بِبِنْــتِ فِكْــرٍ لَــكَ أَرْسَلْتَهَــا سَــافِــرَةً فِــي طَــالِــعِ السَّعْــدِ
/٢١٤أ/ أَلْفَــاظُهَــا أَحْلَــىٰ مِــنَ الشَّهْــدِ وَنَشْــرُهَــا أَذْكَــىٰ مِــنَ النَّــدِّ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

جَلَوْتُهَا مِنْكَ بِخَطٍّ غَدَا ... فِيهِ شِفَاءُ الأَعْيُنِ الرُّمْدِ
فَقُمْتُ لَمَّا أَقْبَلَتْ قَائِلاً ... لَا عُدِمَ المَهْدِيُّ وَالمُهْدِيْ
أَمْهَرْتُهَا وُدِّيْ وَأَفْرَشْتُهَا ... صَدْرِيْ بَلْ أَوْطَأْتُهَا خَدِّيْ
أَعْدَتْ عَلَى الهَمِّ وَيَا طَالَمَا ... قَدْ كُنْتُ أَسْتَعْدِيْ وَلَا مُعْدِيْ
وَسَرَّتِ القَلْبَ وَقَدْ كَانَ مِنْ ... قَبْلُ نَجِيَّ الهَمِّ وَالوَجْدِ
تَفْدِيْكَ نَفْسِيْ يَا أَبَا طَالِبٍ ... مِنْ أَوْحَدٍ فِيْ عَصْرِهِ فَرْدِ
أَخْلَاقُكَ السَّهْلَةُ مَعْسُوْلَةٌ ... فِيْ هَزْلِكَ المُلْهِيْ وَفِيْ الجِدِّ
وَذِكْرُكَ المَوْصُوْلُ بِالحَمْدِ ... فِيْ حَالَتَيْ قُرْبِكَ وَالبُعْدِ
دَانَ لَكَ الشِّعْرُ فَأَزْرَيْتَ بِالـ ... ـنَّظْمِ عَلَى الحِلِّيِّ وَالكِنْدِيْ
لَا غَرْوَ أَنْ أَفْحَمْتَنِيْ مِثْلَ مَا ... أَفْحَمْتَ مَنْ قَبْلِيْ وَمَنْ بَعْدِيْ
كَيْفَ أُجَارِيْكَ إِلَى غَايَةٍ ... فَضْلُكَ لَا يُحْصَرُ بِالعَدِّ
وَذَلِكَ الشَّخْصُ الثَّقِيْلُ الَّذِيْ ... يُصَحِّفُ اللَّفْظَ عَلَى عَمْدِ
لَمْ يَكُنِ التَّصْحِيْفُ مِنْ شَأْنِهِ ... وَإِنَّمَا الفَخْرُ لَهُ مُعْدِيْ
/٢١٤ب/ حَرِّرْهُ بِالهَجْرِ فَقَدْ صَارَ مِنْ ... تَصْحِيْفِهِ فِيْ غَايَةِ البَرْدِ
وَابْقَ عَلَى الدَّهْرِ تَنَالُ المُنَى ... فِيْ عَيْشِكَ المُقْتَبَلِ الرَّغْدِ

وله إليه أيضًا: [من الخفيف]

يَا عَفِيْفَ الدِّيْنِ الَّذِيْ نِلْتُ بِالوُ ... دِّ لَهُ فِيْ الزَّمَانِ جَاهًا وَرِفْعَهْ
يَا صَدِيْقًا لَهُ الوَفَاءُ إِذَا مَا ... خَانَنَا الأَصْدِقَاءُ دِيْنٌ وَشِرْعَهْ
حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ فَتًى سَهَّلَ الدَّهْـ ... ـرُ لَنَا خُلْقَهُ وَكَرَّمَ طَبْعَهْ
وَحَبَانَا مِنْهُ بِذِيْ أَدَبٍ زَا ... نَ بِهِ أَصْلَهُ الكَرِيْمَ وَفَرْعَهْ
وَامْتِنَانٍ فِيْ كُلِّ حَالَاتِهِ يُوْ ... سِعُ فِيْ بَذْلِهِ وَيَبْذُلُ وُسْعَهْ
قَدْ عَلِمْنَا حَقِيْقَةً أَنَّ مَطْلُوْ ... بَكَ تَقْلِيْدُنَا أَيَادِيْكَ خُدْعَهْ
وَأَمَرْنَا مِسْكًا تُجِيْدُ لَنَا طَبْـ ... ـخَ الَّذِيْ اخْتَرْتَهُ وَتُحْكِمُ صُنْعَهْ
وَتَهَيَّأْ فَانْقُلْ خُطَاكَ إِلَى عَبْـ ... ـدِكَ إِذْ تَنْقَضِيْ الصَّلَاةُ بِسُرْعَهْ
لِأُحَيِّيْ مِنْكَ المُحَيَّا الَّذِيْ أَجْـ ... ـلُوْ عَلَى العَيْنِ مِنْهُ أَيْمَنَ طَلْعَهْ
يَا أَبَا طَالِبٍ بَقِيْتَ عَلَى الأَيَّـ ... ـامِ فِيْ عِزَّةٍ عَلَيْهَا وَمَنْعَهْ

كَيْــفَ لِــيْ أَقْطَــعُ الــزَّمَــانَ وَأَيَّــا ... مِــيْ بِمَــرْآكَ كُلُّهَــا يَــوْمُ جُمْعَــهْ

/ ٢١٥أ/ والعفيف هذا؛ هو أبو طالب عقيل بن الحسن بن عقيل بن صقر من أهل حلب، ومن بيت مشهور بها. شيخ حسن طويل أسمر اللون، ممتع الحديث، فكه المجلس، جيد في نفسه؛ عنده مروءة وفيه تودد وحسن عشرة لمعارفه وأصدقائه.

وكان يخدمُ متصرفًا للأمراء، ثم لزم بيتَهُ وواظب علىٰ الصلوات الخمس ويترامىٰ إلىٰ نظم القريض، ويتعاطىٰ فيه. يفعلُ ذلك مُزاحًا وانبساطًا، وله ذوق قريب في قوله وتركيب أوزانه، ويقولُ شعراً ملحونًا، نازل الطبقة. وكانت بينه وبين أبي جعفر بن القيسراني الكاتب المنشيء صحبة قديمة، وصداقة وكيدة.

وكان أبو طالب يحبّ أنْ يُكاتب أبا جعفر بالأشعار ويُجاوبهُ عنها ويداعبهُ ويماجنهُ بالأبيات النادرة؛ ولولا سقوط شعر أبي طالب واللحن الذي يقع في أثنائه، لأوردتُ منه شيئًا في كتابي هذا. وكنتُ أفردت له ترجمةً بذاتها لما كان بيني وبينه من أكيد الصُحبة والإجتماع؛ لكنَّه من الهذيان/ ٢١٥ب/ الذي لا يُعتدُّ به. ومن أصلحَ مالَهُ من النظم قوله من أبياتٍ كثيرة، كتبها إلىٰ بعض أصدقائه: [من مجزوء الخفيف]

نَفَــــذَ الــــوِرْقَ والــــوَرَقْ ... فَفُــــؤَادِيْ قَــــدِ ٱحْتَــــرَقْ
لاَ تَــــدَعْنِــــيْ أُصِيْــــحُ مِثْـ ... ـــلَ السمــاميــن طَــقْ طَلَــقْ

وكانت وفاة العفيف أبي طالب ليلة الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة خمسين وستمائة، ودفن بمقبرة الجُبَيل شمالي القلعة بكرة يوم الجمعة بتربة مخصوصة بهم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وسألته عن ولادته، فقال: ولدت في سنة خمس وسبعين وخمسمائةً بحلب.

ثم نرجع إلىٰ ذكر أبي جعفر بن القيسراني. كتب المخلص عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم التميمي إلىٰ أبي جعفر عند عوده من دمشق، واتفق وصوله إلىٰ حلب قبل عيد الأضحىٰ بيومين وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة.

/ ٢١٦أ/ دُمْ يَـا أَبَـا جَعْفَـرٍ مَـالاً لِـذِيْ أَمَـلٍ ... يَـرْجُـوْ نَـدَاكَ وَعِـشْ لِلْفَضْـلِ وَالجُـوْدِ
مَــا عُــدَّ غَيْــرُكَ إِلاَّ وَٱغْتَــدَتْ غُــرَراً ... أَفْعَــالُـكَ البِيْـضُ فِـيْ أَفْعَـالِـهِ السُّـوْدِ
أَنــأَىٰ ارْتِحَــالُــكَ عَنَّــا كُــلَّ صَــالِحَــةٍ ... نَــادَى إِلَيْهَــا وَأَقْصَــىٰ كُــلَّ مَقْصُــوْدِ

لَا رَدَّ دُوْنَكَ بَابَ الخَيْرِ فَاتِحُهُ ... فَبَابُ فَضْلِكَ عَنَّا غَيْرُ مَرْدُوْدِ

فأجابه أبو جعفر بهذه الأبيات، وأنشدنيها: [من البسيط]

أَمُخْلِصَ الدِّيْنِ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مِنَنًا ... مَا شُكْرُ أَيْسَرِهَا عِنْدِي بِمَحْمُوْدِ
وَقَفْتُ مِنْكَ عَلَىٰ نَظْمٍ أَدَارَ عَلَىٰ ... سَمْعِي وَفَهْمِي وَلُبِّي بِنْتَ عُنْقُوْدِ
لَقَدْ مَلَكْتَ بِهِ وُدِّي الصَّرِيْحَ كَمَا ... أَوْرَدْتَنِي مِنْهُ بَحْرًا غَيْرَ مَوْرُوْدِ
مَنَحْتَنِي مِنْهُ جُوْدًا مَا بَرِحْتُ إِلَىٰ ... نَفَائِسٍ مِنْ حُلَاهُ ثَانِيًا جِيْدِي
وَاللهُ يَعْلَمُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَمَا ... جَنَتْ يَدُ البُعْدِ مِنْ هَمِّي وَتَسْهِيْدِي
وَمَا نَثَرْتُ بِذَاكَ القُطْرِ مِنْ دُرَرٍ ... عَلَيْكَ فِي كُلِّ نَادٍ مِنْهُ مَشْهُوْدِ
وَيَوْمَ أَلْقَىٰ مُحَيَّاكَ الجَمِيْلَ فَذَا ... لَكَ اليَوْمُ عِيْدِي مِنْ حُسْنٍ بِهِ عِيْدِي
بَقِيْتَ لِلْفَضْلِ تُبْدِيْهِ فَأَنْتَ لَهُ ... كَالمَاءِ لِلْعُوْدِ بَلْ كَالنَّارِ لِلْعُوْدِ

/ ٢١٦ب/ ومن نثره ما كتبه إلىٰ الصاحب الإمام كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي المدرِّس العقيلي ـ أسعده الله تعالىٰ ـ من حمص عند توجهه إلىٰ خدمة السُلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن غازي ـ خلَّد الله ملكه ـ بدمشق، يعرِّفه بوصُوله:

«أدام الله نعمة المجلس السامي كمال الدين؛ ولا زالت محامدُهُ مفروضة، ومننُهُ علىٰ الأعناق مفضوضة، والمسارُ على سمعه وقلبه الشريف معروضة، ولا برحت يده بالإحسان مبسوطة، وأيدي الحَوادث عنه مقبوضة.

الخادمُ ينهي أنَّه سطر خدمته هذه من حمص وقد هبَّ عليه من / ٢١٧أ/ حمص، وقدم عليه من نسيم الاقتراب من الخدمة الشريفة السلطانية ما أحيا روحَهُ، وبعث إليه مسيحَهُ، وهاج أشواقه وتباريحَهُ، واستشعرت نفسُهُ سعادة المثول بأبوابها، واستنار جبينه لما سيُباشره من ترابها، وتيقن إعتاب دهره عند تقبيله عتباتها، ونجاح سعيه بوقوفه في مواقف عبيدها وأهل موالاتها، والله تعالىٰ يقرّب له ميقات الاستسعاد بمرأىٰ عظمتها التي تخشع لها البصار، وتخضع لها

الأقدار، ويستسرّ لأنوارها الأقمار، وتتوجه الوجوه والنيات إلىٰ كعبة كرمها، ويحلّ الرجاءُ بأرجاء حرمها، وترفع الأقدار باستنزال ديم فضلهاونعمها ليسترجع الخادمُ بصره وبصيرتَهُ منها بنظره. ويشم لما حلَّ حاله من سماء إحسانها ديمة ثرَّة، ويَرد بحر كرمها الذي يقذف بدرُ الأنعام من معدنها، وَتأخذها بقوة، ويأمرُ قومه أنْ يأخذوا بأحسنها، ويُشافهُ /٢١٧ب/ بالدعاء والإحماد والإبتهال إلىٰ الله تعالىٰ، في أنْ يمدّ ظلّ سُلطانها علىٰ العباد والبلاد، وأنْ يمتع الخَليقة منه بتلك الخليقة، التي هي ألذّ في الأجفان وأندىٰ علىٰ الأكباد، ويفوز بخدمة المجلس التي هي مادة أنسه، وراحة نفسه، ومشاهدة محيّاه الذي له فيه مغنًى عن قمره وشمسه، فإنَّ مسألة الشوق إليه قد أخذت بحقّها، ومسافة الصبر قد الجأته إلىٰ أضيق طرقها. وكيفَ به لو أعارته الريح إليه جناحًا؟ أو لو زُويتَ له الأرض فغدا علىٰ خدمته غدوّاً ورواحًا؟ وسَطرها ونفسه تعد، ويده من خجلة التأخر ترتعد. وماَ يَدْري بماذا يعتذر؟ ولا ماذا ينظر وينتظر؟ غير أنَّ نفسه واثقةٌ بأنَّ سلطاننا ـ خلّد الله ملكه ـ شريف الطبع، كريم الصنع. لا يناقش في هذا الحساب، ولا ينافس إلاَّ في الثواب، وأنَّه إلىٰ عادته في الأحسان أجنح، وأنَّ سجاياه الشريفة أَندىٰ وأسجح، ملكَّه الله الليالي خَوَلاً، والأيام /٢١٨أ/ عبيداً، وجدّد له في كل يوم جديد ملكًا جديداً، وأغنىٰ الدنيا به عمَّن سواه كما أغنى جار البحر عن [أنْ] يَتيمَّم صعيداً، وحرس نعمة المولىٰ وأبقاها، وضاعف له أسباب السعادة وأولاها، وعطف علىٰ مكارم أخلاقه أعنَّة الثناء وثناها ـ إنْ شاء الله تعالىٰ ـ».

ومما كتبه إلىٰ السلطان الملك الناصر صلاح الدين عَزّ نصرُهُ ـ بعد عوده من مصر، وقد بلغه عتب منه بَانقطاع كتبه عنه:

«أعـزّ الله سلطـان المقـرّ الأشـرف الأعظـم السلطـانـي، وزاده اقتـداراً وأعقبه ظفراً وانتصاراً، وأوسع الدنيا بملكه افتخاراً، وحاطه بمعقباته

الحافظات ليلاً ونهاراً، وجعل ملائكة نصره أعوانًا وأنصاراً؛ ولا زالت الأقدار لأوامره مُعليةً، ولبعيد آماله مدنية، ولعقائل الممالك إليه مهدية /٢١٨ب/ وإلىٰ طاعته في كل مرادٍ ومرام متهديّةً.

يقبل الأرض خدمةً يعتقدها فرضًا، ويلثم العتبات الشريفة التي لا يرضى لها السماء أرضًا، ويُنهي مواصلتَهُ أيام مولانا بأدعيته التي يرفع وظائفها، ويهدي لطائفها، وينشر صحائفها. واستفتاحه أبواب القبول بدوامه علىٰ ذلك واستمراره، ومحافظته عليه في آناء ليله وأوقت نهاره. والله تعالىٰ يسمع ويجيب إنَّه سميع مجيب، ويقسم بالله العظيم، وبحق نعمة مولانا وحقوقها عظيمة، وكفّارتها معلومة أنَّ المملوك لم يؤخر مطالعاته عن الأبواب العالية إلاَّ استصغاراً لنفسه عن هذا المقام، وإجلالاً لعظمة مولانا التي تتضاءَل عندها همم الملوك العظام، وتهيبًا أنْ يخاطب مقرّ الشرف والعظمة بما يستمدُّهُ من خاطر بهمّ بعده عن الخدمة الشريفة مكدود، وقلب مُحَلاً عن موارد السعاداتً مطرود، وجَنان تبهره أنوار تلك العظمة /٢١٩أ/ التي إذا حاول من قلمه سجوداً، بآياتً حمدها قال جبينُهُ أنا أحقّ منه بالسجود.

وعنده والله من الأسف لبعده عن الخدمة الشريفة ما لا تتخيلّلُهُ الأوهام، ومن الأشواق إلىٰ تعفير وجهه في مواطىء أقدام مولانا ما لا يطيق حصره، ﴿وَلَو أَنَّمَا في الأَرض مِنْ شَجَرة أَقْلام﴾[1]. ولئن أخَّره سوء حظّه، فإنَّه يتذمَّم إلىٰ حلَم مولاناً وعفوه بأنَّ له في ولاء الدولة القاهرة القدم المتقدمة، وعقيدة الإخلاص المستحكمة، وأنَّه مملوكها الذي ما نشأ إلاَّ في خدمة أبوابها، ولا شَامَ غيث إحسان إلاَّ من سحابها، ولا فغرَ إلاَّ بالدُّعاء لأيامها فمًا، ولا أجرى في غيرَ طاعتها قلمًا ولا قدمًا، ولا عرفَ غير سلطان الله تعالىٰ وسلطانها

(١) سورة لقمان، الآية ٢٧.

منعمًا. وآماله فيها تتأكد علىٰ الدوام، وتزداد اشتداداً علىٰ تراخي الأيام، والله سبحانه يبلغهُ من خدمة مولانا ما يبلغه رضاهُ، ويفوز منه بسعادتي دنياه وأُخراه. ويخلد ملك مولانا، وينصر الإسلام /٢١٩ب/ بنصره، ويجعلُ أمره في عباده وبلاده من أمره، ويسعد ممالك الآفاق بما يطلعه عليها من أنوار بدره وأضواء فجره، يغني آمال الأولياء بما يقذفُهُ لقريبها من درّ بحره، ويبعثه إلىٰ بعيدها من متراكم قطره، والأمر أعلىٰ ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ».

ومما كتبه إلىٰ السلطان الملك الأشرف شاه أرمن مظفَّر الدين أبي الفتح موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وكان قد أبلَّ من مرض ناله ـ علىٰ لسان السلطان الملك العزيز غياث الدين أبي المظفر غازي بن يوسف بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ:

«يُقبِّل الأرض بالمقرِّ الأشرف العالي المولويّ السُّلطاني الملكي الأشرفي الشاهي ـ أعز الله سلطانه ـ ولا زالت /٢٢٠أ/ الأيام مستبشرةً بعافيته، والآمال صحيحةً بصحته، والإسلامُ مستعليًا بسلامته، والأقدار مُتقاصرةً عن نيل قدرته، والدنيا مقبلة أبداً بإقبال دولته، والتوفيق مُوافقًا لمماليكه وأهل مودَّته، والحياة مُعرضةً عن أعدائه وأضداده وحسدته. خدمةً يجدّدها علىٰ اختلاف أحواله وطاعةً يتسربلُ منها ملابس إقباله، وينهي مواصلته أيام مولانا بالدعاء واختياله في حُلل السَّراء، واختصاصه بعظيم الهناء، لما منَّ الله تعالىٰ علىٰ الإسلام والمسلمين والدنيا والدين من عافية مولانا التي أشرقت الآفاق بأنوارها، وسلامته التي عمَّت القلوب بمسارها، وصحته التي صحت بها زواجر الإقبال، واعتدال مزاجه الشريف الذي قضىٰ للزمان وأهله بالاعتدال. ووقاية الله ـ تعالىٰ ـ ذلك الجسم الذي هو من لطفه مجسم وإشراق شمس تلك العزّة أضاء بها شقَّ الأمل الذي /٢٢٠ب/ كان أظلم فالحمد لله علىٰ هذه النعمة التي لا يدانيها الشكر، ولا يقومُ بحقّها الوصفُ والنشر، وهو المحمود علىٰ لطفه

بالمملوك حيث لم يبلغْهُ خبر التياث مزاج مولانا إلاّ مقترنًا بخبر عافيته، وكمال سلامته؛ ولولا ذلك لتفرقت أفلاذ كبده، وبرز قلبهُ إشفاقًا من جلده وجَلَده.

وهو من كل الكرم أكرم، والله تعالىٰ يصرف عن مولانا كل مكروه، وينوّر بعافيته القلوب والوجوه، ويضفي علىٰ جسمه شعار الصحة، ويخصه بالعمر الجديد المديد الفسحة، ويُهدي إلىٰ خاطره الشريف ما يُهديه إلىٰ خواطر أوليائه ومماليكه من الفرحة؛ ويبلغ المملوك عنه أطيب الأنباء، ويجعل الناس كلهم فداءً له من الأولياء والأعداء. والمملوك يسأل تشريفه بأوامر مولانا ونواهيه، والله تعالىٰ يُوزعه شكر أياديه، ويوفقه لحيازة مراضيه ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ».

[٩١٨]

يحيىٰ بنُ سعيد بن المُبارك بن عليٍّ بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصرَ بنَ عاصمَ بنَ عبّاد بنَ عصام بنَ الفضلَ بنَ ظفر بَن غلاَّبَ بنَ حمد بَن شاكرَ بنَ عياضَ بَن حصنَ بنَ رجاَءَ بَن أُبيٍّ بَن شَبلِ بنَ أبيَ اليسر كعَب الأنصاريِّ ـ صاَحبَ رسول الله ﷺ ـ بن عَمرو بن المنَهال بنّ عديٍّ بن طريف بنَ عبيـد بـنَ شـرَّاد بـنَ زيـدَ بـنَ حـامـد بَـنَ لبيـدَ بـنَ الأشجـعَ بـنَ الحارَث بَن ربيعةَ بَن ضَبةَّ بَن جندَب بَن مَرثدَ بن جُشمَ بنَ مالك بَن عوف بن سَالم بن مرَّةَ بن مالك بَن أوسَ بَن حارثةَ بنَ ثعلبةَ بنَ عمروَ بنَ عامرَ بنَ حارثةَ بن ثعلَبةَ بَن امرىءَ القيس بنَ مازن بنَ الأزَد بنَ الغوثَ بَن مالك بَن زيد بنَ كهلانَ بن سبأ بنَ يشجَبَ بنِ يعربَ بنِ قحطانَ الأزدَيُّ(١).

---

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ٤٦٣ رقم ١٦٦٦. طبقات النحاة لابن قاضي شهبة/ الورقة ٢٦٥. بغية الوعاة ٢/ ٣٣٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠) رقم ٤٢٧.

نقل هذا النسب من خط تلميذ أبيه، أبي الدُّرّ ياقوت بن عبد الله الكاتب الموصليّ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

أبو زكريا بنُ أبي محمدٍ النحويُّ، المعروفُ والدُهُ بابنِ الدَّهّانِ.

كانت ولادة يحيىٰ قبل موت أبيه بثمانية أيام. وكان موتُ أبيه / ٢٢١ب/ يوم الأحد غرَّة شوال من سنة تسع وستين وخمسمائة بالموصل.

وكانت وفاة يحيىٰ هذا ـ بها أيضًا ـ في سنة ست عشرة وستمائة، ودفن علىٰ أبيه بمقبرة المعافىٰ بن عمران الزاهد ـ رضي الله عنه ـ ونشأ وأحبَّ الاشتغال بالعلم والأدب، ولم يزل راغبًا في تحصيله، مائلاً إليه بكلِّيته.

وصحب الشيخ أبا الحرم مكيّ بن ريّان الماكسي النحوي تلميذ والده، ولازمه إلىٰ أن توفي ودرس عليه أدبًا كثيراً، واستفاد منه علمًا وافراً؛ نحواً وعربية وعروضًا ولغةً وأشعاراً قديمة حتىٰ تميَّز وبرع في ذلك علىٰ أقرانه. وكان يرجع إلىٰ جودة فهم وذكاءٍ وفطنة، ونسخ بخطّه كتبًا كثيرة أدبية.

وكان فقيراً مملقًا متعذراً عليه القوت، واتصل بالأتابك عزّ الدين أبي الفتح مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود ـ رحمه الله تعالىٰ ـ صاحب الموصل، وولاّهُ التقدّم في الرباط، وصار شيخ الشيوخ به، وحظي لديه، واكتسب منه رزقًا صالحًا، وولاّهُ بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله خازنًا / ٢٢٢أ/ لخزانة كتب المدرسة التي أنشأها علىٰ دجلة، وألَّف عدَّة مجاميع باسم الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه تحتوي علىٰ أشعار رقيقة غزليّة. وكان الناس يتجنبونَهُ لما يرون فيه من التكبُّر والتيه وشراسة الخلق والفظاظة. وكان مع ذلك شاعراً سهل الشعر، صاحب قصائد ومقطعات.

أنشدني الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي الإربليُّ بها ـ رضي الله عنه ـ قال: أنشدني أبو زكريا يحيىٰ بن سعيد بن المبارك النحوي ابن الدّهان لنفسه:

[من الطويل]

وَقَـائِلَـةٍ أَصْبَحْـتَ فِـيْ النَّـاسِ شَـاعِـراً　　　وَقَـدْ كَـانَ يَخْلُـو مِـنْ أَمَـاثِلِـكَ العَصْـرُ

فَقُلْتُ لَهَا: يَا وَيْبَ غَيْرِكِ قَرِّضِي ... مَلاَمَكِ عَنِّي وَاهْدِي أَنَّى لَكِ العُذْرُ
فَإِنِّي وَإِنْ أُلْفِيتُ حَظِّيَ هَابِطًا ... لَذُوْ هِمَّةٍ مِنْ دُوْنِ قِمَّتِهَا النَّسْرُ
وَمَا جُلُّ فَخْرِي بِالقَرِيْضِ وَنَظْمِهِ ... وَلَسْتُ امْرَءًا أَسْرَى فَضَائِلَهُ الشِّعْرُ
وَلَكِنَّنِي شَرَّفْتُ نَثْرِي بِمَدْحِهِ ... فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَسْمُوْ بِهِ النَّظْمُ وَالنَّثْرُ
وَمَنْ كَانَ بِكْرًا لِلْفَضَائِلِ وَاجِدًا ... لَهَا فَخَلِيْقٌ أَنْ تُزَفَّ لَهُ البِكْرُ

/ ٢٢٢ب/ وأنشدني أبو محمد عبد الله بن عمر بن سعدي البوازيجي الأنصاري بحلب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أبو زكريا يحيىٰ بن سعيد بن الدهّان النحوي بالموصل لنفسه ما كتبه إلىٰ الأمير بدر الدين أبي الفضائل لؤلؤ بن عبد الله ـ صاحب الموصل ـ علىٰ ظهر كتاب أهداه له يتقاضىٰ رسمًا كان له عليه في النيروز:

[من المنسرح]

مَوْلاَيَ يَا سَيِّدَ المُلُوْكِ وَيَا ... أَعْظَمَ مَنْ يَلْتَجِيْهِ مَلْهُوْفُ
قَدْ حَانَ رَسْمِي فَانْعِمْ عَلَيَّ بِهِ ... فَأَنْتَ بَيْنَ الأَنَامِ مَوْصُوْفُ

ونقلتُ من خطه شعره من صدر كتاب ألفه وسمّاه «نتائج القرائح» خدم به الملك القاهر عزّ الدين أبا الفتح /٢٢٣أ/ مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود صاحب الموصل ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من السريع]

هَلْ لِغَرَامِي فِيْكِ مِنْ آخِرِ ... أَمْ هَلْ عَلَىٰ صَدِّكِ مِنْ نَاصِرِ
يَا رَبَّةَ الخِدْرِ الَّتِي أَصْبَحَتْ ... فَاتِكَةً بِالأَسَدِ الخَادِرِ
رِقِّي لِمَنْ أَصْبَحَ فِي وَجْدِهِ ... بِحُبِّكُمْ كَالْمَثَلِ السَّائِرِ
وَلاَ تَظُنِّي بِي سُلُوًّا فَمَا ... يَخْطُرُ لِي غَيْرُكِ فِي خَاطِرِ
وَاهًا لِقَلْبِي كَيْفَ مَلَّكْتُهُ ... غَرِيْرَةً سَاحِرَةَ النَّاظِرِ
خَلِيَّةً عَنْ فَرْطِ وَجْدِي بِهَا ... رَاقِدَةً عَنْ جَفْنِيَ السَّاهِرِ
تُبْدِي إِذَا مَا طَلَعَتْ طَلْعَةً ... غَرَّاءَ مِثْلَ القَمَرِ البَاهِرِ
فَإِنْ تَثَنَّتْ فَلَهَا قَامَةٌ ... تَقُدُّ قَدَّ الغُصُنِ النَّاضِرِ
وَافِرَةَ الحُسْنِ فَوَاحَسْرَتَا ... وَاحَرَبَا مِنْ حُسْنِهَا الوَافِرِ
قَاسِيَةً لَمْ تَرْثِ لِي مِنْ جَوَىٰ ... قَلْبِي وَلاَ مِنْ دَمْعِيَ الهَامِرِ
كَأَنَّمَا مَا عَلِمَتْ أَنَّنِي ... عَبْدُ الجَوَادِ المَلِكِ القَاهِرِ

القَيْـل عـزّ الـدِّيْـن رَبّ العُـلاَ — مُعْطِـيْ اللُّهَـىٰ حلْـف النَّـدَىٰ الغَامـر
/ ٢٢٣ب/ نَجْلَ المُلُوْكِ الصِّيْدِ خَيرِ الـوَرَىٰ — الـزَّارِيْ عَلَـىٰ الأَوَّلِ وَالآخـر
مُـوْلاَيَ يَـا ابـنَ الأَكْـرَمِيْـنَ اسْتَمِـعْ — مَـدِيْـحَ نَحْـوِيكُـمُ الشَّـاعـر
فَـإنْ يكُـنْ قَصَّـرَ فَيْـهِ فَمَـا — لَـهُ سِـوَىٰ عَفْـوِكَ مِـنْ غَـافـر
لاَ زِلْـتَ فِـيْ عِـزٍّ مَنِيْـعِ الـذُّرَىٰ — تَكُـفُّ كَـفَّ الـزَّمَـنِ الجَـائِـر
لَيْـسَ لِمَـا تَجْبُـرُ مِـنْ كَـاسِـرٍ — وَلاَ لِمَـا تكْسِـرُ مِـنْ جَـابِـر

وقال أيضًا: [من البسيط]

قَالُـوا: إلـى مَ تُعَانـيْ الحُبَّ قُلْتُ لَهُـمْ — مَـا دُمْـتُ حَيّـًا وَدَامَ الحُسْـنُ فـيْ النَّـاس
كَـمْ تُبْـتُ يَـوْمـًا فَيَثْنـيْ همَّتـيْ رَشَـأٌ — لَـهُ عِـذَارٌ عَلَـىٰ الخَـدَّيْـنِ كَـالآس
إِذَا كَلِفْـتَ بِمَـنْ تَهْـوَىٰ وَكَـانَ لَـهُ — وَجْـهٌ مَلِيْـحٌ فَمَـا بِـالحُـبِّ مِـنْ بَـاس

وقال أيضًا: [من البسيط]

مَـازِلْـتُ أَطْلُـبُ مِـنْ دَهْـرِيْ لِقَـاءَكُـمُ — حَتَّـىٰ إِذَا مَـا تَـدَانَـى الشَّمْـلُ وَاجْتَمَعَـا
مَـدَّتْ إِلَيْنَـا صُـرُوْفُ الحَـادِثَـات يَـداً — أَوْهَـتْ قُـوَىٰ الـوَصْـلِ حَتَّـىٰ صَارَ مُنْقَطعا
فَمَـا اكْتَسَبْـتُ سِـوَىٰ حُـزْنٍ أُكَـابِـدُهُ — عُمْـرِيْ فَلَيْـتَ التَّـدَانـيْ لَـمْ يكُـنْ وَقَعَـا

وقوله يتذكر / ٢٢٤أ/ الصِّبا ويتأسَّفُ عليه: [من الوافر]

وَعَهْـدِيْ بِـالصِّبَـا زَمَنـًا وَقَـدِّيْ — حَكَـى أَلِـفَ ابـنِ مُقْلَـةَ فـيْ الكِتَـاب
فَصِـرْتُ الآنَ مُنْحَنِيـًا كَـأَنِّـيْ — أُفَتِّـشُ فِـيْ التُّـرَابِ عَلَـىٰ شَبَـابِـيْ

[٩١٩]

يحيىٰ بنُ سعيد بن محمد بن سعيد بن أحمدَ بن إبراهيمَ بن الحارث بن سليم بن أبي تمامٍ القاضيّ، أبو المجدِ بنُ أبي الوفاءِ التكريتيُّ[١].

من ربيعةَ، قاضي ماردين.

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٣/١٠٩ رقم ١٩٥٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠) رقم ٧٠٩. معجم الشافعية لابن عبد الهادي/ الورقة ١٠٦.

حدثني الصاحبُ الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي، وقال: قاضي ماردين؛ هو يحيىٰ بن سعيد، قدم حلب رسولاً في سنة ثلاث عشرة وستمائة، ونزل بخانكاه الملك الصالح نور الدين إسماعيل بن محمود بن زنكي بن آقسنقر - رضي الله عنه - واجتمعت به وسمعت عليه شيئًا من الحديث، وأملى عليّ من شعره.

وهو شيخ حسن مُفْت فقيه من بيت الحديث والفقه، سمع ببغداد شهدة بنت الأبري، والرضي أبا الخير أحمد بن إسماعيل / ٢٢٤ب/ بن يوسف بن محمد بن العباس القزويني، وبالموصل خطيبها أبا الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر بن الطوسي، وصدر الدين شيخ الشيوخ أبا القاسم عبد الرحيم بن إسماعيل بن أحمد بن محمد النيسابوري. وكان مدرسًا بمدرسة أبي الكرم محمد بن علي بن مُهاجر الموصلي.

سألته عن ولادته، فقال: في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ستٍّ وخمسين وخمسمائة بتكريت، وبلغتنا وفاته ونحن بحلب في ذي الحجة من سنة عشرين وستمائة، وتوفي بماردين؛ وقيل توفي ليلة الإثنين تاسع ذي القعدة.

وقد ذكره الإمام أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الفقيه الشافعي الموصلي في كتاب «طبقات الفقهاء الشافعية». وقال: وُلد القاضي أبو المجد بتكريت، وتفقه بها مُدَّة، وتوجه إلىٰ الموصل وتفقه بها مدَّة علىٰ الشيخ ابي المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الفقيه المدرّس بها يومئذ. وأعاد له الدرس بالمدرسة الفخرية علىٰ دجلة مدَّة طويلة.

ثم توجَّه إلىٰ ماردين وأقام بها وولي التدريس / ٢٢٥أ/ والقضاء بها زمانًا طويلاً، وتعيَّن فيها للتدريس والفتوىٰ والقضاء. وكانت له المناظرة بجامعها. وكان حسن السيرة، جميل الطريقة، عفيفًا في ولايته.

ثم قال: وذكر لي من أثق به؛ أنه لما عزم علىٰ الحج صعد المنبر يوم الجمعة، وقال: يا أهل ماردين قد وليت عليكم القضاء مدَّة طويلة، فأسألكم بالله: إنَّ من كانت له عليّ مظلمة أنْ يقوم يطالبني بها فإنْ كانت من مال قضيتها، وإنْ كانت بسبب السلطان

تداركتها منه، وإنْ عجزت عن ذلك تضرعت عليه في عفوها عنّي. فضجَّ الناس بالبكاء وارتفعت أصواتهم بالأيمان المؤكدة أنَّه ليس فينا من له منك شكوىٰ ولا يتخلفك مكروه؛ فبلغ ذلك صاحبَ ماردين فعظمت مكانته عنده، وحجَّ في تلك السنة. وكان هو الرسول إلىٰ ديوان الخلافة وغيره من الملوك عن صاحب ماردين، هذا آخر كلامه.

أنشدني الصاحب الإمام أبو القاسم بن أبي جرادة بحلب ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدنا / ٢٢٥ب/ القاضي يحيىٰ بن سعيد بن أبي تمام التكريتي لنفسه هذه الأبيات يرثي بها أخاهُ فخر الدين أبا الفخر وقد توفي بتكريت في سنة أربع وثمانين وخمسمائة:

[من الطويل]

أَيَا نَازِلَيْ أَرْضِ العِرَاقِ لَقِيتُمَا ... رَشَاداً وَلاَ لاَقَاكُمَا الدَّهْرَ ذَاعِرُ
وَلاَ زِلْتُمَا فِي غِبْطَةٍ وَسَلاَمَةٍ ... تَجِيءُ بِكُمْ فِي القَادِمِينَ بَشَائِرُ
إِذَا جِئْتُمَا تَكْرِيتَ فِي اللَّيْلِ اهْدِيَا ... سَلاَمِي إِلَىٰ قَبْرٍ سَقَتْهُ بَوَاكِرُ
ثَوَاهُ فَتًى لاَ يَخْلُفُ الدَّهْرُ مِثْلَهُ ... إِلَىٰ أَنْ يُنَادِيْ فِي البَرِيَّةِ حَاشِرُ
أَبَىٰ الدَّهْرُ أَنْ يَحْيَا أَبُو الفَخْرِ بَعْدَمَا ... تَوَلَّتْ مِنَ الدَّهْرِ الخَؤُونِ مَفَاخِرُ
بِجَانِبِهَا الغَرْبِيِّ غُيِّبَ بَدْرُهُ ... وَلاَ غَرْوَ أَنَّ الغَرْبَ [لِلْبَدْرِ] سَاتِرُ
سَقَىٰ اللهُ قَبْراً ضَمَّ عَقْلاً وَعِفَّةً ... غَمَاماً مُلِثّاً قَطْرُهُ مُتَوَاتِرُ
وَلاَزَالَ مُخْضَرَّ الجَوَانِبِ مُونِقاً ... تُمَدُّ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ نَوَاظِرُ
وَقُولاَ لَهُ إِنِّي فَقِيدٌ لِفَقْدِهِ ... كَأَنَّ فُؤَادِيْ عِنْدَ ذِكْرَاهُ طَائِرُ
وَإِنَّكَ إِنْ غُيِّبْتَ عَنْ عَيْنِ نَاظِرِيْ ... فَلَسْتَ بَعِيداً أَنْ تَرَاكَ البَصَائِرُ
كَفَىٰ بِيَ حُزْناً أَنَّ فَقْدَكَ سَالِبِيْ ... رُقَادِيْ وَأَنَّ الجَفْنَ مِنِّيْ لَمَاطِرُ
/ ٢٢٦أ/ إِذَا مَاتَ أَهْلُ الفَضْلِ وَانْدَرَسَ العُلاَ ... وَضَمَّ سَرَاةَ العَالَمِيْنَ مَقَابِرُ
وَصَارَ أَخُو الآدَابِ وَالعَقْلِ وَالحِجىٰ ... وَرَاجِيْ حَيَاةٍ عُمْرُهُ مُتَقَاصِرُ
فَلاَ حُبِّرَتْ لِلْكَاتِبِيْنَ مَحَابِرٌ ... وَلاَ نُصِبَتْ لِلْخَاطِبِيْنَ مَنَابِرُ
وَلَوْ أَنَّ بِالمِقْدَارِ حَوْلاً وَقُوَّةً ... لَمَا حَكَمَتْ فِي العَالَمِيْنَ مَقَادِرُ
وَلَكِنَّهُ الكَأْسُ المُدَارُ عَلَىٰ الوَرَىٰ ... لِيَشْرَبَهُ بِالمَوْتِ بَادٍ وَحَاضِرُ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني القاضي أبو المجد قوله: [من الطويل]

إِذَا كَانَ عُوْدِيْ نَاظِرٍ[اً] وَشَبِيْبَتِيْ ... لَهَا رَوْنَقٌ فِيْ نَفْسِهَا وَبَهَاءُ

وَمَا نِلْتُ مَا أَمَّلْتُهُ مِن وِصَالِكُمْ ... فَمَنْ لِيْ إِذَا اسْتَوْلَىٰ عَلَيَّ فَنَاءُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه وكتبها إلىٰ صديق له: [من الطويل]

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَيْكَ وَإِنَّنِيْ ... لأَعْلَمُ أَنَّ الشَّوْقَ لِيْ مِنْكَ أَكْثَرُ

لأَنَّ الَّذِيْ أَشْتَاقُهُ مِنْكَ حَاضِرٌ ... بِقَلْبِيْ وَمَنْ تَشْتَاقُهُ لَيْسَ يَحْضُرُ

وأنشدني، قال: أنشدني قوله: [من المنسرح]

/ ٢٢٦ب/ لَوْ أَنَّ كُتْبِيْ إِلَيْكَ وَاصِلَةٌ ... بِقَدْرِ شَوْقِيْ مَا أُحْصِيَتْ عَدَدَا

لأَنَّ ظَنِّيْ أَنِّيْ مَتَىٰ وَلِعَتْ ... بِيْ كَفُّ دَهْرِيْ تَكُوْنُ لِيْ عُدَدَا

وأنشدني، قال: أنشدني له: [من الوافر]

أَلاَ يَا كَعْبَةَ الإِحْسَانِ طُرّاً ... وَمَنْ هُوَ فِيْ مَعَانِيْهِ جَمَاعَهْ

لَئِنْ قَصَّرْتُ فِيْ قَصْدِيْ وَحَجِّي ... إِلَيْكَ فَشَرْطُ حَجِّي الإِسْتِطَاعَهْ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو المجد بن أبي الوفاء لنفسه: [من الوافر]

ذَكَرْتُكَ وَالحَجِيْجُ لَهُ ضَجِيْجٌ ... عَلَىٰ عَرَفَاتَ فِيْ يَوْمِ الوُقُوْفِ

وَأَرْسَلْتُ الدُّعَاءَ وَظَلْتُ أَرْجُوْ ... إِجَابَتَهُ مِنَ البَرِّ العَطُوْفِ

وَمَا زَالَتْ ضُلُوعِيْ فِيْ أَجِيْجٍ ... وَمَا بَرِحَتْ دُمُوْعِيْ فِيْ وُكُوْفِ

إِلَىٰ أَنْ قِيْلَ لِيْ فِيْ... ... نِلْتَ المُنَىٰ وَأَمِنْتَ مِنْ أَمْرٍ مَخُوْفِ

وأنشدني قال: أنشدني القاضي يحيىٰ بن سعيد من شعره: [من الكامل]

/ ٢٢٧أ/ ضَحِكَ الرَّبِيْعُ وَغَنَّتِ الأَطْيَارُ ... وَتَمَايَلَتْ بِيَدِ الصَّبَا الأَشْجَارُ

وَجَرَتْ عَلَىٰ زَهْرِ الرِّيَاضِ نَسَائِمٌ ... نَسَجَتْ رَقِيْقَ ثَنَائِهَا الأَسْحَارُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من المنسرح]

سَقَتْكَ دَارَ السَّلاَمِ غَادِيَةٌ ... صَوْبُ نَدَاهَا تَجُوْدُ مُزْنَتُهُ

فِيْكِ إِمَامُ الهُدَىٰ وَمَنْ خَجِلَتْ ... شَمْسُ الضُّحَىٰ مُذْ بَدَتْ أَسِرَّتُهُ

مَنْ طَبَّقَ الأَرْضَ بِالسَّمَاحِ وَمَنْ ... عَلَتْ عَلَىٰ النَّيِّرَيْنِ هِمَّتُهُ

هُوَ الإِمَامُ الَّذِيْ بِهِ انْتَصَرَ الدِّ ... يْنُ وَقَامَتْ لِلدِّيْنِ حُجَّتُهُ

أَحْمَـــدُ مَـــنْ أُحْمِـــدَتْ عَـــوَاقِبُـــهُ وَسَـــرَّتِ العَـــالَمِيْـــنَ سِيْـــرَتُـــهُ(١)
لاَزَالَ فِـــي نِعْمَـــةٍ مُـــؤَبَّـــدَةٍ مَحْـــرُوْسَـــةٍ بِـــالـــدَّوَامِ دَوْلَتُـــهُ
مَـــا فَـــارَقَ العَبْـــدُ تُـــرْبَهَـــا مَلَـــلاً لكِـــنْ لِتُهْـــدِيَ الـــدُّعَـــاءَ بَلْـــدَتُـــهُ

[٩٢٠]

يحيىٰ بنُ سليمانَ بنِ شاؤولَ، أبو زكريا الحريزيُّ اليهوديُّ.

مِنْ أهلِ طُلَيْطَلَةَ(٢).

كان شاعراً قوي القريحة، غزير المادة؛ له شعر كثير في المدح والهجاء. وكان رديء اللسان، خبيث الطوية؛ ما مدح أحداً إلاَّ وعاد / ٢٢٧ب/ وهجاه.

وصنَّف مصنفات باللسان العبري كثيرة منها كتاب «المقامات» ومقامة مفردة سمّاها «الروضة الأنيقة» باللسان العربي.

وكان ذا قدرة في الشعر. وكان يعمل قصائد أنصاف أبياتها الأُوَل بالعبري، والأنصاف الأواخر بالعربي. وكان قد طاف البُلدان وجال في أقطارها؛ ثم سكن بأُخَرَة حلب، ولم يزل بها إلىٰ أن مات ليلة الأربعاء لليلة بقيت من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

وقد ذكره الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وقال: ورد إربل في العشر من محرّم من سنة سبع عشرة وستمائة، وحدَّثني أنَّ اسمه بالعبرانية يهوذا، وإنما نقلَهُ إلىٰ العربية. وكان طويلاً من الرجال أشيب.

سألتُهُ عن مولده، فقال: عمري إلىٰ هذه السنة خمس وخمسون سنة، فانظر متىٰ يكون مولدي؛ ثم حسب معي فأخطأ في تنزيله. يسكن بين ظهراني الفرنج، وكلامه مغربي /٢٢٨أ/ قريب عهد بالخروج من بلده، تراهُ كأنه يعتريه سهرٌ. وكنتُ أخبرت بوروده وأثنىٰ عليه رجل من اليهودِ.

---

(١) أحمدت: صارت محمودة.
(٢) طليطلة: مدينة ذات خصائص محمودة بالأندلس، عملها بعمل وادي الحجارة، وهي على شاطىء نهر باجة. انظر: معجم البلدان/ مادة (طليطلة).

وأنشدني، قال: أنشدني الحريزي لنفسه في التاريخ المقدّم ذكرُهُ: [من الطويل]

أَمَا إنَّهُ لَوْلاَ مَحَجَّبَةُ الخِدْرِ لَمَا فَضَحَتْ أَيْدِي المَدَامِعِ مِنْ سِرِّي
وَلَيلٍ طَرَقْتُ الحَيَّ فِي بُرْدَةِ الدُّجَى مُنَمْنَمِ بُرْدِ الأُفْقِ بِالأَنْجُمِ الزُّهْرِ
سَرَيْتُ إِلَيْهَا حِينَ هَوَّمَ قَوْمُهَا كَمِثْلِ حُبَابٍ إِسْتَدَارَ عَلَى خَمْرِ[1]
تُحِيطُ بِهَا بِيضُ الصَّوَارِمِ وَالقَنَا وَأُسْدٌ مِنَ الأَبْطَالِ دَامِيَةُ الظُّفْرِ
وَثَغْرُ المَنَايَا بَاسِمٌ عَنْ أَسِنَّةٍ وَيُسْفِرُ عَنْ خَدٍّ مِنَ السَّيْفِ مُحْمَرِّ
وَقَدْ بَرَزَتْ فِي حُلَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ كَمَا اشْتَبَكَتْ زُهْرُ النُّجُومِ عَلَى البَدْرِ
جَنَيْتُ بِهَا فِي جَنَّةِ الحُسْنِ زَهْرَهَا بِمُخْصَبَةِ الأَرْدَافِ مُجْدَبَةِ الخَصْرِ
لَثَمْتُ بِهَا هَيْفَاءَ رِيمِيَّةَ الطُّلَى مُدَامِيَّةَ الأَلْمَى حَبَابِيَّةَ الثَّغْرِ

ثم قال أبو البركات: هذا منقولٌ من قول المعتمد محمد بن عبّاد[2] ـ ملك الأندلس ـ: [من الطويل]

/٢٢٨ب/ وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ أُنْعِمُ جُنْحَهَا بِمُخْصَبَةِ الأَرْدَافِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

عاد شعر الطليطلي:

وَبِتْنَا بِفَرْشِ الوَصْلِ لَيْلاً وَفَوْقَنَا لِحَافُ فِرَاشٍ مَزَّقَتْهُ يَدُ الهَجْرِ
وَقَدْ لاَحَ وَجْهُ الصُّبْحِ حُسْناً كَأَنَّهُ بَشَاشَةُ وَجْهِ المَلْكِ ذِي النَّائِلِ الغَمْرِ
تَبَسَّمَ لِلْقُصَّادِ جُوداً وَكَفُّهُ تَبَسَّمَ فِيهَا النَّصْلُ عَنْ مَبْسَمِ الثَّغْرِ
وَلِلسَّيْفِ فِي يُمْنَاهُ لَمْحٌ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِهَا يَنْقَضُّ أَوْ قَدَرٌ يَجْرِي
بِحَدَّيْهِ آثَارُ النَّجِيعِ كَأَنَّهَا شَقَائِقُ نُعْمَانٍ عَلَى ضِفَّتَي نَهْرِ
مَلِيكٌ يَلُوذُ المُلْكُ مِنْهُ بِأَصْيَدٍ صَقِيلٍ فِرِنْدِ الحَمْدِ وَالعِرْضِ وَالبِشْرِ
عَلَيْهِ يَمِينٌ أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ بِبَذْلِ اليَدِ العَذْرَاءِ وَالفَتْكَةِ البِكْرِ

---

(١) الحُباب: الحيّة. الخمر: ماواراك من شجر، ولعله المراد.

(٢) محمد بن عبّاد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، المعتمد ابن عبّاد، صاحب اشبيلة وقرطبة وما حولها (ت٤٨٨هـ).

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٧ ـ ٣٥. مطمح الأنفس ١١ ـ ٢٢. خريدة القصر ـ شعراء المغرب ٢/ ٢٥. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨ ـ ٦٦ رقم ٣٥. البيان المغربي ٣/ ٢٤٤ ـ ٢٥٧. نفح الطيب ٢/ ١١١٩. شذرات الذهب ٣/ ٣٨٦. الوافي بالوفيات ٣/ ١٨٣. الأعلام ٦/ ١٨١. وغيرها.

بِعَــزْمٍ يَهُــدُّ الطَّــوْدَ هَــدّاً وَنَجْــدَةٍ　　تَهُــزُّ قُــدُوْدَ السُّمْــرِ فِــيْ كُلَــلٍ حُمْــرِ

قال أبو البركات إلىٰ هاهنا أنشدني ولم أسمعها منه. وأنشدته عنه قوله:

[من الطويل]

وَذِيْ قَلَــمٍ إنْ صَــالَ يَــوْمــاً بِكَفِّــهِ　　نَسِيْــتُ بِــهِ فِعْــلَ الــرُّدَيْنِيَّــةِ السُّمْــرِ

/ ٢٢٩أ/ بَيَــاضُ مَعَــانِيْــهِ بِسُــوْدِ سُطُــوْرِهِ　　يُــرِيْــكَ صَبَــاحَ الــوَصْــلِ فِــيْ لَيْلَــةِ الهَجْــرِ

لَبِيْــبٌ فَمَــا تَــدْرِي أرَأْيــاً لِحَــادِثٍ　　يُــدَبِّــرُ أمْ سَهْمــاً إلَــىٰ غَــرَضٍ يَبْــرِيْ

يُقَسِّمُــــهُ جُــــوْدٌ يَفِيْــــضُ وَهِمَّــــةٌ　　فَمِــنْ مَنْهَــلٍ غَمْــرٍ وَمِــنْ جَبَــلٍ وَعْــرِ

رَمَيْــتُ بِــآمَــالِــيْ إلَيْــهِ وَإنَّمَــا　　حَمَلْتُ بِهَا المَرْعَىٰ الجَدِيبَ إلَىٰ القَطْرِ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني الحريزي لنفسه يمدح السلطان الملك الأشرف شاه أرمن مظفر الدين أبا الفتح موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

[من الكامل]

بِسُيُــوْفِ عَــزْمَتِــكَ القَضَــاءُ يَصُــوْلُ　　وَمَضَــاءُ بَــأْسِــكَ فِــيْ يَــدَيْــهِ نُصُــوْلُ

لِفِــرِنْــدِ سَيْفِــكَ مِــنْ بَهَــائِــكَ رَوْنَــقٌ　　بِكِلَيْهِمَــا مَــاءُ الجَــلاَلِ يَجُــوْلُ

قَــدْ حُــزْتَ بَــأْسَــكَ مَــعْ نَــدًى لِكِلَيْهِمَــا　　أبَــداً سُيُــوفٌ تَنْبَــرِيْ وَسُيُــولُ

فَلَقَــدْ ثَنَيْــتَ اللَّيْــثَ وَهْــوَ فَــرِيْسَــةٌ　　وَلَقَــدْ تَــرَكْــتَ الغَيْــثَ وَهْــوَ نَحِيــلُ

وَلَئِــنْ ذُكِــرْتَ عَلَــىٰ العِــدَا يَــوْمَ الــوَغَــىٰ　　مِــنْ ذِكْــرِكُــمْ نَفْــسُ الكُمَــاةِ تَسِيْــلُ

/ ٢٢٩ب/ مَا لِيْ وَشَرْحِ خِلاَلِكُمْ فَخِلاَلُكُمْ　　كَــالصُّبْــحِ لاَ يُبْغَــىٰ عَلَيْــهِ دَلِيْــلُ

لَكِــنَّ وَصْفَــكَ مُفْحِــمٌ أهْــلَ النُّهَــىٰ　　سِيَّــانَ فِيْــهِ عَــالِــمٌ وَجَهُــوْلُ

قَــالَ العِــدَا مَــا لِلْيَهُــوْدِ وَلِلنَّــدَىٰ　　فَــأَجَبْتُهُــمْ أخْطَــأَكُــمُ التَّحْصِيْــلُ

مَــا شَــقَّ مُــوْسَــىٰ بَحْــرَ جُــوْدٍ لِلْــوَرَىٰ　　إلاَّ لِيَعْبُــرَ فِيْــهِ إسْــرَائِيْــلُ

وأنشدني أبو الفتح محمد بن أبي الخير بن أبي المعمَّر بن إسماعيل التبريزي بإربل ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أبو زكريا يحيىٰ بن سليمان الحريزي لنفسه:

[من الكامل]

أرْضٌ سَقَــتْ غِيْطَــانَهَــا أعْطَــانُهَــا　　وَزَهَــتْ عَلَــىٰ كُثْبَــانِهَــا قُضْبَــانُهَــا

سَلَبَــتْ فُــؤَادِيْ حُــوْرُهَــا وَنُحُــوْرُهَــا　　وَسَطَــتْ بِنَــا وِلْــدَانُهَــا وَلِــدَانُهَــا

ثَملَتْ بكَأس عُقَارهَا أَزْهَارُهَا حَتَّىٰ ٱغْتَدَىٰ حيرانَهَا رَيْحَانُهَا
ولَئنْ جَلاَ آثَارَهَا آذَارُهَا فَلَقَدْ حَوَىٰ إِحْسَانَهَا نيْسَانُهَا
وَالشَّمْسُ بالحَمَل المُنيْر تَزيَّنَتْ لمَّا رَأَتْ مَا زَانَهَا ميْزَانُهَا
/ ٢٣٠أ/ وَكَوَاعب سَلَّتْ صَوَارمَ لَحْظهَا فكَأَنَّمَا أَجْفَانُهَا أَجْفَانُهَا
وَلَقَدْ تَلأْلأَ دُرُّهَا بنُحُورهَا وَزهَا بجيْد قيَانهَا عقْيَانُهَا
فَتكَتْ بألْبَاب الكُمَاة فَسيْفُهَا من طَرْفهَا وَسنَانُهَا وَسْنَانُهَا
لَمْ تُبْق شَخْصاً بالبَسيْطَة سَالماً إلاَّ سَبَىٰ إنْسَانَهَا إنْسَانُهَا
خُودٌ نَفُورٌ نَافَرَتْ أَقْرَاطَهَا وَحلَتْ بهَا خلانَهَا خُلاَّنُهَا
فَاشْرَبْ بأَرْض غَازَلَتْهَا مُزْنَةٌ فكَأَنَّمَا هَتَّانُهَا فَتَّانُهَا
فَتَعَاشَقَتْ وَتعَانَقَتْ أَفْنَانُهَا وَتصَافَحَتْ وَتَنَاوَحَتْ أَغْصَانُهَا
وَتَصَاخَبَتْ وَتَجَاوَبَتْ أَطْيَارُهَا وَتَدَاوَلَتْ وَتَبَادَلَتْ أَلْحَانُهَا
وَتَنَسَّمَتْ وَتبَسَّمَتْ أَيَّامُهَا وَتهَلَّلَتْ وَتكَلَّلَتْ أَزْمَانُهَا
بمُديْرهَا وَمُنيْرهَا وَمُجيْرهَا وَمُعيْرهَا حُسْناً جَلاَهُ عيَانُهَا
بحَكيْمهَا وَعَميْمهَا وَكَريْمهَا وَزَعيْمهَا عُقدَتْ لَهُ تيْجَانُهَا
دَوْح المُنَىٰ عَذْب الجَنَىٰ عَالي السَّنَىٰ سُحْب الغنَىٰ يُرْوَى بهَا ظَمْآنُهَا
فَتَجَدَّدَتْ ببَهَائه أَيَّامُهَا وَتَوطَّدَتْ بعَلاَئه أَرْكَانُهَا
جَادَتْ يَدَاهُ حيَا نَدَاهُ عَلَىٰ النُّفُوْ س وَمَا ٱنْجَلَىٰ حَتَّىٰ ٱنْجَلَىٰ حرْمَانُهَا
/ ٢٣٠ب/ لَيْث الشَّرَىٰ غَيْث الوَرَىٰ نَجم السُّرَىٰ نَار القرَىٰ تَعْشُو لَهَا ضيْفَانُهَا
فَجَمَالُهُ أَعْمَالُهُ وَنَوالُهُ أَمْوَالُهُ سُؤَّالُهُ خَزَّانُهَا
شَهْمٌ غَدَا هدى الهُدى إنْ أَوْقَدا نَارَ النَّدَىٰ قَلْب العدَا قُرْبَانُهَا
بجَنَابه نَشْرَ الهُدَىٰ رَايَاته فَحكَىٰ قُلُوْبَ عدَاته خَفقَانُهَا
عَزْمٌ سَمَا، باري السّما، مَاضيْ الشَّبَا مَهْمَا الظُّبَا ليس الدُّمَىٰ غرْبَانُهَا
يَا كَاملاً بَلْ فَاضلاً يَا فَاعلاً مَا قصَّرتْ عَن فعْله أَعْيَانُهَا
أَنْعمْ بعيْد بَلْ سَعيْد فيْ مَزيْـ ـد من أيَاد أيْنعَتْ أَفْنَانُهَا
لَكَ فيْ المَآثر دَوْلَةٌ بَلْ صَوْلَةٌ بَلْ جَوْلَةٌ حَازَ المَدَىٰ فُرْسَانُهَا

[٩٢١]

يحيىٰ بنُ عبد الله بن المُفَرَّج بن درعِ بنِ الحسنِ بنِ الخضرِ بنِ حامد، أبو زكَريا بَنُ أبي القاسِمِ التغلبيُّ.

قاضي تكريتَ، والمدرسُ بالمدرسة النظاميَّة.

إمامٌ من أئمة المسلمينَ، ومنْ خيارِهِمْ.

كان فاضلاً عالمًا كاملاً فقيهًا، شافعي المذهب قارئًا مفسراً نحويًا لغويًا عروضيًا شاعراً أديبًا مترسلاً، جامعًا لأشتات الفضائل، قيّمًا بفتق المسائل / ٢٣١أ/ اشتغل بتكريت علىٰ والده بحفظ القُرآن العزيز والأدب، وشيء من الفقه. وبالحديثة علىٰ أبي محمد عبد الرحمان بن محمد البلخيّ.

ثم انحدر إلىٰ بغداد فصحبَ الشيخ أبا النجيب السهروردي، والشيخ يوسف بن محمد الدمشقي والرضي أبا الخير أحمد بن إسماعيل القزويني، وقرأ إصلاح المنطق علىٰ الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن الخشاب النحوي، واشتغل مدَّة مقامه ببغداد؛ ثم عاد إلىٰ تكريت.

وكان قد برز في علم الفقه والأدب، وولي قضاء تكريت مدَّةً طويلة مع حسن سيرة واشتهار بالفضل والعفَّة والديانة والتفنن في العلوم. وكان يدرس ويفتي ويحكم؛ ثم استدعي من ديوان الخلافة إلىٰ بغداد، وولي تدريس المدرسة النظاميَّة، وذكر الدرس بها في يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الآخر من سنة سبع وستمائة.

ورد إليه النظر في الوقوف التي تختص بالمدرسة النظاميّة أيضًا، واستناب ولده الأكبر في تولّي الوقف ولم يزل علىٰ التدريس بالنظامية / ٢٣١ب/ إلىٰ سنة أربع عشرة وستمائة فصرف عنها؛ وولي مكانه محيي الدين أبو عبد الله محمد بنَ يحيىٰ بن فضلان البغداديُّ الفقيه الشافعي، فسكن القاضي رباط شيخ الشيوخ إلىٰ أن توفي به، ولم يزل مقبلاً علىٰ الاشتغال بالعلم والعبادة علىٰ أحسن طريقة، وأجمل سيرة.

وكانت وفاته عشية الإثنين ثامن شهر رمضان سنة ست عشرة وستمائة. ودفن يوم الثلاثاء غربيّها بمقبرة الشونيزيَة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

وكانت ولادته بتكريت في مستهل المحرم سنة إحدىٰ وثلاثين وخمسمائة، وتخرّج به عالم كثير من التلامذة.

وكان شيخًا كيّسًا لطيفًا في محاورته، ظريفًا في مجالسته، حسن الإيراد مليح العبارة، ذا وقار وسكينة وهيبة؛ وله من التصانيف كتاب «تفسير القرآن العزيز» ينيف علىٰ عشرين مجلداً، وكتابً «الحقير النافع علىٰ مذهب إبن شافع» وكتاب / ٢٣٢أ/ «اللُّهْنَة في إزالة اللُّكْنَة» في النحو، وكتاب «التقريب في بضاعة الأديب» في صناعة الشعر، وكتاب في «العروض والقوافي»، وكتاب «الاختصاص في التاريخ الخاص» يدخل في ست مجلدات قصره علىٰ ذكر مشايخه الذين قرأ عليهم وتلامذته الذين قرأوا عليه، وأتبعه بذكر أقاربه وأهله وأشعار ورسائل ومكاتبات إلىٰ أصدقائه في النظم والنثر وغير ذلك.

ومن شعره ما أنشدني ولده شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن يحيىٰ التكريتي بالموصل في سنة اثنتين وعشرين وستمائة ـ رحمه الله ـ من لفظه وحفظه، قال: أنشدنا والدي لنفسه هذه الأبيات كتبها في صدر رسالةٍ طويلة أنفذها إلىٰ بعض الكبراء:

[من الطويل]

أَلَمَّ وَغِرْبِيبُ الدُّجُنَّةِ مُغْدِفُ ... خَيَالُ سُلَيْمَىٰ طَارِقًا يَتَعَسَّفُ
نَفَانِفُ لاَ يُقْطَعْنَ بِالعِيْسِ كُلَّمَا ... مَضَىٰ نَفْنَفٌ مِنْهَا تَعَرَّضَ نَفْنَفُ
/ ٢٣٢ب/ هُجُوْلاً تُنَاصِيْهَا الهَوَاجِلُ مَا بِهَا ... أَنِيْسٌ سِوَىٰ جِنٍّ تَجُولُ وَتَعْزِفُ
وربد وعور هادجات ونعب ... وَبُوْمٍ إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ يَهْتِفُ
وَقَدْ هَاجَ صِرٌّ وَالسَّمَاءُ عَرِيَّةٌ ... عَشِيَّةَ لَيْلٍ يَوْمُهُ ظَلَّ يَنْطِفُ
فَسَاوَرْ غُولَ البِيْدِ غَيْرَ مُخَادِرِ ... وَنَاكَرَ هَوْلَ اللَّيْلِ لاَ يَتَخَوَّفُ
عَلَىٰ حِيْنَ حَلَّ الحَيُّ مِنْهَا بِوَاحِفٍ ... وَمِنْ دُوْنِهَا مَجْهُوْلَةٌ لَيْسَ تُعْرَفُ
وَآلَتْ سُلَيْمَىٰ حلفَةً مَا تَحلّهَا ... بِأَنْ لاَ تَزَالَ الدَّهْرَ تَجْفُو وَتَصْدِفُ
وَنَائِي القِلَىٰ شَرُّ البِعَادَيْنِ مَطْلَبًا ... لأَنَّ المَطَايَا قَطْعُهُ لاَ تُكَلَّفُ
فَجَابَ الفَلاَ بَعْدَ الفَلاَ مُتَعَسِّفًا ... وَمَنْ أَيْنَ يَدْرِي مَا الفَلاَ وَالتَّعَسُّفُ
إِلَىٰ مُدْنَفٍ مُضْنًى لِيَهْنَا رُقَادُهُ ... وَقَدْ كَادَ يُضْنِيْهِ الضَّنَىٰ وَالتَّأَسُّفُ

بَــراهُ الهَــوىٰ حَتَّــىٰ تنكَّــرَ شَخْصُــهُ   عَلَــىٰ النَّــاس لَــوْلاَ أنَّــهُ يتَعَــرَّفُ
ومَــا كَــانَ طَمَّــاحــًا إلَــىٰ وَصــل غَــادَة   ولاَ شَفَّــهُ قَــدْمــًا قَــوَامٌ مُهفْهَــفُ
ولَكِــنْ سُلَيْمَــىٰ حيْــنَ مَــرَّتْ كَــأنَّهَــا   غَــزَالٌ بِمَنْظُــورِ الصَّــرِيْمَــةِ أهْيَــفُ

ومنها قوله :

تكَلَّــفَ حُبّــًا ثُــمَّ صَــارَ سَجيَّــةً   وأوَّلُ أحْــوَالِ المُحــبِّ التَّكَلُّــفُ
/ ٢٣٣أ/ وَطَالَ عَلَىٰ ذيْ الهَمِّ حَتَّىٰ كأنَّمَا   بــلاَ وسـطٍ لَيْــلٍ عَلَــىٰ اللَّيْــلِ يَعْطِــفُ

وأنشدني أيضًا من لفظه وحفظه وأملاهُ عليّ، قال: أنشدني والدي الإمام يحيىٰ بن عبد الله لنفسه: [من البسيط]

لأُبــدَّ للْمَــرْءِ مِــنْ ضيْــقٍ وَمِــنْ سَعَــةٍ   وَمِــنْ سُــرُوْرٍ يُــؤَاتِيْــهِ ومِــنْ حَــزَنِ
وَاللهُ يَطْلُــبُ مِنْــهُ شُكْــرَ نعْمَتــهِ   مَــادَام فيْهَــا وَيَبْغِــيْ الصَّبْــرَ فــيْ المحَــنِ
فكُــنْ مَــعَ اللهِ فــيْ الحَــالَيْــنِ مُعْتَنقــًا   فــرْضَيْــكَ هَــذَيْــنِ فــيْ ســرٍّ وفــيْ عَلَــنِ
فَمَــا عَلَــىٰ شِــدَّةٍ يبْقَــىٰ الــزَّمَــانُ فكُــنْ   جَلْــداً ولاَ نعْمَــةٌ تَبْقَــىٰ عَلَــىٰ الــزَّمَــنِ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني والدي وقد سُئل عن حركة الأمر، فقال:

[من الرجز]

لأَلــفِ الــوَصْــلِ ضُــرُوْبٌ تَنْحَصــرْ   فــيْ الفَتْــحِ وَالضَّــمِّ وَأُخْــرَىٰ تَنْكَســرْ
فَــالفَتْــحُ فيْمَــا كَــانَ مِــنْ رُبــاعِــيْ   نَحْــوُ أجِــبْ يَــا زَيْــدُ صَــوْتَ الــدَّاعِــيْ
/ ٢٣٣ب/ وَالضَّــمُّ فيْمَا ضُــمَّ بَعْــدَ الثَّــانيْ   مِــنْ فَعْلــهِ المُسْتَقْبَــلُ الــزَّمَــانِ
وَالكَسْــرُ فيْمَــا مِنْــهُ مَــا تَخَلَّــىٰ   إنْ زَادَ عَــنْ أرْبعَــةٍ أوْ قَــلاَّ

وأنشدني أبو نصر عبد الرحيم بن يحيىٰ التكريتي ببغداد، قال: أنشدني والدي من شعره: [من المتقارب]

تَــأمَّــلْ إذَا قُلْــتَ مَــاذَا تَقُــوْلُ   فَــإنَّ لكُــلِّ مَقَــامٍ مَقَــالاَ
ولاَ تَــأتِ مَــا لَســتَ مِــنْ أهْلِــهِ   فَــإنَّ لكُــلِّ رجَــالٍ نعَــالاَ
وَسَــلْ إنْ سَــألْــتَ الَّــذيْ يُسْتَطَــاعُ   لتُعْطَــىٰ وإلاَّ أضَعْــتَ السُّــؤَالاَ
وَحَــاذِ قَــرِيْبَــكَ قَبْــلَ البَعيْــدِ   فَــإنَّ مِــنَ الأهْــلِ دَاءً عُضَــالاَ

وأنشدني الشيخ العلاّمة الإمام الزاهد أبو سالم محمد بن طلحة بن محمد الفقيه الشافعي المدرس النصيبي العدوي بثغر حلب إملاءً من لفظه وحفظه في شوال سنة / ٢٣٤أ/ اثنتين وأربعين وستمائة ـ أسعده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني القاضي تاج الدين أبو زكريا يحيىٰ بن عبد الله بن المفرّج التغلبي التكريتي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ لنفسه ببغداد: [من الهزج]

تَعَلَّـــمْ مِـــنْ ذَوِيْ الحِكْمَـ ـــةِ وَاْعْمَـــلْ بِفَتَـــاوِيْهِـــمْ
فَقَـــدْ قَـــالُـــوا المَـــنْ يَـــرْغَـ ـــبُ فِـــيْ مِثْـــلِ مَسَـــاعِيْهِـــمْ
إِذَا سُـــدْتَ عَلَـــىٰ قَـــوْمِـ ـــكَ عِلْمَـــاً لاَ تُقِـــمْ فِيْهِـــمْ
فَـــإِنَّ الحَـــيَّ لاَ يُطْـــرِ بُهُـــمْ صَـــوْتُ مُغَنِّيْهِـــمْ

وأنشدني الشيخ العالم أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الموصلي الفقيه الشافعيُّ بحلب ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني / ٢٣٤ب/ القاضي الإمام أبو زكريّا يحيىٰ بن عبد الله التكريتي لنفسه من جملة مقطعاته: [من الكامل]

لِـــيَ فِـــيْ الـــرُّبُـــوْعِ وَمَـــا بِهِـــنَّ أَنِيْـــسُ قَلْـــبٌ وَدَمْـــعٌ مُطْلَـــقٌ وَحَبِيْـــسُ
هَـــذَا يَـــدُ الأَشْـــوَاقِ تَحْلُـــبُ دَرَّهُ وَلِـــذَاكَ مِـــنْ حَـــرِّ الفِـــرَاقِ وَطِيْـــسُ
شَكْـــوَايَ لَـــوْ نَفَعَـــتْ شَكَـــاتِـــيْ فُـــرْقَـــةً أَضْنَـــتْ وَشَـــوْقِـــيْ فِـــيْ الحَشَـــا مَـــرْسُـــوْسُ
دَاءَانِ مَـــا اْجْتَمَعَـــا لِحَـــيٍّ فَـــانْثَنَـــىٰ حَيّـــاً وَلَـــوْ دَاوَاهُ جَـــالِيْنُـــوْسُ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

عَـــزَائِـــمُ صَبْـــرِيْ فَـــرَّقْتَهَـــا وَأَلَّفْـــتَ بَيْنِـــيْ وَبَيْـــنَ السُّهَـــادِ
وَصَيَّـــرْتَنِـــيْ مَثَـــلاً لِـــلأَنَـــامِ أُدَاوِلُ مَـــا بَيْـــنَ حَضْـــرٍ وَبَـــادِيْ
فَشَهْـــرُ وُصَـــالِـــكَ طَيْـــفُ الخَيَـــالِ وَيَـــوْمُ صُـــدُوْدِكَ يَـــوْمُ التَّنَـــادِيْ
وَحَسْبُـــكَ أَنِّـــيْ عَلَـــىٰ مَـــا عَلِمْـــتَ إِلَـــىٰ مَـــا حَكَمْـــتَ لَسَهْـــلُ القِيَـــادِ
فَقَتْلِـــيْ حَيَـــاتِـــيْ إِذَا شِئْتَـــهُ وَعِلْمِـــيْ بِـــأَنَّـــكَ رَاضٍ مُـــرَادِيْ

وقال أيضًا: [من البسيط]

هَـــلْ لِـــيْ عَلَـــىٰ أَنْ أُسِـــحَّ الـــدَّمْـــعَ أَعْـــوَانُ هَـــذَا الغُـــوَيْـــرُ وَمَـــا بِـــالـــدَّارِ سُكَّـــانُ
/ ٢٣٥أ/ مَـــا أَوْحَشَ الـــرَّبْـــعَ بَعْـــدَ الظَّـــاعِنِيْـــنَ وَإِنْ تَـــأَنَّسَـــتْ فِيْـــهِ أَطْيَـــارٌ وَغِـــزْلاَنُ

تُـرَىٰ يكُـوْنُ لعَـوْد الـدَّار آهلَـةً ... يَـوْمٌ وَهَـلْ لاجْتمَـاع الشَّمْـل إبَّـانُ
وَاخَيْبَـةَ السَّعْـيِّ مَـا عنْـدَيْ سَمَحْـتُ بـه ... وَعَـزَّنـي فـيْ الَّـذيْ أبغيْـه وجْـدَانُ
قـفْ سَـاعَـةً أيُّهـا الحَـاديْ فَقَـدْ نَشَـأتْ ... للْقَلْـب منِّـي صَبَـابَـاتٌ وَأحْـزَانُ
وَاسْـألْ أُثَيْلَـةَ سَفْـح المُنْحَنَـىٰ بهـمُ ... فَـربَّمَـا أخْبـرَتْ عَنْهُـمْ مَتَـىٰ بَـانُـوا
قُـلْ للشُّمُـوْت تَـوَقَّـعْ فُـرْقَـةً أَمَمَـاً ... إنْ نمْـتَ هَـوْنَـاً فَصَرْفُ الـدَّهْـر يَقْظَـانُ
فَـالْمَـرْءُ مَـا عَـاشَ تَطْـويْـه وَتَنْشُـرُهُ ... مـنَ الـزَّمَـان مَسَـرَّاتٌ وَأحْـزَانُ
يَـا رَاقـداً وَبَقَـايَـا اللَّيْـل قَـدْ طُـويَـتْ ... إلَـىٰ مَتَـىٰ أنْـتَ بَعْـدَ الصُّبْـح وَسْنَـانُ
حَيْـرَانُ غَيِّـكَ أمْسَـىٰ فيْـكَ مُهْتَـديَـاً ... وَالـرُّشْـدُ عنْـدَكَ أضْحَـىٰ وَهْـوَ حَيْـرَانُ
تَصَـرَّمَ العُمْـرُ فَـاسْتَـدْركْ بَقيَّتَـهُ ... وَفـيْ التَّـدَارُك إنْ حَـاوَلْـتَ إمْكَـانُ

[٩٢٢]

يحيىٰ بنُ عبد الرزاق بن يحيىٰ بن عامر بن شجاع بن كاملٍ، أبو البقاء الكنانيُّ المقدسَيُّ الخطيبُ(١).

كانت ولادته بأوْدلا قرية من قرىٰ نابُلُس(٢) في جمادى الأولىٰ سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة. ونشأ ببيت/ ٢٣٥ب/ المقدس ـ حمىٰ الله حوزته ـ ونزل عَقْرَبا(٣) من الغُوطة(٤). وتولّىٰ خطابتها سنين كثيرةً. وكان أبوه قبله خطيبها.

واستظهر الخطيب أبو البقاء القرآن المجيد، وقرأ طرفًا من الفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وسمع الحديث النبويَّ كثيراًوقُرىء عليه ببغداد ودمشق وديار مصر. وأجاز لمن سمع منه، وله مشايخ يكثر تعدادهم. وأنشأ خُطبًا، ونظم شعراً. وكانت له منزلة لطيفة عند ملوك الشام بني أيوب ينفذونه إلىٰ البلاد وأطرافها رسولاً.

وتوفي بدمشق حين حاصرها معينُ الدين بن شيخ الشيوخ نيابةً عن الملك

---

(١) ترجمته في: تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٢٣١ رقم ٢٨٤. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٧.
(٢) نابلس: مدينة مشهورة بأرض فلسطين. انظر: معجم البلدان/ مادة (نابلس).
(٣) عقربا: اسم مدينة الجولان، وهي كورة من كور دمشق. انظر: معجم البلدان/ مادة (عقرباء).
(٤) الغوطة: هي الكورة التي منها دمشق. انظر: معجم البلدان/ مادة (الغوطة).

الصالح نجم الدين أبي الفتح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ـ سلطان الديار المصرية ـ. وكان بها يومئذ الملك الصالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب متغلبًا ثامن عشر محرّم سنة ثلاث وأربعين وستمائة. ودفن بجبل قاسيون ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ بن عبد الرزاق الدمشقي بحلب في المدرسة /٢٣٦أ/ العصرونيَّة في ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وستمائة، قال: أنفذ الملك الأمجد أبو المظفر بهرام شاه بن فرخشاه بن شهنشاه بن أيوب ـ صاحب بعلبك ـ والدي في رسالة إلىٰ مدينة السلام في سنة اثنتين وعشرين وستمائة يهنىء الظاهر بأمر الله أبا نصر محمداً بتوليته الخلافة ويعزّي بوفاة والده الناصر لدين الله بعد إنشاء خطبة وتقديم كلام منثور، وقال: سمعتها من لفظ والدي وهو يوردها غير مرَّة، وأتبعها بهذه الأبيات: [من السريع]

جِئْتُ أُعَزِّيْ وَأُهَنِّي مَعًا ... بِالسَّالِفِ المَاضِي وَالبَاقِيْ
هُمَا إِمَامَانِ فَمُذْ غَابَ ذَا ... بَدَا لَنَا ذَاكَ بِإِشْرَاقِ
هُمْ أُمَنَاءُ الله فِي أَرْضِهِ ... لِبَيْعَةٍ أَوْ أَخْذِ مِيْثَاقِ
دَامَ إِمَامُ الأَرْضِ فِيْهَا لَنَا ... وَرَحْمَةُ الله عَلَىٰ الرَّاقِيْ

[٩٢٣]

يحيىٰ بنُ عبد العظيم بن يحيىٰ بن محمد بن عليٍّ، أبو الحسين المصريُّ، المَعروفُ /٢٣٦ب/ بالجزار(١).

---

(١) يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد، أبو الحسين الجزار، جمال الدين: شاعر مصري ظريف ولد سنة ٦٠١هـ وتوفي سنة ٦٧٩هـ. كان جزاراً بالفسطاط، وكذلك أبوه وبعض أقاربه. وأقبل على الأدب، وأوصله شعره إلى السلاطين والملوك، فمدحهم وعاش بما كان يتلقى من جوائزهم. وكان بينه وبين السراج الوراق وغيره مداعبات. وكان من أصدقاء «ابن سعيد» صاحب كتاب «المغرب في حلى المغرب» فملأ ابن سعيد خمسين صفحة من كتابه بما انتقى من شعره. له: «العقود الدرية في الأمراء المصرية ـ خ» منظومة انتهى بها إلى أيام الظاهر بيبرس، و«ديوان شعر ـ خ» صغير في المكتبة الصادقية بتونس، لعله مختارات من شعره، فإن ديوانه: كبير كما يقول ابن تغرى بردى، و«فوائد الموائد ـ خ» و«الوسيلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب» ذكره بروكلمان، و«تقاطيف الجزار» شعر. جمع شعره الشيخ محمد السماوي ـ صاحب الطليعة، بديوان يربو على ١٢٥٠ بيتاً ـ خ.

ترجمته في: المغرب في حلى المغرب: القسم الخاص بمصر ١/ ٢٩٦ ـ ٢٤٨، فوات الوفيات=

لم أسمع شعره إلاَّ من الصاحب الإمام أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه بحلب ـ أدام الله سعادته ـ لأنَّه لمَّا عاد قافلاً من ديار مصر إلىٰ حلب في سنة ثمان وثلاثين وستمائة. وكان سافر إليها رسولاً من قبل السلطان الملك النَّاصر صلاح الدين يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف ـ خلَّد الله مُلكه ـ فاقام بها نحو ستة أشهر؛ فدخلت إليه مهنئًا بالقُدُوم والسلامة، وتجارينا في الأحاديث والمذاكرة.

ثم سألتُهُ عن من شاهد ولقي بتلك الديار من الشعراء الذين يشار إليهم في الشعر المستجاد؟ فذكر لي جماعة كثيرة منهم هذا الجزّار الشاعر، وأثنىٰ علىٰ شعره، وتمكنه من استنباط المعاني اللطاف ووصفه بالشاعر البارع، وأنَّهُ لم يكن له نظيرٌ في زمانه، وذكره ذكراً جميلاً.

ثم أشار إلىٰ بعض غلمانه فأتاه بكتاب فدفعه إليّ؛ وهو مجلد لطيفُ الحجم من أشعار الجزار سمَّاهُ /٢٣٧أ/ «تقطيف الجزَّار» قدْ كتبه ناظمُهُ خدمةً له وسمعه منه جميعَهُ. يشتملُ علىٰ أغراض غريبة، ونكت طريفة من مديح وهجاء ومُجون وهَزْل، وأغراض مختلفة النعوت والأوصاف فاستطرفتهُ جداً، واقتضبت من أثنائه ما ينبغي أنْ يسطر ويثبت؛ فمن ذلك قولُهُ يمدح أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا جعفر المنصور بن محمد بن أحمد ـ رضي الله عنه ـ: [من الكامل]

بمَدائحِ المُسْتَنْصِرِ بنِ مُحَمَّدٍ نافَسْتُ كُلَّ مُرَجَّزٍ ومُقَصِّدِ

= ٢/ ٦٣٠ ـ ٦٣٢، شذرات الذهب ٥/ ٣٦٤، مسالك الأبصار ـ خ ـ ١٢/ ١٦٦، البدر السافر ٢٢٥، عقود الجمان للزركشي ٣٤٣، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٥، البداية والنهاية ١٣/ ٢٩٣، الغدير ٥/ ٤٢٦ ـ ٤٣٣، ورجح وفاته «سنة ٦٧٢هـ» اعتماداً على رواية لابن حجة وعلى البداية والنهاية، مع أن الثاني أرخه سنة ٦٧٩ و Brock 1:409(335), S.1:574، كشف الظنون ٤٦٣، السلوك ج١/ ق٣/ ٦٨٤. عيون التواريخ ٢١/ ٢٥١ ـ ٢٦٧. ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦١ ـ ٧٨. المختار من تأريخ ابن الجزري ٣٠١. تذكرة النبيه ١/ ٦٠ ـ ٦١. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ ـ ٦٨٠) ص٣٣١ ـ ٣٣٣ رقم ٤٧٧. العبر ٥/ ٣٢٤. ديوان الإسلام ٢/ ٩٤ ـ ٩٥ رقم ٦٩٠. تالي كتاب وفيات الأعيان ١٧١ ـ ١٧٣. تاريخ ابن الفرات ٧/ ٢٠٢. عقد الجمان ٢/ ٢٦٠. معجم المؤلفين ٣/ ٣٠٧. إيضاح المكنون ٢/ ١١٣. هدية العارفين ٢/ ٥٢٥، نسمة السحر ٣/ ٣٥٦ ـ ٣٦٣، أعيان الشيعة ٥٢/ ٤٤ ـ ٥٠، أدب الطف ٤/ ٧٧ ـ ٨٧، أنوار الربيع ١/ ٢١٣، الطليعة ٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٧. الأعلام ٨/ ١٥٣.

وفي جريدتي البلاغ ٥ رمضان ١٣٥٣هـ، والأهرام ٢٣/ ٩/ ١٩٣٤م بعض أخباره.

خَيْرُ الخَلائفِ مِنْ بَنِي العَبَّاسِ قَدْ ... وَرِثَ الخِلافَةَ سَيِّداً عَنْ سَيِّدِ
اللهُ شَرَّفَهُ وَشَرَّفَ بَيْتَهُ ... وَحَمَى بِهِ دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
سَلْ عَنْهُ آيَاتِ الكِتَابِ تَجِدْ لَهُ ... نَبَأً عَظِيماً فِي العُلا والسُّؤْدَدِ
وَإِذَا غَدَا القَارِي وَرَجَّحَ مَدْحَهُ ... أَغْنَاهُ عَنْ تَرْجِيعِ لَحْنِ المُنْشِدِ
مِنْ مَعْشَرٍ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا بِهِمْ ... شَرَفٌ يَرُوحُ بِهِ الفَخَارُ وَيَغْتَدِي
وَلَكَمْ أُتِينَا فِيهِمُ مِنْ آيَةٍ ... وَلَكَمْ أَتَانَا مِنْ حَدِيثٍ مُسْنَدِ
/ ٢٣٧ب/ مَا شَكَّ فِي تَفْضِيلِهِمْ إِلَّا امْرُؤٌ ... بِالغَيِّ ضَلَّ عَنِ السَّبِيلِ الأَرْشَدِ
وَكَذَاكَ أَنَّ الشَّمْسَ يَطْرِفُ جَفْنُهُ ... لِلْعَجْزِ عَنْهَا كُلُّ طَرْفٍ أَرْمَدِ

ومنها يقول[(١)]:

يَا ابْنَ الأَئِمَّةِ دَعْوَةً مِنْ مَادِحٍ ... نَادَى نَدَاكَ عَلَى مَدًى مُسْتَبْعَدِ
أَمَلِي يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ مَعَ النَّوَى ... يَا مَنْ بِذَيْلِ رَجَائِهِ عَلِقَتْ يَدِي
أَرْجُو نَدَاكَ مَعَ الخُمُولِ وَرُبَّمَا ... كَانَ الحَيَا حَظَّ الحَضِيضِ الأَوْهَدِ
وَاحَسْرَتَا لَوْ أَنَّ لِي سَبَباً إِلَى ... ذَاكَ الحِمَى لأَكُونَ أَوَّلَ مُنْشِدِ
وَلَئِنْ أَرَى وَجْهِي يُعَفَّرُ فِي ثَرًى ... كَالمِسْكِ مَبْثُوثاً بِفَرْقِ الفَرْقَدِ
وَلَقَدْ بَعَثْتُ بِهَا قَصِيداً لَفْظُهَا ... كَالدُّرِّ إِذْ وَافَى بِسِلْكٍ مُنَضَّدِ
وَجَعَلْتُهَا يَوْمَ الحِسَابِ ذَخِيرَتِي ... فَاشْهَدْ بِهَا عِنْدَ ابْنِ عَمِّكَ فِي غَدِ

وقال يمدح صدر الدين ابن القرميسيني[(٢)]: [من السريع]

بَانَ اصْطِبَارِي وَالكَرَى مُنْذُ بَانْ ... بَدْرُ دُجًى يَحْمِلُهُ غُصْنُ بَانْ
شَاهَدَهُ القَلْبُ وَإِنْ كَانَ قَدْ ... غُيِّبَ وَاسْتَوْحَشَ مِنْهُ العِيَانْ
/ ٢٣٨أ/ لاقَيْتُ مِنْ بَعْدِ فِرَاقِي لَهُ ... وَجْداً شُجَاعاً بِسُلُوٍّ جَبَانْ
مَا ضَرَّهُ لَوْ كَانَ لِلصَّبِّ مِنْ ... خَوْفِ تَجَنِّيهِ عَلَيْهِ أَمَانْ
وَاحَرَّ قَلْبَاهُ وَلِلْعَيْنِ فِي ... خَدَّيْهِ مِنْ حُسْنِهِمَا جَنَّتَانْ

---

(١) الأبيات في المغرب ١/ ٢٩٨.
(٢) وهو صدر الدين عبد الرحمن ابن القرمسيني، ناظر ثغر الاسكندرية في سنة ٦٢٨هـ. القصيدة في المغرب ١/ ٣٠٦.

فِي صُدْغِه الآسُ وَفِي خَدِّه الـ ... ـوَرْدُ وَفِي مَبْسِمِه الأُقْحُوَانْ
أَسْكَنْتُهُ قَلْبِي وَفِيه لَظًى ... وَالحُورُ لاَ تَسْكُنُ إلاَّ الجِنَانْ
لَهُ مِنَ الصَّدْرِ مَكَانٌ وَلِلْـ ... ـصَدْرِ مِنَ العَلْيَاءِ أَعْلَى مَكَانْ
العَالِمُ العَامِلُ وَالفَاضِلُ الـ ... ـفَاصِلُ حُكْمًا بِوَجِيْزِ البَيَانْ
وَالنَّاظِرُ اليَقْظَانُ أَغْنَتْهُ عَنْ ... سُوْدِ جُفُوْنِ اللَّحْظِ بِيْضُ الجِفَانْ
وَالكَامِلُ الفَضْلِ السَّرِيْعُ النَّدَى ... الوَافِرُ العَرْضِ البَسِيْطُ البَنَانْ
عُوِّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتَّى لَقَدْ ... عَجِبْتُ مِنْهَا عِنْدَ قَبْضِ العِنَانْ
وَخُلْقُهُ يُنْبِئُكَ بِالحُسْنِ عَنْ ... أَسْرَارِ أَخْلاقٍ لَدَيْهِ حِسَانْ
ذُو طَلْعَةٍ كَالبَدْرِ فِي التَّمِّ بَلْ ... كَالشَّمْسِ لَوْلاَ هَالَةُ الطَّيْلَسَانْ
لَوْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ شَمْلِي بِهِ ... تَفَرَّقَتْ عَنِّي صُرُوْفُ الزَّمَانْ

وقال فيه أيضًا يمدحه(١): [من الرجز]

/٢٣٨ب/ أَقْبَلَ مِثْلَ البَدْرِ فِي تَمَامِه ... تَحُفُّهُ الهَالَةُ مِنْ لِثَامِه
وَمَزَّقَتْ أَنْوَارُهُ ثَوْبَ الدُّجَى ... مُذْ أَطْلَعَ الأَنْجُمَ بِابْتِسَامِه
وَمَاسَ فَاشْتَاقَتْ غُصُوْنُ البَانِ أَنْ ... تَنْقُلَ ذَاكَ اللِّيْنَ عَنْ قَوَامِه
أَصْمَى قُلُوْبَ العَاشِقِيْنَ طَرْفُهُ ... ظُلْمًا بِمَا فَوَّقَ مِنْ سِهَامِه
يَا جَفْنَهُ رِفْقًا بِصَبٍّ مُدْنَفٍ ... سُقْمُكَ أَضْحَى الأَصْلَ فِي سَقَامِه
وَأَنْتِ يَا أَعْطَافَهُ هَلْ عَطْفَةٌ ... عَلَى مَشُوْقِ القَلْبِ مُسْتَهَامِه
مَنْ لِي بِمَنْ فِي خَدِّه نَارُ حَيًا ... فَوْقَ لَهِيْبٍ دَامَ فِي اضْطِرَامِه
كَمْ لَيْلَةٍ أَسْكَرَنِي بِرِيْقِه ... أَغْنَتْ بِكَأْسِ الثَّغْرِ عَنْ مُدَامِه
وَبِتُّ لاَ أَجْزَعُ مِنْ حُرَّاسِه ... إذْ فَرْعُهُ أَبْدَى دُجَى ظَلاَمِه
وَبَيْنَنَا طِيْبُ عِنَاقٍ طَالَمَا ... أَلْزَمَنِي شَوْقِي بِالتِزَامِه
هَذَا هُوَ العَيْشُ الَّذِي وَدِدْتُ أَنْ ... لَوْ سَاعَدَ الدَّهْرُ عَلَى دَوَامِه
تِلْكَ لَيَالٍ بَلْ لآلٍ شَرَّفَتْ ... جِيْدَ زَمَانٍ كُنَّ فِي نِظَامِه
كُنْتُ بِهَا فِي لَذَّةِ الأَمْنِ كَمَا ... غَدَتْ رَعَايَا الصَّدْرِ فِي أَيَّامِه

(١) بعض أبياتها في المغرب ١/ ٣١١.

أَلآمِــرِ النَّــاهِــيْ الَّــذِيْ عَــزْمَتُــهُ تَخْــدُمُهَــا الهِمَّــةُ بِــاهْتِمَــامِــهِ
/ ٢٣٩أ/ وَالنَّـاظِـرِ اليَقْظَـانِ وَجْـداً بِـالعُـلاَ فَــاعْــذِرْهُ إِنْ أَعْــرَضَ عَــنْ مَنَــامِــهِ
صَــدْرٌ بِــهِ لله سِــرٌّ مُــوْدَعٌ تُــذِيْعُــهُ الحِكْمَــةُ مِــنْ أَحْكَــامِــهِ
عَــزَائِــمٌ رَدَّ بِهَــا الأَيَّــامَ مِــنْ أَعْـوَانِـهِ وَالـدَّهْـرَ مِـنْ خُـدَّامِـهِ
وَنِقْطَـــةٌ قَـــدْ خَصَّـــهُ اللهُ بِهَـــا تُـوْحِـيْ إِلَيْـهِ الغَيْـبَ مِـنْ إِلْهَـامِـهِ
وَسَطْـــوَةٌ لَــوْ نَظَــرَ اللَّيْــثُ بِهَــا لأَعْمَــلَ الحِيْلَــةَ فِــيْ إِحْجَــامِــهِ

وقال أيضًا وقد اكتسب بالشعر ثم عاد إلىٰ الجزارة، فعاتبه علىٰ ذلك بعض أصحابه(١): [من الخفيف]

لاَ تَلُمْنِــيْ يَــا سَيِّــدِيْ شَــرَفَ الــدِّيْــنِ إِذَا مَــا رَأَيْتَنِــيْ قَصَّــابَــا
كَيْــفَ لاَ أَشْكُــرُ الجِــزَارَةَ مَــا عِشْــتُ حِفَــاظــاً وَأَرْفُــضُ الآدَابَــا
وَبِهَـــا أَضْحَـــتِ الكِـــلاَبُ تُـــرَجِّيْــنِيْ وَبِـالشِّعْـرِ كُنْـتُ أَرْجُـو الكِـلاَبَـا

وقال أيضًا(٢): [من الرمل]

يَــا لَقَــوْمِــيْ أَنَــا مِــنْ فَقْــرِيَ فِــيْ أَنْحَــسِ حَــالَــهْ
/ ٢٣٩ب/ حِيْــنَ آلَــىٰ الــدَّهْــرُ أَنِّــيْ لاَ أَرَىٰ مِــنْ فِيْــهِ آلَــهْ
ضَــاقَ صَــدْرِيْ وَأَضَــرَّتْ بِــيْ مَــعَ الفَقْــرِ البَطَــالَــهْ
وَأَرَىٰ الآمَـــالَ لِلْمَـــرْءِ وَإِنْ لَـــذَّتْ عُـــلاَلَـــهْ
وَأَبِـــيْ قَـــدْ بَـــاتَ مِنِّـــيْ يَسْـــأَلُ اللهَ الإِقَـــالَـــهْ
مَلَّنِـــيْ فَقْـــراً وَإِنْ كَـــانَ شَفِيْعـــاً لاَ مَحَـــالَـــهْ
كُـــلَّ يَـــوْمٍ أَطْـــرُقُ الخَبَّـــازَ مِنْـــهُ بِحَـــوَالَـــهْ
فَـــرِغَـــتْ دُكَّـــانُـــهُ لَـــوْ أَنَّهَـــا دَارُ الـــوَكَـــالَـــهْ

وقال في رجل اسمُهُ الوجيه طلب منه فصًّا من الكتّان ومطله به(٣): [من الطويل]

طَلَبْـتُ مِـنَ الكَتَّـانِ فَصّـاً فَجَـادَ لِـيْ الـــوَجِيْـهُ بِـوَعْـدٍ عَـوَّضَ المَـنَّ بِـالمَيْـنِ

(١) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٦.
(٢) القطعة في المغرب ١/ ٣١٦ ـ ٣١٧.
(٣) البيتان في المغرب ١/ ٣١٧.

إِذَا جِئْتُـهُ يَـدْعُـوْ عَلَيْـهِ لِسَـانُـهُ ... إِذَا قُلْـتُ أَيْـنَ الفَـصُّ، قَـالَ: عَلَـىٰ عَيْنِـيْ

وقوله في النجم بن عديسة، وقد ادّعىٰ الشعر ووالدُهُ يُعرفُ بالمعلم:

[من المتقارب]

/ ٢٤٠أ/ أَرَىٰ النَّجْـمَ نَجْـلَ عَلِـيٍّ غَـدا ... يُـذَكِّـرُنَـا مَـنْ مَضَـىٰ قَبْلَـهُ

هُـوَ ٱبْـنُ المُعَلِّـمِ عِنْـدَ الفَخَـارِ ... وَعِنْـدَ القَـرِيْـضِ هُـوَ الأَبْلَـهُ

وقال أيضًا[١]: [من مجزوء الكامل]

مَـنْ مُنْصِفِـيْ مِـنْ مَعْشَـرٍ ... كَثُـرُوا عَلَـيَّ وَكَثَّـرُوْا

صَـادَقْتُهُـمْ وَأَرَىٰ الخُـرُوْ ... جَ مِـنَ الصَّـدَاقَـةِ يَعْسُـرُ

كَـالْخَـطِّ يَسْهُـلُ فِـيْ الطُّـرُوْ ... سِ وَمَحْـوُهُ مُتَعَـذِّرُ

وَإِذَا أَرَدْتَ كَشَطْتَـهُ ... لَكِـنَّ ذَاكَ يُـؤَثِّـرُ

وقال أيضًا[٢]: [من السريع]

إِنْ كُنْـتُ مِمَّـنْ رَاعَنِـيْ هَجْـرُكُـمْ ... أَوْ ضِقْـتُ ذَرْعًـا بِتَجَنِّيْكُـمُ

فَـلَا أَدَامَ اللهُ لِـيْ سَلْـوَةً ... وَرَدَّ قَلْبِـيْ عَـاشِقًـا فِيْكُـمُ

وقال في أمرد يُعرفُ بابن نعيم[٣]: [من السريع]

يَـا ٱبْـنَ نَعِيْـمٍ دَامَ ذَمِّـيْ لِمَـا ... سَلَكْتَـهُ مِـنْ قُبْـحِ مِنْهَـاجِ

خَـالَفْـتَ مَـنْ رَبَّـاكَ فِـيْ فِعْلِـهِ ... إِذْ أَنْـتَ دَخَّـالُ ابْـنُ خَـرَّاجِ

/ ٢٤٠ب/ وقال علىٰ باب بعض الأمراء[٤]: [من المتقارب]

أَمَـوْلَايَ مَـا مَـنْ طِبَـاعِـيْ الخُـرُوْجُ ... وَلَكِـنْ تَعَلَّمْتُـهُ بِـالْخُمُـوْلِ

وَصِـرْتُ أَرُوْمُ لَـدَيْـكَ الغِنَـىٰ ... فَيُخْـرِجُنِـيْ الضَّـرْبُ عِنْـدَ الـدُّخُـوْلِ

---

(١) أيضًا في المغرب ١/ ٣١٧.
(٢) ن.م.
(٣) وهو ابن نعيم الخرّاج. والبيتان في ن.م.
(٤) ن.م ص٣١٨.

وله في مسلماني(١) لا يبرح في يده كتاب(٢): [من الكامل]

قَالُوا: النُّعَيْلُ وَإِنْ تَبَيَّنَ غَيُّهُ ... لِلْعَالَمِينَ وَغَابَ عَنْهُمْ رُشْدُهُ
يَمْشِي وَفِي يَدِهِ كِتَابٌ قَلَّمَا ... عَلِمَ أمْرُؤٌ فِي حَمْلِهِ مَا قَصْدُهُ
فَأَجَبْتُهُمْ لا تَعْجَبُوا مِنْ فِعْلِهِ ... فَأَبُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَجَدُّهُ

وكتب إلىٰ شرف العُلا هاشم بن الأشرف العلوي(٣): [من الكامل]

شَرُفَتْ بِكَ الْعَلْيَاءُ يَا شَرَفَ الْعُلاَ ... لَمَّا عَلَوْتَ بِهَا جَمِيعَ الْعَالَمِ
وَالْكَامِلُ الْمَلِكُ ارْتَضَاكَ لِعَزْمَةٍ ... أَغْنَتْهُ عَنْ سُمْرٍ وَبِيْضٍ صَوَارِمِ
فَاحْرُسْ بِرَأْيِكَ مَجْدَ دَوْلَتِهِ الَّذِي ... مُذْ شُدْتَهُ لاَ يُسْتَطَاعُ لِهَادِمِ
فَاجْمَعْ بِهِ شَمْلَ الْفَخَارِ فَإِنَّمَا ... بِمُحَمَّدٍ كَمَلَ الْفَخَارُ لِهَاشِمِ

/٢٤١أ/ وكتب إليه وقد أمر له بغُلّة فوجدها قديمةً(٤): [من الوافر]

كَتَبْتَ لَنَا بِذَاكَ الْبِرِّ بِرّاً ... وَقَصْداً فِي الثَّنَاءِ وَفِي الثَّوَابِ
فَكَدَّرَ صَفْوَهُ الْكَيَّالُ حَتَّىٰ ... بَقِينَا مِنْهُ فِي عَجَبٍ عُجَابِ
وَجَدْنَاهُ عَتِيقاً وَارْتَضَيْنَا ... بِهِ إِذْ [عَادَ] وَهْوَ أَبُو تُرَابِ

وأخبرني الصاحب الإمام أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الفقيه الحنفي المدرس ـ أيده الله تعالىٰ ـ بحلب، قال: كنتُ بالقاهرة جالسًا في المنزل الذي نزلت به في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وستمائة. وكان قد أهدي إليَّ السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد بن أبي بكر رطبًا جاءه من قوص هدية مع المفرد الذي يصل ببشارة النيل /٢٤١ب/ وكان الأديبُ أبو الحسين الجزّار حاضراً قد جاءني، وقد قرب رحيلي عن القاهرة يشكو إليّ ما يجدهُ من الوحشة لقرب الفراق،

---

(١) المسلماني هنا: أي النصراني.
(٢) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٨.
(٣) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٩.
(٤) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٩. ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦٣. المختار من تاريخ ابن الجزري ٣٠٣. تاريخ الإسلام. وما بين المعقوفتين سقط في الأصل وأكملناه من المغرب، وعتيق هو أبي بكر، وأبي تراب تورية إذ هو كنية علي بن أبي طالب.

فقدمت للجماعة شيئًا من ذلك الرطب، فارتجل أبو الحسين الجزار بيتين وهما:

[من مجزوء الرجز]

أَطْعَمْتَنَا التَّمْرَ الَّذِيْ ... لِلْبَرَكَاتِ قَدْ حَوَىٰ
للهِ مَا أَطْيَبَهُ ... لَوْ لَمْ تَشُبْهُ بِالنَّوَىٰ

وكتب للأمير شرف الدين يعقوب سأله عن المجد وكيل الأمير سيف الدين علي بن قليج[(١)]: [من الخفيف]

سَيِّدِيْ أَنْتَ هَلْ أَتَاكَ مِنَ المَجْـ ... ـدِ لِذَاكَ الحَدِيْثِ عَنِّيْ جَوَابُ
أَوْ تَنَاسَىٰ أَمْرِيْ وَحَاشَا مَعَالِيْهِ ... فَيَسْرِيْ إِلَيَّ مِنْهُ عِتَابُ
/ ٢٤٢أ/ أَدْرِكُونِيْ فَبِيْ مِنَ البَرْدِ وَهْمٌ ... لَيْسَ يُنْسَىٰ وَفِيْ حَشَايَ التِهَابُ
أَلْبَسَتْنِيْ الأَطْمَاعُ وَهْمًا فَهَا جِسْـ ... ـمِيْ عَارٍ وَلِيْ فِرًى وَثِيَابُ
كُلَّمَا أَزْرَقَ لَوْنُ جِسْمِيْ مِنَ البَرْ ... دِ تَخَيَّلْتُ أَنَّهُ سِنْجَابُ[(٢)]

وأنشد الأمير شرف الدين يعقوب، وقد مطله بوعد[(٣)]: [من الكامل]

يَا أَيُّهَا المَوْلَىٰ الَّذِيْ لِنَدَىٰ ... كَفَّيْهِ كُلُّ الجُوْدِ مَنْسُوبُ
لَا غَرْوَ أَنْ أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالـ ... ـصَّبْرِ الجَمِيْلِ وَأَنْتَ يَعْقُوبُ

وقال أيضًا[(٤)]: [من الخفيف]

أَنَا فِيْ رَاحَةٍ مِنَ الآمَالِ ... أَيْنَ مِنْ هِمَّتِيْ بُلُوْغُ المَعَالِيْ
لِيْ عَجْزٌ أَرَاحَ قَلْبِيْ مِنَ الهَـ ... ـمِّ وَمِنْ طُوْلِ فِكْرَتِيْ فِيْ المُحَالِ

---

(١) علي بن قليج، سيف الدين، من أمراء مصر في القرن السابع، توفي سنة ٦٤٣هـ.
ترجمته في: مفرج الكروب ٥/ ١٦٥، ١٧١، ١٧٤، ٢٣٩، ٣٢٨، ٣٤٠، ٣٦٣. ذيل الروضتين ١٧٧. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص١٦٥ رقم ١٧٤. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤٦. البداية والنهاية ١٣/ ١٧١. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٦. والأبيات في المغرب ٣/ ٣١٨ ـ ٣١٩، والبيتان ٣، ٥. في ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦١. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ ـ ٦٨٠) ص٣٣٢. المختار من تأريخ ابن الجزري ٣٠٢. البداية والنهاية ١٣/ ٢٩٣. والأبيات ٣ ـ ٥ في تالي كتاب وفيات الأعيان.
(٢) السنجاب: حيوان من فصيلة الثعالب له ذنب طويل وفراؤه جيد.
(٣) البيتان في المغرب ١/ ٣١٩.
(٤) من قصيدة قالها في الأمير جمال الدين بن يغمور، في المغرب ١٠/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

طَــابَ عَيْشــي وَالحَمْـــدُ للهِ إذْ كُنْـــتُ لَـهُ حَـامـداً عَلَـى كُـلِّ حَـال
مَـــا لِبَــاسُ الحَــرِيْــرِ ممَّــا أُرَجِّيْـــه فَيُــرْجَــى وَلاَ رُكُــوْبُ البغَــالَ
رَاحَـــةُ السِّــرِّ فــي التَّخلُّــفِ عَــنْ كُـــلِّ مَحَــلٍّ أضْحَــى بَعيْــدَ المَنَــالَ
إنَّ عــزَّ الإنْسَــان فـــي تَــرْكِـــه العــزَّ لِــذُلٍّ فــي مُبْتَـدَى الأحْـوَالَ
/ ٢٤٢ب/ يَـا مُعيْنـي عَلَـى الزَّمَان أعِنِّـي فَلَقَــدْ قَــلَّ عَــنْ سُطَــاهُ احْتَمَــالـي
كُــلَّ يَــوْمٍ أسْعَــى وَلكِــنْ بِــلاَ نَفْـــعٍ فَسيَّــانَ فَــرْغَتــي وَاشْتَغَــالـي
عَمَلــي دَائــمٌ وَلــي سَيْــرَةٌ فــي الــدَّهْـــرِ تُــرْوَى كَسَيْــرَةِ البَطَّــال

وقال في صدر الدين بن القرميسيني[1]: [من الكامل]

وَالعَصــرِ إنْ عــدَاكَ فـــي العَصْـــرِ وقـــد انْتَهَـــوْا لِبَـــدايَـــةِ الحَشْـــرِ[2]
ظَلَمُـــوا فَمَـــا أبْقَـــوا لَهُـــمْ وَزَراً يُنْجِـــي وَلاَ سَلِمُـــوا مِـــنَ الـــوِزْرِ
كَفَــرُوا صَنَــائِعَــكَ الَّتــي اشْتَهَــرَتْ فيْهِـــمْ فَتلْـــكَ عُقُـــوبَـــةُ الكُفْـــرِ
ظَهَــرُوا لنُــوْركَ وَهْــوَ شَمْــسُ ضُحَــى فَتَضَـــاءَلُـــوا كَتَضَـــاءُلِ الـــذَّرِّ
مكَــرُوا وَقَــدْ مكَــرَ الإلَــهُ بِهِــمْ شَتَّـــانَ بَيْـــنَ المَكْـــرِ وَالمَكْـــرِ
دَعْهُــمْ فَــلاَ بَــرِحَ التَّغَــابُــنُ مِــنْ حَسَــد يُــوَاصِلُهُــمْ إلَــى الحَشْــرِ
وَانْشُـــدْ إذَا مَــا زُرْتَ تُــرْبَتَهُــمْ مُتكَتِّمـــاً فـــي السِّـــرِّ وَالجَهْـــرِ
مَــاتُــوا بِغَيْضِهِــمْ وَمَــا ظَفِــرُوا بِمُـــرَادِهِـــمْ وَاضَيْعَـــةَ العُمْـــرِ
تَــاللهِ مَــا أخَّــرْتَ مُــدَّتَهُــمْ إلاَّ لِكَسْـــبِ مَثُـــوبَـــةِ الصَّبْـــرِ
/ ٢٤٣أ/ وَلــرَأفَــةٍ رَدَّتْ سُطَــاكَ بِكَـــفِّ الحِلْـمِ عِنْـدَ النَّهْــي والأمْــرِ
وَمِــنَ العَجَــائِــبِ كَــوْنُهُــمْ جَهِلُــوا أنَّ العُلُـــوْمَ وَدِيْعَـــةُ الصَّـــدْرِ
للهِ دَرُّكَ كُـــلُّ مُمْتَـــدحٍ لِعُـــلاَكَ قَــدْ ضَــاهَــى أبَــا ذَرِّ
لَـــوْلاَ أخَـــافُ اللهَ قُلْـــتُ لِمَـــنْ يَـــرْوِي مَــدِيْحَــكَ أتْــلُ يَــا مُقْــرِي
حَجَّــتْ لَــكَ العَــافُــوْنَ فَــازْدَحَمُــوا كَتَــزَاحُــمِ الآمَــالِ فــي الفِكْــرِ
نَــالُــوا المُنَــى بِمِنَــى جَنَــابِــكَ فَــاخْـــتَــارُوا المُقَــامَ بِهَــا عَــنِ النَّفْــرِ[3]

(١) بعضها في المغرب ١/ ٣١٢.
(٢) موضع النقاط بياض في الأصل.
(٣) النفر من منى: النزول منها وهو من مراسيم الحج.

وقال فيه أيضًا[١]: [من الكامل]

إفْعَلْ معي ما أنْتَ أهْلُهْ ... يا مَنْ لَدَيْهِ الفَضْلُ كُلُّهْ
يا حاكمًا عَمَّ الرَّعِيَّـ ... ـةَ بَعْدَ ظُلْمِ الغَيْرِ عَدْلُهْ
يا مَنْ تَشَرَّفَتِ المَحَلَّـ ... ـةُ إذْ غَدَا فيْهَا مَحلُّهْ
مَوْلاَيَ لاَ تُبْدِ اشْتِغَا ... لاً عَنْ مُحِبٍّ أنْتَ شُغْلُهْ
ضَاقَتْ عَلَيْهِ يَا رَحِيْبَ الصَّدْرِ مُنْذُ رَحَلْتَ سُبْلُهْ
كَفَرَتْ بِهِ الأصْحَابُ إذْ ... أوْرَاقُهُ بِالشِّعْرِ رُسْلُهْ
وَتَبَاعَدَتْ عَنْ قُرْبِهِ ... أُخْوَانُهُ وَجَفَاهُ أهْلُهْ
/ ٢٤٣ب/ وَإلَى مَتَى طَمَعًا يُصَرِّ ... فُ جِدَّ هَذَا الوَقْتِ هَزْلُهْ
مَا بَيْنَ قَوْمٍ لاَ يَعِـ ... ـزُّ عَلَيْهِمُ فِي الدَّهْرِ ذُلُّهْ
وَإذَا ارْتَضَى الإنْسَانُ يَوْ ... مًا بِالخُمُوْلِ فَأيْنَ فَضْلُهْ
مَوْلاَيَ صَدْرَ الدِّيْنِ يَا ... مَنْ فَرْعُهُ زَاكٍ وَأصْلُهْ
يَا مُنْعِمًا عَمَّ الوَرَى ... فِي الدَّهْرِ نَائِلُهُ وَبَذْلُهْ
بِكَ فِي الزَّمَانِ المُسْتَغَا ... ثُ مِنَ الزَّمَانِ اشْتَدَّ مَحْلُهْ
مَوْلاَيَ دَعْوَةَ مَنْ غَدَا ... مُتَبَدِّدًا مُذْ غِبْتَ شَمْلُهْ
يَدْعُوْكَ لَمَّا أنْ تَنَا ... قَصَ صَبْرُهُ وَازْدَادَ خَبْلُهْ
فَأجِرْهُ مِنْ زَمَنٍ يُرَا ... مُ نَدَاهُ وَالمَعْهُوْدُ بُخْلُهْ
زَمَنٌ مَدَامِعُهُ المُدَا ... مَةُ فِيْهِ وَالزَّفَرَاتُ نُقْلُهْ
تَبًّا لِعَيْشٍ قَدْ تَنَغَّـ ... ـصَ شُرْبُهُ فِيْهِ وَأكْلُهْ
وَلِبَاسُهُ خَلَقٌ تَبَـ ... ـرَّأ كَفُّهُ مِنْهُ وَشَلُّهْ[٢]
وَغَدَا دُرُوْزًا مُتْقَنًا ... بِالغَاشِ وَالخَيَّاطِ قَمْلُهْ
فَهْوَ الصَّحِيْحُ وَإنَّمَا ... جِلْدِي المُفَتَّقُ مِنْهُ كُلُّهْ
/ ٢٤٤أ/ فَأجِرْ غُلاَمَكَ مِنْ زَمَا ... نٍ قَدْ أنَاخَ عَلَيْهِ كُلُّهْ

(١) بعضها في المغرب ١/ ٣١٠ ـ ٣١١.
(٢) الشلّ: الخياطة.

وَانْظُـرْ إِلَيْـهِ فَـرَأْسُـهُ ... بِـالبَـرْدِ مَضْـرُورٌ وَرِجْلُـهْ
بَـاعَ العِمَـامَـةَ وَالشَّمْشُـكْ ... فَعْلُـوهُ عَـارٌ وَسُفْلُـهْ
هَـذَا القِـرَانُ بِـهِ تَعَكَّـ ... ـسَ نَجْمُـهُ فَغَـدَا يُضِلُّـهْ
قَمَـرُ الـزَّمَـانِ فَعَقْـدُهُ ... فِـي أَيْـدِي مَـوْلانَـا وَحَلُّـهْ

وقال يمدح الإسكندرية(١): [من الوافر]

أَرَى الإسْكَنْـدَرِيَّـةَ ذَاتَ حُسْـنٍ ... بَـدِيـعٍ مَـا عَلَيْـهِ مِـنْ مَـزِيـدِ
هِـيَ الثَّغْـرُ الَّـذِي يُبْـدِي ابْتِسَـامـاً ... لِتَقْبِيـلِ العُفَـاةِ مِـنَ الـوُفُـودِ
إِذَا وَافَيْتَهَـا لَـمْ تُبْـقِ هَمّـاً ... فَقَلْبُـكَ مُـذْ يَـرَاهَـا مِـنْ بَعِيـدِ
حَلَلْـتُ [بِظَـاهِـرٍ] مِنْهَـا كَـأَنِّـي ... حَلَلْـتُ إِذاً بِجَنَّـاتِ الخُلُـودِ(٢)
فَـلا بِئْـرٌ مُعَطَّلَـةٌ وَكَـمْ قَـدْ ... رَأَيْـتُ هُنَـاكَ مِـنْ قَصْـرٍ مَشِيـدِ
بَيَـاضٌ يَمْـلأُ الآفَـاقَ نُـوراً ... يُبَشِّـرُ بَـرْقُـهُ بِسَحَـابِ جُـودِ
وَأُقْسِـمُ لَـوْ رَأَتْهَـا مِصْـرُ يَـوْمـاً ... لَكَـادَتْ أَنْ تَغِيـبَ عَـنِ الـوُجُـودِ
/ ٢٤٤ب/ وَكَـمْ قَصْـرٍ بِهَـا أَضْحَـى كَحُصْـنٍ ... مَنِيـعٍ لأَكْـزَرْبٍ مِـنْ جَـرِيـدِ
يَـرُصُّ فُصُـوصَـهُ بَـانِيـهِ رَصّـاً ... يُفَضِّلُـهُ عَلَـى نَظْـمِ العُقُـودِ
لَهَـا سُـورٌ إِذَا لاقَـى الأَعَـادِي ... يُقَـاتِلُهُـمْ بِـوَجْـهٍ مِـنْ حَـدِيـدِ
هُـوَ الفَلَـكُ اسْتَـدَارَ بِهَـا وَكَـمْ قَـدْ ... رَأَيْنَـا فِيـهِ مِـنْ بُـرْجٍ سَعِيـدِ
أَحَـاطَ بِسُـورِهَـا بَحْـرٌ أُجَـاجٌ ... وَمَنْهَـلُ أَهْلِهَـا عَـذْبُ الـوُرُودِ
وَحَسْبُـكَ أَنَّ صَـدْرَ الـدِّيـنِ فِيهَـا ... وَذَا مِـنْ مَـدْحِهَـا بَيْـتُ القَصِيـدِ
هُـمُ السَّـادَاتُ لا يُـرْجَـى وَيُخْشَـى ... سِـوَاهُـمْ عِنْـدَ وَعْـدٍ أَوْ وَعِيـدِ
إِمَـامٌ جَـلَّ قَـدْراً أَنْ يُهَنَّـى ... بِشَهْـرٍ أَوْ بِعَشْـرٍ أَوْ بِعِيـدِ

وله من قصيدة كتبها إليه أيضاً(٣): [من الخفيف]

بَـذْلُ وَجْهِـي إِلاَّ لِمِثْلِـكَ بِـذْلَـهْ ... وَاعْتِـزَازِي إِلاَّ بِجَـاهِـكَ ذُلَّـهْ

---

(١) القطعة في المغرب ٣/ ٣١٢ ـ ٣١٣.
(٢) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وأكملته من المغرب.
(٣) القطعة في المغرب ١/ ٣٠٤.

يَـا جَـوَاداً سَحَـابُ كَفَّيْـهِ بِـالجُـوْ ... دِ عَلَـى كُـلِّ قَـاصِـدٍ مُسْتَهِلَّـهْ
وَالَّـذِيْ لَـوْ رَآهُ فِـي دَسْتِـهِ الفَضْـ ... ـلُ بْـنُ يَحْيَـى لَجَـاءَ يَطْلُبُ فَضْلَـهْ[1]
لَـكَ نَيْـلٌ قَـدْ أَخْجَـلَ النِّيْـلَ جُـوْداً ... وَغَـدَا دُوْنَـهُ الفُـرَاتُ وَدِجْلَـهْ

ومنها قوله[2]:

/ ٢٤٥أ/ يَـا أَمِيْنـاً قَـدْ زَادَهُ اللهُ مَجْـداً ... دُوْنَ هَـذَا الـوَرَى وَعَلَّـى مَحَلَّـهْ
لِـيَ نَصْفِيَّـةٌ تَعُـدُّ مِـنَ العُمْـرِ ... سِنِيْنـاً غَسَلْتُهَـا أَلْـفَ غَسْلَـهْ
لَا تَسَلْنِـيْ عَـنْ مُشْتَـرَاهَـا فَفِيْهَـا ... مُنْـذُ فَصَّلْتُهَـا نَشَـاءٌ بِجُمْلَـهْ
نَشَّـفَ الـرِّيْـحُ صَـدْرَهَـا وَرَآهَـا ... كُـلَّ يَـوْمٍ تَشْكُـوْ هَـوَاءً وَنَـزْلَـهْ
ظَلَمَتْهَـا الأَيَّـامُ حُكْمـاً فَـأَضْحَـتْ ... فِـي العَـذَابِ الأَلِيْـمِ مِـنْ غَيْـرِ زَلَّـهْ
كُـلَّ يَـوْمٍ يَحُـوْطُهَـا الـدَّقُّ وَالعَصْـرُ مِـرَاراً وَمَـا تَقَـرُّ بِعَمْلَـهْ
وَهْـيَ تَعْتَـلُّ كُلَّمَـا غَسَّلُـوْهَـا ... وَيُـزِيْـلُ النِّشَـاءُ تِلْـكَ العِلَّـهْ
أَيْـنَ عَيْشِـي بِهَـا القَـدِيْـمُ وَذَاكَ الـ ... ـتَّنَـقُّ فِيْهَـا وَخَطْـرَتِـي وَالشَّمْلَـهْ
حَيْـثُ لَا فِـيْ أَجْنَـابِهَـا رُقْعَـةٌ قَـ ... ـطُّ وَلَا فِـي أَكْمَـامِهَـا قَـطُّ وَصْلَـهْ
قَـالَ لِـيَ النَّـاسُ حِيْـنَ أَطْنَبْـتُ فِيْهَـا: ... بِـسَّ أَكْثَـرْتَ خَلِّهَـا وَهْـيَ بِقْلَـهْ

فسيَّر له صدر الدين بن القرميسيني نَصْفيَّة وملبُوسًا فكتب إليه[3]: [من السريع]

أَشْكُـرُ مَـوْلَانَـا وَنَصْفِيَّتِـي ... تَشْكُـرُهُ أَكْثَـرَ مِـنْ شُكْـرِي
أَرَاحَهَـا جَـدْوَاهُ مِـنْ كُـلِّ مَـا ... يَسْكُـنُ مِـنْ دَقٍّ وَمِـنْ عَصْـرِ
/ ٢٤٥ب/ كَـمْ لَيْلَـةٍ كَـادَتْ مَـعَ المَـاءِ إِذْ ... يَغْسِلُهَـا غَسَّـالُهَـا تَجْـرِي

وقال يمدحُ القاضي زين الدين ابن الزُبير[4]: [من الكامل]

بَـانَـتْ وَقَـدْ كَلَّفْتُهَـا تَـوْدِيْعِـي ... مَـا بَيْـنَ فَيْـضِ جَـوًى وَفَيْـضِ دُمُـوْعِ

---

(١) الفضل بن يحيى، وزير هارون الرشيد، وكان يشتهر بالكرم.
(٢) الأبيات من قصيدة في المغرب ١٠/ ٣٠٣. وتاريخ الإسلام.
(٣) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٠.
(٤) زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير، عاش طويلاً، وولي الوزارة للظاهر بيبرس ثم صرفه وولّى بهاء الدين بن حنا. «انظر: النجوم الزاهرة ٧/ ١٠٣، ١٧٩». والأبيات من قصيدة في المغرب ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤، وقد مدحه يوم كان ناظراً للبهنساء في سنة ٦٣٣هـ.

وَتَجلَّدَتْ لِلْبَيْنِ مِثْلَ تَجلُّدِي وَالنَّارُ حَشْوُ ضُلُوعِهَا وَضُلُوعِي
وَلَكَمْ تُعَلِّلُهَا مَوَاعِيدُ المُنَى مِنِّي عَنِ المَرْئِيِّ وَالمَسْمُوعْ
قَالَتْ: ذَمَمْتُ البَيْنَ، قُلْتُ لَهَا: عَسَى أَنْ تَشْكُرِي عُقْبَاهُ عِنْدَ رُجُوعِي

وقال أيضًا: [من البسيط]

إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ سَفْكُ الدِّمَاءِ لَهُمْ دَأْبٌ وَسَلْ عَنْهُمُ إِنْ رُمتَ تَصْدِيقِي
تَبِيتُ أَنْعَامُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى وَجَلٍ إِذْ شَمْلُهَا بِهِمُ يُفْضِي لِتَفْرِيقِ
تَزْدَادُ بِالدَّمِّ إِشْرَاقًا عِرَاصُهُمُ فَكُلُّ أَيَّامِهِمْ أَيَّامُ تَشْرِيقِ

وقال يمدح الأجل العدل شرف الدين أبا حامد محمد بن علي بن سعيد بن أبي جرادة الحلبي العقيلي: [من مجزوء الرجز]

/ ٢٤٦أ/ لاَزَمَ قَلْبِي كَمَدُهْ وَبَانَ عَنِّي جَلَدُهْ
وَطَالَ عُمْرُ اللَّيْلِ حَـ ـتَّى قُلْتُ قَدْ مَاتَ غَدُهْ
وَارَحْمَتَا لِعَاشِقٍ فِي الحُبِّ ذَابَتْ كَبِدُهْ
يَسْتَنْجِدُ الدَّمْعَ إِذَا لَمْ يَلْقَ مَنْ يَسْتَنْجِدُهْ
إِلَى مَتَى يُقِيمُهُ حُكْمُ الهَوَى وَيُقْعِدُهْ
مَا يَصْنَعُ العَبْدُ إِذَا جَارَ عَلَيْهِ سَيِّدُهْ
لاَ يَسْتَطِيعُ البَطْشَ فِي الشِّـ ـدَّة مَنْ غُلَّتْ يَدُهْ
يَا عَاذِلِي عَنِّي فَكَمْ سَهِرْتُ لَيْلاً تَرْقُدُهْ
هَيْهَاتَ أَنْ تَدْرِي بِمَا يَلْقَى العَلِيلَ عُوَّدُهْ
يَا بِأَبِي الغُصْنُ الَّذِي يُعْجِبُنِي تَأَوُّدُهْ
تَغْبِطُهُ شَمْسُ الضُّحَى وَالبَدْرُ أَمْسَى يَحْسُدُهْ
ذُوْ مَبْسِمٍ أَحْسَنَ فِي تَنْضِيدِه مُنَضِّدُهْ
وَرِيقُهُ عَذْبٌ وَلَـ ـكِنْ أَيْنَ مِنِّي مَوْرِدُهْ
كَأَنَّمَا اسْتَعَارَ مَا فِي ثَغْرِهِ مُقَلَّدُهْ
/ ٢٤٦ب/ وَخَدُّهُ مُوَرَّدٌ يَا حَبَّذَا مُوَرَّدُهْ
يَصُدُّنِي عَنْ لَثْمِهِ إِذَا رَنَا مُهَنَّدُهْ
لَحْظٌ يَسُلُّ أَبْيَضًا عَلَى القُلُوبِ أَسْوَدُهْ

إِلَى مَتَى يَنَالُنِي … مِنْ كُلِّ دَهْرٍ نَكَدُهْ
لَمْ يَبْقَ فِي الخَلْقِ فَتًى … يَغُرُّنِي تَوَدُّدُهْ
قَدْ عُدِمَ الصَّدِيقُ فِي الـ … ـدُّنْيَا فَمَنْ ذَا يَجِدُهْ
إِنَّ السَّعِيدَ مَنْ غَدَا … وَهْوَ قَلِيلٌ عَدَدُهْ
فَرُبَّمَا رَمَى الفَتَى … فِي المُوبِقَاتِ وَلَدُهْ
وَإِنَّ مِثْلِي فِي الوَرَى … لَمْ يَخْلُ مِمَّنْ يَحْسُدُهْ
وَهَكَذَا مَنْ شَرَفُ الـ … ـدِّيْنِ الأَجَلُّ يَعْضُدُهْ
أَيُّ كَرِيمٍ لَمْ يَزَلْ … نَشْكُرُهُ وَنَحْمَدُهْ
وَلَمْ يَخِبْ فِي الدَّهْرِ مَنْ … يَؤُمُّهُ وَيَقْصِدُهْ
نَرْوِي حَدِيثَ الجُودِ عَنْ … بَنَانِهِ وَنُسْنِدُهْ
كَمْ مُسْلَمٍ حَقَّقَهُ … لأَنَّهُ مُحَمَّدُهْ
/٢٤٧أ/ وَعَزْمُهُ لاَ يَتَنَا … هَى فِي المَعَالِي أَمَدُهْ
فَبَيْتُهُ قَدْ نُصِبَتْ … عَلَى الثُّرَيَّا عَمَدُهْ
لَقَدْ زَكَتْ أُصُولُهُ … فِينَا وَطَابَ مَوْلِدُهْ
وَقَدْ سَمَتْ فَخْراً بِهِ … عَلَى البِلاَدِ بَلَدُهْ
ذُو رَاحَةٍ هَانَ بِهَا … لُجَيْنُهُ وَعَسْجَدُهْ
وَطَالَمَا عَزَّ بِذَا الـ … ـهَوَانِ مَنْ يَسْتَرْفِدُهْ
وَلَفْظُهُ الدُّرُّ إِذَا … حَرَّرَهُ مُنْتَقِدُهْ
فَطِرْسُهُ بِخَطِّهِ … كَالرَّوْضِ وَالغَيْثُ يَدُهْ
فَإِنْ حَسِبْتَ أَنَّهُ … سِحْرٌ فَأَيْنَ عُقَدُهْ
ذُو قَلَمٍ كَالسَّهْمِ فِي … نَحْرِ العِدَا يُسَدِّدُهْ
يَهُزُّهُ كَالمَشْرَفِـ … ـيِّ هَزَّهُ مُجَرِّدُهْ
مَا دَرَّ يَوْماً نِقْسُهُ … إِلاَّ تَبَدَّتْ زُبُدُهْ
فَلَوْ تَرَاءَى لابْنِ عَبَّـ … ـادٍ لَكَانَ يَعْبُدُهْ
مَا ضَلَّ عَافٍ فِي دَيَا … جِي الخَطْبِ وَهْوَ مُرْشِدُهْ
/٢٤٧ب/ كَلاَّ وَلَمْ يَشْقَ فَتًى … فِي الدَّهْرِ وَهْوَ يُسْعِدُهْ
يَا ابْنَ الَّذِينَ فَضْلُهُمْ … يُتْعِبُ مَنْ يُعَدِّدُهْ

وَمَنْ غَدَا بَيْنَهُمُ — لَيْسَ يُرَامُ سُؤْدَدُهْ
يَا مَنْ غَدَتْ فُرُوعُهُ — طَيِّبَةً وَمَحْتِدُهْ
مَوْلَايَ يَدْعُوكَ فَتًى — قَدْ خَانَهُ تَجَلُّدُهْ
هَيْهَاتَ أَنْ يَقُومَ يَوْ — مًا بِالْقَوَافِي أَوَدُهْ
ضَاعَ الْقَرِيضُ فَهْوَ لَا — يُنْشِدُهُ بَلْ يَنْشُدُهْ
مَا بَالُ هَذَا الدَّهْرِ لَا — يُنْجِزُ يَوْمًا مَوْعِدُهْ
مَوْلَايَ لِي حَقٌّ وَمَدْ — حِي قَدْ غَدَا يُؤَكِّدُهْ
وَمَنْ غَدَوْتَ قَصْدَهُ — لَيْسَ يَخِيبُ مَقْصِدُهْ

وقال فيه أيضًا: [من البسيط]

هَبْ خَاطِرِيْ الْعَفْوَ إِنْ شَحَّتْ غَمَائِمُهُ — مَا كُلُّ وَقْتٍ يُجِيدُ الشِّعْرَ نَاظِمُهُ
وَطَالَمَا رَكَدَتْ رِيحُ الصَّبَا سَحَرًا — لَدَى الْأَرَاكِ وَلَمْ تَسْجَعْ حَمَائِمُهُ
وَرُبَّمَا جَادَ خَدَّ النَّوْرِ دَمْعُ حَيًا — فَوْقَ الْغُصُونِ وَمَا شُقَّتْ كَمَائِمُهُ
/٢٤٨أ/ لَا يمكن المرءُ أَنْ يَمْشِيْ عَلَى سَنَنٍ — وَإِنْ غَدَا الرُّشْدُ لَا تَخْفَى مَعَالِمُهُ
قَدْ يَكْتُمُ السِّرَّ مَنْ لَمْ يُخْفِهِ أَبَدًا — عَنِ الرِّجَالِ وَقَدْ يُفْشِيهِ كَاتِمُهُ
يُسَالِمُ الدَّهْرُ مَنْ أَضْحَى يُحَارِبُهُ — كَمَا يُحَارِبُ مَنْ أَضْحَى يُسَالِمُهُ
وَقَدْ يَكُونُ رَفِيعَ الْقَدْرِ جَاهِلُهُ — كَمَا يَكُونُ وَضِيعَ الْقَدْرِ عَالِمُهُ
أَشْكُو إِلَى اللهِ دَهْرًا لَيْسَ يُنْصِفُنِي — وَكَيْفَ يُنْصِفُ مَنْ ذَا الدَّهْرُ حَاكِمُهُ
كَمْ ذَا أُذِلُّ قَرِيضًا بِتُّ أَحْمِلُهُ — جَهْلًا إِلَى بَابِ مَنْ عَزَّتْ دَرَاهِمُهُ
لَوْلَا ضَرُورَاتُ دَهْرِي كَانَ مَادِرُهُ — قَدِ اسْتَوَى الْيَوْمَ فِي عَيْنِي وَحَاتِمُهُ
بَارَ الْقَرِيضُ بِمِصْرَ الْيَوْمَ فَهْوَ إِذَا — أَعْرَضْتُهُ عَنَّ شَارِيهِ وَسَائِمُهُ
لَوْ قَدَّرَ اللهُ أَنْ آتِي الشَّامَ بِهِ — مَا أَسْلَمَتْنِي إِلَى دَهْرِي عَوَاصِمُهُ
وَكُنْتُ أُدْرِكُ مَا أَرْجُوهُ بِابْنِ أَبِي — جَرَادَةَ حَسْبُ آمَالِي مَكَارِمُهُ
عَلَيْكَ يَا شَرَفَ الدِّينِ اعْتِمَادُ فَتًى — يَشْكُو لَكَ الدَّهْرَ إِذْ عَمَّتْ مَظَالِمُهُ(١)

---

(١) انتهت هذه الترجمة، وهذا الجزء، بهذا الشكل دون إشارة إلى نهايته كما اعتاد في بقية أجزاء الكتاب، ولعله أراد أن يتوسع في هذه الترجمة قبل ختام الجزء ولم يفعل، أو أن بقية الأوراق سقطت من المخطوطة!!

فهرس تراجم الجزء التاسع

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

تتمة حرف النون

ذكر من اسمه نصر

ذكر من اسمه نصر الله

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

ذكر من اسمه هبة الله

رقم الترجمة | صاحب الترجمة | الصفحة

ذكر من اسمه يحيى

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة